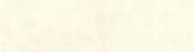

kitabweb-2013.forumsmaroc.com

الدكتور محمد الأخضر
مبرز السوربون

الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية

(1075-1311/1664-1894)



دار الرشاد الحديثة
الدار البيضاء

الدكتور محمد الاخضر

مبرز السربون

الحياة الادبية فى المغرب على عهد الدولة العلوية

(1075 - 1311 / 1664 - 1894)

دار الرشاد الحديثة

40 شارع فيكتور هيكو ـ الهاتف 700.98

الـدار البيضـاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى 1977

حقوق الطبع محفوظة

مدخل

الحياة الادبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية

(1894 — 1664 / 1311 — 1075)

كتب احد كبار الأدباء سنة 1948 ما يلى : « ان تاريخ الادب الغربى بالمغرب لم يكتب بعد ، ولم يطرق هذا الموضوع أحد قط ، لا من المغاربة ولا من المستشرقين المعتنين بالدراسات المغربية : فالأولون لان الطرق الحديثة فى البحث والتبويب والنقد كانــت مجهولة لديهم ، والآخــرون لأنهم بدؤوا فى التعرف على المغرب بالتاريخ والجغرافيا وعلمى الآثار والأنساب » .

وبعد أن قمنا باستعراض الدراسات التى وقعت حتى ذلك الحين فى ميدان الأدب المغربى ، ادركنا بدون عناء صحة هذا الحكم . ذلك انا لم يسترع اهتمامنا من مجموع ما أحصيناه من الدراسات سوى اثنتـــين : **مؤرخــو الشرفاء** لليفى بروفنسال ، الذى ظهر سنة 1922 م **والنبــوغ المغربى فى الأدب العربى** لعبد الله كنون ، المنشور سنة 1938 . غير أن الأول ، وهو فريد فى بابه بما يقدم من معلومات قيمة عن الحركة الثقافية بالمغرب من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر ، ليس سوى محاولة فى أدب التراجم ، كما بين ذلك المؤلف نفسه . ويحتوى مع ذلك على اشارات ادبية وفقهية بالغة الأهمية ، ولو انه لا يهتم أساسا الا

بالمؤرخين واصحاب التراجم للدولتين الشريفتين ·

أما النبوغ المغربي الذي كان لصدوره صدى بعيد في العالم العربي والاسلامي ، فانه ذو طابع ادبي خالص ويقدم معلومات ثمينة جدا ، غير أن التصميم الذي بني عليه جعله يتتبع التاريخ السياسي بحسب توالي الدول ، وما فيه من القطع المختارة شعرا ونثرا لم تشرح ولم تحلل · ورغم ذلك ، فانه اول كتاب بيّن وجود الأدب المغربي ، بعد أن كان بعض الناس يجهلونه او يتجاهلونه ·

بقي أن نعرف هل هذا الحكم ما يزال صحيحا على ما كان عليه في تاريخ صدوره ، أم طرأ عليه تغيير ؟ لقد اطلعنا على عدد كثير من الدراسات النقدية المتعلقة بالمغرب ، سواء بالعربية أو الفرنسية ، اعتمد معظمها على مصادر وثيقة ومخطوطات كانت تعد آنذاك نادرة أو مفقودة ، ثم جمعت بعد استقلال المغرب في المكتبات الرسمية بالرباط وفاس وتطوان · أوقفنا هذا التحقيق على وجود أدب مغربي ، ودفع بنا الى البحث عن الأسباب التي جعلت الدراسات في هذا الميدان ذات طابع خاص ، او بعبارة اخرى جعلها لا تعنى بغير واحد من جوانب هذا الأدب ، وهو الجانب المتعلق بالتراجم والمختارات الأدبية وما الى ذلك ·

وانطلاقا من المبدا القائل بأن الكتاب كثيرا ما يعكس صورة المصدر الذي غذّاه ، لارتباطهما برابطة العلة والمعلول ، فكرنا في أن نقوم بالتوفيق بين هذه الدراسات والمصادر التي اعتمد عليها الدارسون من قبل · غير أن هذه المصادر التي تكون أصول التراجم المغربية تتميز بتنافرها ، وتفرق المعلومات فيها ، وكثرة تنوعها · لذلك لم يكن من شأن استعمالها المتعذر الصعب ان يساعد على البحث والتنقيب · عندما يفكر الانسان بأن عليه أن يحل رموز مخطوط في التاريخ او الرحلة أو الفقه ، ويقراه من اوله الى آخره ليلتقط منه بعض المعلومات الأدبية ، يدرك حينئذ ضخامة المهمة وصعوبتها · ولهذا اتجهت الدراسات نحو الموضوعات الأكثر انتشارا ، والأيسر استعمالا ، كالتاريخ والتراجم والانساب والنوازل ، مع الاكتفاء في

الغالب بنشر النصوص أو ترجمتها · فمن حقنا أن نتساءل : هل يوجد فعلا ادب مغربى ؟ أو هل له ياترى مفهوم آخر ؟

لا يسع المرأ الا أن يجيب عن هذين السؤالين بالايجاب · فالمغرب فى الواقع أعطى ، خلال أطواره التاريخية ، انتاجا خليقا بأن يأخذ مكانة بين التراث الأدبى ، سواء فى الشعر او النثر ، أو فى الملحون الذى هو التعبير الصريح والتلقائى للشعب · وقد تجاوزت شهرة بعض الأدباء المغاربة حدود بلادهم ، فوصلت الى المشرق على بعد الشقة وصعوبة الاتصال · نذكر من بينهم أبا سالم العياشى (ت · 1090 / 1679) ، وعبد القادر الفاسى (ت · 1091 / 1680) ، والحسن اليوسى (ت · 1102 / 1692) ، وأبا القاسم الزيانى (ت · 1249 / 1833) ، ومحمد اكنسوس (ت · 1294 / 1877) · وقد ذكر هذا الأخير فى كتاب **الادب العربى فى القرن التاسع عشر** للاب لويس شيخو ·

وخلافا لما كان يظن ، فان دراسة الأدب لم تنقطع قط فى المدارس والزوايا ، ومناقشته فى الندوات الخاصة · وذلك ما يفسر تبحر عدد كبير من الكتاب المغاربة حتى الفقهاء منهم · والدليل القاطع على ذلك حال العالم الشهير الحسن اليوسى الذي كان موضوع دراسة وافية ، وقد كان يتباهى عن جدارة بأنه يستطيع ألا يتكلم الا شعرا لوشاء ·

ومع ذلك ، فان شخصية الأديب المغربى فى الواقع كانت منزوية خلف شخصية الفقيه الذى كان عليه أن يهتم بالعلم قبل الفن · وقد لاحظوا بذكاء أن « من ملك الحقيقة لا يهمه الجمال » · لهذا ، فان الأدب المغربى بمعنى الكلمة لم يفسح المجال للفقه حتى يتقدم أمامه فحسب ، ولكنه اصطبغ أيضا بصبغة دينية فرضتها ضرورات تتصل بالموقع الجغرافى للبلاد ، وبالنظام السياسى والاجتماعى القائم بها · ان وقوع المغرب فى أقصى غرب شمال افريقيا جعله لا ينقطع عبر العصور عن الاتصال ببعض الدول الأوربية ، وبخاصة اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا · ومهما كانت تلك العلاقات طيبة أولا ، فانها لم تخل من اثارة بعض المخاوف بسبب اختلاف

الأفكار والعادات والتقاليد ، وخاصة بسبب المراكز المغربية المحتلة من طرف بعض هذه الدول ٠

لم ينس مبعوثو الملوك المغاربة التنبيه فى **رحلاتهم** على هذا الاختلاف ، مبرزين كل ما من شأنه أن يثير الانتباه والاستغراب ٠ والفقهاء والشعراء بدورهم ما فتئوا يندددون بموقف الحكومات الأجنبية العدائى تجاه المغرب ٠ ان سلوك هؤلاء واولائك كان يكتسى طابع الحض على الجهاد ، الأمر الذى دفع الى الاعتقاد بأنه لم يكن فى هذه البلاد من أرباب القوافى الا « المتكلمون والفقهاء والنحاة » ٠

وهناك ميزة أخرى للأدب المغربى تتمثل فى تنوعه ٠ وحتى لا نذهب الى القول بأنه يشتمل على كل ما سطر فى جميع الموضوعات ، نذكر أن كل الوثائق المكتوبة بعناية والتى تعكس صور الثقافة والحضارة تندرج تحت مدلول الأدب ٠ واعتبارا لهذا المفهوم يكون الادب المغربى قد تقدم عصره ، اذ يغلب الاتجاه ، فى الوقت الحاضر ، الى توسيع معنى كلمة أدب أكثر فأكثر ، وتطبيقها على اكبر عدد من العلوم ٠ لذلك يجب الا نعجب لوجود عدد من الأطباء والفلكيين والرياضيين والفقهاء والمتكلمين والنحاة ، من بين الأدباء المغاربة فى العصر الذى ندرسه ٠

وثمة ميزة ثالثة للأدب المغربى ، حيث نجده تارة يشبه الأدب المشرقى واخرى على نموذج الأندلسى ٠ والواقع أن المغرب ، لوقوعه بين هاتين الجهتين من العالم الاسلامى ، كان ممرا دائما بينهما ، متأثرا بهذه أو تلك حسب الأزمان والظروف ٠ وهى مؤثرات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية ٠ لذلك كان الأدب المغربى ، فى عصوره الاولى ، يحتذى حذو أخيه المشرقى ، ثم خضع لتأثير جارته الأندلس قبل أن يأخذ طابعه الوطنى ٠

وعلى أى حال ، فان الأدب المغربى كان موجودا مهما اصطبغ بالصبغة الدينية أو أتى بالمعنى العام ، واكتسى طابع التقليد المشرقى أو

الاندلسى ، وكتب بالفصحى أو اللهجة الشعبية ، لكن بصورة متفرقة وجزئية ان صح التعبير · لذلك تعين القيام بعمل من شأنه أن يعرف بالأدب المغربى فى مجموعه ، على ضوء الوثائق التى يمكن الوصول اليها ، والدراسات الجزئية ، دون ادعاء الاتيان بجديد أو أصيل فى الموضوع ·

تطرح حينئذ مسألة اختيار الموضوع · ولما لم يكن بالامكان معالجة الأدب المغربى كله فى جميع العصور ومن كل الجوانب ، تعين الاكتفاء بدراسة قسط منه ، وبعبارة أخرى تعين اختيار فترة تكون اكثر تمثيلا بهذا الأدب ، بحيث تعكس صورة النفس المغربية ، وتمثل تقاليده وطموحه احسن ما يمكن ذلك · وقد اخترنا العصر الأخير الذى سبق اقامة الحماية الفرنسية · والكل يعلم أن (المغرب القديم) انتهى مبدئيا بموت المولى الحسن الاول عاشر الملوك العلويين ، الموافق بالتقريب لنهاية القرن التاسع عشر ، وجعلنا سنة 1311 / 1894 حدا تنتهى اليه هذه الفترة ·

ان التناقض الحاصل فى الانتقال من عهد الى عهد ليوضح لنا كثيرا من النقط : فحركة النهضة الادبية التى ابتدأت فى مطلع القرن العشرين جاءت فى أعقاب انحطاط الأدب المغربى ·

وسيرا مع المبدأ القائل بأن « عصور تاريخ الأدب لا تواكب بالضبط الاقسام المميزة للتاريخ السياسى » ، حددنا ، كبداية للعصر الذى ندرسه ، يقظة الأدب فى أعقاب تخريب الزاوية الدلائية على يد المولى الرشيد بن الشريف ثانى ملوك الدولة العلوية عام 1079 / 1668 · ولما كان هذا السلطان بويع قبل ذلك بأربع سنوات ، راينا ان ندمج هذه الفترة القصيرة فى اطار دراستنا ·

ثم لما كان الاطار متشابكا ومتداخلا مع المجموع ، اضطررنا الى أن نعطى نظرة موجزة عن تاريخ الأدب العربى بالمغرب منذ أصوله ، اى منذ الفتح العربى (عام 62 / 681) الى بداية العصر الذى ندرسه (1075 / 1664) · وحرصنا ، اثناء تقديم هذه النظرة ، على ان نشير الى مختلف

الحركات والاتجاهات للأدب المغربي في ضوء ما نأتي به من نصوص شعرية ونثرية ، دون أن نغفل المقارنة بين الانتاج الشرقي والغربي كلما سنحت الفرصة . لاحظنا أن الأدب العربي ، وهو ما يزال في أطواره الاولى في المغرب وقد بلغ الاوج في المشرق والأندلس ، كان عليه في وقت محدد أن يحتل الصف الاول محتفظا بطابعه الوطني وموطدا دعائم شخصيته .

ان الفترة التي اخترناها تحقق ما نرمي اليه ، سواء فيما يتعلق بقيمة الرجال أو بوفرة الانتاج وتنوعه . ويكفي لنتحقق من ذلك أن نذكر أسماء أمثال عبد الرحمن الفاسي ، وابن زاكور ، ومحمد بن الطيب العلمي ، والزرويلي ، والافراني ، والغزال ، فضلا عن العياشي وعبد القادر الفاسي ، واليوسي ، والزياني ، واكنسوس المشار اليهم قبل هذا . وتتمثل في هذه الفترة ، من ناحية أخرى ، جميع العلوم والفنون بما في ذلك الملحون الذي « يعبر عن أعمق دخائل النفس المغربية » . وهذا يعني أن علينا أن ندرس (حياة أدبية) كاملة ، ونرتبها ونبين خصائصها . وقد تم تطور هذه الحياة الأدبية في ثلاثة عصور ، يمثل أولها امتداد النهضة المشار اليها سابقا ، الذي تحقق منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ، بينما يمثل العصر الثاني أوج هذا الأدب (1171 — 1238 / 1757 — 1823 بالتقريب) ، والثالث دور انحطاطه (1239 — 1311 / 1824 — 1894) .

حاولنا كل مرة أن نشرح أسباب هذه الحركات المختلفة التي لا تتصل بالضرورات السياسية بقدر ما تتصل بالحالات الدينية والاجتماعية أو الاقتصادية للبلاد . هناك أدلة عالمية تبرز جزئيا وجود تجانس بين أشخاص عاشوا في طقوس مختلفة . لذلك بدا لنا أن نتعرف على الشبه الموجود في أوجه النظر وفي الأفكار بين العلماء المغاربة والاوربيين الذين عاشوا في عصر واحد أو متقارب .

والآن . ما هو مصير هذا الادب في مطلع القرن العشرين ، حيث أخذ المغرب ، بعد أن بقي زمنا طويلا منطويا على نفسه ، يتطلع الى حياة جديدة

يوسع فيها أفقه ويضاعف من اتصالاته مع العالم الحديث ؟ رأينا من المفيد ان نطرح هذا السؤال على أنفسنا قبل أن نختم الفصل الأخير ، لانه ينبغى استشفاف مستقبل هذا الأدب ، بعد أن قطعنا معه مراحل طويلة وشاقة ٠

وعلى العكس مما يمكن أن يتصور لأول وهلة ، فان هذا الادب الذى هو صورة للجمتع المغربى لم يتطور الا ببطء كبير ، اذ بقيت الحياة فى المغرب كما كانت ، محافظة على العادات والتقاليد طوال ثلاثين سنة على الأقل ، حتى انك لو أقمت فى مدينة كفاس لوجدت نفسك تنتقل بعيدا فى الماضى ٠ واحتفظ التعليم التقليدى خاصة بنفس البرامج القديمة ليكون نفس النماذج من العلماء والأدباء ٠ وبينما تقدم التعليم العربى فى المشرق خطوات بفضل تطور الطباعة والصحافة ، ظلت بعض الكتب تطبع على الحجر فى المغرب ٠

لكن ، سهولة المواصلات والأسفار ، وتأسيس المدارس ، وتقدم الطباعة والصحافة ، جعل الأدب المغربى يتطور فى ظروف حسنة : فمغرب الامس ومغرب الغد وجب أن يصبح (مغرب اليوم) ٠

هذه الدراسة كما لا حظنا بعيدة عن الاستيعاب ما دامت تتعلق بموضوع واسع وصعب ، اذ لم ندرس تاريخ الأدب المغربى خلال زهاء قرنين ونصف ، ونبين خصائصه فحسب ، بل اسندناه الى أصوله الاولى قبل عشرة قرون ، مقدمين نظرة عامة وجيزة عن تلك الحقبة الطويلة ، معززة بمقتطفات مختارة ٠

وبالجملة ، فان هذه الدراسة ليست سوى مجرد وسيلة للقيام بدراسات أخرى أكثر توسعا وأحسن تصميما ٠ واذا أمكن أن نكون قد ساهمنا ولو جزئيا فى اقامة صرح جديد للأدب المغربى ، فاننا نكون مرتاحين لارضاء رغباتنا ومكافأة جهودنا ٠

تقديم

الكتاب الذى أتشرف بتقديمه الى الباحثين وجمهور المثقفين يلبـــى رغبات كل الذين يهتمون بالتاريخ الأدبى لبلادنـــا ٠

لقد كتبت سنة 1940 (مقدما لموجز فى تاريخنا الأدبى) أن « تاريخ الادب المغربى لم يكتب بعد » ٠ وها نحن اليوم ، وقد مضت ثلاثون سنة ، نجد تلك الحقيقة ــ للأسف ــ ما تزال قائمة ٠

لا شك أن شيئا من التقدم قد تحقق فى ميدان نشر النصـــــوص القديمة ، والنقد ، ودراسة بعض العصور والانواع الأدبية ، لكن لا يمكن أن يكتب تأريخ عام لأدبنا (شاملا لكل العصور والانواع) قبل أن ترى النور عدة دراسات من نوع هذه **الحياة الأدبية المغربية على عهد الدولة العلويـــة** للسيد محمد الأخضر التى أود أن أبرز بعض خطوطها الرئيسية ٠

لن الح فى الكلام على ما هو شرط أساسى فى كل عمل علمى خليق بهذا الاسم ، أعنى السعة والدقة فى المعلومات والمراجـــع ، لاتول أولا ان البيبليوغرافية التى يرجع اليها السيد الأخضر تكاد تكون مستوعبة ، سواء من حيث الكتب المطبوعة أو المخطوطة ، ولأؤكد ثانيا أن كل الحياة الفكرية بالمغرب من نهاية القرن 17 الى نهاية القرن 19 كانت لدى المؤلف محط دراسة مستفيضة شاملة ٠

كل الآثار النثرية والشعرية قد ذكرت ، وجميع الأحكام المقدمة عززها المؤلف باستشهادات مختارة ، الأمر الذى يجعل هذا الكتاب لا يقدم لنا دراسة معمقة فحسب ، لكن أيضا مجموعة منتخبات أدبية حقيقية ·

قد يقول البعض ان عددا من المؤلفين اللذين ترجموا فى هذا الكتاب ودرست آثارهم لا يمتون بصلة مباشرة الى الأدب بمعناه الخاص ، غير أن مثل هذا الرأى يبين عن جهل مطبق بمحتوى الكلمة العربية المطابقة للكلمة الفرنسية " littérature" ، أعنى « أدب » : ذلك أن هذه الكلمة أخذت اليوم المعنى الضيق الذى تأخذه كلمة " littérature" فى أوربا ، ويجب أن نعرف ان معنى (أدب) فى لغتنا العربية يتسع ليشمل الى جانب الأدب الثقافة بصفة عامة ، كما أن المؤلفين العرب كثيرا ما كانوا علماء وفقهاء ومؤرخين ، وهم فى نفس الوقت شعراء ومؤلفو كتب أدبية صرفة · وإذا كنت قد أهملت فى **الموجز** ، الذى تحدثت عنه آنفا ، ذكر بعض هؤلاء المؤلفين (الذين لا تتسم أهم آثارهم أساسا بالطابع الأدبى) ، فان ذلك راجع فقط الى ضيق المجال فى الاطار المحدود الذى سمح لى به · ومع ذلك فانى أرى أن شخصية مثل أحمد الحبيب اللمطى (المترجم فى صفحة 200) لا محل له فى هذا الكتاب ·

ان الطريقة التى اتبعها المؤلف تستوحى كثيرا من الطريقة التى اتبعها **ليفى بروفنسال** فى كتابه القيم **مؤرخو الشرفاء** الذى يظل ، رغم مضى حوالى اربعين سنة على تأليفه ، مصدرا ثمينا للباحثين · يقتصر الشبه بين الكتابين على طريقة تقديم تراجم المؤلفين ، وترتيب المعلومات المتعلقة بالتواريخ والأحداث الهامة فى حياتهم ، والاحالة على الهوامش فيما يخص المراجع البيبلوغرافية ·

غير أن أهم شىء يبقى فى تحليل الآثار الأدبية ودراستها ، هذا التحليل المناسب الايحائى الذى يفتح دائما آفاقا جديدة · ونسجل بصفة خاصة ابتكار وضع مقارنات بين بعض أدبائنا وبين كتاب غربيين ، من أمثال رابلى ،

وموليير ، وباسكال ، ونيوطن ، وبوالو، وروسو ، وبومارشي ، وفولطير ، والشعراء الرمزيين . هذه الطريق التى فتحها السيد الأخضر ستؤدى ، ولاشك ، بالأجيال الناشئة الى مزيد من تقدير التراث الادبى لاسلافهم .

لذلك لا يخامرنا أى شك فى أن هذا الكتاب الأول من نوعه (سواء باللغة الفرنسية أو العربية) سيقدم أكبر مساعدة لطلبتنا ، ويحمل أساتذتنا الشبان على وضع دراسات مماثلة عن العصور الأخرى لتاريخ المغرب الأدبـــى .

ان قيمة هذا الكتاب واهميته قد ظهرت قبل أن يخرج الى المكتبات حين اختارته لجنة جائزة المغرب ومنحت مؤلفه احدى الجائزتين لسنـــة 1971 .

وانى اذ أهنىء السيد الأخضر بهذه الميـــزة التى يستحقها لعلـــى يقين بأنه سيتابع أبحاثه فى هذه الطريق لتحقيق اكبر خير للأدب المغربى .

محمـــد الفاســـى

مقدمة

من خصائص المصادر البيبليوغرافية المغربية انها مختلفة ، تقدم فى شتى فروع المعرفة معلومات متنوعة كثيرا ما تكون غير منتظرة .

وعندما يعنى الأمر القيام بدراسة أدبية ، مثل هذه كما هو شأننا الآن ، فلابد ، للاطلاع على المصادر اللازمة ، من الرجوع الى المؤلفات المختلفة ، بما فيها مثل كتب التاريخ والتراجم والرحلات والاجازات (1) والدواوين الشعرية والفهارس · (2) وحتى الكتب المخصصة للدين (3) ·

وقد شعر ليفى بروفنسال بفائدة العمل هذا للاطلاع على المصادر ، وضرورته لكل بحث يتعلق بالمغرب ، حين كتب سنة 1920 :

« ان اهتماما يفرض وجوده منذ البداية الا وهو الاهتمام بيبليوغرافى · فالبيبليوغرافيا العربية المغربية لم تحظ بعد بأى بحث · نعم ، ان العمل بدأ فى وقت كانت ابواب المغرب ما تزال مغلقة فى وجوه العلماء ، وكان لابد من

(1) انظر عن الاجازات ، د. م. ا. 2 · 473 ب — 474 ا ·

(2) انظر عن الفهارس ، د · م · ا · 2 2 · 762 أ — ب

(3) فيما يخص العصر العلوى الذى يهمنا الآن ، نجد من بين المصادر الادبية ، كتبا تاريخية مثل مؤلفات اليفرنى والزيانى والناصرى ، ورحلات مثل **محاضرات** اليوسى **ورحلة** العياشى ، وكتب تراجم مثل **الدرر البهية** للفضيلى **ونشر المثانى** للقادرى ، وأراجيز تعليمية مثل **الاقنوم** لعبد الرحمن الفاسى ، ومؤلفات دينية مثل **العمل الفاسى** لنفس المؤلف ، وأخيرا مجموعات أدبية محضة مثل **الأنيس المطرب** لمحمد بن الطيب العلمى .

الاكتفاء بجمع معلومات متفرقة » (4)

كان يجب ان يرمى العمل ، فى نظر العالم المستعرب ، الى البحث عن المخطوطات فى مكتبات المساجد والزوايا . (5) وفى المكتبات الخاصة ، لأن عدد الكتب العربية آنذاك كان غير كاف ، حيث لم تكن مكتبة القرويين الشهيرة نفسها تحتوى الا على الف وستمائة وواحد واربعين كتابا ما بين مخطوط ومطبوع (6) ·

ومنذ هذا التاريخ فتح المغرب ابوابه للعلماء ، وحسب الاحصاء الأخير ، فان المكتبة العامة بالرباط تضم وحدها نحو عشرة آلاف مخطوط من مصادر مختلفة . (7) ونشير كذلك الى أن المكتبة الملكية تضم هى الأخرى عددا من المخطوطات الثمينة (8) ان اقتناء المخطوطات وتركيزها بهذه المكتبة أو تلك يتابع من يوم لآخر ، الأمر الذى يجعل عملية الاطلاع على المصادر شاقة وعسيرة ·

لا يتسع المجال هنا لوضع تاريخ تسجيل الكتب العربية بالمغرب ، هذا التسجيل الذى نذكر بأنه ابتدأ سنة 1918 مع A. Bel ، واستمر سنة 1921 مع E. Lévi-Provençal ، وانتهى سنة 1958 مع S. Allouche ا و ع · الرجراجى (9) .

---

(4) ن · م · ع · م ، السنة الاولى ، ديسمبر 1920 ، 1 · 167 — 168 ، مقال بعنوان **الادب والآركيولوجيا بالمغرب .**

(5) انظر عن الزاوية د. م · ا · 4 · 1289 ا — 1290 ب ·

(6) ليفى بروفنسال ، الادب والاركيولوجيا ، فى ن · م · د. ع · م : السنة الاولى ديسمبر 1920 ا ، صفحة 168 .

(7) فى الوقت الذى نكتب هذا ، يبلغ عدد المخطوطات بالضبط 9.153 موزعة كما يلى : ا — المكتبة العامة 2.978 . ب — الكتانى 3.371 · ج — الكلاوى 1.382 · د — الاوقاف 1.212 · ه — الحجوى 137 · و — المقرى 67 · ز — التوزانى 6 ·

(8) سيبلغ عدد المخطوطات التى يجرى الآن تسجيلها عشرة الاف حسب تقديرات السيد محمد الفاسى ، دون ادخال المخطوطات الموجودة فى قصر دار السلام بالرباط وفى قصر مدينة الدار البيضاء . انظر محمد الفاسى ، **الخزانة السلطانية ، فى البحث العلمى** : عدد 4 و 5 ، يناير — غشت 1965 ، صفحة 67 .

(9) هذه عناوين السجلات الثلاثة : ا — فهرست الكتب المحفوظة بمكتبة جامع القرويين بفاس، فاس ، 1918 · ب — المخطوطات العربية بالرباط ، باريز ، 1921 · ج — فهرس المخطوطات العربية بالرباط ، الرباط ، 1958 (انظر البيبليوغرافيا) وقد هيء بعد ذلك فهرس جديد .

ومع ذلك سنستعرض الكتب التى تكون المصادر الأساسية لدراستنا هذه ، محاولين أن نرتبها ترتيبا زمنيا ونبرز خصائصها عند الاقتضاء (10) ·

أ) **الأنيس** ، (11) للشريف محمد بن الطيب العلمى (توفى 1134 / 1721) (12) . هو كتاب يحتوى على اثنتى عشرة ترجمة لاثنى عشر كاتبا من اشهر كتاب ذلك العصر . هذا المصدر الاساسى هو فى نفس الوقت أحد المؤلفات القليلة شبه الأدبية الصرفة ، تجد فيه الى جانب الشعر والنثر اصنافا من النوادر ، الشىء الذى يجعل منه مزيجا من الملح والنكات والاستطرادات التقنية ، حيث يوجد تاريخ البرامكة ، ومجمل لعلم الفلك ، ومبحث فى كيفية استعمال العود ، وحتى تركيب الأدوية العلاجية (13) » .

ب ، ج) **النشر والالتقاط** (14) كتابان فى التراجم لمحمد بن الطيب القادرى (توفى 1187 / 1773) (15) أولهما ، وهو اشهر الكتب من هذا النوع ، يختص بجميع الأعلام المشهورة فى المغرب ، ويمتد ليشمل أعلام العالم الاسلامى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر (بالضبط من عام 1001 الى عام 1170 / 1592 — 1757) . وهو الى ذلك يذكر الأحداث الهامة فى كل سنة · وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب اقتنتها أخيرا المكتبة العامة بالرباط (16) أضخم حجما وأوسع محتوى · أما **الالتقاط** ، فانه مكتوب بنفس الطريقة ، غير انه عبارة عن ملخص **للنشر** الأصلى (17) ·

---

(10) نشير الى أن عالمين شرقيين ألفا ، على غرار **وفيات** ابن خلكان ، كتابين فى التراجم يحتويان على تراجم بعض العلماء المغاربة المشهورين فى العصرين السعدى والعلوى ، وهما : الخفاجى صاحب **الريحانة** ، والمحبى صاحب **الخلاصة** . (أنظر البيبليوغرافيا) .

(11) انظر اسم الكتاب كاملا مع ما يتعلق بنشره فى البيبليوغرافيا . غير اننا نشير الى أنه فيما يتعلق بالطبعتين لهذا الكتاب ، لم يذكر ليفى بروفنسال الا طبعة 1897/1315 · (**مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 296 ، رقم 5) ·

(12) أنظر ترجمة هذا المؤلف فيما يلى .

(13) ليفى بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 297 ·

(14) **النشر** ترجم بعضه الى الفرنسية أولا من قبل A. Graulle و P. Maillard سنة 1913 ، ثم من قبل Michaux - Bellaire سنة 1917 ، بعنوان **نشر المثانى لمحمد القادرى** (1917 و 1913 et XXIV . ر (Arch. Mar XXI). أما **الالتقاط** فانه ما يزال مخطوطا .

(15) انظر ترجمة هذا المؤلف فيما يلى ؛

(16) سجل هذا المخطوط تحت عدد كـ 2252 باعتبار أنه آت من المكتبة الكتانية .

(17) لمزيد من التفصيلات انظر ليفى بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 322 — 324 ·

د) **الاستقصــا** (18) لأحمد بن خالــد الناصرى (توفى 1315 / 1897) (19) هو أحدث وأكمل تاريخ للمغرب (20) كان نشره ، على حد تعبير ليفى بروفنسال ، « .. حدثا لم يسبق له مثيل فى كتابة التاريــخ المغربى » (21) يذكر المؤلف كذلك فى هذا الكتاب أهم الأدباء فى العصور المختلفة التى يؤرخ لها ، دون أن يغفل اعطاء نظرة سريعة عنهم ، ويأتى بمقتطفات من آثارهم كلما دعت الحاجة الى ذلك . وعن العصر الــذى يهمنا ، يستقى معلوماته من ثلاثة مصادر رئيسية : القسم الأخير مــن **النزهة** ، (22) **والترجمان** . (22) **والجيش** ، (22) يرجع اليها كثيرا . وبصفته أديبا « ... فان له من حين لآخر ملاحظات جريئة على ثقافــــة مواطنيه تدل على استقلال عظيم نسبيا » (23) ورغم أن هذا المصدر ليس كله أصيلا ، فانه مهم من ناحية البيبليوغرافيــا .

هـ) **الدرر البهية** (24) لادريس بن أحمد العلوى المعروف بالفضيلى (توفى 1316 / 1898) (25) اشهر كتب الأنساب المتعلقة بالشرفــاء الأدارسة . كل شخصية تستحق أن تذكر من هذا النسب تجد مكانها فى

---

(18) أنظر اسم الكتاب كاملا فى البيبليوغرافيا . ترجم القسم الخامس من **الاستقصا** الــى الفرنسية من قبل E. Fumey (**تاريخ الدولة العلوية بالمغرب فى** : : Arch. mar X XI باريز 1906 — 1907) .
والترجمات الأخرى التى تلت هى . أ A. Graulle و I. Hamet فى Arch. mar 1923, xxx, ب — A. Graulle و G. S. Colin ، **نفس المرجع** ، 1925, I,XXX ج — **نفس المرجع** ، 2 ، 1927 . د — **نفس المرجع** ، 3 ، 1934 .

(19) انظر عن هذه الشخصية (1250 — 1315 / 1835 — 1897) . أ — كتابه **الاستقصا** (فى البداية) . ب — السائح ، **المنتخبات** ، صفحة 110 — 118 . ج — سركيس ، **معجم** ، صفحة 1040 . د — بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 2 : 510 . هـ — **الملحق** ، 2 : 706 ، الطبعة الجديدة ، صفحة 888 . و — بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 350 — 368 . ز — ر . باصى **مصادر** ، صفحة 47 ، رقم 140 . ج — ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 236 — 239 . ظ — ش . بيلا ، **اللغة والأدب** ، صفحة 180 . ى — م . الفاسى ، **الأدب المغربى** ، صفحة 540 . ب ك — م ابن تاويت وعفيفى ، **الأدب المغربى** ، صفحة 47 .

(20) ينقصه مع ذلك عصر ما قبل الفتح العربى وفترة بعد سلطنة مولاى عبد العزيز .

(21) مؤرخو الشرفاء ، صفحة 355 .

(22) انظر البيبليوغرافيا .

(23) ليفى بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 367 .

(24) انظر اسم الكتاب كاملا مع ما يتعلق بطبعه فى البيبليوغرافيــا .

(25) أنظر عن هذا المؤلف . أ — ليفى بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 347 ورقم 3 . ب — ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 : 93 — 94 ، رقم 303 .

الكتاب الذى يضم علاوة على ذلك اشارات تاريخية مهمة ، واستشهادات شعريـــة ·

ويأتى بعد ذلك كتاب التراجم الذى عرف اعظم شهرة فى المغرب ، الا وهو **السلــوة** (26) لمحمد بن جعفــر الكتانـــى (توفـــى 1345 / 1926) (27) جمع فيه المؤلف كل الشخصيات المشهورة المدفونة بفاس ، مرتبة حسب الأحياء التى توجد بها اضرحتهم ، واعطى عنهم اوسع ما يمكن من المعلومات · وسيكون من شعبية هذا الكتاب ان كثيرا من كتاب التاريخ يستوحون منه فيما بعد .

ان الكتب الستة المتقدمة والتى هى مصادر اساسية ، كلهــا فى التراجم باستثناء **الاستقصا** الذى هو كتاب تاريخ قبل كل شىء ، **والدرر** التى يمكن ، مهما كان الأمر ، ادراجها فى هذا الصنف ·

نذكر الآن مصادر اخرى من انواع مختلفة ، وهى ·

أ ــ **فهارس** ، واهمها فهرست عبد القادر الفاسى (توفى 1091 / 1680) (28) التى كتبها ولده عبد الرحمن (توفى 1096 / 1684) (29) والتى هى توسيع للاجازة الممنوحة لأبى سالم العياشى (توفى 1090 /

---

(26) انظر البيبليوغرافيا . ونشير مع ذلك الى أن **الدليل** (1 : 68 رقم 172) يذكر أن هذا الكتاب طبع على الحجر بفاس عام 1318 / 1900 ، بينما نجد أن تاريخ 1316 / 98 ــ 1899 هو الأكثر انتشارا .

ويزيد هذا المصدر : 1 ــ أن **السلوة** قد ذيلت من قبل عبد الحى الكتانى . ب ــ وانها قد نظمت من قبل الحسن بنونة (توفى 1928) · ج ــ واختصرت من قبل المربى المزوزى الزرهـــونى .

ونذكر فى الختام بأن مصادر هذا الكتاب كانت موضوع الدراسة المشهورة لر · باصى، بعنوان **أبحاث بيبليوغرافية عن مصادر سلوة الانفاس** ، الجزائر ، 1905

(27) انظر عن هذه الشخصية : أ ــ الفضيلى ، **الدرر** ، 2 : 221 · ب ــ ليفى بروفنسـال **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 379 ــ 384 · ج ــ م · الفاســى ، **الأدب المغربى** ، صفحة 540 ــ 541 · د ــ عبد الحى الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 388 ــ 392 ·

(28) انظر ترجمة هذا المؤلف فيما يلى ، صفحة 102

(29) انظر ترجمة هذا المؤلف فيما يلى ، صفحة 113

1679) (30) يحتوى هذا الكتاب على معلومات مفصلة عن أساتذة الشيخ الكبير ، والمواد المدروسة والكتب المقروءة (31) .

ب — **رحلات** ، واشهرها رحلة العياشى المذكور سابقا ، بعنوان **ماء الموائد** (32) وهى تشتمل بالاضافة الى وصف البلدان التى مر بها الكاتب ، على تراجم علماء مشهورين ، واشارات تاريخية ، ومناظرات فقهية لا تخلو من طرافة . لذلك نجد لها الطابع الموسوعى الخاص بالكتب المغربية من هذا النوع ، اكثر من المظهر المحدود ككتاب جغرافيا .

ان المصادر التالية هى لمؤلفين من قرننا هذا :

تأتى فى الطليعة كتب خاصة ببعض المدن ، من نوع **السلوة** ، حيث يحاول كل مؤرخ أن يطرى محاسن مسقط راسه ويورد تراجم الشخصيات اللامعة التى دفنت فيه ، أو كانت لها فقط فرصة الاقامة به .

أ — أول حلقة فى هذه السلسلة (33) هو كتاب **السعادة الأبدية** (34) لابن الموقت المراكشى (توفى 1369 / 1950) (35)

---

(30) انظر ترجمة هذا المؤلف فيما يلى .

(31) هذه الاجازة قد درسها وشرحها ابن شنب ونشرها **بعنوان دراسة عن الشخصيات المذكورة فى اجازة الشيخ عبد القادر الفاسى** ، باريز ، 1907 (انظر البيبليوغرافيا . اجازة) .

(32) انظر البيبليوغرافيا :

(33) يمكن أن نذكر كتبا أخرى خاصة ببعض المدن قديمة أو مهمة تقريبا ، من بينها . أ — م . بوجندار ، **الاغتباط بتراجم اعلام الرباط** ، وهو مخطوط ألف سنة 1344 / 1925 ومات مؤلفه بعد ذلك بسنة . ب — م . الكانونى (مات 1938)، **آسفى وما اليه**، القاهرة، 1353 / 1935 . جـ — أ . الرجراجى ، **الشموس المنيرة فى أخبار مدينة الصويرة** ، الرباط ، 1354 / 1935 الخ .

(34) أنظر البيبليوغرافيا .

(35) انظر عن هذه الشخصية بالخصوص . ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 . 33 ، رقم 23 وصفحة 68 ، رقم 177 .
وفيما يخص نسبة « المراكشى » تبنينا هذا الشكل (بضم الميم وكسر الكاف) الذى ذكره كل من صاحبى **القاموس وكشف الظنون** ، بينما الشكل الآخر (بفتح الميم وضم الكاف) . لم يرد الا فى **معجم البلدان** ، بشهادة ابن الموقت نفسه (**نفس المصدر** ، 1 . 16) .

« ... تقليد شاحب جدا **لسلوة الانفاس** ، ومع ذلك توجد به بعض المعلومات المهمة » (36) فهذا الفهرس الطبوغرافي لأعلام مراكش اذن مصدر أساسي .

ب — وبعد مرور عشر سنوات خصص السيد عبد الرحمن بن زيدان (توفي 1365 /1946) نقيب الشرفاء العلويين سابقا (37) كتابا قيما ضخما لتاريخ مدينة مكناس لم يكمل للاسف : **الاتحاف** (38) ففيه ، علاوة على التراجم ، معلومات تاريخية من الدرجة الاولى محلاة بوثائق رسمية .

ج — هذا الكتاب تلاه بعد قليل كتاب مماثل عن مراكش أيضا ، لكن من تأليف عباس بن ابراهيم المراكشي (توفي 1378 / 1958) بعنوان **الاعلام** (39) مصدر أساسي مضمونه مثل الكتاب السابق ، ولم يكمل كذلك مثله (40) .

وها هي الآن لائحة بكتب ذات طابع أدبي صرف ، مما هو شيء جديد في هذا النوع :

أ — **فواصل الجمان** (41) لمحمد غريط (توفي 1364 / 1945) (42) هو مجموعة منتخبات لأدباء من بين وزراء وكتاب الدولة العلوية . هذا الكتاب يذكّر الى حد الاغراب **بقلائد العقيان** للفتح ابن خاقان (43) سواء في معناه أو في مبناه . ولما في أسلوبه من افراط في

---

(36) ليفي بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 385 ورقم 4 .

(37) رئيس الشرفاء الفيلاليين . انظر ر . لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، صفحة 489 ، رقم 2 .

(38) أنظر البيبليوغرافيا .

(39) انظر البيبليوغرافيا .

(40) نشير مع ذلك الى أن **الجزء السادس والأخير** ، الذى اكتشف حديثا ، مسجل تحت عدد 167 من ميكروفيلمات المكتبة العامة بالرباط .

(41) انظر البيبليوغرافيا .

(42) هو ابن الوزير السابق المفضل غريط ، ولد عام 1298 / 1880 وتوفي عام 1364 / 1945 . أنظر ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 278 ، رقم 1136 .

(43) انظر عن هذه الشخصية بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي** ، 1 : 273 ، 939 ، **والملحق** 1 : 579 .

المبالغة والتصنع ، فان الاستفادة منه تتعذر شيئا ما ٠

ب ــ فى نفس السنة ، اى 1920 ، نشرت مجموعة منتخبات مغربية أندلسية بعنوان **المنتخبات العبقرية** (44) مشابهة فى كل شىء للكتابين السابقين ٠ ورغم أن المؤلف محمد السائح (توفى 1947) كتبها لغاية تربوية ، حيث انها موجهة لتلاميذ المدارس الثانوية ، فان مستواها يبقى عاليا بسبب نثرها المسجع وأسلوبها المنمق ٠

ج ــ **تاريخ الشعر** (45) عنوان محاضرة القاها أحمد النميشى على تلاميذ ثانوية مولاى ادريس بفاس ، سنة 1924 ٠ وهو مجموع أشعار منفردة غالبا ، أكثر منه تاريخ شعر ، لأشهر شعراء العاصمة الادريسية ، من عام 1052 / 1642 الى عام 1334 / 1915 محيطا بذلك بالعصر الذى يهمنا كلــه ٠

د ــ وقد خص السيد محمد داود شمال المغرب وعاصمته تطوان بتاريخ مفصل سماه **تاريخ تطوان** ٠ (46) ونشر ملخصه قبل ذلك (47) يحمل هذا الكتاب فى طياته اشارات مفيدة عن الحياة الفكرية لوارثــة الأندلس القديمــة ٠

هـ ــ وقد أسهم اقليم سوس المقابل فى جنوب المغرب هو أيضــا فى هذه الحركة الثقافية بنشر كتاب ضخم يحمل عنوان **المعسول** (48) لمحمد المختار السوسى (توفى 1963) ٠ وكما حدث فى الكتاب السابق ، استخرج من المعسول ملخص بعنوان **سوس العالمة** (49) ان المؤلف ، سواء فى هذين الكتابين أو فى الكتب الأخرى التى خصصها لاقليمه الاصلى (50)

---

(44) انظــر البيبليوغرافيــا ٠

(45) انظــر البيبليوغرافيــا ٠

(46) انظر البيبليوغرافيا ٠ لم يصدر لحد الآن الاجزاء الستة الاولــى ٠

(47) يحمل هذا المختصر عنوان **مختصر تاريخ تطوان** ٠ انظر البيبليوغرافيــا ٠

(48) يشتمل هذا الكتاب على أكثر من عشرين مجلدا ٠ (انظر البيبلوغرافيا) ٠

(49) أنظر البيبليوغرافيــا ٠

(50) نذكر من بين هذه الكتب ٠ ا ــ **ايليغ قديما وحديثا** ٠ ب ــ **خلال جزولة** ، 4 اجزاء ٠

يروى بتفصيل وتدقق جميع الأحداث والاخبار التى لها علاقة بهذا الاقليم ، سياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافيـــة ·

ب ــ دراسات فى الأدب المغربـــى ·

ان الدراسـات التى تباشر فى ميدان ما تتعلق كليا أو جزئيا بالمصادر التى تغذيها · واذا كان مجهود البحث البيبليوغرافى فى المغرب قد انصب على التراجم وعلم الأثريات والفلكلور ، كما سنرى ذلك بعد قليل ، فانه لا عجب أن نرى قلة الدراسـات الأدبيـــة فى البلاد ·

منذ سنة 1922 ، نبه ليفى بروفنسـال على هذه الفاقة فى مقال تحدث فيه عن الدراسـات الأخيرة فى تاريخ الادب المغربى ، حيث قال :

« الدراسـات المتعلقة بتاريخ الأدب بذاته أقل بكثير من نشر النصوص وترجمتها ، لكن ينبغى ان نسجل ان الأدب الاندلسى هو موضعها الوحيد تقريبـــا فى شكـل تراجـم منفـردة تتعلـق بشعـراء العصـــور الوسطى (51) وبعد ثمانية عشر عاما يتناول م · الفاسى الموضـــوع قائـــلا :

« ان تاريخ الأدب العربى فى المغرب لم يكتب بعد ، لم يتناولـه بالدرس لا المغاربة ولا المستعربون الذين اهتموا بالأحداث المغربية . أقعد الاولين عن هذا العمل جهلهم بطرق البحث الحديث ، والتضيق والنقـد ، وأخر عنه الآخرين لأنهم بدؤوا ، فى التعرف على المغرب ، بالتاريـــخ والجغرافيا وعلم الاثريات والأنســـاب » (52) ·

وقبل أن نؤكد قطعا أنه حتى سنة 1940 ، وهو التاريخ الذى كتب

---

(51) **الدارسات الأخيرة فى تاريخ الأدب المغربى** ، فى (هيسبريس) 4 ، 1922 صفحة 441 ــ 443 · وقد ذكر الناقد قبل ذلك الترجمات الخاصة الثلاث التى هى أهم تراجم ذلك الوقت ، والمخصصة أولاها لابن الخطيب ، من قبل (دى ألديكوا de Aldécoa). والثناية لابن سهل الاسرائلى ، من قبل صوالح . والثالثة لابن زيدون ، من قبل (أ . كـــور A. Cour).

(52) **الأدب المغربى** ، صفحة 524 ا ·

فيه م · الفاسى مقاله ، لم يوجد أى كتاب أدبى فى المغرب ، سندرس حسب الترتيب الزمنى بعض المحاولات التى يمكن أن تعتبر آثارا أدبية ·

ان أول عنوان يستوقف انظارنا هو **موجز فى أدب المغرب الاقصى** ، (53) لكرابير دى همسو (J. Gråberg de Hemsö) لكن ما أن نتصفح هذا الكتيب المحتوى على أربعين صفحة فقط حتى يخيب ظننا عندما نجد بالخصوص أن العنوان لا ينطبق على فحوى الكتاب ، فهو بمذكرات قنصل أقام بالمغرب احرى منه ببحث أدبى · وقد أراد به التعرف بهذه البلاد من ناحية التاريخ والسكان والاجتماع · (54) والقسم الوحيد الجدير بالفائدة فى هذه المذكرات هو الذى يعطى قائمة مرتبة ترتيبا زمنيا بالمؤلفين الأوربيين الذين كتبوا عن سكان المغرب ·

كان لابد من انتظار بداية قرننا هذا لنرى ظهور محاولات عن المغرب تكتسى طابعا أدبيا حقيقيا ، سواء فى شكل مقالات أو كتب ·

وربما كان اقدم هذه المحاولات **الأبحاث البيبليوغرافية** لرونى باصى (الجزائر ، 1905) **والاجازة** لمحمد ابن شنب (باريز ، 1907) اللذين أشرنا اليهما سابقا · (55) ورغم كون الاول منهما مختصا بمصادر **السلوة** ، والآخر بتراجم اساتذة الشيخ عبد القادر الفاسى ، فان هاتين الدراستين تحتويان على معلومات مهمة عن الحياة الأدبية بالمغرب أيام العلويين ·

وابتداء من سنة 1920 أخذت تكثر المطبوعات الأدبية عن المغرب ،

---

(53) تفضل السيد م .الفاسى فأطلعنى على مكيروفيلم هذا الكتاب الذى طبع فى ليون سنة 1820 ثم لم يعد طبعه بعد ، مؤلف هذا الموجز كان آنذاك كاتبا لجلالة ملك صقلية والنرويج ، قائما مقام القنصل العام فى امبراطورية المغرب مقيما بطنجة . انظر عنه (ج · ا مييج J. L. Miege) ، **المغرب وأوربا** ، 1 · 116 ·

(54) انظر عناوين فصول هذا الموجز . 1 — اعتبارات عامة حول كتب التاريخ المؤلفة عن هذه البلاد ، سواء باللغة العربية أو بلغات أوربا المختلفة (صفحة 1 — 8) · ب — نظرة عن تاريخ السكان (صفحة 8 — 36) · ج — تأملات حول التكوين الفكرى والخلقى للمغاربة (صفحة 36 — 37) ·
وسيؤلف (كرابير) بعد ذلك بأربع عشرة سنة ، كتابا باللغة الايطالية ، له نفس الطابع ، بعنوان Specchio géographico ، جنوى 1834 ·

(55) صفحة 19 رقم 26 وصفحة 20 رقم 31 ·

انه عهد اقامة مؤسسات مخصصة للنهوض بالبحث وتوجيهه ، مثل معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط (56)

ان أكثر ما كتب عن الأدب المغربى هو بقلم ليفى بروفنسال ، من ذلـك :

أ ــ **الأدب العربى المغربى والاركيولوجيا** (57) الذى نقلنا فقرات منه فيما سبق (58) والذى ستتاح لنا الفرصة للكلام عنه فيما يأتى (59) فى هذا المقال الذى قد يكون من أول ما كتب فى هذا الموضوع ، يضع الناقد الأدب المغربى ضمن أدب المغرب العربى الذى يقول عنه انه هو بدوره فصل من الأدب العربى العـام ٠

ب ــ **الدراسات الاخيرة لتاريخ الأدب المغربى** (60) لم تتبع المقال الاول الا بعد مرور سنتين ٠ وهى مخصصة ، كما يدل على ذلك عنوانها ، للدراسات المتعلقة بالمغرب من تونس الى قرطبة عبر فـاس ٠

ج ــ **مغرب ، حياة فكرية** هو عنوان مقال نشر **بدائرة المعارف الاسلامية** (61) ثم أعيد نشره بكتاب **التعرف على المغرب** (62) ان السنوات التى تفصل بين هذا المقال والمقالين السابقين مكنت المستعرب النابغة من تعميق أبحاثه فى الأدب المغربى وتقديم معلومات مفصلة عن مختلف مظاهر الحياة الفكرية فى هذه البـلاد ٠

هذه المحاولات الثلاث ليست الا تمهيدا لدراسة واسعة شاملة ، ستهتم بالمغرب من ناحيتى التراجيم والتاريخ طوال القرون الأربعة الاخيرة

---

(56) هذه المؤسسة أنشئت بقرار وزيرى مؤرخ فى 20 جمادى الاولى 1338 / 11 فبراير 1920 ٠ انظر ن ٠ م ٠ د ٠ ع ٠ م ٠ السنة الاولى ، رقم 1 ، ديسمبر 1920 ، صفحة 1 ٠

(57) **نفس المرجع** ، صفحة 164 ــ 174 ٠

(58) صفحة 15 ورقم 4

(59) صفحة ... ورقم ..

(60) فى (هسبريس) 4 ، 1922 ، صفحة 441 ــ 443 ٠

(61) **دائرة المعارف الاسلامية** ، 3 ٠ 340 ــ 343 ٠ (أ و ب) ، الفصل 7 ، **حياة فكرية** ٠

(62) **التعرف على المغرب** ، الرباط ، 1932 ، صفحة 127 ــ 133 ٠

بعنوان **مؤرخو الشرفاء** · هذا الكتاب الذى ستكون له أهمية قصوى فى تاريخ الأدب المغربى ، لا يحتوى فقط على كل المعلومات المفيدة عن أصحاب التراجم والمؤرخين للعصرين السعدى والعلوى ، ولكنه يشتمل أيضا على معلومات ثمينة عن الحركة الثقافية بالمغرب خلال هذه المدة ·

بعد ذلك يأتى دور (هـ . بيريس H. Pérès لينشر سنة 1934 مقالا مهما عن **الشعر بفاس أيام المرابطين والموحدين** ، (63) وفيه يرجع الى المقالات السابقة (64) ويستنتج ما يأتى · « . . حيث ان (فاس) افتقدت هذا المحيط الأدبى الذى يخلقه وسط عربى أو متمكن من الاستعراب فى جو من الحرية الروحية الفسيحة ، لم تستطع أن ترى مزدهرا بين جدرانها سوى علماء الفقه والتوحيد الذين هم مع النحويين اقبح الناظمين فى الأدب العربى (65) » ·

غير أن الحادث الجليل فى تاريخ الأدب المغربى هو ، بدون منازع ، صدور كتاب خاص فى هذا الموضوع ، لاول مرة ، سنة 1938 ، بقلم السيد عبد الله كنون · وكما يدل على ذلك اسمه **النبوغ المغربى فى الأدب العربى** (66) لا يتناول فحسب الادب المغربى من أصوله الى نهاية القرن التاسع عشر ، داحضا بذلك الاسطورة التى كانت تزعم عدم وجود أدب مغربى ، ولكنه أيضا يبوىء هذا الأدب مكانة سامية على صعيد التاريخ الثقافى للعالم العربى · لذلك هو فى نفس الوقت كتاب وثائقى ودفاعى ، لقى اقبالا عظيما داخل المغرب وخارجه ، يدل على ذلك العديد من دلائل العطف المقدمة للمؤلف فى شكل رسائل ومقالات . (67) وسيعطى ملخص

---

(63) فى **(هسبريس)** ، جزء XVIII ، 1 ، 1934 ، فصلة 1 ، صفحة 9 — 40 ·
(64) **خاصة التعرف على المغرب** ، صفحة 9 — 10 ·
(65) **نفس المرجع** ، صفحة 40 ·
(66) انظر البيبليوغرافيا .
(67) انظر عن هذا الموضوع . أ — مقالتين للامير شكيب أرسلان فى مجلة **الوحدة المغربية** ، عدد 224 و 234 ، سنة 1361 / 1942 ، أعيد نشرهما فى الطبعة الجديدة من **النبوغ** ، 1 : 17 — 24 ، ب — رسالة حنا الفاخورى ، **نفس المرجع** ، 3 : 5 — 6 ، ج — رسالة كـ . بروكلمان ، **نفس المرجع** ، 3 : 3 .
منذ بضع سنوات ذكر العلماء المستعربون هذا الكتاب كمصدر أساسى .

قصير فكرة عن هذا الكتاب :

الجزء الاول من الأجزاء الثلاثة فى الطبعة الجديدة مخصص للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بالمغرب منذ الفتح العربى (62 / 681) الى نهاية ملك الحسن الاول عاشر ملوك الدولة العلوية (1311 / 1894) ·

يرتب المؤلف مادته بحسب الدول متبعا الترتيب السياسى ، الأمر الذى لا يتفق تماما والمفهوم الحديث للنقد ، لأن « عصور تاريخ الادب لا يمكن أن تطابق الاجزاء الأكثر تحديدا للتاريخ السياسى » (68)

والجزءان الأخيران مخصصان للنصوص المختارة أولهما للنثر ، والثانى للشعر · يرتب المؤلف هذه المختارات حسب الأنواع والموضوعات ، وهذا معقول جدا ، غير انه لا يضيف اليها أى تحليل أو شرح باستثناء توضيح معنى بعض الكلمات من حين لآخر (69)

ونشير هنا اشارة عابرة الى أن السيد عبد الله كنون نشر أخيرا كتابا عن الأدب المغربى الحديث بعنوان **أحاديث فى الادب المغربى الحديث** (70) مذيلا بذلك **النبوغ** · وقد اتبع فيه الطريقة المعقولة فى النقد الأدبى ، فأفسح المجال واسعا لتحليل النصوص وشرحها ·

وفى نفس السنة ، اى 1938 ، يلاحظ ظهور العدد الاول من سلسلة وعد بصدورها ، لكنها للأسف توقفت · وهو كتيب عن محمد بن الطيب العلمى مؤلف الأنيس بقلم السيد عبد الوهاب بن منصور ، على طريقة **الروائع** باسم **البدائع** (71)

وقد أعاد السيد عبد الله كنون اصدار هذه السلسلة ، لكن باسم **ذكريات** (72) مخصصا فصلة لكل واحد من كبار كتاب المغرب بما فى

---

(68) (ش · بيلا Ch. Pellat **لغة وادب** ، صفحة 11 ·
(69) « رغبة فى الايجاز وعدم التشويش على المطالعين » هذا ما قاله المؤلف ، 2 : 7 ·
(70) القاهرة ، 1964 · انظر البيبليوغرافيا ·
(71) جزء 1 ، سلا ، 1357 / 1938 ، لم يعد طبعه ·
(72) انظر الاسم الكامل مع ما يتعلق بالطبع فى البيبليوغرافيا ·
والجزء المخصص للعلمى هو رقم 14 ·

ذلك العلمى السابق الذكر · وقد بلغ عدد ما ظهر منها لحد الآن 30 فصلة ·

بعد ذلك بعشر سنوات تماما ، نشر السيد محمد الفاسى باللغة الفرنسية فى **مغرب دائرة المعارف الاستعمارية والبحرية** ، مقالا بعنوان **الأدب المغربى** يعطى نظرة عامة عن الحركة الادبية بالمغرب منذ أصولها (93 / 711) (73) الى سنة 1940 التى كتب فيها المقال · ورغم تقديم هذا البحث بطريقة مختصرة ، فانه ، بالاضافة الى ما استقاه من بعض المراجع المذكورة فى الأخير ، (74) يحتوى على معلومات قيمة لم يسبق نشرها تعتمد على الاطلاع الشخصى للكاتب ، وخاصة ما يتعلق بأدباء الأسرة الفاسية . ولو أن البحث يقسم العصور — لتيسير الاستعمال — حسب تعاقب الدول مثلما هو الحال فى **النبوغ المغربى** ، فانه يمتاز بالتعريف بالرجال وانتاجهم فى اطار الحركة الأدبية لعصرهم · ونظرا لسعة الموضوع من جهة ، وضيق مجال المقال من جهة أخرى ، لم يتمكن الكاتب — كما أشار الى ذلك فى المقدمة — من الاستشهاد بنصوص أو بالأحرى من التعليق عليها · لكن هذا المقال ، بالشكل الذى كتب به ، يعتبر الاول من نوعه فى سلوك سبيل معقول لتوضيح هذه المادة المعقدة الصعبة المنال التى هى الأدب المغربى · ويكفى للتعرف على ذلك أن نستعرض مضمون الفصول التى يتكون منها :

أ — يبين الكاتب فى المقدمة الأسباب التى جعلت الادب المغربى لا يحظى بأية دراسة ، ثم يذكر أصناف الكتاب الذين يعتزم دراستهم · « سواء الشعراء والأدباء ، والمؤلفون الذين أنتجوا كتبا مهمة فى التاريخ أو

---

(73) أخذ المؤلف هذا التاريخ كنقطة انطلاق لأنه الذى ألقى فيه « طارق بن زياد البربرى المسلم المستعرب » خطبته المشهورة . (انظر **الأدب المغربى** ، صفحة 524) .
هذه الخطبة فى الواقع اعتبرت كأول أثر ادبى فى المغرب . أنظر أيضا فى هذا الموضوع م · الحجوى فى مجلة **المغرب** ذيل العدد 9 ، 1933/1352 ، صفحة 9 — 10 ·

(74) من بين هذه المراجع :
— ل · بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** .
— الترجمة الفرنسية لكل من كتاب **الترجمان** للزيانى ، **ونشر المثانى** للقادرى . ويلاحظ أن **النبوغ المغربى** لعبد الله كنون لم يذكر ضمن المراجع .

العلوم أو الفقـــه » ·

ب ــ تطابق الفصول التالية الدول المتعاقبة على حكم المغرب · وتتضمن دائما هذين القسمين . أ ــ نظرة عامة ، ب ــ الرجال وانتاجهم .

جـ ــ يذكّر الكاتب فى الختام بصعوبة البحث لضياع أكثر المؤلفات ، وبقاء عدد آخر منها دون نشر · أما عن افتقاد الأدب الخالص وكتب الخيال فان الكاتب يرد ذلك الى استعمال اللغة الفصحى التى هى فى نظره ليست اللغة الأم للبلاد ، والى سوء طرق التعليم بافريقيا الشمالية ، متبعا فى ذلك نظرية ابن خلدون المشهورة (الفصل 44 من المقدمة) ثم يستدل على صحة ذلك بالروائع الادبية التى الفت منذ القرن 16 م . بلغة البلاد ، يعنى الملحون الذى يعبر عن أعماق الروح المغربيـــة ·

واخيرا أوحى الأدب المغربى الى الاستاذ ج · بيرك بالكتابـــة فى الناحيتين السلالية والاجتماعية ، فألف بحثين عن القرن السابع عشر ، همـــــا :

أ ــ **الأدب المغربى والشرق فى القرن السابع عشر** (مجلة اربيكا ، 2 · 1955) ·

ب ــ **اليوسى ، مشاكل الثقافة المغربية فى القرن السابـــع عشر** (سلسلة منشورات عالم ما وراء البحار ، 1958) ، حيث برهن المؤلف الذى هو فى نفس الوقت رجل قانون وسوسيولوجيـــا عن تعمق فى معرفة البيئة المغربية ، مستعملا ، الى جانب المراجع العادية ، وثائق مهمـــة بعضها لم ينشر من قبل ·

جـ ــ **اختيـــــار الموضـــوع** ·

استعرضنا فيما سبق المصادر الأساسية للأدب المغربى ، والدراسات التى ظهرت لحد الآن فى هذا الموضوع ، مع ترتيب ذلك كله وبيان طابعه الخاص ، فأمكننا ان نرى ما بين هذين النوعين من المؤلفات من علاقـــة سببية · ذلك انه اذا كانت الدراسات التى كتبت عن المغرب تعنى قبل كل

شيء بالتاريخ والعراقة وعلم الأثريات ، فلأن لها مصادر تغذيها ، بينما بقيت المؤلفات الادبية الصرفة عن المغرب اما قليلة او موضوعة بطريقة لا تتفق وروح النقد العصري ·

لذلك ارتأينا من اللائق أن نعنى بمشروع من شأنه أن يسد هذه الثلمة ، او ينمى على الأقل المحاولات المتعلقة بتاريخ الادب المغربي · اما عن الفترة التى اخترناها كاطار لبحثنا هذا ، والتى تبتدىء بظهور ثانى الملوك العلويين مولاى الرشيد (1075 = 1664) وتنتهى بنهاية عهد الملك العاشر مولاى الحسن (1311 = 1894) ، فقد ظهر أنسب لموضوعنا ، سواء من حيث توفر المادة فيها أو من حيث الطابع الأصيل الذى يطبعها بصفة خاصة · والواقع أن المغرب لم يعرف فى اية فترة من تاريخه انتاجا أدبيا بنفس الكمية التى عرفها هذا العصر ، وأن أصالة هذا الانتاج تساعد على تمييزه عن آثار العصور السابقة حتى ان العلاقات مع أوربا والشرق من جهة ، واقامة الحماية الفرنسية من جهة اخرى لن تستطيع أن تعفِّى عليه بسهولة .

المميزات العامة للادب المغربي

أ — الأدب المغربي ·

المفهوم والانتاج ·

يبدو أن من الضرورى ، قبل الدخول فى صلب الموضوع ، تحديد المراد بالأدب المغربى · فلننصت الى الذين سبقونا الى هذه المحاولة ·

1 — يقول ل · بروفنسال · « ولو ان لفظ الأدب يدل مبدئيا على مجموع الوثائق المكتوبة فى لغة ما ، فاننا تعودنا أن نعطيه عن قصد اصطلاحا محددا ، ولا شيء من ذلك عند العرب وبالتالى عند المغاربة . اننا لا يمكن أن نعتبر القانون المدنى الفرنسى كأحد روائع الأدب الفرنسى وبالاحرى تقويم المطر والصحو ، ومع ذلك فان مثل هذا الفقيه والموقت عند المسلمين

لهما مكانهما البارز فى الأدب العربى او على الاقل فيما اصطلح على ان يدعى بهذا الاسم » · ((**الأدب العربى المغربى وعلم الاثريات**) · وسيعود المستشرق الشهير الى الموضوع بعد مدة يسيرة قائلا : « لقد شرحت منذ عهد قريب ماذا ينبغى فى نظرى أن يفهم من العبارة المحرفة كثيرا وهـــى الأدب المغربى ، لذلك لن أرجع الى هذا الموضوع · فالمغرب لا يكون وحدة من جهة النظر الادبية ، ويمكن أن نقول على الأكثر ان ما انتجته هذه البلاد مرتبط بمجموع الانتاج المغربى ، وبالأدب المتفتح من تونس الى فـــــاس وقرطبـــة » · (1)

2 — ولم يجد هـ · بيريس فى فاس شاعرا ايام المرابطين والموحدين ، كما راينا ذلك سابقا ، الا من بين الفقاء والمتكلمين ·

3 — ويرى م · الفاسى ان « كلمة الأدب التى تقابل عند العرب لفظ littérature تعنى اللياقة وحسن التربية · انها تطابق الكلمـــــة الفرنسية humanités غير أن معناها قد تطور ، فشملت أولا كل المواد الدراسية التى تعلم فن تجويد الكتابة ، من لغة ونحو وبلاغة وعـــــروض الخ ، ثم ادرج تحت هذه العبارة جميع المعلومات اللازمة لتكوين الأديب الرجل المهذب والمثقف — فأخذت كلمة الأدب معنى littérature بكــل مفاهيمها المحددة (التى لا تنطبق اساسا الا على الانتاجات الأدبية) ، والعامة (التى تدل على مجموع الوثائق المكتوبة فى لغة ما) · (**الادب المغربى**) ·

4 — اما ر · لوطورنو فيرى ان « ليس لكاتب قح حق المواطنة فى فاس لأنه لا يوجد فيها ادب خالص · وبالجملة ان الذى يشغل العقول

---

(1) **الدراسات الأخيرة فى تاريخ الأدب المغربى** ، هيسبيريس ، الفصل 4 ، 1922 ، صفحة 441 · وفى كتاب **مؤرخو الشرفاء** (صفحة 6 — 7) الذى نشر بعد ذلك يجيب المؤلف بالنفى عن سؤال ما اذا كان يوجد أدب مغربـــى ؟
انظر أيضا م · الفاسى ، **نشاة الدولة العلوية** ، **البينـــة** ، عدد 2 ، الرباط ، يونيه 1962 ، صفحة 51 — 67 ·

النيرة بفاس هو العلم وليس الفن ، اذ ما قيمة الجمال عند من يمتلك الحقيقة ؟ » . ((**فاس قبل الحماية**) .

كان بالامكان أن نأتى بنظريات اخرى ، لكن هذا قد يذهب بنا بعيدا ويوشك ان يضلنا عن الموضوع . ومع ذلك فان جميع الآراء مهما اختلفت متفقة عموما على أن الأدب هو « الثقافة الدنيوية (فى مقابل العلم أو العلوم الشرعية من قرآن وحديث وفقه) القائمة بالدرجة الاولى على الشعر والخطابة وأيام العرب ، وعلى علوم البلاغة والنحو واللغة والعروض » (2)

هذا التعريف فى نظرنا منطبق على الأدب المغربى الذى يكون جزءا متمما لأدب عربى مغربى يمتد ميدانه من تونس الى قرطبة عبر فاس .

لذلك سنتعرض لذكر الشعراء والناثرين المجيدين ، كما سنذكر الأدباء الذين لهم انتاج مهم فى ميدان التاريخ أو الفقه أو العلوم . وحيث كان المؤرخون الذين عاشوا فى العصر الذى نبحث فيه موضوع كتاب ل . بروفنسال القيم مؤرخو الشرفاء كما هو معلوم ، فاننا لن نتحدث عن بعضهم الا من الوجهة الأدبية ، أو لاضافة معلومات تكميلية عن حياتهم ومؤلفاتهم ، وسنتخذ نفس الموقف بالنسبة للفقهاء والموقتنين والأطباء واضرابهم فى هذا العصر .

ولما كان أنتاج الرجل انعكاسا لصورته على العموم ، عنى فى التعريف بهذا الانتاج بالاشارة الى تكوين المؤلف وتحديد اتجاهاته والكشف عن بيئته ، وبالتالى ذكر ما تلقى من تربية وتعليم .

---

(2) **دائرة المعارف الاسلامية** ، الطبعة الفرنسية الجديدة ، 1 . 18 .
وكان العرب يرون الأدب مكونا من 12 علما دنيويا مقابل 12 علما شرعيا . انظر ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 1 : 146 — 156 .

ب ـ التعليـــم (3)

كثيرا ما تناولت الدراسات المتعددة قضية التعليم بالمغرب الأقصى في مختلف عهوده التاريخية . ولما كانت هذه الدراســات تعتمد على شهادة المؤلفين الخاصة فيما ياتون به في فهارسـهم من شيوخ وما قرؤوا عليهم من كتب ، فقد استنتج من ذلك أن الأدب الصرف لم يكن يدرس في بلادنا ما دام لم يذكر من بين المواد الدراسية . ومع ذلك يجبالا نغفل أن تدريس الأدب لم ينقطع قط في شمال افريقيا عموما ، (4) وفي المغرب الاقصى خصوصا ، والا فكيف يمكن تفسير المعرفة العميقة لطائفة من الأعـــلام بهذاالفن ، والكتب العديدة التي ألفت فيه ؟ (5)

لم يكن الأدب في الحقيقة يحظى بالاهمية التي للعلوم التقليدية ، وانما كان يعتبر كأداة « لمزيد التعمق في الحقائق الأساسية ، أو لحسن تأديـــة الافعال المرغوب فيها » (6) مكونا هكذا وسيلة توصل الى غاية مقصودة لذاتها . ان درجة الأهمية هذه كانت مرتبطة اشد الارتباط بعلاقات المغرب الخارجية ، منوطة بالخطر الكبير الذي كان يجثم على الوطن من قبل العدو الكافر وبذلك نجد هذه الدرجة تتغير في مختلف مراحل التاريخ السياسي لهذه البلاد . وقد ازداد بعد الشقة بين العلوم الشرعية والأدب منذ أخذ

---

(3) انظر في موضوع التعليم بالمغرب ، زيادة على الفهارس :
أ ـ ح . اليوسي ، **القانون** ، حيث يعرف المؤلف بجميع العلوم ويرتبها .
ب ـ ع . الفاســي ، **الاقنــوم** .
ج ـ ل . بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 10 ـ 17 .
د ـ ر . لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، صفحة 453 ـ 479 .
هـ ـ ع . الكماك ، **مراكز الثقافة المغربية** ، صفحة 58 ـ 62 مع المراجع المذكورة فيه .
و ـ م . الفاسي ، **الدارسة بالقرويين** ، صفحة 41 ـ 43 .

(4) يحكى أحد شعراء طنجة في القرن الثالث الهجري (11 م) عن نفسه قائلا :
« لم أدخل الى المشرق حتى حفظت أربعة وثلاثين الف بيت من أشعار الجاهليـــة » .
م . ابن تاويت وعفيفي ، **الأدب المغربي** ، صفحة 119 .

(5) انظر لائحة الكتب المؤلفة في العصر العلوي عند ع . كنون ، **النبوغ المغربي** ، 1 : 256 ـ 260 .

(6) ر . لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، صفحة 454 .
نشير هنا الى ان تعليم الادب لم يكن يجري داخل القرويين ، وانما يقع في المساجد الصغيرة المنتشرة في أحياء مدينة فاس . (أفادنيه السيد محمد الفاسي) .

البرتغاليون والاسبانيون والانجليزيون يحتلون بعض الشواطىء المغربية (7) اذ كان لهذا الاحتلال رد فعل دينى قوى لدى الشعب الذى اخذ يلتف ، بتحريض من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية ، حول السعديين فالعلويين ، حيث وجد فيهم لنسبهم الشريف سندا ماديا وتشجيعا معنويا لمحاربة العدو وصده . (8) لا يمكن والحالة هذه أن يعتمد التعليم اعتمادا قويا فى هذه الفترة الا على القرآن والحديث ، لتقوية روابط الاسلام التى تجمع بين المؤمنين ، ولتمتين الكيان الاقليمى ، متخذا بذلك مظهر الاعداد للجهاد فى سبيل الله . وبعد أن يتلقى الأديب المغربى ثقافة مبنية فى أساسها على مبادىء الايمان ، يتخرج فقيها يصطبغ انتاجه حتى الأدبى بالصبغة الدينية . فلقد كانت هذه الثقافة تتحكم فى الثقافات الأخرى مهما كان نوعها حتى ان من اراد أن يصبح اديبا كان عليه أن يصير أولا فقيها ، بينما لم يكن يشترط فى الفقيه أن يكون أديبا . لذلك فان أكثر الأدباء الذين نعتزم دراستهم هنا هم فقهاء فى نفس الوقت ، تجد الواحد منهم عندما يؤلف كتابا أدبيا صرفا يلتمس الأسباب دائما ليجعل الباعث على التأليف دينيا ، فابن زاكور (المتوفى عام 1120 = 1708) يقول فى مقدمة شرحه **للامية العرب** للشنفرى الشاعر الجاهلى المشهور : « ... فان معرفة كلامهم (العرب) وسيلة الى معرفة كلامه (الرسول صلعم) وما أنزل الله وسبب ، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القرب ، فلذلك شرحت لامية العرب » (مخطوط خ. ع . د 157 ، ورقة 59 أ) . كل هذا لا يمنع من الاعتراف للأدب بقيمة لا جدال فيها ، وذلك ما سيؤكده أبو مدين الفاسى بعد مرور نحو نصف قرن فى هذه العبارة : « ومن اجل العلوم قدرا ، واجملها محاسن وذكرا ، علم الأدب الذى يفخر به الانسان ، ويحصل به على تحصيل المآثر

---

(7) يمتد تاريخ هذا الاحتلال من عام 818 = 1415 ، وهو تاريخ احتلال سبتة من طرف البرتغاليين ، الى عام 1083 = 1673 ، وهو تاريخ احتلال الحسيمة من قبل الاسبانيين .

(8) يمتد تاريخ تحرير بعض المراكز المغربية المحتلة من عام 948 = 1541 ، وهو تاريخ استرجاع السعديين لاكدير وآسفى وآزمور من يد البرتغاليين ، الى عام 1182 = 1769 عندما استرجع السلطان محمد بن عبد الله العلوى مدينة الجديدة .

الحميدة والخصال الحسان ، علم يحصل به الاعتناء ، ولا يجمل عنه الاغتناء ، أحسن ما صرف المرء اليه همته . وأبدع ما الزم تعليمه ذمته ... » • (مخطوطة خ . ع ، د 58 ، ورقة 2 أ) •

هكذا نجد فى المغرب انتاجا ادبيا ذا طابع دنيوى مهما قال عنه اصحابه من قصائد فى مختلف المواضيع التقليدية ، وشعر تعليمى او شعبى (ملحون) ، وشروح ، ومقامات ، ورسائل ، وخاصة المتنوعات التى من ابرزها **محاضرات** اليوسى ، **والأنيس المطرب** للعلمى ، **وأنس السمير** للزرويلى . وبالعكس من ذلك نجد مؤلفات كثير من الفقهاء حتى ما يختص منها بموضوع دينى لا تخلو من مسحة أدبية • وليس من النادر أن يذكر المؤلف عند المناسبة امثالا وحكما ، أو ينصرف الى مبحث فى الاعراب ، أو يبسط معلوماته فى العروض والبلاغة كلما دعت الحاجة الى ذلك • ومن ثم نجد ادباء من بين المؤرخين والنحاة والفقهاء وحتى من بين الفلكيين والأطباء • لذا ارتأينا أن نخصص دراستنا لهذه الطبقة من الكتاب ولانتاجاتهم • لكن قبل أن نتعرض للرجال وآثارهم يبقى علينا ايضا أن نضع الأدب المغربى فى اطاره التاريخى بين المشرق والأندلس •

ج — بين المشرق والأندلس

التاثير والتقليد •

بقى الأدب المغربى دهرا طويلا تابعا للمشرق والاندلس قبل ان تتكون شخصيته المستقلة • ومرد ذلك الى مختلف الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية التى جرت فى التاريخ ووجهته تارة الى هذه الناحية وتارة الى تلك ، بالاضافة الى موقع المغرب الجغرافى بين القطرين . وان تطور هذا الادب ، منذ الفتح العربى الى العصر الذى ندرسه ، يقدم لنا النظرة الشاملة التالية :

1 — **من عام 62 الى نهاية القرن الثالث (681 — نهاية القرن 11 م)**

تحتوى هذه الفترة من الناحية السياسية على عهد ولاة المغرب

المتد من طرابلس الى سوس الاقصى (62 — 171 هـ = 681 — 787 م)، وعلـى عهـد الادارسة بالمغـرب الاقصـى (172 — 313 هـ = 788 — 925 م) · وان النصوص الأدبية فى هذه الفترة قليلة أو مشكوك فى صحتها ، غير أن مما لا مراء فيه أن الثقافة المغربية المنتشرة آنـذاك عن طريق جامعة القرويين (9) المؤسسة عام 245 هـ = 859 م كانت ثقافة شرقية خالصة ، وأن أول حركة ثقافية فى المغرب هى التى سجلت مع ظهور المذهب المالكى الذى خلف المذهب الكوفى المنتشر حينئذ فى هذه البلاد ، وقضى على جميع المذاهب البدعية الأخرى المنتشرة هنا وهناك ، مثل المذهب الخارجى الذى كان عليه بنو مدرار بسجلماسة ، والبرغواطى المتبع فى تامسنا ، والاعتزالى ، والشيعى الموروث عن الأدارسة · ان المذهب المالكى القائم على السنة النبوية باستثناء الراى والتأويل قد تمركز فى المغرب وفرض نفسه كمذهب دينى واجتماعى ·

كان الأدب فى المغرب أيضا على غرار اخيه فى المشرق ، فالنبـذ القليلة من النثر والشعر التى بقيت من هذا العصر لها نفس الموضوعات ونفس الأنواع ، الا أنها تتميز بأفكار سطحية معبر عنها بأسلوب رنان بادى التكلف · وأول وثيقة معروفة من هذا العهد هى خطبة (10) طارق بن زياد الشهيرة التى القاها عند نزول الجيوش العربية البربرية بالاندلس

---

(9) هناك مراكز اخرى اقل أهمية من القرويين نشرت هى أيضا هذه الثقافة ، مثل مساجد سبتة وطنجة والبصرة · وهذه المدينة الأخيرة أسسها الادارسة عند مصب نهـر اللكوس قريبا من مدينة القصر الكبير الحاليـة ·

(10) من خطبة طـارق :
« أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر · واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، واسلحته واقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ، ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم · وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، وقد ألقت به اليكم مدينة الحصينـة . . . . » .
أنظر النص الكامل لهذه الخطبة عند المقرى ، **نفح الطيب** ، 2 · 150 ·

عام 93 هـ = 711 م ، تليها الخطبة (11) التى ارتجلها ادريس الثانى (المتوفى عام 213 هـ = 828 م) عندما بويع عام 186 هـ = 802 م · أو عام 188 هـ = 804 م ، والدعاء (12) الذى ابتهل به الى الله تعالى عندما وضع الحجر الاساسى لمدينة فاس العالية عام 193 هـ = 809 م · والى ادريس الثانى (13) أيضا وابنه القاسم (المتوفى عام 254 هـ = 868 م) ترجع أقدم القطع الشعرية ، فقد نظم هذا الأخير أبياتا مؤثرة أجاب بها اخاه محمدا عندما أمره بمحاربة أخيهما عيسى . (14) ويذكرون من أشهر شعراء هذا العصر ابراهيم بن أيوب النكورى الذى نعرف له مقطعة يعاتب فيها أحد أصدقائه · (15)

---

(11) من خطبة ادريس :
انا قد ولينا هذا الأمر ، الذى يضاعف للمحسن فيه الاجر ، وللمسىء الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا . . . .
انظر الخطبة كاملة عند ابن أبى زرع ؛ **القرطاس** ، 1 : 34 .

(12) من دعاء ادريس :
« اللهم انك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ، ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما أردت ان تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك ، وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا ... » .
انظر الدعاء كاملا أيضا عند ابن أبى زرع ، **القرطاس** ، 1 : 68 .

(13) لما غذر بهلول بن عبد الواحد بادريس الثانى مائلا الى ابراهيم بن الاغلب عامل هرون الرشيد على افريقيا ، قال ادريس :

أبهلول قد شممت نفسك خطة ... تبدلت منها عولة برشاد
أضلك ابراهيم عن بعد داره ... فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب ... غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ... ومناك ابراهيم شوك قتاد

(14) يقول الشاعر فى الابيات الثلاثة الاولى من القطعة :

سأترك للراغب الغرب نهبا ... وان كنت فى الغرب قيلا وندبا
وأسمو الى الشرق فى همة ... يعز بها رتبا من أحبا
وأترك عيسى على رأيه ... يعالج فى الغرب هما وكربا

(15) تبتدىء هذه القطعة هكذا :

أيا أملى الذى أبغى وسؤلى ... ودنياى التى أرجو ودينى
أأحرم من يمينك رى نفسى ... ورزق الخلق من تلك اليمين
ويحجب عن جبينك طرف لحظى ... ونور الأرض من ذاك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور ... اليك بكل ناجبة أمون

ونكور من المدن القديمة المهمة فى الريف ، انظر أخبارها عند س . كولان ، **المقصد** ، صفحة 169 ، رقم 12 ، مع المراجع المذكورة هناك .
ويوجد كذلك من بين شعراء هذا العصر عبيد الله الشيمى ، وسعيد بن صالح النكورى ، وعبيد الله بن يحيى بن ادريس . أنظر ذلك عند م . ابن تاويت وعفيفى ، **الأدب المغربى** ، صفحة 117 — 118 .

هذه النصوص — على قلتها — تظهر مدى التقليد المطابق بل الحرفى للأدب المشرقى نظما ونثرا ، لكن كم يبقى الفرق عظيما بالنسبة للقيمة الأدبية لما كتب ونظم فى المغرب . (16)

2 — من عام 314 الى 461 هـ = 926 — 1068 م .

أخذت الشخصية المغربية تتوطد كثيرا فأكثر بسبب الصراع القائم بين الفاطميين فى افريقيا والأمويين فى الاندلس . فبعد تمزق الدولة الادريسية لم تبق فى المغرب الا امارة نكور فى الشمال وامارة سجلماسة فى الجنوب ، بينما أمسى باقى البلاد فريسة الفوضى والطمع ، حتى انه قسم بين العبيديين الذين احتلوا فاس والنواحى المجاورة لها ، والأمويين الذين بسطوا نفوذهم على سبتة وطنجة واصيلا والبصرة . وقد ظهر الأدباء الاولون وعرف لهم بعض الانتاج ، لكن الثقافة بقيت مصطبغة بالصبغة الشرقية بسبب العلاقات التى كانت للمغرب مع الأندلس تارة ، ومع القيروان تارة أخرى . فأخذ الأدب بواسطة الاولى ، والعلوم الشرعية بواسطة الثانية ، لان أبواب الشرق كانت مسدودة فى وجهه بسبب الأغالبة فى افريقيا ، والرستميين الخوارج فى تاهرت . انه العصر الذى كانت الانظار كلها تتجه فيه الى الأندلس وقد غدت دار هجرة اشهر الادباء المشارقة ، أمثال أبى على القالى (المتوفى عام 356 هـ = 967 م)، وصاعد البغدادى (المتوفى عام 417 هـ = 1026 م) ، وزرياب المغنى الشهير (المتوفى حوالى عام 230 هـ = 845 م) . وقد بعث المغرب الاقصى بدوره الى الاندلس بجماعة من الكتاب يتدربون على فنون الادب ، وسيعتبرون عما قريب من اشهر أعلام هذه البلاد .

---

(16) نذكر هنا أنه كان يوجد فى المشرق لهذا العهد ناثرون ممتازون ، أمثال عبد الحميد الكاتب (توفى عام 132 هـ — 750 م) ، وابن المقفع (توفى عام 143 هـ — 760 م) ، والجاحظ (توفى عام 255 هـ — 868 م) ، وابن قتيبة (توفى عام 276 هـ — 889 م) الى جانب شعراء كبار من أمثال أبى نواس (توفى عام 198 هـ — 813 م) ، وابى العتاهية (توفى عام 211 هـ — 826 م) .

أ ـ الشعـــــر ·

تطرق شعراء هذا العصر الى مواضيع المدح ، والهجاء ، والفخر ، والعتاب ، والغزل ، والوصـــف ·

1 ـ فهذا ابراهيم بن محمد الأصيلى ، من شعراء القرن الرابـــع الهجرى (10 م) ، يمدح بنى زياد القاطنين حول أصيلا بقصيدة لم يبق منها الا بيتـــان :

سقـــى غربــــى بنــى زيـــــاد سحائب مـــا يجــف لهـــا غروب
ولا زال النعيـــم يعـــم قومـــــا ازاءهـــم مـــن الشـــرق الكئيـــب

وهما يدلان على سهولة فى الأسلوب واعتدال فى التشبيه ·

2 ـ وهذه قصيدة وصفية لأحد شعراء طنجة فى القرن الخامس الهجرى (11 م) لا نعرف اسمه ولا تخلو الأبيات الباقية منها من روعة ، مطلعهـــا :

وعـــلى سمـــاء الياسمين كواكب أبدت ذكاء العجز عـــن تغيبهـــا
زهـــر توقـــد ليلهـــا ونهارهـــــا وتفوت شأو خسوفها وغروبها (17)

ومع ذلك فان مزايا هذه المقطعات الشعرية ما تزال بعيدة عن أن تسمح بعقد مقارنـــة مـــع روائع الشعر المتفتـــح آنـــذاك فى المـــشرق (18) والأندلس · (19)

ب ـ النثـــــر :

يكثر الانتاج أيضا فى النثر ويتنوع ، سواء فى ذلك النثر المطلـــق

---

(17) أنظر بقية القطعة عند م · ابن تاويت وعفيفى ، **الأدب المغربى** ، صفحة 119 ·

(18) كان يعيش بالمشرق آنذاك كبار الشعراء من أمثال المتنبى (المتوفى عام 354 هـ ـ 965 م) ، والمعرى (المتوفى عام 449 هـ ـ 1057 م) ·

(19) عاش فى الاندلس أول شاعر مشهور ابن هانىء (المتوفى عام 363 هـ ـ 973 م) : وتلاه بعد نحو نصف قرن ابن شهيد (المتوفى عام 427 هـ ـ 1035 م) ، ثم ابن حزم (المتوفى عام 457 هـ ـ 1064 م) ·

والنثر المسجوع ·

1 ـ يشتمل النثر المطلق على المناظرة والمحاضرة والمقالة ·
فالمناظرة لا يمكن ان تدور الا حول الشريعة والأدب والسياسة · وقد جاء في المناظرة الدينية بين أبى عمران الفاسى (المتوفى عام 430 هـ = 1038 م) وفقهاء القيروان :

« قال عبد الجليل بن أبى بكر الديباجى · جرت عندنا بالقيروان مسألة الكفار هل يعرفون الله تعالى أولا ؟ فوقع فيها اختلاف كثير وتنازع بين العلماء · وكان أكثر من يعتنى بها رجل مؤذن يركب حمارة ثم يذهب من واحد الى آخر ولا يترك متكلما ولا فقيها الا ويناظره فى هذه المسألة ، وعظمت حتى كثر الجدال بها فى الاسواق ·

« ثم أتوا أبا عمران الفاسى فقال : ما بالكم ؟ قالوا : أصلحك الله ، أنت تعلم أن العامة اذا حدث بها حادث يفزعون الى علمائهم ، وأنت تعلم ما جرى فى هذه المسألة · فقال أبو عمران : ان أنتم أنصفتم وأحسنتم الاستماع أجبتم · فقالوا : نعم · فقال : لا يكلمنى الا واحد منكم . فقصده ذلك الواحد فقال : أريت لو أنك لقيت رجلا وقلت له هل تعرف أبا عمران الفاسى ؟ فقال لك أعرفه ، فقلت صفه لى ، فقال هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت فى سوق ابن هشام ويسكن البصرة ، أكان يعرفنى ؟ قال : لا ... » . (20)

وتعالج المحاضرة جميع المواضيع التعليمية أو الأخلاقية ، (21) بينما تشبه المقالة موضوعا فى الادب أو العلم او النقد أو السياسة · (22)

---

(20) أنظر بقية المناظرة عند ع . كنون ، **النبوغ المغربى** ، 2 : 48 ـ 49 ·
(21) أنظر بعض أمثلة هذا النوع فى المرجع السابق ، صفحة 231 ·
(22) سيتوسع هذا النوع بكيفية خاصة ابتداء من منتصف القرن العاشر الهجرى (16 م) · ـ انظر الفقرة التالية ـ ويذكر فى هذا العصر ما كتبه المنصور بن ابى عامر لتسميته المعز بن زيرى عاملا على المغرب . انظر ذلك عند م . الحجوى ، تطور **أسلوب الانشاء** ، صفحة 15 ـ 16 ·

2 — ويشمل النثر المسجع خطب الجمعة التى أتينا فيما سبق بنماذج منها ، والمقامة ، والرسالـــة ·

وقد لا حظنا فى الكتابة النثرية من خلال المناظرة الدينية السابقة أن اللغة أخذت تتطور نحو السهولة فى التعبير ، ولكنها مع ذلك ما زالت تعالج فى يسر وسعة أقل مما هو الشأن فى لغة المشرق والاندلس · (23)

ولتلخيص حال العهدين السابقين المتدين عبر أربعة قرون بعد أن ألقينا عليها نظرة خاطفة نقول : ان الموضوعات والانواع التى عولجت ودرست فى المغرب الاقصى كانت ما تزال فى مرحلة طفولتها الاولى ، فى حين بلغت تلك الموضوعات والانواع أوج رقيها فى المشرق ثم فى الأندلس · فالشعر الذى كان يصب فى القالب التقليدى للقصيدة تنقصه الأصالــــة والشخصية ، والنثر البسيط الباهت لم يكن يعالج فى الغالب الا مواضيع دينيـــــة ·

3 — من عام 462 — الى عام 667 = 1069 — 1268 ·

تشتمل هذه الحقبة على الدولتين العظيمتين ، المرابطية (462 — 541 = 1069 — 1146) والموحدية (542 — 667 = 1147 — 1268)، حيث عرفت الثقافة المغربية نموا كبيرا واشراقا لامعا ، فتعمقت جذور أكثر العلوم ونبغ فيها ائمة لا ينازع فى مقدرتهم أحد · وهكذا برز فى النحو أبو موسى الجزولى (المتوفى عام 601 = 1204) أول مؤسس للمدرسة النحوية المغربية بكتابه **القانون** ، (1) وشيخ ابن معطى أحد السابقين الى نظم الألفية فى قواعد اللغة العربية · (2) كما برز فى التفسير والحديث

---

(23) نجد فى المشرق كتابا مشهورين أمثال ابن العميد (المتوفى عام 360 هـ — 970 م) ، والصاحب ابن عباد (المتوفى عام 385 هـ = 995 م) ، فى حين بدأ الناس فى الاندلس يتحدثون عن ابن عبد ربه (المتوفى عام 328 هـ = 940 م) ·

(1) انظر ع · كنون ، النبـــوغ ، 1 : 152 — 153 ·

(2) قلد ابن مالك ، صاحب الألفية المشهورة فى النحو ، ابن معطى واعترف له بفضل السبق ولو أنه زعم أن منظومته أحسن من سابقتها ، فقال فى المقدمة :

وتقتضـــى رضـــى بغيـــر سخـــط فائقـــة ألفيـــة ابـــن معطـــى
وهـــو بسبقـــى حائـــز تفضيـــلا مستوجـــب ثنائـــى الجميـــلا

القاضى عياض السبتى (المتوفى عام **544** = **1149**) . وتابع الفقه المالكى نموه رغم ما كان من رجوع موقت الى المذهب الظاهرى بأمر من الخليفة يعقوب المنصور الموحدى . (3)

كانت المراكز المهمة للمذهب الاول أيام الموحدين سبتة وفاس ومراكش حيث يدرس الى جانب أصول الفقه علوم الجدل والحديث والتصوف والقراءات ، بينما نجد المذهب الثانى الذى يمثل الرجوع الى الأصلين الاساسيين فى الاسلام ، وهما الكتاب والسنة ، على رأسه الخليفة يعقوب المنصور نفسه الذى الف فى الموضوع **مجموعة فتاو** . وامتاز فى هذه الناحية علماء أجلة ، أمثال على بن محمد بن خيار ، وابراهيم بن أحمد بن هرون المرادى المعروف بابن الكماد ، وابن دحية السبتى . (4)

وانجبت العلوم الاخرى فى هذا العصر ائمة مرموقين ، من أمثال ابن باجة ، (5) وأبى العباس السبتى ، (6) فى الفلسفة ، وأبى مروان ابن زهر ، (7) وابن شمعون الاسرائلى (8) فى الطب ، وأبى عبد الله الادريسى ، (9) وعبد الواحد المراكشى (10) فى الجغرافيا والتاريخ ، حيث ألف اولهما **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق** ، والثانى **المعجب فى تلخيص أخبار المغرب** ، وابن الياسمين (11) الرياضى الكبير مؤلف **الأرجوزة فى الجبر** والشاعر المبدع .

وقد ازدهر الأدب بفضل تحقيق الوحدة السياسية ، والتقدم الاجتماعى والثقافى من جهة ، وبفضل الأحداث التالية من جهة أخرى :

---

(3) انظر م . الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 9 — 12 و 73 — 74 .
(4) أنظر كـ . بروكلمان ، تاريخ **الأدب العربى** ، 1 : 310 . **الملحق** 1 : 544 .
(5) **المرجع الأخير** ، 1 : 830 .
(6) انظر ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 150 — 151 .
(7) انظر كـ . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 1 : 486 . **الملحق** ، 1 : 890 . د . م . ا . 2 : 456 أ — 457 ب .
(8) انظر ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 158 .
(9) أنظر كـ . بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 153 .
(10) انظر ع . كنون ، **سلسلة مشاهير رجال المغرب** ، عدد 28 .
(11) انظر ك . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 1 : 471 . **الملحق** ، 1 : 858 .

أ ــ هجرة طائفة مهمة من القرطبيين القاطنين بافريقيا الى المغرب على اثر الاضطرابات التى عرفها المغرب الأدنى على يد البربر ·

ب ــ اقامة بنى حمود فى بعض المراكز الساحلية بالمغرب ، مثل سبتة وطنجة ، حيث كانت لهم شهرة أدبية كبـــرى ·

ج ــ اعتقال المعتمد بن عباد بأغمات وما نتج عنه من تقوية الحركة الأدبية بالمغرب ، سواء بما أنتجه شعراء هذا البلد ، أو بما تغنى بـــــه الشعراء الآخرون ، من أندلسيين ومغاربة ، فى مدح الامير الأسير وندب حظـــه العاثـــر ·

وقد اصطبغ الأدب أيام المرابطين بصبغة تكاد تكون أندلسيـــــة محضة ، نتيجة للوحدة السياسية والاجتماعية والثقافية التى تحققت بين العدوتين · وبالعكس من ذلك أخذ الادب طابعه المغربـــــى الخاص أيام الموحدين ، وصـــارت عاصمة مراكش مطمح أنظـــار العلماء المغاربـــة والأندلسيين ، من أمثال ابن زهر ، وابن رشد ، (12) وابن الطفيل . (13) وامتاز أدب هذا العصر بالبساطة والطابع الدينى ، وتكاثرت فنونه وتنوعت موضوعاته ، وبرزت أسماء عدد من كبار الشعراء والكتاب . (14)

الشعـــــــر :

تناول الشعر جميع الموضوعات ، وعلى رأسها الحماسة والفخر والمدح والرثاء ، الى جانب ، موضوعات مستوحاة من الأحداث السياسية والدينية التى عاشتها الدولتان القويتان : المرابطية والموحدية .

1 ــ أتى المثل النموذجى لذلك فى القصائد التى أنشدت فى اليـــوم المشهود الذى جلس فيه عبد المؤمن بن على يتقبل بيعة الأندلسيين بجبل

---

(12) انظر ك . بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 1 : 384 . **الملحق** ، 1 : 662 .
(13) المرجعـــان السابقان ، 1 : 460 ، 1 : 831 .
(14) للاطلاع على مزيد من التفصيل انظر هـ . بيريس ، **الشعر فى فاس** ، فى مجلة هبريس ، 18 ، الربع الاول ، 1 : 9 ــ 40 .

الفتح ، ويتبين من ضروب النقد التى أبداها هذا الخليفة الذى كان هو أيضا شاعرا أن الخلال المطلوبة تتمثل فى الدقة والايجاز الذين هما الطابع البارز للموهبة الأدبية · وكان أول من أنشده ابن حبوس الفاسى (المتوفى عام 570 = 1174) قصيدته التى مطلعها ·

بلـــغ الزمـــان بهديكـــم ما أمـــلا وتعلمـــــت أيامـــــه أن تعـــــدلا

وتلاه الطليق المروانى منشدا :

ما للعدا جنـــة أوقى مـــن الهـــرب ..

فصاح عبد المؤمن : الى أين ؟ الى أين ؟

فقال الشاعـــر :

.. .. **أين المفر وخيـــل الله فى الطلب ؟**

وأين يذهب مـــن فى رأس شاهقة وقد رمتـــه سماء الله بالشهـــب ؟

حدث عن الروم فى أقطار أندلس والبحر قد مـــلا العبرين بالعـــرب

ولقد قاطع عبد المؤمن أيضا الشاعر محمد بن أبى العباس السمعانى حين أنشد قصيدته التى مطلعها :

ما هز عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن عـــلى

فطرب الخليفة لهذا المطلع واستعاده اكثر من مرة ، ثم أمر الشاعر بأن يقتصر عليه وأجازه بألف دينار قائلا : لقد قلت فى هذا كل شىء · (15)

2 — وجدت هذه الخلال أيضا فى الشعر الغزلى الذى يقدم أبو حفص بن عمر الأغماتى المتوفى عام 603 = 1206) نماذج منه فيما انشده فى التشبيب بجمال الأعرابيـــات :

مهـــا القفـــر لادميـــة المرمـــــر وفى العـــرب لافى بنـــى الأصفـــر

بنفســـى يعافيـــر تلـــك الخيـــام ومسرحهـــا فى النقـــــا الأعفـــــر

---

(15) انظر م · ابن تاويت و م · عفيفى ، **الأدب المغربـــى** ، ص · 140 ·

ملاعـــب يصبـــو اليهـــا الحكيـــم ... ويسلـــب فيهـــا فـــؤاد الجـــرى
وفيهـــا الظبـــاء بنـــات الأســـود ... غيارى متى بفمت تـــزأر ... (16)

وفى قولـــه فى مليحـــة ·

هذا فؤادى أقصدتـــه الأسهـــم ... من ذا يرى تلك الجفون ويسلم ؟
يا غرة حكـــم الجمال لهـــا علـــى ... شمس الضحى وأصاب فيما يحكم
يحكـــى الجآذر جيدهـــا ولحاظهـــا ... هيهات دون العالم المتعلـــم ... (16)

3 — الهمت الطبيعة الشعراء فى كل زمان ، لكن شعراء هذا العصر عرفوا اكثر من غيرهم كيف يلاحظونها ويصورونها ، كما فعل القاضى عياض (المتوفى عام 544 = 1149) فى وصف خامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليها ريح ·

انظـــر الـــى الـــزرع وخاماتـــه ... تحكى وقد ما ست أمـــام الريـــاح
كتيبـــة خـــضراء مهزومـــة ... شقائق النعمان فيها جـــراح (17)

فهذا التشبيه المزدوج رغم بساطته جميل ، ويلاحظ التأثير الدينى فى شعر هذا العصر ، اذ البيت الأول ينظر الى الحديث الشريف : مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح ·

4 — وفيما عدا الطبيعة توجد أوصاف رائعة مثيرة لبعض الأشياء المادية ، فى مثل ابيات الشاعر ابى بكر ابن تافلويت الذى وصف سيفا هزه على بن يوسف بن تاشفين ارتجالا :

هـــززت حسامـــا فشبهتـــه ... غديـــرا مـــن المـــاء لكـــن جمـــد
فلمـــا بـــدا لـــى افرنـــده ... لهيبـــا مـــن النـــار لكـــن خمـــد

---

(16) انظر ع · كنون · **النبـــوغ** ، 3 : 56 — 57 ·
(17) انظر ع · كنون ، **النبـــوغ** ، 3 : 99 ·
وانظر أيضا عن التأثير الدينى ل · بروفنسال ، **التعرف على المغرب** ، ص · 127 — 128 ، و هـ · بيريس : **الشعر فى فاس** ، ص · 9 — 40 ·

فلـولا الجمـود ولـولا الخمـود ... لسال لدى الهـز أو لانقـد (18)

5 ــ أما القصائد المتعلقة بالمدح والتهنئة والاستعطاف كثيرة وطويلة جدا ، لموضوعاتها المألوفة المبتذلة ، فهى تارة فى مدح ملك بمناسبة انتصار فى حرب ، أو ازدياد مولود ، أو حلول عيد أو شفاء من مرض ، وتارة فى مدح صديق فى سائر المناسبات السعيدة · ولو حاولنا الاتيان بنماذج منها لخرجنا عن غرض الاختصار الذى اردنا ان تكون عليه هذه النظرة العامة السريعة ·

6 ــ وبالمقابل نجد الشعر الخاص بالنوادر والنكت اكثر أصالة ، اذ يلفى الشاعر نفسه فى سعة ليبرهن عن قدرة مبدعة وفكر خصـب · فهذا أبو العباس الكراوى (المتوفى عام 609 = 1212) يقول فى هجو اهل فـاس :

مشى اللؤم فى الدنيا طريـدا مشردا ... يجوب بـلاد اللـه شرقا ومغربـا
فلمـا أتـى فاسا تلقـاه أهلهـا ... وقالوا لـه أهـلا وسهلا ومرحبـا

وهذا الامير سليمان الموحدى (المتوفى بعد عام 600 = 1203) يلغز فى القلم والدواة :

وميت برمـس طعمه عنـد رأسه ... اذا ذاق مـن ذاك الطعام تكلما
يقـوم فيمشى صامتـا متكلمـا ... ويرجـع للقبر الـذى منه قومـا
فلا هـو حى يستحـق كرامـة ... ولا هو ميت يستحق ترحمـا (19)

كل هذه الموضوعات التى استعرضناها سريعا قد أتت فى دائـرة القصيدة التقليدية وفق أوزان بحور العروض المتعارفة ، ولو أن المؤرخين وأصحاب التراجم اخبروا بظهور الموشح والزجل فى هذا العصر بالمغرب الا انهم لم يثبتوا نماذج منهما ·

---

(18) انظر ع · كنون : **النبوغ** ، 3 : 99 ·
(19) انظر ع · كنون ، **النبـوغ** ، 3 : 245 ــ 248 ·

النثـــــر :

نجد هنا نفس الفنون والموضوعات النثرية التى عرفناها فى العصر السابق ، سواء فى النثر المطلق أو المسجع · ومن امثلة النوع الاول مقالة القاضى عياض فى البلاغة النبويـــة : « ... وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول ، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذى لا يجهل ، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وايجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف · أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم السنة العرب ، يخاطب كل أمة بلسانه ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها فى منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمل حديثـــه وسيره علم ذلك وتحققه · وليس كلامه مع قريش ، والأنصار ، وأهل الحجاز ونجد ، ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى ، وطهفة النهدى ، وقطن بن حارثة العليمى ، والأشعث بن قيس ، ووائل بن جحر الكندى ، وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن ... (20)

ويكون النثر المسجع فى الكتابات ذات الطابع الرسمى ، مثل التحميد والصلاة والخطب ، أو فى الخطابات الشخصية مثلما نجده فى الرسالة التى وجهها القاضى أبو موسى ابن عمران (المتوفى عام 578 = 1182) الى ولد له يدرس بفاس :

« الى ولدى فلان ، هداه الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوى وزانه ، كتبته اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالى تتيسر الأمور ، ويتكاثف السرور · واذا وجدتكم على ما احبه من أدوات الحفظ والأداء ، ولزام آداب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على أقصى تمنيكم · وقد اجمعت الأئمة على أن الراحة ، لا تنال بالراحة ، وان العلم ، لا ينال براحة الجسم ، فادرس · ترؤس ، واحفظ ، تحفظ ، واقرا ترق . ومهما ركنت الى الدعة ، كنت فى أهل الضعة ، وما رايت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه ، وما رايتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه ، والأعدل الاقسط ، ان

تسلك السبيل الأوسط :

وما المرء الا حيث يجعـــل نفســـه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل !»

ويلاحظ هنا الانتقال من الخطاب بصيغة الجمع فى صدر الرسالة الى صيغة الافراد فى آخرها ·

اما التحميد والصلاة والخطاب فانها جميعـــا متشابهة شكـــــلا ومضمونا ، وليس فيها أية ميزة جديدة تستحق التمثيل لها ، وكذلـــــك الرسائل الادارية التى كان يحررها الكتاب باسم الخلفاء ويبعث بها الى كبار رجال الدولة (21) ·

وقد تقدمت المحاضرة تقدما كبيرا فى هذا العصر وبخاصة ايـــــام عبد المؤمن · وبما انها تأتى عفوا دون سابق تهيىء ، فهى تدل على مدى ما وصل اليه المغرب من تقدم فى الميدان الثقافى أيام الموحدين · ومـــن امثلتهـــا :

« خرج عبد المؤمن يوما مع وزيره أبى جعفر بن عطية متنزها الى بعض بساتين مراكش ، فمر فى طريقه بشارع من شوارع المدينة ، فاذا بطاق فى دار عليه شباك قد قابله منه وجه جارية ، كأنه الشمـــــس الضاحية ، قد بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر اليها عبد المؤمن فأعجبـــه حسنها ، وحلت من قلبه كل محل ، فقال ارتجـــالا :

قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت

فقال ابو جعفـــر :

حوراء ترنو الـــى العشاق بالمقـــل

فقال عبد المؤمن : **كأنما لحظها فى قلب عاشقها**

---

(21) انظرها فى مختلف المجموعات الأدبية ، وبخاصة **رسائل موحديه** من نشر ل · بروفنسال ·

فقال أبو جعفر :

سيف المؤيد عبد المؤمن بن على))..

ومن عجيب المقارنات أن يأمر عبد المؤمن بقتل وزيره أبى جعفر بن عطية وأخيه أبى عقيل عام 553 = 1158 مثلما فعل هرون الرشيد بوزيره جعفر البرمكى وأسرته !

هكذا يكون هذا العصر الذى دام قرنين كاملين قد عرف ازدهارا كبيرا فى ميدان الأدب المغربى نثرا وشعرا ، ونبغ فيه مؤلفون قادرون على أن ينافسوا كتاب المشرق والأندلس ·

4 — من عام 668 الى عام 961 = 1269 — 1554 ·

تصدعت أركان الامبراطورية الموحدية بعد واقعة العقاب بالأندلس التى منوا فيها بهزيمة نكراء · ولم تسفر المحاولات التى قام بها الملوك المتأخرون منهم لاصلاح الوضع الا عن تمديد فترة الاحتضار · لذلك لم يتم الأمر للمرينيين الا عندما استولوا على مدينة مراكش عام 968 = 1269 ، وظلوا يحكمون المغرب الى عام 869 = 1465 ، حيث خلفهم الوطاسيون الذين اتخذوا من فاس عاصمة لهم ، وامتد نفوذهم الى عام 961 = 1554 · هذا مجمل الأحداث السياسية لهذا العهد ·

أما الثقافة فقد اتجهت اتجاها مغربيا (1) أساسيا بفضل المنجزات التى حققتها ملوك بنى مرين فى ميدان الفكر ، وبخاصة بناء المساجد والمدارس والمكتبات · وعظم الاقبال على الدراسات اللغوية والشرعية ، ولو أن العلوم الفلسفية عرفت شيئا من الفتور · وقبل أن نتحدث عن

(1) هذا رغم العلاقات المتينة التى كانت تجمع بين المغرب والاندلس ، لا سيما بعد أن قام الملك المرينى يعقوب بن عبد الحق بالدفاع عن مسلمى العدوة الأخرى عام 670 هـ — 1271 م · وقد تكاثرت بعد هذا التاريخ هجرة الاندلسيين الى المغرب · فازدهرت الحياة الأدبية فى هذه البلاد بفضل اسهام عباقرة الكتاب من أمثال ابن الخطيب ، وابن خلدون ، والقلصادى (المتوفى عام 891 هـ — 1486 م) ·
انظر م · ابن تاويت ، و م · الصادق عفيفى ، **الأدب المغربى** ، ص · 250 — 269

الأدب فى هذا العصر نذكر اسماء بعض الاعلام الذين امتازوا فى مختلف ميادين المعرفة ، مشيرين عند الاقتضاء الى اهم تآليفهم :

ا ــ **فى الفقه** · ابو الحسن الصغير (المتوفى عام 719 = 1319)، صاحب التصانيف الكثيرة والتى منها **مجموعة الدر النثير** ·

ب ــ **فى الحديث والتفسير** : ابن رشيد السبتى (المتوفى عام 721 = 1321) وابن غازى المكناسى (المتوفى عام 919 = 1513) مؤلف **ارشاد اللبيب الى مقاصد حديث الحبيب** ·

جـ ــ **فى التصوف** : ابن الحاج (المتوفى عام 737 = 1336) مؤلف **المدخل** ، وزروق الفاسى (المتوفى بطرابلس الغرب عام 898 = 1493) صاحب التصانيف الكثيرة المعروفة بالاختصار والتحرير ، مثل **النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية ، والجنة للمعتصم من البدع بالسنة ، والبدع التى يفعلها فقراء الصوفية** ·

د ــ **فى النحو واللغة** : ابن آجروم المشهور (المتوفى عام 723 = 1323) مؤلف **الآجرومية** ، و**شرح حرز الأمانى** · وابن هانىء السبتى ، والمكودى (المتوفى عام 807 = 1404) صاحب **الشرح** المشهور على **ألفية ابن مالك** ·

هـ ــ **فى التاريخ** : ابن أبى زرع (2) (المتوفى نحو عام 720 = 1320) مؤلف **الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ·

و ــ **فى الجغرافيا والرحلات** : الرحالة الشهير ابن بطوطة (المتوفى عام 779 = 1377) مؤلف **تحفة النظار** ·

ز ــ **فى الطب والكيمياء** : ابو العباس الجزنائى (المتوفى بتونس

(2) انظر ترجمة ابن أبى زرع والاختلاف فى تاريخ وفاته عند ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 : 125 ــ 128 ·

عام 749 = 1348) صاحب **الأصداف المنفضـــة** ·

د ـــ **فى الحساب والتنجيم** : ابن البناء العددى (المتوفى عام 721 = 1321 صاحب التصانيف العديدة مثل **رفع الحجاب** فى الحســاب ، **والمدخل الى علـــم النجـــوم** ·

الشعـــــــــر :

نجد نفس الأنواع والموضوعات التى عرفناها سابقا ، كما يتجلى ذلك من هذه المنتخبات لاكبـــر شعراء العصر ، كعبد العزيز الملزونـــــى (المتوفى عام 697 = 1297) الذى يقول فى مدينة سلا حين أخذ المنصور البيعة لولده أبى يعقوب فيها :

يا ظبية الوعساء قد بـــرح الخفـــا — انى صبرت على فراقك ما كفـــى
كم قد عصيت على هواك عواذلـــى — وأثاب بالتبعيـــد منـــك وبالجفـــا
حملتنى ما لا أطيـــق من الهـــوى — وسقيتنى من غنج لحظك قرقفـــــا
وكسوتنى ثوب النحـــول ومنظـــرى — الناظرين عـــن العيال قـــد اختفى
··· لله درك يا ســـلا من بلــــدة — من لم يعاين مثل حسنك ما اشتفى !

ومالك بن المرحل (المتوفى عام 699 = 1299) الذى كان مثـــل سلفه الكراوى يشبه بأبى تمام · وهو القائل فى وصف عشية :

وعشية سبق الصبـــاح عشاءهـــا — قصرا فما أمسيـــت حتى أسفـــرا
مسكيـــة لبست حلـــى ذهبيــــة — وجـــلا تبسمهـــا نقابـــا أحمـــــرا
وكأن شهب الرجـــم بعض حليهـــا — عثرت به مـــن سرعة فتكســــــرا

وأبى العباس العزفى (المتوفى عام 717 = 1317) ، وهو القائـــل فى سحر بابـــل :

لـــى فى سبتـــــة سكـــــن — حبـــــه فى الحشـــا سكـــــن
فهـــو يــــزداد جـــــدة — مــــع ابلائـــــه الزمـــــن
أصبـــح القلــــب عنـــــده — و بغرناطـــــــة البـــــدن

ان هـــــــاروت لو رأى سحـــر الحاظـــه افتتـــن
رشـــأ سحـــر بابـــل بـــين عينيـــه قـد كمـــن

ويلاحظ حسن الجناس التام بين كلمتى « سكن » فى البيت الاول ·
وأبى القاسم السبتى (المتوفى عام 760 = 1358) القائل فى وصـــف ساقيـــة :

وذات حنـــين تستهـل دموعهـــا سجا ما اذا يحدو ركائبها الحادى
تعجبت أن لسيت تريم مكانهـــا ولم تخل من تأويب سير واســآد
وأرصدتها فى الــروض أية عــدة فكانت لدفع المحل عنـــه بمرصـــاد
تخالف ماء المـــزن حكما وماؤهـــا وكل على روض الربا رائح غـــادى
فينجد هـــذا بعد أن كـــان متهمـــا وذاك تـــراه متهما بعـــد انجـــاد
لئن قذفت ذوب اللجين على الثرى لقد خلصته القضـــب حليا لأجيـــاد

وابن رشيد السبتى (المتوفى عام 721 = 1321) القائل فى رثاء ولده :

فان ألتفت فالشخص للعين ماثـــل وان استمع فالصوت للأذن طـــارق
وان أدع شخصا باسمـــه لضرورة فان اسمه المحبوب للنطق سابـــق
وان تقرع الأبـــواب راحة قـــارع يطر عندها قلب لذكـــراه خافـــق
... عليك سلام الله ما حن عاشـــق وما طلعت شمس وما ذر شـــارق
وما همعت سحب غواد روائـــح وما لمعت تحدو الرعود البـــوارق

نستنتج من هذه النماذج ان الشعر الذى بقى محافظا على عمق الالهام ، ازداد صفاء ايام المرينيين والوطاسيين عما كان عليه ايام المرابطين والموحدين ، فالافكار والصور اصبحت أكثر ابداعا ويعبر عنها بلغة رشيقة لطيفة ، وكان للشعر المغربى فى هذا العصر قيمة أرفع مـــن الشعـــر فى المشرق المتخبط فى عصر الانحطاط (3) وفى الأندلس التى لا يكاد يوجد فيها

(3) ومع ذلك يجب ان لا نغفل بعض الشعراء المشارقة المجيدين ، مثل البوصيرى (المتوفى عام 695 هـ — 1295 م) ، وصفى الدين الحلى (المتوفى عام 750 هـ — 1349 م) ، وابن نباتة (المتوفى عام 768 هـ — 1366 م) ·

آنذاك شاعر يذكر غير ابن الخطيب (المتوفى عام 776 = 1374) ·
وسيمتد هذا الصفاء الشعرى بعد قليل الى مختلف طبقات المجتمع المغربى ليظهر فى شكل زجل ، وهو نوع من الشعر الشعبى تولد عنه عروض البلد (4) الذى لم يخرج عن مذهب الاعراب الا قليلا · وقد امتاز فى هذا الفن شاعران مجيدان ، أولها ابن شجاع التازى صاحب القصيدة المشهورة فى نوع المزدوج منه والتى تبتدىء هكذا :

المال زينة الدنيا وعز النفوس — يبهى وجوها ليس هى باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس — ولوه الكلام والرتبة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صغير — ويصغر عزيز القوم اذ يفتقر
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا تغير — وكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر
حتى يلتجى من هو فقومو كبير — لمن لا أصل عندو ولا لو خطر
لذا ينبغى يحزن على ذى العكوس — ويصبغ عليه ثوب فراش صافيا
اللى صارت الأذناب أمام الرؤوس — وصار يستفيد الواد من الساقيا (5)

والثانى الكفيف الزرهونى القائل فى وصف هزيمة المرينيين بالقيروان وتأسيتهم بما وقع لغيرهم :

سبحان مالك خواطر الأمرا — ونواصيها فى كل حين وزمان
أن طعناه اعظم لنا نصرا — وان عصيناه عاقب بكل هوان
... كن مرعى قل ولا تكن راعى — فالراعى عن رعيته مسؤول
واستفتح بالصلاة على الداعى — للاسلام ، والرضى السنى المكمول
على الخلفا الراشدين والأتباع — واذكر بعدهم اذا تحب وقول
احجاحى تبغى تخللوا الصحرا — ودوا سرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الفرا — وين سارت بو عزايم السلطان ...(6)

ولما كان هذا الشعر لا يختلف عن القصيدة الفصحى الا ببعض

---

(4) انظر فى هذا الموضوع ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص · 1160 — 1166 (طبعة بيروت)·
(5) **المصدر السابق** ، ص · 1162 ·
(6) **المصدر السابق** ، ص · 1164 ·

الكلمات والعبارات المستعملة فى لغة الكلام الدارج ، ظن بعض النقاد المغفلين — خطأ — أنهم أمام الشعر المغربى التقليدى · وسنرى بعد قليل كيف يتحرر هذا النوع الشعرى شيئا فشيئا الى أن يتفتح ويأخذ شكله النهائى فيما يعرف بالملحون · ولابد من الاشارة الى أحد كبار شعـــــراء الملحون فى هذا العصر وهو ابن عبود (7) الذى ظهرت عبقريته فى قصيدة **الحربى** « وكان هذا الشاعر حضر عام 942 = 1536 المعركة التى جرت ببلاد تادلا بين أحمد الوطاسى ومولاى أحمد السعدى والتى انتهت بتقسيم المغرب بين الدولتين : الشمال للوطاسيين ، والجنوب للسعديين ، الـــى أن تم الأمر لهؤلاء بعد سنوات · فنظم ابن عبود قصيدة **الحربى** ، وهى تدل على ما له من قيمة كبرى والهام سام · ومن المؤسف أن تضيع سائر قصائد ابن عبود » (8)

يبتـــدىء **الحـــربـــى** هكـــذا ·

ما للخيل الذى اعتركت فى الميـــدان	**حافت هذى لذى وهديك لهـــــذى**
والغبرا عدات كسات على التيجان	**حتى صار النهار مثل الفرصـــادى**

الحربـــــة

صلوا وسلموا على النبى العدنـــان	**شفيع المومنين يـــوم الميعـــــــاد**

العـــــروبـــــى

ما للخيـــل الـــذى نراها تتزلـــف	**وعقادها محرجمة على الحربادنات**
والشمايل ذ البنود فى الجو ترفرف	**والغبرة والعجاج من خلف السافات**
واعواد الران ذى لهادى تتـــرادف	**من ضرب الصارم المهند فى البيضات..**

أما فى ميدان التوشيح فقد قلد المغاربة تقليدا حرفيا الوشاحــــين الأندلسيين ، ولم ياتوا بما يستحق الذكر ، لذلك يجب أن ننتظر الدور الخامس الذى سنتحدث عنه فيما بعد ونورد بعض الموشحات المغربيـــة

(7) أحد شعراء الملحون بفاس فى آخر العهد الوطاسى . (انظر م . الفاسى ، **الأدب الشعبى** ، فى **مجلة الفكر** ، 1 : 68 — نونبر 1962 ·

(8) **المصـــدر السابق** ، ص · 68 ·

الجيدة ٠

النثـــــر :

بالاضافة الى أنماط النثر المعروفة فى العصر السابق ، ظهرت ثلاثة أنواع أخرى وانتشرت أيام المرينيين وأغلب عهد الوطاسيين ، وهى ٠ النقد الأدبى ، والرحلة ، والمقامة ٠ أشهر من عرف بأدب الرحلة فى هذا العصر ابن بطوطة (المتوفى عام 779 = 1377) مؤلف **الرحلة** التى هى أشهر من أن يقتبس منها ليعرف بها ٠ ويمثل النقد الأدبى أبو القاسم السبتى فى مقدمة شرحه **لمقصورة** الامـــام :

« أما بعد ، فانى لما تأملت **مقصورة** الامام الأوحد ، أبى الحسن حازم محمد بن حسن بن حازم الأنصارى القرطاجنى ، ألفيتها تجمع ضروبا من الاحسان ، وتشتمل على أفانين من البيان ، وتتضمن فوائد جمة من علم اللسان ، وتشهد لمنشئها بما انتظمته من غرائب الأنواع ، واتسمت به من عجائب الابداع ٠ فانه سابق الميدان ، وحائز خصل الرهان ؛ لاجرم أنها بما أورد من الفوائد ، وقيد من الاوابد ، ووصف من المعاهد ، وضرب من المثل الشارد ، وأومأ اليه من الوقائع والمشاهد ، وانتحاه من المنازع البيانية والمقاصد ، ديوان من دواوين العرب أودعه كثيرا من تواريخها ، وجمع فيه من المعارف ما يعترف لقدمه برسوخها ... » ٠

أما فن المقامة فيمثله عبد المهيمن الحضرمى (المتوفى عام 749 = 1348) بما أنشأه على لسان عشر جوار : بيضاء وسمراء ، وطويلـــة وقصيرة ، وسمينة ونحيفة ، وحضرية وبدوية ، وشابة وعجوز ، تفاخر كل واحدة منهن نظيرتها بأن الحسن هو وصفها ، والجمال هو حليتها ... وهكذا يقدم البيضاء : « واذا بجارية يغلب ضياء وجهها ضياء الشمس ، فوقفت بين الصفوف وسلمت ببنانها الخمس » (10) . ويقول عن السمراء : « ثم حطت اللثام ــ عن وجه يشهى الالتثام ، وابلغت فى السلام ، وأقبلت تواضعا على رؤوس الأقدام » ٠ ثم يأتى دور الجارية الطويلة : « واذا بجارية تتخطى الرقاب ، بعد أن حطت النقاب » ٠ وبعدها القصيرة : « واذا بالقصيرة قد أقبلت تجر أذيالها ... فولولت وصاحت ٠٠٠ ثم قعدت علـــى

مكان ، وتكلمت بأفصح لسان » . وفى تقديم العجوز يقول . « فلما أتمت الحضرية هذه الأبيات ، وقد أفصحت فى البلاغة والغايات اذا بهزة عظيمة فى المحفل ، كاد يرجع أعلاه منها أسفل ، فأتت عجوز قد اشتبكت مع صبية، وبينهما معاطاة ومجادلة قوية ، والصبية تنادى وتقول : كثر الحمق وقلت العقول ، يا قوم اعدلوا بينى وبين هذه العجوز ، بكلام يتعقل ويجوز ، فقالت العجوز : يا هذه الزمى الوقار ، وكفى النقار ، فأنا أفصح منك واعظم ، واسبق وأقدم ... » (10)

وبالجملة فان المواضيع والأنواع الادبية قد تابعت نموها طوال هذه القرون الثلاثة وظهرت أنماط جديدة فى الشعر والنثر ، كالموشح والزجل والنقد الأدبى والرحلة والمقامة .

من عام 962 الى عام 1074 = 1555 — 1663 .

تطابق هذه الفترة من الناحية السياسية العصر السعدى ، وتتميز بنهضة شاملة فى العلوم ، لعاملين أساسيين ، هما : تشجيع العلماء من طرف الملوك السعديين مثل احمد المنصور الذهبى (986 — 1012 = 1578 — 1603) ، ونشاط الزاوية الدلائية (1) التى تخرج منها كثير من كبار الأدباء . وهذه نظرة خاطفة عن علوم هذا العصر وأهم من اشتغل بها :

الفقه والتفسير والحديث ، أبو عبد الله القصار (المتوفى عام 1012 = 1603) ، واحمد بن يوسف الفاسى (المتوفى عام 1021 = 1612) .

— **القراءات** ، عبد الواحد بن عاشر (المتوفى عام 1040 = 1631) .

— **النحو واللغة** ، أبو العباس القدومى (المتوفى عام 992 = 1584) .

---

(10) ع . كنون ، **ذكريات مشاهير رجال المغرب** ، عدد 26 ، ص . 39 — 40 .
(1) لمزيد من التوسع انظر م . حجى ، **الزاوية الدلائية** ، الرباط ، 1964 .

ــ **التاريــخ** ، عبد العزيز الفشتالى (المتوفى عام 1032 = 1622)، واحمد بن القاضى المتوفى عام 1025 = 1616) صاحب **جذوة الاقتباس** ، المتقى المقصور ·

ــ **الرياضيات والعلوم الطبيعية والطب** ، أبو القاسم الغسانــى (المتوفى عام 1019 = 1610) ، مؤلف **حديقة الأنوار وشرح ما هيــة العشب والأزهار** ، وكتاب فى **العلاجات الطبية** ، وآخر فى **الحميــات والأورام** · وابو القاسم الغول (المتوفى عام 1059 = 1649) صاحب **الأرجوزة المشهورة فى الطب ، وغيرها** ·

الأدب ·

1 ــ **الشعـــر :**

كانت انتصارات السعديين فى معركة وادى المخازن وفتح السودان وغيرهما مصدر الهام للشعراء ، فقالوا فى ذلك قصائد كثيرة ، كما أن التهديد المتزايد للعدو المحتل الشواطىء المغربية أثار رد فعل دينى تجلى فى مزيد من التعلق بمبادىء الاسلام ، والاخلاص للملوك الجدد من سلالة الرسول عليه السلام ، لذلك ستبلغ قصائد **المولديات** (2) أوج اتساعها على عهد أحمد المنصور بعد أن كان دشنها ميمون بن على الخطابى المعروف بابن خبازة (والمتوفى عام 637 = 1239) ·

وسيجد الأدب الشعبى هو أيضا بيئة خصبة لنموه ، فيتحرر نهائيا من قواعد الاعراب ليبرز فى شكله النهائى المعروف بالملحون ·

ومما قيل فى فتح بلاد السودان ، قصيدة الشاعر الكبير أبى عبد الله الهوزالى (المتوفى عام 1012 = 1603) ·

صوافــن ينموهــا وجيه ولاحــق ‎ ‎ ‎ ‎ مطهمــة دهــم ومقــورة شقــر
بمرهفـــة مأثــورة مشرفيـــة ‎ ‎ ‎ ‎ تــؤم غراريهــا ردينيــة سمــــر

(2) انظر فى هذا الموضوع أ . السالمى ، **المولديــات** ، و د م . ا . مادة **مولــد** ، 3 : 481 أ ــ 484 أ .

غدت تحمل الموت الزؤام يحوطهـا   ويكنفهـا يمـن يشيعـه نصـر
فحلت بأرض السود لم يثن عزمهـا   مهالك صد عـن مسالكها الذعـر
ورامت بنـو حام لجهـل بقدرهـا   دفاعا فباتت فوق آنافها العفـر ...

ومثلها قصيدة عبد العزيز الفشتالى (المتوفى عام 1032 = 1622) :

يعنو الـى المسنون من أسيافـه   قلب المعاند وهـو قلب وجـب
أيروم أحـزاب الضـلال سفاهـة   غلبـا لحزب الله وهو الغالـب ؟
صبت على السودان منه صواعـق   فهمت على اسحاق وهى مصائب ...
يروى عـن المنصور فيه محمـد   ما أسندته الى الوصى مناسـب

ويلاحظ أن أبيات القطعتين السابقتين لا تختلف عن شعر الجاهلية وصدر الاسلام الا بما تحتوى عليه من أعلام وانساب . وقد ألهمت معركة وادى المخازن الشاعر عبد المنعم الدغوغى فقال قصيدة مطلعها :

جنى النصر ما بين الظبا والكنائـن   على سابقات المذكيـات الصوافن
فبين المعالى والمآثـر فى الوغـى   يجول الذى يبغى اقتحام المدائـن
هى السور من يجتزه حل بساحها   فحل له منهـا امتـلاك المخـازن
ومن لم يخض بحر الحروب فلا يرى   لحوزته دون العدا خير صائـن
ومن لم يخضها بالثبات فرأيـه   يفيـل ويمسى حظـه جد خائـن
وماذا يفيد الجيش ان كان ربـه   كَسِبِيَسْتْيانٍ عند وادى المخازن ؟
يقود لها ما يحجب الشمس نقعـه   مياسـره لا تلتقـى بميامـن ...
فذالك يـوم مثل بـدر وصنـوه   حُنَيْـن بأيـدى المؤمنين الميامـن
لقد ذاق فيه البَرْدَقِيزُ من الـردى   جزاء مناحس خزايا ملاعـن ...

أما الأمداح النبوية التى كانت تبتدىء دائما بالتغزل ، ثم تأتى على صفات الرسول الكريم لتنتهى بمدح الملك وولى عهده ، فمن احسـن نماذجهـا قصيدة أبى القاسم بن على الشاطبى (المولود عام 933 = 1526) ، ومطلعها الغزلـى :

ما بـال طيفـك لا يـزور لمامـا   وبمنحنى الاحشا ضربت خيامـا ؟

ثم يتلخص لمدح الرسول الكريم :

خير الأنام محمد الهادى الذى — أردى الضلال وجب منه سناما
كنز العوالم سر طينة آدم — ولحفظ ذاك السر جاء ختاما
وأجل أرسال الاله ومن به — قد لاذ يونس حين خاض ظلاما ...
أسرى الى السبع الطباق فأقبلت — زمر الملائك وفده اعظاما

ويختم قصيدته بذكر المنصور وولى عهده المأمون ويشيد بهما :

خير الورى وامامها المنصور من — فى ظل دولته الأنام أناما
أضفى على الأرضين ظل مهابة — فحمى بها حام العباد وساما ...
وأمينها المأمون عضب سهامها — علم أناف على الهضاب سناما

وكانت **المولديات** تلقى بمحضر الملك وكبار رجال الدولة فى حفلات دينية عظيمة ، لم تنقطع فى مناسباتها طوال السنوات السبع والعشرين التى قضاها المنصور فى الحكم ، الأمر الذى يدل على العدد الضخم لهذه **المولديات** . ونذكر هنا بأن المشرق فى هذا الوقت كان ما يزال سادرا فى عهد الانحطاط ، لا يكاد يذكر فيه من الشعراء غير عائشة الباعونية (نبغت منذ عام 922 = 1515) ، ومامية الرومى (المتوفى عام 987 = 1575) .

أما الموشح فقد تخلص من التقليد الاندلسى ، وتطور فى الاطار المغربى ليعالج جميع المواضيع حتى الخمريات . ومن ذلك ما قاله أحد الوشاحين المراكشيين يذكر الخمر ويتخلص لمدح المنصور والاشادة بمآثره العمرانيــــة :

واخجلتــا للصبـــاح — والشمـــس اذ لاح جــؤذر
ســـاق يديــر الكؤوســا — تضـىء حمــرا وتزهـــر

تقادمــت فى الدنـــان — مـن عهـد نـوح تـروق
فى لونهـــا البهرمانـــى — تـــدار فينـــا وتعبـــق
قــد أصلعـت مـن عنــان — مــن عــن صبـوح يرقـــق ...

ملــك بنـــى فى البديـــع — منـــازلا لا كـــالدرارى

فيالـــه مـــن صنيــــع الــــروض والمـــاء جـــارى
وقـــل بصــــوت رفيــع اذ بـــان فجـــر النهـــار :

أهـــدى نســم الصبـــاح مسكـــا شميمـــا وعنبـــر
وجـــىء بهـــا خندريســـا مـــن خـد ساقيـــه تعصـــر

الشعر الشعبى : اتينا فيما سبق بنموذجين مما أورده ابن خلدون من عروض البلد المتفرع عن الزجل فى العصر المرينى ، وقلنا ان هذا النوع سيتحرر شيئا فشيئا من قواعد اللغة العربية الفصحى ليزدهر فى شكله النهائى : **الملحون** . وقد عرفه م . الفاسى بأنه « شعر بلغة لا اعراب فيها ، فكأنه كلام فيه لحن ... والذى أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم ، لأن الاصل فى هذا الشعر الملحون أن ينظم ليتغنى بـــه قبل كل شىء، ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول ابن خلدون فى المقدمة ..» (3). ومن بين شعراء الملحون الذين اتصلوا بأحمد المنصور ، عبد العزيز المغراوى (المتوفى عام 1014 = 1605) الذى ما تزال شهرته قائمة حتى اليوم فى المثل المتداول . « كل طويل خاوى غير النخلة والمغراوى » . وقد نظم فى هذا الفن قصائد رائعة ، منها فى باب الموعظـــة :

وحـــد الجليـــل المالـــك واعلم يا غافل بين ما فملك شريك
مـــن وجـــدك بعـــد عـــدامـــك وذا راد بحكم من الوجود افنيـــك
فالحـــين يتـــم أجـــالـــك يامن مولىالقدرا أضنىالحوت اغبيك

حـــربــــة

ياغافـــل حضـــر بالـــك لا تخون فى دار الغرور سمع نوصيك

ما دام الملك غـــير للدايم المعـــين وما سواه فلـــورى كل فانـــى
خالق الاشيات كلهـــا رب الكونين نفنـــو كذاك بأمـــر نعـــم الغانـــى
الصحً ما تـــدوم والصفر حزيـــن اسمع منـــى الصـــح وفقه تبيانـــى

---

(3) مجلة **البحث العلمى** ، عدد 1 سنة 1 ، يناير — أبريل 1964 ، ص . 43 — 44 .

وذا كذبتنـــى نبين فوزانـــى ... (4)

ومما تجدر ملاحظته ان الملحون يعتمد فى تركيبه على عدن التقاطيع فى كل بيت ، مثل الشعر الفرنسى ، بينما يعتمد الزجل ــ كالشـعر اللاتينى ــ على عدد الأوتاد والاسباب الخفيفة والثقيلـــة .

2 ــ النثـــــر :

عرف النثر فى هذا العصر نفس التقدم الذى عرفه الشـعر الفصيح والملحون ، وتوفرت لنا منه قطع رائعة خصوصا فى الترسل والمقامات · كانت الرسـائل الرسمية التى تصدر عن الملوك السـعديين بأقلام كبار كتاب بلاطهم تكتسى طابعا خاصا أيام احمد المنصور الذهبى · ومن احسنهـــــا رسـالة موجهة باسـم هذا الملك الى سـكان سوس ، من انشـاء عبد العزيز الفشـتالى ، وتشـتمل على فقرة هامة فى وصف تحطيم أسطول (الارمادا) الاسبانى على يد الانجليز : « . . هذا وانه لما كنتم خصوصا تولاكم الله من أولياء هذا المقام المعتد بولائهم ، وأحباء هذا الجناب المقطوع بصحـــة ودهم واصطفائهم ، وكان أهل ذلكم القطر السوسـى عموما الشـعار لهذه الدولة الكريمة والدثار ، والأنصار الذين لا تستحيل نياتهم على مر الدهور والاعصـار ، تعين أن نسـاهمكم من كل بشـرى ترد علينا وبشـارة ، ونقاسـمكم ما يتصل بمقامنا العلى فى كل عهد وأوان من الأنباء السـارة ، وذلكم أن عدو الدين الكافر جدد الله حزنه ، وقوض ركنه ، وهو طاغية قشتالة الـــذى هو اليوم ضد الاسلام ، وعميد الشرك الذى يشرع اليه اللهدم والحسـام ، كان من أمره مع سلطانة بلاد نكلطيرة التى قيض الله له منها عـــدوا مـــن جنسـه ... » (5)

أما المقامات فمن احسنها المقامات الزهرية لمحمد المكلاتى (المتوفى

---

(4) هى قصيدة طويلة فى 13 صفحة . انظرها كاملة فى مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، ج 594 ، ص · 107 ــ 119 ·

(5) انظرها كاملة عند ع · كنون ، **رسائل سعدية** ، ص · 150 ــ 157 ·

عام 1041 = 1631 — 32) : « حدثنا بشر بن سرور ، عن سهل بن ميسور ، عن الضحاك بسنده عن بسام ، قال : تراءت لى من الأمانى الوجوه الوسام ، وأنا من نشاط الشبيبة وافر الحظوظ والأقسام ، لم يفتنى من قواعد اللهو الا الحج ، فأقمت من قول القائل وظائف العج والثج ·

أحجج الى الروض لتحظى به وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالروض فى زهره من قبل أن يحلق قد قصرا

فلبيت داعيه ، وأصغيت اليه بأذن واعية ، وازمعت المجاز ، الى المشاعر التى ليس بينها وبين اللذات حجاز ، وأعملت يعملات العزم ، وأدخلت على معتل التوانى عوامل الجزم ، فتخيرت من السمر أطيب أوقاته ، وأحرمت مع حجيج الانس من ميقاته ، وسرت والنسيم معتل ، وخد الثرى بمدامع الانداء مبتل ، فأتيت روضا قد تولاه الولى ، ووسمه الوسمى ، وأظلته رايات الصباح ، وباكرت الصبا تقبيل نوره من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادى من ثغور الاقاح ، فأقمت منه :

حيث الغدير وقد أجادت نقشه كف النسيم ومرها فى جوشن
وغصون أدواح الرياض تهزها نغم القمارى بالغناء المحسن
ما بين ثغر للأقداح مفلج وجبين نهر بالنسيم مغضن
ووجوه هاتيك الرياض سوافر غيد تزان فى المياه بأعين (6)
والأرض تجلى فى رياض أخضر والجو يبرز فى قناع أدكن . »

وهى طويلة ينطق فيها الكاتب مختلف الأزهار بما لها من محاسن ومفاتن ، حتى اذا عرفها فى الاخير بفضائل شيخ زاوية الدلاء محمد بن أبى بكر ، اعترفت الأزهار والغمام والشمس كلها له بالفضل والتقديم · ومثلها مقامة محمد بن عيسى (المتوفى عام 990 = 1582) الذى قلد فيها ابن شهيد فى التوابع والزوابع ، الا أنه لم يبالغ مثله فى التهكم ، وانما اكتفى

---

(6) انظرها كاملة عند ع · كنون ، **النبوغ** ، 2 : 188 — 200 ·

فى نقده باشارات خفيفة الى مواطن الضعف عند معاصريه من الكتـــــاب والشـعراء · ومنها :

« قلت : وأين العلامة المفتى ، ابو مالك عبد الواحد بن أحمــــــد الحسنى ؟ فقال : الحسب الباهر ، والشرف الطاهر ، وبحر العلوم الزاخر، ومنسى الأوائل ومعجز الاواخر ، لو فاخر لم يجد من مفاخر ، وان الدهر لساخر ، بمن يطاول من فلك ادراكه فى بحر العلوم مواخر · كان فى أوله — كما تعلمون — كاتبا وقف دون غايته الأقدمون ، وأديبا يحاضر بفنون ، وبحرا يقذف باللؤلؤ المكنون ، ثم لما شاب مفرقه ؛ وازدهى ببيانه مغربه ومشرقه ، نبذ الانشاء قلمه ومهرقه ، وتخلى الا عن التلاوة والتدريس منطقه ، فصير للفتوى والمنبر ، وأخذ فيما يرد به على حضرة الملك الأكبر ، عالما بحقيقة ما استقبل ومجاز ما استدبر ... » (7)

على ان فن المقامة الذى سيبلغ الأوج ، بعد مرور قرن ، مع محمد بن الطيب العلمى كما سيأتى ، قد اخذ شكله منذ هذا العصر ، وصار من أحسن ضروب النثر فيه (8) ونشير فى ختام كلامنا على النثر الى نوع آخر منه موجه الى الأموات الصالحين ، وقد برز فيه الكاتب أحمد بن عبد الحميد الانصارى (المتوفى عام 1045 = 1635) الذى قلد لسان الدين بـــن الخطيب ، وكتب على لسان الملك الوليد السعدى مخاطبا الجنـــــاب النبـــوى :

« من سبط أرومتك السنية ، وفرع دوحتك الحسنية ، الذى أقام للعدل قسطاسه ، وانار للحق مشكاته ونبراسه ، وخصه بامرة المغرب من بيده الامر كله ؛ فأسفر عن صبح اللنصر العزيز رمحه ونصله ؛ واشتمل على خواص الشرف الوضاح نسبه وفضله ، وطابت فروعه لما استمد

(7) انظر نابع ذلك عند م . ابن تاويت ، و م . الصادق عفيفى ، **الأدب المغربى** ، ص . 432 — 434 .

(8) بالعكس من ذلك لا نجد فى المشرق من الكتاب المجيدين غير الخفاجى (المتوفى عام 1069 = 1658) ؛ والبديعى (المتوفى عام 1073 = 1662) .

من ريحانتى الجنة أصله، الوليد بن زيدان المعتصم بسببك ، المستمسك بالله ثم بك ، المستشفى بذكرك كلما تألم ، المفتتح بالصلاة عليك كلما تكلم ، لاثم تربك ، ومؤمل قربك ، المتوسل بك ، الى رضى ربك ، ومستمنحك مضاعفة السعود ، والقضاء لكماله بالبقاء والخلود ، وأن يؤيده الله تعالى بنصره ، ويمنحه ما لم يمنح ملكا فى عصره ، وان يكون له معينا وناصرا ، ولعدوه قاصما وقاهرا ... » (9)

هكذا نكون قد أتينا بايجاز على مختلف الأنواع والمواضيع التى عرفها الادب المغربى خلال أحد عشر قرنا من تاريخه . وفى هذه الفترة المشخصة فى خمسة أدوار مختلفة من حيث الامتداد الزمنى ، رأينا هذه الأنواع والمواضيع الادبية التى كانت قليلة فى البداية ، تتقدم جنبا الى جنب مع الغمرات السياسية والعرقية (الايطنوغرافية) والاجتماعية والدينية بالمغرب ، وقد قلدت الشرق تارة ، والاندلس أخرى ، قبل أن تأخذ مظهرها النهائى وطابعها الوطنى .

انه ليمكن للأدب المغربى أن يفتخر ، بحق ، بأنه كان فى طور من أطوار التاريخ أدب النبغاء فى العالم العربى ، وأسهم بفعالية فى ازدهار بعض الانماط الشعرية ، كالموشح والملحون ، والاغراض النثرية كالرحلة والمقامة .

واذا كان مما يلفت النظر ان تقدم الأدب المغربى أو تقهقره قد سار عكسيا مع تطور الأدب فى الشرق أو الغرب ، فاننا نتساءل عن حظ هذه الانواع والمواضيع الادبية فى بلادنا خلال القرنين ونصف القرن التالية ، والتى اخترناها موضوعا لبحثنا ؟

ذلك ما سنحاول أن نعرضه فيما يأتى .

---

(9) انظر هذه الرسالة كاملة عند ع . كنون ، **رسائل سعدية** ، ص . 13 — 16 .

شجـرة نسب الشرفاء العلويـــين

(من حسن الداخل الى الحسن الاول)

حسن الداخـل
|
محمـد
|
الحســن
|
على الشريف السجلماسى
|
يوسـف
|
علــى
|
محمـد
|
على الشريف المراكشى
|
الشريف

محمـد	الرشيد	اسماعيل
(1050 — 1075)	(1075 — 1084)	(1084 — 1139)
(1640 — 1664)	(1664 — 1672)	(1672 — 1727)
احمـد الذهبى		عبد اللـه
(1139 — 1141)		(1141 — 1171)
(1727 — 1728)		(1728 — 1757)
		محمـد
		(1171 — 1204)
		(1757 — 1789)

اليزيد	هشام	سليمان
(1204 — 1206)	(1206 — 1211)	(1206 — 1238)
(1789 — 1792)	(1792 — 1796)	(1792 — 1822)
		عبد الرحمـن
		(1238 — 1276)
		(1823 — 1859)
		محمـد
		(1276 — 1290)
		(1859 — 1873)
		الحسن الاول
		(1290 — 1311)
		(1873 — 1894)

العصـــــر الاول ·

(من عام 1075 الى عام 1171 = 1664 — 1757) ·

اعطينا فى الفصول السابقة نظرة عامة عن تطور الادب المغربى الى ما قبل العهد العلوى ، وامكننا أن نتتبع مختلف الاطوار التى مر بها هذا الأدب أثناء الادوار التاريخية الخمسة التى قطعها ، ثم تساءلنا عن مصيره اثر حركة النهضة التى عرفتها البلاد منذ النصف الثانى من القرن العاشر = XVI ، وقلنا ان هذه النهضة اثرت فى الحياة الفكرية كلها ، وان الباعث لها هم ، من جهة ، السعديون الذين كانوا يتمتعون بتقدير عظيم نظرا لنسبهم الشريف ، ومن جهة ثانية الزاوية الدلائية التى انجبت كثيرا من الادباء البارعين · ورغم ما حدث من تغيير فى الدولة فقد استمر تأثير هذين العاملين ، لأن الملوك الجدد هم أيضا من سلالة الرسول الكريم ، ولان الزاوية الدلائية لم توقف نشاطها لهذا التغيير ·

ان الفترة التى ننوى دراستها هنا ليست ســوى امتداد للفتــرة السابقة ، ومن الوجهة السياسية تبتدىء باعتلاء مولاى الرشيد العرش عام 1075 = 1664 ، وتنتهى بنهاية عهد مولاى عبد الله بن اسماعيل (1171 = 1757) · وقبل أن نأخذ فى رسم لوحة للحياة الادبية فى هذا العصر ، يظهر من المفيد أن نشير اشارة خفيفة الى الأحداث التاريخية البارزة ، ونتحدث قليلا عن الدور الذى قامت به الزاوية الدلائية التى يمكن أن تعتبر حلقة اتصال بين العهدين السعدى والعلوى ·

ا — الحيـــاة السياسيـــة ·

1 — أصـــل العلويـــين :

يتصل نسب العلويين بعلى بن أبى طالب عن طريق الحسن السبط ، فابنه الحسن المثنى ، فعبد الله الكامل ، فمحمد النفس الزكية الخ · وقـــد استقروا بينبوع النخل من ارض الحجاز قبل ان ينتقل منهم الى المغرب الحسن بن قاسم المعروف بالحسن الداخل اواخر المائة السابعة = 1301 ،

ومات فى تاريخ غير محدد بسجلماسة من اقليم تافيلالت حيث كان يتمتع بسمعة طيبة . وامتاز من أحفاده على الشريف بالزهد وحركات الجهاد المظفرة فى الاندلس وناحية اكدج من بلاد السودان ، وانتصر ابنه الشريف على خصومه بنى الزبير ، لكنه وقع فى يد منافسه الأمير أبى حسون السملالى عام 1041 = 1631 وبقى اسيرا فى سوس الى ان خلصه ابنه مولاى محمد عام 1047 = 1637 . ولما بويع مولاى محمد بن الشريف عام 1045 =1636 بسط نفوذه على بلاد درعة والاقاليم المتاخمة لها فضمها الى منطقة نفوذه الاولى بتفيلالت . وخشى محمد الحاج الدلائى الذى كان يسيطر آنذاك على نواحى فاس ومكناس من بأس الامارة العلوية الناشئة ، فهاجم مولاى محمد بن الشريف وهزمه ودخل سجلماسة عام 1056 = 1646 ، ثم أمضى الرئيسان الدلائى والعلوى معاهدة صلح لم تعمر طويلا . وفى عام 1060 = 1650 دخل مولاى محمد الى فاس ، لكن الدلائيين أخرجوه منها بعد سنة ، وبقيت بأيديهم الى عام 1070 = 1659 . وفى اثناء هذه المدة استولى مولاى محمد على وجدة ، وهاجم تلمسان ، وكان عليه أن يقاتل أخاه مولاى الرشيد الذى أخذ ينافسه فى الامارة بعد وفاة والدهما الشريف بن على عام 1069 = 1658 ، ومات مولاى محمد فى المعركة يوم 9 محرم 1075 = 2 غشت 1664 .

2 — مولاى الرشيد (1075 — 1084 = 1664 — 1672) .

ا — مدة حكمه .

بويع مولاى الرشيد بعد موت اخيه فدخلت فى طاعته القبائل التى كانت خاضعة لأخيه ، ثم استولى على تازا وضواحيها . ولما عزم على الخروج الى فاس بلغه ان اهلها قد تسلحوا لمحاربته ، فأعرض عنهم وتوجه الى سجلماسة ، واخذها عنوة بعد ان حاصرها طوال تسعة اشهر . ثم عاد الى تازا وعمل على تقوية جيشه . وفى 3 ذى الحجة عام 1076 = 6 يونيه 1666 استولى على كل من فاس الجديد والقديم ولم يبق عليه الا أن يخضع بعض الجهات كآيت ولال فى الجنوب وبنى زروال وتطوان فى

الشمال · على أن اصعب مهمة كانت تنتظره هى التغلب على الدلائيين خصومه الألداء ، وانتهى به الامر الى تخريب زاويتهم فى 8 محرم عام 1079 = 18 يونيه 1668 ، ونقل رئيسهم محمد الحاج مع ابنائه وعشيرته الى فاس حيث بقوا بعض الوقت قبل ان يرحلوا الى تلمسان · وفى 28 صفر من نفس السنة = 7 غشت دخل مولاى الرشيد الى مراكش · وفى عام 1081 = 1670 سقطت فى يده تارودانت ثم ايليغ عاصمة ابى حسون السملالى · ومات مولاى الرشيد عند ما جمح به فرس فى بستان المسرة بمراكش فأصابه فرع شجرة نارنج وهشم راسه ، وذلك فى 2 ذى الحجة عام 1082 = 31 مارس 1672 ·

ب — **أعماله** : ضرب السكة وبنى قنطرة سبو خارج مدينة فاس ، ونظم جيش شراكة ·

ج — **آثاره فى الميدان الثقافى** : كان مولاى الرشيد كسلفه المنصور السعدى نصيرا للآداب ، يحضر المجالس العلمية بالقرويين ، ويحب مناقشة العلماء ويغدق عليهم من عطاياه ، كما كان يشجعهم على التبحر فى المعرفة والاشتغال بتأليف الكتب ، فعرف كيف يخلق بينهم تنافسا محمودا كان من نتائجه تقوية الحركة الثقافية مما حمل أبا على اليوسى ان يقول فى رسالته لمولاى اسماعيل : « ... ثم جاء المولى رشيد بن الشريف فأعلى مناره (اى العلم) ، واوضح نهاره ، واكرم العلماء اكراما لم يعهد ، وأعطاهم ما لا يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ، فضح من قبله ، واتعب من بعده . ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلدة » (1)

هذا التقدير للعلم والعلماء طبقه بالفعل مولاى الرشيد فى منجزات محسوسة ، فشيد مدرسة الصفارين بفاس على طراز بديع ليسكنها الطلبة ويتعلموا فيها ، وقد ابتدأ العمل فى بنائها عام 1081 = 1670 ، ولم ينته الا عام 1089 = 1678 أيام حكم اخيه مولاى اسماعيل ، وتحتوى على

(1) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط عدد ج 849 ، ص · 16 ·

ثلاث طبقات ، فيها مائة وثلاثون بيتا تفتح أبوابها فى ممرات داخلية متصلة بالممر الرئيسى وقبة الصلاة .

ومدح أبو زيد عبد الرحمن الفاسى آتى الترجمة هذه المدرسة بقوله :

انظر لبهجة بيت الله يارائى وسرح الجفن بين أرجائى
تخالها جنة تزهى مزخرفة بطيب الزهر من أنفاس قراء

وبنى مولاى الرشيد أيضا الخزانة العلمية بالجانب الجنوبى من الجامع الأعظم بفاس ، حسبما ذلك منقوش بأحرف بارزة بأعلى الرفوف التى توضع بها الكتب ، وأوقف عليها جميع المؤلفات القيمة التى كانت تحتوى عليها لحفظها وتمكين القراء من الاستفادة منها · واليه يرجع الفضل فى تنظيم نزهة الطلبة السنوية (2) التى ما زالت تقام حتى اليوم بفاس أثناء فصل الربيع لتنشيط الطلبة وشحذ هممهم بخلق جو التنافس بينهم · ومن المعلوم أن هذه العادة ابتدأت على اثر فتكه باليهودى ابن مشعل فى حصنه بجبال بنى يزناسن بمساعدة نحو خمسمائة طالب ·

وقد ازدادت الحركة الثقافية نشاطا فى المغرب ، وفى فاس بالخصوص ، بنقل جهابذة العلماء والأدباء من زاوية الدلاء الى جامعة القرويين ، ولم تلبث أن نشأت بين علماء المدينة الادريسية وعلماء البادية الوافدين منافسة حادة كانت خيرا وبركة على تقدم العلوم وازدهار الآداب · هذا بالاضافة الى الظروف المادية الحسنة التى أخذ المغرب يعرفها مما يسر بداية هذه النهضة ، فاستقامت الاحوال الاقتصادية حتى أمكن للملك « أن يقرض التجار الفاسيين لتسيير الازدهار الاقتصادى » (3) ، ونتج عن ذلك رخاء عظيم وانخفاض كثير فى سعر

---

(2) انظر تفاصيل هذه النزهة عند بـ . دوسينيفال ، **قصة اليهودى ابن مشعل** ، **هسبريس**، جزء 5 ، 1925 ، ص 137 — 218 ·

(3) ر · لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، ص · 83 ·

القمح وغيـــره . (4)

3 ــ **الزاويـــة الدلائيـــة** ·

قبل أن نتطرق الى الاحداث السياسية التى أعقبت وفاة مـــولاى الرشيد ، لابد من اعطاء نظرة وجيزة عن هذه الزاوية التى سبق أن اشرنا اليها غير ما مرة ، والتى ارتبط مصيرها فى النهاية بهذا الملك ·

ا ــ **الموقـــــع** ·

ظل موقع الزاوية الدلائيـــة مجهولا مدة طويلة وان كان يعرف أنها فى تادلا بنواحى خنيفرة ، فتبين أنها هى زاوية آيت اسحاق الحالية علـــى بعد 36 كلم جنوبى خنيفرة · (5)

ب ــ **التأسيـــس** ·

لا يعرف بالضبط متى أسست الزاوية الدلائية ويظن أنها بنيـــت حوالى عام 974 = 1566 من طرف الشيخ أبى بكر بن محمد الدلائـــى (المتوفى عام 1021 = 1612) ، لذلك تدعى أيضا الزاوية البكرية نسبة لاسم مؤسسها ·

ج ــ **الادوار التى قامـــت بهـــا** ·

كان أهم دور قامت به الزاوية الدلائية نشر الطريقة الشاذليـــــة المتصلة بالامام أبى القاسم الجنيد (المتوفى عام 277) · (6) وايواء الفقراء وأبناء السبيل واطعامهم ·

د ــ **شيوخ الزاويـــة الدلائيـــة** ·

بالاضافة الى المؤسس أبى بكر الدلائى ، تولى تسيير الزاوية ابنه

---

(4) انظر أ · الناصرى ، **الاستقصا** ، 7 : 44 .

(5) انظر م · حجى ، **الزاوية الدلائية** ، ص · 34 ــ 38 .

(6) **المصدر السابق** ، ص · 48 ــ 56 .

محمد (المتوفى عام 1046 = 1636) ، فحفيده السلطان محمد الحاج ، وهو أول من اشتغل بالسياسة من هذه الاسرة ، بويع ملكا على المغرب فى فاتح ربيع الثانى عام 1061 = 24 مارس 1651 · وبعد أن حصل على انتصارات متوالية فى حروبه ضد السعديين ، وبعض الطامعين فى الملك ، والأسبانيين فى المهدية ، انهزم أمام مولاى الرشيد فى معركة بطن الرمان قرب الزاوية الدلائية أوائل عام 1079 = أوائل يونيه 1668 فنفى مع أهله الى تلمسان حيث مات عن سن عالية فى 4 محرم عام 1082 = 14 ماى 1671 ·

هـ ـ **نهايتهـا** ·

هدم مولاى الرشيد الزاوية الدلائية وفرق أهلها فى جبال الاطلس الا العلماء منهم فنقلهم ، ومعهم الحسن اليوسى ، الى مدينة فاس ·

و ـ **الدور الثقافى للزاوية الدلائية** ·

لم يكن للدلائيين فى البداية غاية يعملون لتحقيقها غير تلقين الطريقة ونشر العلم ، لكن الوضعية المتدهورة فى المغرب أيام المتأخرين من السعديين دفعتهم الى الاشتغال بالشؤون السياسية لتأمين السبل ونشر الطمأنينة بين الناس · وسيبقى هذا الدور الصوفى ـ الثقافى للزاوية الدلائية قائما بعد تخريبها ، اذ لم يمض الا وقت قصير حتى تصدر عشرات العلماء الدلائيين ، وفيهم المحدثون والمتكلمون والفقهاء والنحاة والادباء ، كراسى التدريس فى فاس ومكناس وغيرهما ، وبرز منهم على الخصوص فى المدينة الادريسية المشاركان محمد المرابط (المتوفى عام 1098 = 1678) مؤلف **نتائج التحصيل فى شرح التسهيل** ومحمد الشاذلى (المتوفى عام 1103 = 1691) ، بالاضافة الى أحمد بن المسناوى ، ومحمد بن أبى عمر ، وأحمد بن الشاذلى ، ومحمد بن عبد الله بن محمد الحاج ، الذين كانوا يدرسون الأدب وقواعد اللغة ، وكان الدلائيون محط عناية مولاى الرشيد قبل أن يألفوا مساكنهم الجديدة بفاس ، يجالس فى قصره اليوسى ومحمد المرابط

ويتحدث اليهما فى غير كلفة · وأنشد يوما معرضا بمحمد المرابط الحاضر فى المجلس هذا البيـت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عــدوا له ما مــن صداقته بـــد

فقال المرابط : « يا أمير المؤمنين ، ان من حسن حظ المرء أن يكون عدوه عاقلا » · فاستحسن الرشيد والحاضرون بداهته وحسن اجابته .

4 — مولاى اسماعيــل (1084 — 1139 = 1672 — 1727) :

أ — مــدة ملكــه ·

بويع بعد وفاة أخيه مولاى الرشيد ، وهو يومئذ نائبه بفاس الجديد ، ثم توجه الى مكناس واتخذها عاصمة له · وقد لاقى من العناء ما لاقاه سلفه فى اخماد نيران الفتن وخضد شوكة الطامعين فى الملك · وهكذا اضطر الى محاصرة فاس ومراكش ، ومحاربـة أخيه الحران وابن أخيه محـرز · بالاضافة الى القضاء على ثورات برابرة صنهاجة المتوالية فى الاطلس بقيادة أحمد بن عبد الله الدلائى (7) وقد كللت جهود مولاى اسماعيل فى تحرير الثغور المحتلة بالنجاح ، فاسترد من يد العدو المحتل على التوالى المهدية (15 ربيع الثانى عام 1091 = 4 ماى 1681) ، وطنجة (فاتح جمادى الاولى 1095 = 16 أبريل 1684) ، والعرائش (18 محرم عام 1111 = 16 يوليوز 1699) ، وأصيلا (عام 1112 = 1700) ، ولم تفتح له سبتة رغم محاصرته لها أكثر من مرة ·

ب — أعمالـــه ·

يعتبر مولاى اسماعيل من أكبر المعتنين بالتشييد والعمران ، فبنى أو جدد كثيرا من المنشآت فى مكناس وسائر بلاد المغرب ، وقوى جيشه بانشاء عسكر عبيد البخارى ، وربط العلاقات الودية مع أوربا والحكومة

---

(7) انظر م · حجى ، **الزاوية الدلائية** ، ص · 238 — 240 ·

التركية بالجزائر ·

جـ ـ منجزاته فى الميــدان الثقافــى :

تابع مولاى اسماعيل الاعمال التى بداها أخوه فى الميدان الثقافى ، ونظرا لطول مدة حكمه فان منجزاته كانت أكثر وأهم ، بحيث ان العلوم والآداب ازدادت تطورا واتساعا (8) فكان ـ كسلفه ـ يحب الاجتماع بالعلماء وكبار رجال الدولة ، وهكذا دعا علماء فاس خلال شهر جمادى الاولى عام 1100 = فبراير ـ مارس 1688 لحضور حفل أقامه بمناسبة ختم (سلكة) تفسير القرآن الكريم باشراف الامام القاضى أبى عبد الله المجاصى (المتوفى عام 1103 = 1691) ، وجرى هذا الحفل فى بيت السلطان الخاص بالقصر حيث نصب منبر التدريس · ولما انتهى الدرس شوهد السلطان نفسه يخدم ضيوفه أثناء تناولهم للطعام ويوزع عليهــم عطاياه ·

وقد قال اليفرانى فى **الظل الوريف** فى السمط السابع منه : « حدثنا غير واحد من اشياخنا قال : كنا فى زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله على صورتها ولا نلفى من تضلع به ، بل كانت الأرجوزة المسماة بالسلم ـ لعبد الرحمن الاخضرى الجزائرى من رجال القرن 16 ـ لا يعرفها غير رجل أو رجلين ، فلما مهد الله لهذه الدولة الأكناف ، وأسمى قدرتها وأناف ، تدفقت على الناس العلوم ودانت صعاب الفنون حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة ، ويكون لهم فيها عارضة مديدة ، وقد تخرج فى هذه الدولة السعيدة جماعة من الاعلام لهم القدم الراسخ فى العلم واليد الطولى فى الاتقان ، والفوا تآليف حسنة » (9)

وبنى مولاى اسماعيل أو جدد عددا من المدارس والمساجد فى مختلف

(8) هذا بعكس ما كان يدعيه اليوسى فى رسالته التى سبقت الاشارة اليها ، لانه كان يحقد على مولاى اسماعيل لأسباب عدة · (انظر ج · بيرك **اليوسى** ، ص 91 ـ 93 ·

(9) ع · ابن زيدان ، **احياء العلــوم ، مجلة المغــرب** ، السنــة الخامسة ، نونبــر ـ دجنبر 1936 ، ص 8 ، نقلا عن **الظل الوريف** لليفرنــى ·

مدن المغرب ، فى مقدمتها مسجد آسفى (1105 = 1693) ، ومساجد للا عودة (10) ، وبريمة ، والصهريج بمكنـــاس (1130 = 1718) ، ومسجد درب الزهراء بالرباط ، والشهود بمكناس (1130 = 1718) . وتدل القصة التالية على ما كان يبذله من عناية لتشجيع الأدباء وحملهم على التنافس : خرج ذات يوم يتنزه فى القصر وخلفه جارية وسيمة حاملة لسيفه ، فاستنزل قرائح الكتاب فى وصفها ، فقال فى ذلك الأديب عبد الحق السحيمـــى :

حملت سيوف الهند وهى غنيـــة   عن حملهـــا ببواتـــر الأجفـــان
حســـب الفتـــاة جلالـــة ومهابـــة   عز الجمـــال وهيبـــة السلطـــان

وبالجملة فان مولاى اسماعيل من أعظم ملوك الدولة العلويـــــة ، استطاع اثناء المدة الطويلة التى قضاها فى الحكم أن ينشر الأمن من أقصى المملكة الى اقصاها (11) ويطرد العدو من أكثر الثغور المحتلة ، ويربط علاقات طيبة مع الخارج ، و ينمى الحالة الاجتماعية والثقافية ، غير أنه نظرا لما بذل من طاقات بشرية ومادية ترك البلاد بعده منهوكة فريسة للفوضى والشقاء .

5 — عهد الاضطرابات (1139 — 1171 = 1727 — 1757)

تنازع أمر السلطة بعد وفاة مولاى اسماعيل أبناؤه الكثيرون ، وطوائف الجند من قبائل جيش المغافرة والودايا وعبيد البخارى . وقد بسط هؤلاء الجند نفوذهم على السلطانين مولاى أحمد الذهبى (1139 — 1141 = 1727 — 1728) الذى لقب هكذا لسماحة أخلاقه ، ومولاى عبد الله (1141 — 1171 = 1728 — 1757) . واثناء ذلك تابعت الحياة الثقافية سيرها على مهل نحو التقدم ، واتم مولاى عبد الله الذى نصب على العرش

---

(10) انظر هـ . طيراس ، **مسجد للا عودة بمكناس** ، ملخص من المؤتمر الرابع لجامعة جمعيات علماء شمال افريقيا بالجزائر **الجمعية التاريخية الجزائرية** ، بدون تاريخ .

(11) هكذا بنى مولاى اسماعيل جدارا ممتدا من مكناس الى مراكش ليمكن لكل مسافر ولو كان أعمى أن يسير محاذيا له دون أن يضل أو يعتدى عليـــه .

اربع مرات عمل أبيه فى هذا الميدان · من ذلك أنه جدد مجموعة الكتب التى كان مولاى اسماعيل قد أمر وزيره أحمد بن الحسن اليحمدى (1) بجمعها ، وتشتمل على عشرة أجزاء فى مختلف العلوم ، لكل منها مقدمة فى ترجمة احد العشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) وأوقف الكتب النفيسة على جامع القرويين وغيره من المعاهد العلمية ·

ب ـ **الحياة الفكرية** ·

بفضل الجهود التى بذلها كل من مولاى الرشيد وأخيه مولاى اسماعيل من بعده فى المضمار الثقافى ، تمكنت حركة النهضة التى انبعثت مع قيام السعديين من أن تستمر طوال هذا العصر · حقا أن النتائج السيئة التى كان من المعقول التخوف منها بسبب هدم الزاوية الدلائية لم يمكن تفاديها فحسب ، ولكن ذلك عاد بالخير والبركة على العلم والثقافة · ففى فاس التى نقل اليها كبار علماء الدلاء مع الامام أبى على اليوسى ، لم يمض وقت قصير حتى تصدر هؤلاء العلماء البدو كراسى التدريس وأخذوا ينافسون منافسة قوية علماء الحاضرة الادريسية ·

فبعد أن استوحش الدلائيون فاس عندما نفوا اليها وكابدوا من « وخم المدينة » مدة أخذوا يألفون العيش فيها ، وساعدهم على ذلك وشجعهم السلطان مولاى الرشيد ، وتمت عملية الاندماج مع أبناء هؤلاء الوافدين فى الوسط الفاسى الذى فتحوا اعينهم فيه ، مكونين بذلك جيلا جديدا اشتهر فى النصف الثانى من عهد السلطان مولاى اسماعيل ·

باستثناء التاريخ (3) الذى يعتبر الافرانى أهم شخصية بارزة فيه ،

---

(1) انظر ع · الزرويلى ، **سنا المهتدى** ، ميكروفيلم رقم 791 من المكتبة العامة بالرباط

(2) نذكر بأن أصحاب النبى عليه السلام العشرة المبشرين بالجنة هم الخلفاء الراشدون (أبوبكر وعمر وعثمان وعلى) · وطلحة بن الزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح ·

(3) انظر عن هذا الموضوع ، ل · بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص · 141 ـ 142 ·

فان سائر العلوم قد تقدمت بكيفية تدريجية مناسبة ، وسنستعرض هذه العلوم محاولين استخراج قيمتها واصالتها بالنسبة للعصور السابقة ، ونذكر من الف فيها وأهم ما ألف ·

1) العلـــوم الشرعيـــة :

لكى ندرك تطور هذه العلوم خلال العصر الذى ندرسه ، لابد من اشارة خفيفة الى المراحل الاساسية التى قطعتها على عهد الدول العظيمة السابقة : المرابطية والموحدية والمرينية · فمنذ القرن الخامس = 11 م ، والأمبراطورية الصنهاجية فى كمال سطوتها ، خضعت بلاد المغرب عموما والمغرب الاقصى خصوصا ، الى مذهب عبد الله بن ياسين (4) الذى كان يدعو الى الرجوع الى الاسلام السنى · فبدلا من الرجوع الى الاصلين الأصيلين · — القرآن والسنة — والى الاجتهاد (5) للبث فى مسائل القضاء ، تشبث الفقهاء بآراء علماء مذهب مالك مكتفين بترديد أقوال المتقدمين وشرحها أو اختصارها ، فصاروا بذلك أشبه بقراء كتب منهم بعلماء باحثين · وقد أهملت دراسة الاصول (6) بل منعت واستعيض عنها بدراسة الفروع (7) الفقهية من عبادات ومعاملات ، وكان للفقهاء الرجعيين السلطة المطلقة فى تنفيذ الأحكام ·

وفى أيام الموحدين (550 = 1155) وقع اصلاح فى الميدان الدينى تمثل فى الرجوع الى الاجتهاد والبحث فى القرآن والحديث باعتبارهما مصدرى الدين والتشريع · منع التقليد المالكى ، وقام أحد الملوك الأولين (7) لهذه

---

(4) انظر أخبار ابن يا سين فى مادة **المرابطين** من **دائرة المعارف الاسلامية** 1 : 322 — 323 ·

(5) انظر **المصدر السابق** ، مادة **اجتهاد** ، 2 : 476 — 477 ·

(6) **المصدر السابق** ، مادة **أصول** ، 4 : 1112 — 1116 ·

(7) **المصدر السابق** ، مادة **فقه** ، 2 : 110 ·

(7) يتعلق الامر بعبد المؤمن أو بحفيده يعقوب المنصور · أنظر م · المنونى ، **العلوم والآداب** ، ص · 51 — 52 ·

الدولة يعطى المثل فى ذلك ، فأمر باحراق **مدونة** سحنون (8) **وكتاب** ابـــن يونس (9) **والنوادر** ، **والمختصر** لابن ابى زيد القيروانى (10) **وتهذيب** البراذعى (11) **والواضحة** لابن الحاجب (12) ووقعت الاستعاضة عن هذه الكتب المحروقة **بموطأ** الامام مالك بن أنس . (13) **وسنن** البزار . (14) **ومسند** ابن ابى شيبة . (15)**وسنن** الدارقطنى (16) **وسنن** البيهقى (17) بالاضافة الى الكتب الخمسة الصحاح : **سنن** أبى داوود (18) **وجامـــع** الترمذى (19) ، **وسنن** النسائـــى (20) ، **وصحيحـــا** البخـــارى (21) ومسلم (22) وكانت هذه الكتب الخمسة الاخيرة تكون رمز المملكـــة الموحديـــة .

ولما جاء المرينيون ألغوا اجراءات الموحدين المتخذة لصالح المذهب الظاهرى ، واقروا من جديد المذهب المالكى حيث ما زال العمل جاريا به الى ايامنا هذه .

وخلال الفترة الاولى التى امتازت باعتلاء العلويين العرش ، سجلت

---

(8) سحنون عبد السلام (159 — 242 = 776 — 856) قاضى القيروان الذى نشر المذهب المالكى فى شمال افريقيا . انظر ك . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 1 : 77 ، **والملحق** 1 : 299 .

(9) انظر **المصدر السابق** ، 1 : 387 . **والملحق** ، 2 : 963 .

(10) **المصدر السابق** ، 1 : 177 . **والملحق** ، 1 : 300 .

(11) **المصدر السابق** ، 2 : 239 . **والملحق** ، 2 : 337 .

(12) **المصدر السابق** ، 2 : 36 . **والمحلق** ، 2 : 35 .

(13) **المصدر السابق** ، 1 : 175 . **والملحق** ، 1 : 297 .

(14) **المصدر السابق** ، 1 : 518 . **والملحق** ، 1 : 274 .

(15) **المصدر السابق** ، **والملحق** ، 1 : 215 .

(16) **المصدر السابق** ، 1 : 165 . **والملحق** ، 1 : 275 .

(17) **المصدر السابق** ، 1 : 363 . **والملحق** ، 1 : 618 .

(18) **المصدر السابق** ، 1 : 161 . **والملحق** ، 1 : 266 .

(19) **المصدر السابق** ، 1 : 161 . **والملحق** ، 1 : 267 .

(20) **المصدر السابق** ، 1 : 162 . **والملحق** ، 1 : 269 .

(21) **المصدر السابق** ، 1 : 157 . **والملحق** ، 1 : 260 .

(22) **المصدر السابق** ، 1 : 160 **والملحق** ، 1 : 265 .

بعض الاعمال فى هذه العلوم الشرعية ، وظهرت أسماء لامعة مثل محمد ابن أبى بكر الدلائى ، ومحمد بن ناصر الدرعى ، وعبد القادر الفاسى ، والحسن اليوسى ، وابن رحال المعدنى ، ومحمد بن عبد السلام بنانى ، وعبد الرحمن الفاسى ، وأبى سالم العياشى وغيرهم . هؤلاء الاعلام حاولوا أن يبعدوا كل ما من شأنه أن يحرف الحقيقة أو يفتح باب اللبس ، مقلدين فى ذلك طريقة ابن عرفة التونسى (23) الذى كان يوصى بالاكتفاء بتفهم ، المتن وتحليل الشرح فى تلقين العلوم الدينية .

اخذ بهذه الطريقة الشيخ محمد ابن ناصر ونقلها الى تلميذه الحسن اليوسى . اما العياشى فسيذهب الى أبعد من ذلك ناصحا بالصعود الى اعلى ما يمكن فى سلسلة رواية الحديث ، سالكا بذلك طريق الشيخ محمد بن عبد الله معن (24) التى أخذها بدوره عن ابن المبارك (25) . ونقف مع محمد بن سليمان الرودانى (26) على تطور فى ميدان اختيار كتب الحديث يستهدف جمع اكبر عدد منها ، منتقلا من الخمسة الصحاح الى الثمانية ، بادخال **سنن** البزار التى أقرها الموحدون . كما نجد العالمين الفاسيين عبد القادر وابنه عبد الرحمن بصفة خاصة يسيران قدما فى تنمية منهج الفقه المتعلق بأحكام القضاء الذى دشنه أحمد الونشريسى (27) فى **المعيار** . ويكونان **العمل الفاسى** (28)

وبالجملة ، فان دراسة هذه العلوم كانت مبنية على النقد المعقول ، معارضة للتقليد الأعمى للفقهاء المحافظين .

2) التصـــــوف .

كان من آثار الحروب الاهلية واحتلال بعض الثغور المغربية ظهور

(23) انظر **المصدر السابق** ، 1 : 184 ، **والملحق** ، 2 : 347 .
(24) انظر أخبار معن عند ل . بروفنســال ، **الشرفاء** ، ص . 267 وهامش 5 .
(25) عبد الله ابن المبارك . عالم مشهور من القرن الثانى هـ . = الثامن م .
(26) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص . 106 — 113 .
(27) انظر ترجمته عند كـ . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 2 : 248 — 356 . **والملحق** 2 : 348 .
(28) انظر **دائرة المعارف الاسلامية** ، 1 : 440 — 441 (الطبعة الجديدة) .

رد فعل دينى قوى لدى خاصة العلماء وعامة الناس ، ففيما يتعلق بالفقه تجلى ذلك — كما رأينا — فى العمل على الرجوع الى المنابع الاسلامية الأولى ، فى نفس الوقت الذى أخذت تبرز حركة مقاومة البدع التى يمكن أن تعكر صفو تلك المنابع . وبالتأمل فى عواقب الناس وجهل المجتمع وزندقته وبطلان هذا العالم وخداع ظواهره ، أصبح العلماء يعتقدون اكثر فأكثر بأن تلك المصائب التى حاقت بالمسلمين انما هى من اثر غضب الله تعالى ، فيزهدون فى ملذات الحياة ليعيشوا عيشة التقشف والنسك . وينتهى الأمر بمعظمهم الى القيام بأداء فريضة الحج حيث يجدون العزاء والتسلية، وذلك ما يبين سبب كثرة توجه المغاربة الى الشرق فى هذه الفترة ، ووفرة ما كتبوه من رحلات ، فى طليعتها **الرحلة العياشية** .

3) الرحلـــة .

حافظ هذا النوع من التأليف الى حوالى نهاية القرن الحادى عشر = XVII على الطابع الدينى الذى كان يمتاز به ، فلا تجد فيه الا القليل النادر من وصف الاقطار التى يمر بها الرحالة والاشخاص الذين يحتك بهم ، ولا تكاد تقف بالمرة على ملاحظات تتصل بالجوانب الجغرافية ، والعرقية (الايطنوغراغرافية) ، والاجتماعية . وبالمقابل تعثر فى هذا النوع على مباحث طويلة فى موضوعات فقهية وصوفية ، ونقول تتعلق بتراجم الصالحين والاجازات والأسانيد .

ان الذين يمثلون هذا النوع من الرحلات أصدق تمثيل هم ، بالاضافة الى العياشى ، احمد بن ناصر الدرعى (29) وعبد المجيد الزبادى (30) ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر - (31) ومع ذلك يلاحظ عند هؤلاء بعض التطور نحو مزيد من الشخصية والموضوعية فى وصف مشاهداتهم (32)

---

(29) انظر ترجمته فيما يأتى .
(30) انظر ترجمته فيما يأتى .
(31) انظر ترجمته فيما يأتى .
(32) انظر فيما يأتى مقتطفات من رحلات هؤلاء المؤلفين ، ص . 136 — 137 . 196 — 197 . 314 — 315 .

وستكتسى كتب الرحلات ابتداء من القرن الثانى عشر = XVIII طابعا ادبيا خالصا عندما يتسع افقها بامتداد الأسفار الى أوربا والاتصـــال بحضارة جديدة ومدهشة ٠

ولما كانت هذه الاسفار راجعة فى أصلها الى اقامة علاقــات ديبلوماسية بين المغرب وبعض الأقطار الاوربية كاسبانيا وفرنسا وايطاليا ، لاجل المصالح السياسية وتبادل الأسرى أو فدائهم ، فانها مكنت مختلف السفراء المبعوثين من قبل ملوك المغرب مــن أن يدونوا ملاحظاتهــم وانطباعاتهم عن البلاد التى زاروها ٠ وبما أنهم كانوا فى الغالب من رجال القلم فقد تركوا لنا مؤلفات أدبية مفيدة جدا (33)

أقدم الرحالة السفراء لهذا العهد ، الوزير الغسانى (34) الذى وجهه المولى اسماعيل عام 1102 = 1690 الى ملك اسبانيا كارلوس الثانى لمفاوضته فى شأن تبادل الأسرى لدى الطرفين على اثر معارك بحرية عديدة . وتشتمل الرحلة التى كتبها هذا الديبلوماسى خلال سفره الطويل فى اسبانيا على معلومات مفيدة عن البلاد وأخلاق أهلها ، وذلك ما يجعل منها كتابا أصيلا وأدبيا صرفا (35) وستعرف هذه الرحلـــة نجاحا عظيما فيستوحى منها أغلب الرحالة فى الجيل التالـــى .

4) التراجــم وعلــوم أخــرى .

من بين ما ألف فى موضوع التراجم نجد على الخصوص كتب سير وفهارس يلتزم فيها كل مؤلف بذكر شيوخه وما قرأ عليهم من مؤلفات ، مثل **فهرست** أبى سالم العياشى ، وعبد القادر الفاسى (حررها ابنـــه

---

(33) لمزيد من التوسع فى هذا الموضوع انظر مقالات م ٠ الفاسى المنشورة فى مختلف المجلات ، لا سيما :
أ — الرحالة المغاربة وآثارهم ، **دعوة الحق** ، عدد 2 ، 3 ، 4 ، يناير 1959 .
ب — الرحلة السفارية المغربية ، **البينة** ، عدد 6 أكتوبر 1962 ، ص ٠ 11 — 24
الاكسير فى فكاك الاسير ، منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط ، 1965 ، الف — راء .

(34) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص ٠ 122 — 125 ٠

(35) انظر تفصيل ذلك فيما يأتى ، ص ٠ 124 — 125 ٠

عبد الرحمن) ، والحسن اليوسى ، دون أن ننسى الفهرست القيمة التى عثر عليها اخيرا ، وهى **صلة الخلف** لابن سليمان الرودانى .

حقا ان نفس المؤلف الذى ما انفك مثار اعجاب مترجميه ، قد امتاز بخاصة فى علوم الفلك حيث صنع بيده اسطرلابات وكـرة أرضية لحساب مواقع النجوم وحركاتها : وسيشتهر مؤلف آخر أكثر من ذلك لكن فى ميدان اللغة ، اعنى محمد بن الطيب الشركى (36) الذى سيتخرج على يده علماء بارعون مثل الشيخ مرتضى الزبيدى (37) وسيكسبه شرحه الضخم **للقاموس** تقدير علماء المغرب والمشرق .

لكن ماذا يمكن ان يقال عن الطب الذى ستقترن به من الآن فصاعدا المع الاسماء التى عرفها هذا العلم بالمغرب كابن شقرون المكناسى (38) وعبد الوهاب ادراق ؟ (39) الحقيقة أن كلا منهما سينكشف لا عن طبيب ما هر فى العلاج فحسب ، ولكن أيضا عن مفكر عميق وفاحص حاذق .

وقبل ان ننتقل الى الأدب بمعنى الكلمة ، نشير الى ان هذه الفترة تميزت بانتاج كتابين بالغى الاهمية : **الأقنـوم** لاكبر مشارك مغربـى عبد الرحمن الفاسى ، **والقانون** للحسن اليوسى ، وهما مخصصـان للعلوم بصفة عامة ، الا ان أولهما عبارة عن دائرة معارف منظومـة فى بحر الرجز من النوع التعليمى ، والثانى نثر يبحث خاصة فى مسائل التعليم والدراسـة .

5) ا لا د ب .

ذكرنا فيما يتعلق بالزاوية الدلائية الظروف التى نقل فيها المولى الرشيد علماءها الى مدينة فاس وعلى رأسهم اليوسى الشهير ، واشرنا

---

(36) انظر ترجمته فيما يأتى .
(37) انظر ترجمته عند ك . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 2 : 288 . **والملحق** ، 1 805 ، 96 و 2 : 398 و 537 .
(38) انظر ترجمته فيما يأتى .
(39) انظر ترجمته فيما يأتى .

كذلك الى النشاط الادبى الذى كان عليه اولئك الاعلام الجبليون فى مقاومتهم علماء المدينة الادريسية · لقد ساعدت هذه العوامل الأدب ليس فقط على ان تمتد حركة النهضة التى ظهرت بوادرها مع مجيء السعديين الى الحكم، ولكن ايضا لتنمووتزدهر . ولما كان اليوسى مخضرما عاش ايام السعديين والعلويين ، وربما كان اكبر شخصية أدبية مغربية ، فانه يكون حلقة الاتصال بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر = XVII و XVIII ، وهو بدون منازع رئيس مدرسة سيستمر اشعاعها طويلا وتخرج تلاميذ موهوبين ، أمثال محمد ابن زاكور (40) ومحمد ابن الطيب العلمى (41) وعلى مصباح الزرويلى (42) انهم جميعا أستاذا وتلاميذ ، ماهرون فى الشعر مهارتهم فى النثر ، يطرقون جميع الانواع والمواضيع التقليدية ، غير انهم يمتازون بخاصة فى النثر الفنى ، ولهم فيه آثار جميلة · باستثناء ابن زاكور الذى سيتخصص فى النقد الأدبى ، ويتفوق فيه حتى على زملائه المشارقة (43) فان الآخرين جميعا سينكبون على نوع (المتنوعات الأدبية) حيث سيؤلف كل منهم على الاقل كتابا فى الموضوع · وهكذا سيتلو **محاضرات** اليوسى كتاب **الأنيس المطرب** للعلمى ، الذى سيجد بدوره نظيرا له فى كتابى **أنس السمير** ، **وسنا المهتدى** للزرويلى (44) ومن المعروف أن هذه الكتب ما هى الا تقليد مطابق **لقلائد العقيان** الذى عرف بالمغرب رواجا عظيما استمر حتى الربع الأول من هذا القرن (45) لكن بينما تختص **القلائد** بذكر منتخبات لأدباء الاندلس فى القرن الخامس = XI

---

(40) انظر ترجمته فيما يأتى · ص · 161 — 171
(41) انظر ترجمته فيما يأتى · ص 177 — 195 ·
(42) انظر ترجمته فيما يأتى ·
(43) حقيقة ان هذه الفترة فى المشرق داخلة فى نطاق عصر الانحطاط للادب العربى (1258 — 1800) · انظر ش · بيلا ، **اللغة والادب العربى** ، ص · 167 — 185 · ان هذا النقد المبنى على معلومات مدققة جدا فى اللغة والنحو والبلاغة كان اكثر دقة ومهارة .
(44) يضاف الى هذه الكتب **الحلل السندسية** لأحمد الحلبى ، وهو شامى مات بفاس عام 1120 = 1708 · انظر ل · بروفنسال **الشرفاء** ، ص 286 — 287 · ج · بيرك، **اليوسى** ، ص · 117 ·
(45) حسب رأى ل · بروفنسال ، يذكر **الأنس** اكثر **بالمتقى المقصور** لابن القاضى ، فيكون نظيرا له على هذا النحو ، انظر ل · بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص · 297 ·

نجد ظاهرة التنوع أكثر وضوحا فى الكتب الأخرى لاشتمالها على مزيد من ضروب القول والاستطراد ، كما ان الاشارات فى هذه الكتب تتعلق بالمغرب والاندلس والمشرق ، فتقدم كل ما هو نادر وطريف فى ميدان المعرفة ٠ لذلك فان قراءتها سهلة ممتعة ، والنثر المستعمل فيها رشيق وبسيط احيانا ٠ واخيرا فان هذه المؤلفات صور صادقة لأصحابها تمتاز بمزيد من الشخصية والحيوية ٠

اما المقامة فتنمو بشكل مواز لهذه المتنوعات لتبلغ أوج تقدمها مع كبار الكتاب من امثال محمد بن الطيب العلمى ، ومحمد المسناوى الدلائى (46) وغير خاف على احد ان هذا النوع من الأدب لم يتطور عمليا منذ الهمدانى (47) الى الحريرى (48) واليازجى (49) ومع ذلك فان المقامة المغربية تتميز بدقة الملاحظة وبساطة اللغة ، وتقدم مشاهد رائعة لمجتمع العصر الذى كتبت فيه ، مسجلة بعناية كل كبيرة وصغيرة (50)

ولن نختم هذا الفصل دون ان نذكر بالدور الهام الذى قامت به فى الحياة الفكرية بالمغرب الندوة الادبية التى انشأها فى سوس الامير الشاعر محمد العالم (51) فقد ساهمت المجالس العديدة التى تراسها هذا الامير — والتى سنقدم نماذج منها فيما يأتى — (52) فى خلق منافسة طيبة بين الشعراء ، وفى تطوير الانواع والمواضيع الهزلية التى كانت حتى ذلك الوقت مبعدة الى الدرجة الثانية ، هكذا نقف على نهضة ادبية احتفظ لنا بصورتها لحسن الحظ مؤلف معاصر مجهول تحت اسم **نفحات الشباب** (53)٠

ج — الرجال وآثارهم ٠

---

(46) انظر ترجمته فيما يأتى ٠

(47) انظر ترجمته عند ك ٠ بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 1 : 93 ٠ والملحق ، 1 : 150 ٠

(48) **المصدر السابق** ، 2 : 494 ٠ **والملحق** ، 2 : 765 ٠

(49) **المصدر السابق** ، 1 : 276 ٠ **والملحق** ، 1 : 486 ٠

(50) انظر ل ٠ بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص ٠ 297 ٠

(51) انظر ترجمته فيما يأتى : ص٠ 147 — 155 ٠

(52) ص ٠ 120 — 121 ٠

(53) انظر م ٠ السوسى ، **سوس العالمة** ، ص ٠ 65 رقم 1 ٠

عبد الرحمن ابن القاضى [1]

(1672 — 1590 = 1082 — 999)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبى القاسم ابن القاضى ، من أسرة المؤرخ الشهير أحمد ابن القاضى (2) مؤلف **جذوة الاقتباس** وغيرها من كتب التراجم . كان علامة مشاركا ، متضلعا فى علم القراءات ، متمتعا بالحظوة عند ملك وقته ، كما يدل على ذلك ظهير التوقير والاحترام الذى منحه لأبناء هذا العالم ، السلطان عبد الملك ابن المولى اسماعيل ، وهو — كما نعلم — لم يبق ملكا سوى ستة أشهر اغتيل على اثرها (3) وقد جدد السلطان مولاى عبد الرحمن هذا الظهير لحفدة عبد الرحمن ابن القاضى (4) وكان عالمنا المترجم من خواص مستشارى السلطان مولاى الرشيد بن الشريف . (5)

الف عبد الرحمن ابن القاضى كتابا فى تراجم صلحاء مدينة فاس بعنوان :

1 — تقاييد فى التعريف بصلحاء مدينة فاس وأضرحتهم (6) .

وتتعلق سائر مؤلفاته الأخرى بعلم القراءات ، وهى :

---

(1) ترجم لعبد الرحمان ابن القاضى : أ ل . بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص . 263 وهامش رقم 2 ص . 266 ، وذكر مصادر ترجمته لكن ينبغى تصحيح ما يتعلق **بالسلوة** ، جزء 2 بدل جزء 1 ، ب — ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 : 41 — 42 ، ج — ع . ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 3 : 43 ، 47 ، 48 + 4 : 39 + 5 : 15 و 311 .

(2) ترجم ل . بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص . 100 — 112 و 247 — 250 ، وذكر مصادر ترجمته .

(3) انظر . ع . ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 5 : 311 .

(4) **المصدر السابق** ، ص . 15 .

(5) **نفس المصدر** ، 4 : 39 .

(6) ذكر صاحب **السلوة** هذا الكتاب دون أن يبين مؤلفه .انظر ع . ابن سودة ، **الدليل** ، 1 : 41 — 42 .

2 ــ **الايضاح لما ينبهم على الورى ، قراءة عالم أم القرى** (7)

3 ــ **بيـــان الخـــلاف والشهير والاستحســـان ، وما أغفله مورد الظمــــآن** (8)

4 ــ تأليــف فى **قراءة الامام ابن كثير** (9)

5 ــ قصيدة فى **رسم المكـــى** فى القرآن (10)

6 ــ قصيدة فى **القراءات السبع** للقرآن الكريم (11)

هذا العلامة الفقيه كان أيضا اديبا ينظم مقطعات فى التصـــوف ، منها مستغيثا بالشيخ أبى غالب (12) صاحب الضريح المشهور داخـــل باب الفتوح بفاس :

جزعنا من الضر العظيم الذى ألـــم بأبداننـــا حـــتى تحكـــم واحتكـــم
وجئنا اليكـــم قاصديـــن ضريحكـــم وقبركم الترياق يشفى مـــن السقم
وتربكـــم يشفـــى وذكركـــم يكفـــى وعادتكم بـــرء العليل من الألــــم
أغثنـــا أغثنـــا قـــد أتينـــا لبابكـــم
ووالدك (كذا) المعـــروف بالجود والكـــرم (13)

تدل هذه الأبيات على مزيد من الاخلاص وصفاء النية المستوحيـــين من ايمان الشاعر واعتقاده البالغ فى بركة الصالحين · انها استغاثة حقيقية تزداد قوة فى الأخير بتكرار جملة « أغثنا » · على أن تركيب هذه الابيات لا يخلو من عيوب ، الأمر الذى يدل على أن صاحبنا كان مجرد ناظم ولم يكن شاعرا مجيدا ، فهو لاجل ضرورة الوزن مد فى حركات التاء والسيـــن فى (احتكم) و (سقم) ، بالاضافة الى الاشباع المعتاد لحركة ميم الجمـــع فى (كم) فى قولـــه (قبركم) و (تربكم) أما الانتقال من صيغة الجمـــع الى صيغة الافراد فى البيت الرابع ، فانه جائز بل ومستحسن كما أشرنا الى ذلك سابقا (14)

مات عبد الرحمن ابن القاضى عام 1082 = 1672 ، وكان ميلاده عام 999 = 1590 ·

---

(7) ــ (8) ــ (9) ــ (10) ــ (11) ــ توجد مخطوطاتها على التوالى تحت أرقام د 3 و د 1371 ، د 503 ، د 1371 ، د 1532 ، د 1303 ، د 1532 ، د 1148 ، د 1371 ·

(12) انظر ترجمته عند م · الكتانى ، **السلوة** ، 2 : 17 ·

(13) انظر م · القادرى ، **النشر الكبير** ، 1 : 129 ·

(14) ص · 13 ، هامش رقم 75 (أ) ·

محمد ابن ناصر (15)

(تـ ٠ 1085 = 1674)

شيخ الطريقة الشاذلية الشهير ، ورئيس الزاوية الناصرية بتمكروت (16) اسمه الكامل : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان ٠ أصله من دادس ، واستقر بدرعة فى زاوية اغلان ويرتفع نسبه الى الصحابى المقداد بن عمرو الكندى ٠

كان محمد ابن ناصر صالحا مشهورا ، وعالما متضلعا فى التفسير والحديث والتصوف ٠ سلك طريق القوم على يد الشيخ القطب عبد الله بن حسين التمكروتى ٠ (17) وأخذ العلوم الظاهرة عن على بن يوسف الدرعى ، ومحمد بن سعيد المراكشى (18) الذى أجازه اجازة عامة ، وابى بكر السجتانى (19)

وتخرج على يد محمد ابن ناصر علماء كثيرون ، من اشهرهم أبو على اليوسى صاحب الدالية المعروفة فى مدح الشيخ ابن ناصر ، وأبو سالم العياشى ، وعلى المراكشى ، وعبد اللطيف الفيلالى ٠

حج الشيخ ابن ناصر لأول مرة عام 1070 = 1659 فلقى أبا بكر

---

(15) ترجم له : ا — ل. بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص ٠ 291 و هامش رقم 4 حيث ذكر مصادر ترجمته ٠
ب — ع ٠ كنون ، **النبوغ** ، 1 : 283 ٠
جـ — م ٠ ابن ناصر ، **الدرر المرصعة** ٠
د — أ ٠ ابن الحاج ، **رياض الورد** ٠
هـ — ع ٠ ابن سودة ، **الدليل** ، 1 : 137 ، 255 ، 2 : 381 ٠

(16) انظر عن هذه الزاوية والطريقة الشاذلية ٠ ل ٠ بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص ٠ 99 رقم 1 و 291 رقم 2 ٠

(17) انظر ترجمته عند أ ٠ الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 1 : 128 وما بعده ٠

(18) انظر ترجمة المراكشى الذى يسمى أيضا المرغيتى عند ل ٠ بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص ٠ 260 — 262 ٠

(19) انظر ترجمته عند م ٠ الافرانى ، **الصفوة** ، ص ٠ 113 — 114 ٠

السجتانى المتقدم الذكر ، ومحمد بن سليمان الرودانى الذى سبق أن تتلمذ عليه فى تمكروت طوال أربع سنوات ، ومحمد بن أبى الفتوح التلمسانى المعروف بالشيخ · ثم حج للمرة الثانية بعد ست سنوات (1076 = 1665) فدرس فى المشرق ، وحضر مجالس أكابر علمائه · وبعد رجوعه من هذه الرحلة لم يغادر زاويته بتمكروت الى أن وافته المنية فى 16 صفر عام 1085 = 22 ماى 1674 (20) بالغا من العمر الرابعة والسبعين ، فتكون ولادته حوالى عام 1011 = 1602 — 1603 ·

ترك ابن ناصر ، زيادة على عدد من الرسائل والأجوبة ، كتابا مهما فى الأدعية من نوع **دلائل الخيرات** سماه : **غنيمة العبد المنيب ، فى التوسل بالصلاة على النبى الحبيب**،ورتبهعلى حروف المعجم، وبناه على غرائب لغوية وصعوبة متزايدة لأجل تدريب القارىء على هذا العلم · وسيقلد هذا الكتاب فيما بعد مؤلف من شيوخ الزوايا هو المعطى بن الصالح الشرقى (21)

وقد نظمت قصائد متعددة فى تقريظ كتاب الشيخ ابن ناصر من طرف تلاميذه المشهورين ، كأبى على اليوسى ، وأبى العباس الهشتوكى (22) كما وضعت له شروح متعددة (23)

ألف ابن ناصر كتبا أخرى فى الفقه والحديث والتصوف :

أ — النثـــــر

1 **كتاب المناسك** ، وهو خلاصة ما يجب على الحاج أن يفعله فى الأماكن المقدسة .

2 **كتاب أذكار وأوراد فى عمل اليوم والليلة** ، جمعه ابنه عبد الله ·

3 **أحكـــام غســـل الموتـــى** ·

---

(20) المعتمد ما هنا لا ما ذكره ع . كنون فى **النبوغ** ، 1 : 283 من أن وفاة ابن ناصر كانت عام 1089 . (انظر أ . الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 1 : 305 . ل بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص . 291 رقم 4 ، ع . ابن سودة ، **الدليـــل** ، 1 : 137) .

(21) انظر ترجمته **فيما يأتى** .

(22) هو مؤلف كتاب **انارة البصائر ، فى مناقب القطب ابن ناصر** .

(23) من شراحه : على بن محمد بركة ، وأحمد بن موسى ابن ناصر ، وابن شرحبيل الخ .

4 **حاشية على الصحيحين** ، كتبها على هامش نسخته من كتابى البخارى ومسلم ، وخرجها ولده أحمد الذى خلفه فى تسيير شؤون الزاوية .

ب ـ النظم :

1 ـ **مساعدة الاخوان** ، قصيدة رائية وضعها لزوجاته وبناته والمبتدئين من المريدين (24)

2 ـ **الوسيلة** ، قصيدة لامية فى التصوف (25)

3 ـ **سيف النصر** ، أرجوزة شهيرة تقرأ كل يوم جمعة فى اغلب زوايا المغرب (26)

4 ـ أرجوزة ثانية مشهورة تقرأ كذلك فى زوايا المغرب (27)

وهناك ، زيادة على اليوسى الذى نظم الدالية المشهورة فى مدح الشيخ ابن ناصر ، شعراء آخرون من تلاميذ الشيخ مدحوه بقصائد مطولات ، كعبد الملك بن محمد التجموعتى (28) لما رجع من حجته الثانية، وأحمد بن عبد القادر التستاوتى (29) بعد موت الشيخ بمدة طويلة ، سنة 1116 = 1704 .

وينسب الناس الى الشيخ ابن ناصر كلاما عامرا بالحكمة وسداد الرأى كثيرا ما يضرب به المثل ، كقوله :« **مسألة تستفاد ،أو تزداد، خير من ملك بغداد** » (30) أما طريقته فى التعليم ، فكان يقتصر فى تلقين العلوم

---

(24) وقد شرحها أيضا عبد الملك التجموعتى ، ، ومبارك بن محمد الغربى ، وأحمد بن محمد الهشتوكى المتقدم .

(25) شرحها ابن المؤلف على ابن ناصر .

(26) شرحها ابن شرحبيل المتقدم بثلاثة شروح ، كبير ومتوسط وصغير ، كما شرحها محمد بن عبد السلام بنانى .

(27) لم يسلم بعض المؤرخين نسبة هذه الأرجوزة الى الشيخ ابن ناصر .

(28) انظر ل . بروفنسال : **الشرفاء** ، ص . 301 ورقم 3 حيث ذكر مصادر ترجمته .

(29) انظر ع . ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 1 : 329 ـ 334 .

(30) انظر م . الكتانى : **السلوة** ، 1 : 264 .

الشرعية على فهم المتن وبيان الشرح قائلا : « ذلك أفيد للمبتدئين ، وما زاد عليه من النقود مضر بهم ، هذه الطريقة التى دشنها من قبل الامـــام ابن عرفة سار عليها فيما بعد أبو على اليوسى » ·

هكذا لم يترك محمد ابن ناصر مؤلفات بالمعنى الكامل ، وانمـــــا خلف ، كبعض نظرائه من العلماء وشيوخ التصوف ، أجوبة جمعهـــــا بعض مريديه ، ولم يكتب بيده الا بعض الرسائل جمعها ابنه أحمد خليفته فى الزاوية من بعده بعنوان :

اتحاف المعاصر ، برسائل الشيخ ابن ناصر ·

وتشتمل على الفصول الخمسة التالية :

1 ـ رسائل الى علماء وقتـــه ·

2 ـ رسائل الى أخيـــه واقربائـــه ·

3 ـ رسائل الى مريديـــه وأحبابـــه ·

4 ـ رسائـــل الى أمراء عصـــره ·

5 ـ أجوبتـــــه (31)

(31) أ · الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 1 : 174 · وحسب هذا المصدر فان الاجوبة جمعها تلميذ المؤلف أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الصنهاجى · (**نفس المرجع** ، ص : 314) ·

ابو سالم العياشى (1)

(1037 — 1090 هـ = 1628 — 1679 م) ٠

ابو سالم عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف العياشى المالكى ، عفيف الدين ، الشاعر الناثر ، الفقيه الصوفى ، الرحالة المشهور ، صاحب الرحلة المعنونة **بماء الموائد** ٠ وبهذه الصفة الاخيرة وجد مكانه فى كتاب **مؤرخو الشرفاء** من بين أصحاب التراجم فى القرن الحادى عشر الهجرى (17 م ٠) — صفحة 262 — 264 — ، لأن رحلته ذات الصبغة الموسوعية تحتوى على تراجم عدد كبير من علماء المغرب والمشرق خاصة ، لذلك سنترك جانبا ناحية التراجم فى انتاج العياشى ، وحياته المعروفة ، لنتفرغ الى التعرف على مؤلفاته الأدبية والفقهية والصوفية :

أ — فى النحو ٠ **رسالة فى معنى « لو » الشرطية** ٠

2 — فى الفقه : **شرح المحلى** ، لم يكمل ٠

— **معونة المكتسب ، وبغية التاجر المحتسب** ، وهو رجز نظم فيه بيوع ابن جماعة التونسى (من رجال القرن 7 هـ = 13 م) ٠

— **ارشاد المنتسب الى فهم معونة المكتسب** ، وهو شرح للرجز السابق ٠

— **أجوبة الخليل ، عما استشكل من كلام خليل** ٠

— **القول المحكم ، فى عقود الاصم الابكم** ٠

(1) انظر أخبار العياشى عند :
— ل ٠ بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، صفحة 262 — 264 ورقم 2 ٠
— د ٠ م ٠ أ ٠ 2 ، مادة **ابن شنب** ، (ش ٠ بيلا) 1 ٠ 818 أوب ٠
— ش٠ بيلا ٠ **اللغة والأدب العربى** ، ص ٠ 184 ٠
— م ٠ الفاسى ، **الأدب المغربى** ، ص ٠ 533 ب ٠
— م ٠ الفاسى ، **الرحالة المغاربة** ، ص ٠ 22 ٠
— ع ٠ كنون ، **النبوغ المغربى** ، 3 : 79 — 155 — 156 ٠
— م ٠ ابن تاويت وعفيفى ، **الأدب المغربى** ، ص ٠ 337 ٠
— ع ٠ الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 118 و 123 ، 2 : 211 — 213 ٠
— م ٠ العياشى ، **الثغر الباسم** ٠
— ع ٠ العياشى ، **الاحياء والانتعاش** ، ص ٠ 43 — 171 ٠
— مخلوف ، **شجرة النور الزكية** ، ص ٠ 314 ٠
— م ٠ الحجوى ، **النقد السامى** ، 4 : 114 رقم 770 الخ ٠

ــ **العلاوة ، فيمن ركع محل سجود التـــلاوة** ٠

ــ **المفريات ، فى اصلاح الوتريـــــات** ٠

ــ **تحرير الكلام ، فى أمر النبى (صلعم) فى المنـــام** ٠

3 ــ فى علـــم الباطـــن :

ــ **الكشف والبيان ، فى مسألة الكسب والايقان** ٠

ــ **الحكم بالعدل والانصاف الدافع للخلاف ، فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف** فى تكفير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من الصفات ٠

4 ــ فى الحديـــــث :

ــ **المسلسلات العشر المنتخبـــة** ٠

5 ــ فى التصـــــوف :

ــ **نظم أصول الطريقة** لأحمد زروق ٠

ــ **اظهار المنـــة ، على المبشرين بالجنـــة** ٠

ــ **تنبيـــه ذوى الهمم العالية ، على الزهد فى الدنيا الفانية** ٠ (أو : رغبة ... فى الاعراض ٠٠٠) .

ــ **سوق العروس ، وأنس النفوس** ٠

6 ــ فهرست فى كتابـــين :

ــ **اقتناء الاثر ، بعد ذهاب أهل الاثر** ٠ ويسمى أيضا : **مسالك الهداية، الى معالم الرواية** ٠ أو : **العجالة المرقية ، بأسانيد الفقهاء والمرشديـــن والصوفيـــة** ٠

ــ **تحفة الاخلاء ، بأسانيد الاجلاء** ، وتسمى أيضا : **اتحاف الاخلاء ، باجازة العلماء الاجلاء** ٠

7 ــ **مجموع أشعار** يحتوى على 42 قصيدة فى مدح الرسول عليـــه السلام ، وقصيدة فى صناعة الجدول (2)

---

(2) أكثر مؤلفات العياشى المذكورة هنا ورد ذكرها فقط عند م ٠ العياشى فى **الثغر الباسم** ، أو ع ٠ كنون فى **النبوغ المغربى** ، أو ع ٠ الكتانى فى **فهرس الفهارس** ٠ ونشير الى أن

وقبل أن ننتقل الى دراسة اهم مؤلفات العياشى التى هى **الرحلـــة** نود أن نبرز جانبين يمتاز بهما المترجـــم ·

تصوفه الذى كان له أكبر الأثر على الزاوية الحمزاوية ، وهوايته للكتب النفيسة التى ساهمت فى اغناء مكتبة هذه الزاوية التى اسسها والده عام 1044 هـ = 1634 م ، وعرفت فيما بعد باسم ولده حمـــزة (مجلة تطـــوان ، 1963 ، ص · 87) .

ان العياشى العالم المدقق ، والداعية المتحمس للطريقة الشاذلية كان مولعا أشد الولوع بسلسلة السند فى الحديث علما بأنها كلما علت كانت أصح واثبت · وتلك هى النقطة الاساسية التى عليها مدار النقاد ، ومن بينهم عبد الله بن المبارك ، العالم المحدث والفقيه المشهور من القرن الثانى = الثامن ، الذى كثيرا ما كان العياشى يستشهد بقوله · « لـــولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (3) وبقول معن · « الاسناد العالى قربة الى الله ورسوله » · (4) ان رجلا بهذه الدرجة من التدقيق والولوع بالدرس والبحث لم يجد فى المغرب ما يحقق رغبته لا من حيث العلماء ولا من حيث الكتب ، كما صرح نفسه بذلك فى **اقتفاء الأثر** ، فكان ذلك من الاسباب التى دعته الى الرحلة الى الشرق ، وقد دون فى **رحلته** الكبرى بتدقيق كل المسائل التى تناقش فيها مع كبار العلماء والصوفية فى مختلف البلدان مما يطول ذكـــره ·

وقد سلك العياشى طريق القوم على يد أكبر شيوخ التصوف فى عصره ، كأبى يوسف السجستانى المراكشى الذى اذن له فى لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريدين ، (5) وأبى اللطف الوفائى المصرى الذى كناه أبا سالم وقال له : « سالم ان شاء الله فى الدنيـــا

= للعياشى أيضا . **اجازة منظومة** فى 254 بيتا من بحر الرجز ، وقصيدة اخرى فى 300 بيت فى شيوخه الصوفية المشارقة والمغاربة (انظر ع . الكتانى **فهرس الفهارس**) .

(3) م · العياشى ، **الثغر الباســم** ، ص · 5 ·

(4) **المصدر السابق** ، ص · 8 ·

(5) ع · العياشى ، **الاحياء والانتعـــاش** ، ص 62 ·

والآخرة » ، والشيخ عمر العلمى المقدسى الذى أعطاه الفوطة ليحتـــزم بهـــا (6)

لقد اصطبغت كل اقوال أبى ســالم العياشى وافعالــه ومؤلفاته بالصبغة الصوفية المنبنية على الورع « الذى تساوى أعلى درجاته أحط درجات الزهد » ودفعه الاستخفاف بمتاع الدنيا الى الاعراض عن منصب القضاء فى مراكش حين عرضه عليه سلطان الوقت · وقد سبب له هذا الرفض أن حمل مع أهله الى فاس ليجبر على الاقامة فيها طوال عـــام 1083 = 1672 — 73 · ومن الأكيد أن سنة الغربة هذه بدت لمترجمنا كقرن من الزمن ، لانه كان قد عبر عن المه قبـــل ذلك بعشرين ســنـــة فى ابيـــات منهـــا :

أيا ساريـــا فى الدجـــا المكفهـــر ... أســـار الـــى الحـــى أم مبتكـــر ؟
··· غريـــب بفـــاس لـــه أنـــــة ... يكـــاد الفـــؤاد لهـــا ينفطـــر
اذا ذكـــــر الرقمتـــــين ومـــــن ... يحل بواد الأراك احتضر (6 مكرر)

وقال فى التنفيـــر من الدنيـــا :

وهـــذه الدنيـــا فـــلا تثـــق بهـــا ... من سمها احذر فهـــى خضراء الدمن
ولا تعارضهـــا اذا ولـــت فكـــم ... من قبل أن تخلق أعيت من ومن (7)

ولم يكتف بهذه النصائح التى قدمها للناس فزاد قائـــلا :

فان ذا اللـــب لا يرضى بصحبتهـــا ... ولا يثـــق بســـراب قد بدا فيهـــا
فلا جزاها الـــه الخلـــق صالحـــة ... عنـــا ولا بلغـــت فينـــا أمانيهـــا
تلاطـــف العبـــد أحيانا تخادعـــه ... حتـــى تـــراه تدانيـــه فيدنيهـــا
أثنت عليـــه جران الـــذل ناسيـــة ... للود واستسلبت منـــه أياديهـــا (7)

وفى الوصايا التى وجهها الى المريدين من اتباع الطريقة ، كـــــان

---

(6) **المصدر السابق** ، ص · 91 ·
(6 مكرر) · ع · **الاحياء والانتعاش** ، ص · 169 ·
(7) م · العياشى ، **الثغر الباســم** ، ص · 17 ·

ينهاهم عن الاكثار من الصلاة والاشتغال بشؤون الغير ، علما بأن ذلك لا ينتج عنه الا الانصراف عن العمل ، وقد نصح أحد احبائه · « ... ولا تكلف نفسك كثرة الأوراد ولا الصيام ولا قيام الليل ولا الرياضات التى تجد فى الكتب ، فليس ذلك من وظيفك ، بل اجتهد الا يغفل قلبك عن الله ، ولا تزد على الصلوات الخمس وتعلم العلم وتحسن النية » · (8)

تذكر هذه البساطة بمذهب الموحدين المنبنى على التزمت والرجوع الى قواعد الاسلام الاولى · ويظهر هذا الاتجاه الانتقائى فى الاعتقاد والشعائر ايضا حتى فى أبى سالم العياشى للكتب المتعلقة بالعلوم الاسلامية وعنايته بها ، وفى المكتبة الحمزاوية لائحة الكتب التى اشتراها ابو سالم عام 1065 هـ = 1654 م ، (9) الأمر الذى يمكن من الحكم على معلوماته فى هذا الموضوع · من ذلك مثلا المجلد رقم 540 الذى هو **تقريب التهذيب** لابن حجر العسقلانى ، والمجلد رقم 398 الذى هو **صحيح** البخارى بأجزائه الخمسة · والجدير بالملاحظة أن جميع الكتب من هذا النوع موقوفة على الزاوية لحفظها والاستفادة منها · وقد عنى مترجمنا وأفراد أسرته العلماء بتكوين هذه المكتبة وتنظيمها ، ولم يقتصر عملهم على احصاء ما يقتنون من مخطوطات ، وتصحيحها أو تتميمها ، بل كانوا ينتسخون بأيديهم الكتب التى لا يستطيعون الحصول عليها · (10) وكانت هذه المكتبة محط اعجاب أكابر الادباء والعلماء فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للهجرة (18 — 19 م) · من أمثال أحمد بن عبد العزيز الهلالى (المتوفى عام 1175 هـ = 1761 م) ، ومحمد بن الطيب القادرى

---

(8) **المصدر السابق** ، ص · 19 ·
وقد استغرب مؤلف **الثغر الباسم** هذه الوصية فأولها بقوله · « وان كان (أبو سالم) يفعل بعض ذلك فى خاصة نفسه ويأمر به بعض اصحابه ، وانما خص صاحب الوصية بعدم الزيادة على الفرائض لضعفه جدا » ·

(9) انظر مجلة **تطوان** ، عدد 8 ، سنة 1963 ، ص · 98 — 99 (مقال م · المنونى) ·

(10) نسخ أبو سالم العياشى بيده الجزءين الثانى والثالث من **احياء علوم الدين** للغزالى ، (رقم 488) ، واحد شروح **الحكم** لابن عطاء الله ·
انظر **المصدر السابق** ، ص · 102 ·

(المتوفى عام 1187 هـ = 1773 م) وعلى بن احمد الحريشى (المتوفى عام 1145 هـ = 1733 م) ، وابى مدين الفاسى (المتوفى عام 1181 هـ = 1768 م) ، وعبد الكبير الفاسى (المتوفى عام 1296 هـ = 1879 م) ·
ورغم ما عانته المكتبة من محن قاسية بسبب اهمال أصحابها ونهب الزائرين لها ، فانها ما زالت تضم عددا كبيرا من الكتب فى جميع فروع المعرفة ، كما تدل على ذلك قائمة الاحصائية الأخيرة للمكتبة (11)

العياشى الشاعر :

اتينا فيما سبق ببعض الأبيات الشعرية التى عبر فيها العياشى عن المه أيام مقامه الاجبارى بفاس ، أو حذر من أخطار المظاهر الخادعة للحياة الدنيا · وان هذه الطريقة فى التعبير عن الاحساسات ولم شتات الانفعالات بحسب الظروف ، لهى أهم سمة يمتاز بها الشاعر · ومهما بدأ الأمر غريبا بسبب ارتباط المترجم برحلته الهامة المكتوبة نثرا ، فان العياشى قبل كل شىء شاعر وشاعر طبعى ، بدأ يقرض الشعر وعمره لم يجاوز عشرين سنة ، فنظم اول قصيدة له مطلعها :

أمن رسم دار قد عفا وتطوحا سكبت هواطلا أمن جاهل يلحا
أمن شغف بحب خود فريدة
اذا ما بدت أسبت عقول الورى الرجحا ؟ (12)

وقد اعتذر شاعرنا عن تقصيره لحداثة سنه ، وربما كان ذلك راجعا الى شدة تواضعه أو الى اعتراف حقيقى منه بالعجز :

صفحا بنى الأدب لا تعجلوا فان لى معذرة باديه
عذر بنى العشرين فى قرية أشبه أرض الله بالباديه
ما عود الشعر سليقته كرها أتت له به باديه
لا لغة يدرى ، وقد غلبت قدما عليه العجمة البادئه (13)

(11) **المصدر السابق** ، ص · 109 — 177 ·
(12) م · العياشى ، **الثغر الباسم** ، ص 76 ·
نظم العياشى هذه الابيات عام 1057 هـ = 1648 م ·
(13) **المصدر السابق** ، ص · 78 ·

ان العائقين اللذين تتحدث عنهما هذه الأبيات ، وهما العيش فى البادية ، وغلبة العجمة ، قد تطرق اليهما كتاب آخرون ، فاذا اظهروا الامتيازات التى يتمتع بها سكان الحاضرة فى ميدان المعرفة بالنسبة لسكان البادية ، فانهم لا يجعلون حظ هؤلاء اقل من حظ الحضريين · ولا ادل على ذلك مما وصلت اليه بعض زوايا البادية ، وبخاصة زاوية الدلاء ، من درجة عاليــة فى الثقافــة ·

ان هذه الأبيات التى نظمها العياشى ليست سوى عمل شاعر مبتدىء، لا اقل ولا اكثر ، وليس له ان يخجل من محاولاته الاولى ما دام قد ترك لنا ديوانا ضخما مليئا بنفائس الاشعار (14) وأكثر قصائد العياشى فى التصوف ، كما قلنا ، وتنتهى كلها تقريا بوصايا تدعو الى الزهد فى الدنيا والحذر من مظاهرها الخادعة · فهذا مطلع قصيدة غزلية لا تدع اى شك فى عبث الرجل :

ومن عجــب الدنيا مهــاة كأنهــا اذا بــرزت فى الليل بدر تمـــام
شغفت بها من خمس عشرة حجة ألاحظهــا شــزرا بغيــر كـــلام

والأبيــات التاليــة أكثــر مجونــا :

... فقبلت بدر التــم منها وأسبلت عــلى روضة غنــاء سجف لثــام
فمــر بنــا واش ولــم يدر أننــى هنــاك وقــد مازجتهــا كمــدام

لكن ذلك لم يكن سوى حلــم :

... فصلت على جند الغرام بوصلهــا ففــر وذا فى النوم غيــر حــرام
فان كــان حــلا يقظة حبذا بــه وصالا بــه أرجــو بلوغ مـــرام
وأن جمــع الرحمن بينى وبينهــا اذا كــان رجسا فالعفاف زمـــام
فلا يشتــرى حــر بلذة ساعــة عقوبة دهر ليس ذا بكــلام ! (15)

(14) جمع **ديوان ابى سالم العياشى** كل من ابن عمه عبد الله مؤلف **الاحياء والانتعاش** ، وحفيده محمد مؤلف **الثغر الباسم** · انظر البيبليوغرافيــا ·
(15) ع · العياشى ، **الاحياء والانتعاش** ، ص · 108 ·

لقد نجح العياشى فى التعبير عن المفاجأة فى هذه الابيات ، وفى تلطفه باخراجنا من عالم الاحلام الى عالم اليقظة ، كما أحسن فى وصف الاغراء الذى يتعرض له الانسان بسبب الشهوات الدنيوية ، لكنه عرف أكثر كيف يحطم ذلك الاغواء باستخراج عواقبه الوخيمة . وقد نظم العياشى الى جانب القصائد الصوفية قطعا شعرية ذات نغمة مؤثرة تتحدث عن الاكتئاب والم الفراق ، كالتى انشدها فى توديع زوجته وأولاده :

تقــول وقد حل الرحيــل : أهكذا تحملنى ثقل الفراق عــلى ضعف ؟
أتترك أفراخا كزغــب القطا ومــا رحمت بنيك اذ سلوت عن الالف ؟
فقلت لها : كفى الملام ، وأعرضت كخشف النقا تستعرض الدمع بالكف
فودعتهــا والقلــب منطبق عــلى أساه ، ودمعى لا يمل مــن الوكف
عليــك ســلام لازيــارة بيننــا مع البعد الا أن أزور مع الطيف !

تذكر هذه الأبيات بقصيدة الشاعر الاندلسى ابن دراج القسطلى (المتوفى عام 421 هـ = 1030 م) فى وداع زوجته ، والتى منها :

ألم تعلمــى أن الثــواء هو النوى وأن بيــوت العاجزين قبــور (17)

وهى بدورها تنظر الى قصيدة الشاعر العراقى أبى نواس (المتوفى عام 198 هـ = 814 م) فى مدح الخصيب عامل هرون الرشيد على مصر ، ومطلعهــا :

تقول التى من بيتها خف مركبــى عزيز علينا أن نراك تسيــر (18)

هذه القصائد لا تختلف فى الواقع الا باختلاف أسماء الشعراء والبلدان لشدة الشبه بينها ومطابقة التقليد فيها مطابقة تامة ، وكلها تتحدث عــن الصحراء وحياة البادية · فالعياشى يظهر نفس التعلق بأحبابه لابســط

---

(16) أ . العياشى : **الرحلــة** ، 1 . 14 .
(17) انظر القصيدة وأخبار الشاعر فى **ديوان القسطلى** ، تحقيق م . ع . مكى ، دمشق 1961 .
(18) انظر القصيدة فى **ديوان ابى نواس** ، وعند ، طه حسين ومن معه ، **المنتخب من أدب العــرب** ، 1 : 108 .

مناسبة وفى كل مرحلة من مراحل سفره ·

ولما وصل الى فيكيك عام 1059 هـ = 1649 م قال :

تذكــرت أصحابــى الذين تركتهــم — بأسفل من أعــــلام ملوية الخضر
ففاضت دموع العــين تهمى كآبة — ولولاهم ما جادت العين بالقصر (19)

وسيبعث الى أصحابه من الاسكندرية التى وصل اليها عام 1060 هـ = 1650 م بهذه الرسالة التى تعبر عن مدى اخلاصه لهم :

ألا ليت شعرى هل لنا من معــرف — من أخبار من قد حل سفح أنغرف ؟
أدام على العهد الذى كان بيننــا — أم العهد مذ فارقتهم صار فى ضعف ؟
... وما أنس من أشياء لم أنس قولهم — وقد جد جدالبين : هل من مخلف؟(19)

وهذا البيت الأخير تقليد لقول الشاعر العباسى ابى العتاهيـــة (المتوفى عام 211 هـ = 826 م)

فما أنس من أشياء لا أنــس قولها — وموقعها يوما بقارعة التمــر (20)

تبين لنا هذه الأمثلة أن الشعراء المغاربة ، ولو أنهم قبل كل شىء فقهاء متمكنون ، وصوفية ورعون ، كانت لهم معرفة متينة بالأدب العربى شرقيه وغربيه . والمنتخبات التالية من شعر أبى سالم لا تكتسى أى طابع دينـــى :

أ — وصف ليلـــة انس فى شفشاون :

ياليلـــة جمـــع السرور لنـــا بهـــا — جادت بها الأيـــام فى شفشــــاون
بلد شمائـــل أهله مـــن طيبهـــا — طـــاب المبيت لنـــا بذاك الموطـــن
أنهـــاره تصبـــو لهـــا أشجارهـــا — فلذا توارت عن لحاظ الأعـــين (21)

يشتمل البيت الأخير على صورة رائعة ويوحى بحسن الذوق فى

---

(19) ع · العياشى ، **الاحياء والانتعاش** ، 1 : 106 ·
(20) انظر القصيدة واخبار الشاعر فى **ديوان ابى العتاهيـــة** .
(21) ع · العياشى ، **الاحياء والانتعاش** ، ص · 158 ·

نفس الوقـــت .

ب ـ واخيرا هذا مقتطف من موشح (من مجزو الرجز) يدخلــه مترجمو العياشى فى باب الهزل :

اقسمـــــت بالخـــــلاق
الملـــــك الـــــرزاق
أنــــك فى الآفـــاق
كفــــرة الاصبـــــاح

بل أنـــت شمس حسنهـــا
انســـان عـــين عينهـــا
محـــل صفـــو منهـــا
مـــن غـــير ما مـــزاح

لمـــا بهـــا وجودكـــم
وعلنـــــى موجدكـــم
نـــادى الفـــؤاد جودكـم
حـــى عـــلى الفـــلاح

جميعـــــه لبـــــاه
كأنـــــه ربـــــاه
عجبـــت مـــن نبـــاه
انـــــك ذو سمـــــاح

مـــن هـــــذه أوصافـــه
فمـــا لنـــا خلافـــه
بلـــى لنـــا ايضافـــه
لكثـــرة الأمـــداح(22)

يصعب بطبيعة الحال أن يحمل مثل هذا الانتاج محمل الجد مـــع ما اشتهر به أبو سالم من تمسك بالدين ، وسير على هدى التصوف ، غير أن شاعرنا أراد ، كغيره من الشعراء ، أن يبرهن عن كفايته بالخوض فى جميع ضروب الشعر ، ولا أدل على ذلك من ديوانه الضخم الذى جمعه ابن عمه وحفيده ، مشتملا على قصائد مرتبة حسب بحور العروض ، فى

(22) **المصدر السابق** ، ص . 161 .

جميع الاغراض الشعرية تقريبا ، لا سيما المديح (23) والشكوى ، ووصف الأسفار ، والتحسر والم البعاد .

العياشي الناثر

تأخذ **رحلة** (24) العياشى الطابع الموسوعى لهذا النوع من الادب المغربى فى هذا العصر ، فبدلا من أن تهتم بوصف ما يمر به الرحالة من بلدان وسكان ، من الناحيتين الجغرافية والعراقية (الايطنوغرافية) ، نجدها تحتوى على أشعار مناسبات ، ومراسلات ، ومناظرات فقهية وجدلية ؛ وبخاصة تراجم الصالحين والعلماء · ومع ذلك سنورد أحد المقاطع القليلة التى تتحدث عن السفر فى **الرحلة** :

« **الاقامة بالمدينة** · كانت مدة اقامتنا بالمدينة سبعة أشهر ونصف ، لأنا دخلناها كما تقدم فى الليلية الثانية من محرم ، وكان خروجنا منها الى مكة فى السابع عشر من شعبان ، وكنا نسكن أولا فى محل نزولنا بجوار مشهد سيدنا اسماعيل ، كما تقدم ، وكان أفسح الأمكنة وأوسعها وأبعدها عن زحام الناس ، به أخلية للوضوء وبئران كما تقدم · وكان قيم المشهد أحد أصحابنا المغاربة المجاورين · وهو الذى أنزلنا به ، وكان يتولى اصباحه وكنسه واغلاق أبوابه ، ويقبض ما يوتى به من الصدقة اليه ، ولاه ذلك مفتى المالكية بالمدينة صاحبنا الخطيب احمد وأخوه الخطيب عبد الرحمن، لأن ولاية المشهد لهما · فاذا اجتمع من الصدقات ماله بال دفع لهما حصة منه وانتفع بالباقى كما هو شأن سائر المشاهد بالمدينة بل وبغيرها » (25)

فى مثل هذه الرواية يسهل الأسلوب ويتبسط كثيرا ، فيصف المؤلف أدق التفصيلات التى يلاحظها دون أن يهتم بالترتيب أو الاختيار ، وانما

(23) وذلك مثل ما مدح به شيوخه عبد القادر الفاسى ، ومحمد بن سودة ، والابار ، وميارة ، والشرقى ، وعبد الرحمن ابن القاضى .

(24) « هناك رحلة اخرى مكتوبة بشكل رسائل كانت موضوع ترجمة للفرنسية من قبل والدنا المرحوم م · الاخضر (فى المؤتمر 4 لاتحاد جمعية العلماء ، الجزائر ، 1939 ، 2 · 671 — 88) » د · م · ا · مادة **ابن شنب** ، (بيلا) ·

(25) 1 · العياشى ، **الرحلة** ، 1 · 284 ·

يقدمها كما هى دون أن يلجأ الى النسق الأسلوبى المعتاد . ولما كان الامر يتعلق بمؤلف أشرب قلبه حب التصوف والاهتمام بالدين ، فيمكن أن نستنتج انه كان مدفوعا الى ذلك للمحافظة على الدقة والحقيقة ، لا سيما وأن رحلته تتحدث عن الأراضى المقدسة وشعائر الله ، وهكذا نجده يجافى كلمة المال فى حديثه عن أجرة سادن المشهد ليأتى بدلها بالصدقة . ومن جهة ثانية يفيدنا النص السابق بمعلومات لا يستهان بها عن حالة مساكن المدينة ، وبخاصة وسائل الراحة التى يبحث عنها الناس فيها .

ولكى نعطى فكرة عن النثر الفنى للعياشى نقدم فى الأخير مقطعا من **الرحلة** لا علاقة له بموضوعها اطلاقا ، لانه يتحدث عن :

الجوازات الشعرية ، عندما يلحن الانسان فى الشعر للضرورة :

« ان اللحن لا يسوغ فى شىء من الكلام نظمه ونثره ، الا أن النظم لما كان أضيق من النثر اغتفرت فيه أشياء كثيرة لا يغتفر مثلها فى النثر ولا يسوغ . وتلك الأشياء متفاوتة بعضها أخف من بعض ، كقصر الممدود وعكسه ، وصرف الممنوع من الصرف وعكسه ، بالنسبة الى التقديم والتأخير والقلب فى حروف الكلمة والحذف ... فاذا علم ذلك ، فارتكاب الشاعر شيئا مما ذكر أو نحوه ضرورة لا يسمى لحنا ، لأن اللحن انما ما لا وجه له فى العربية ، اذ لم تستعمله العرب ولا قيس على ما استعملته » (26)

تدل المعلومات الواردة فى هذا النص على أن التعليم الملقن آنذاك كان على جانب من العمق والاحاطة بجميع المواد الدراسية .

وبالجملة ، فان أبا سالم العياشى من أبرز الشخصيات الأدبية بالمغرب ، جدير بالشهرة الذائعة التى له داخل البلاد وخارجها ، مستحق لأن يكون موضوع ترجمة خاصة ، باعتباره شاعرا ناثرا ، وفقيها متصوفا ، ورحالة جماعا لنفائس الكتب .

---

(26) **المصدر السابق** ، 1 : 19 .

عبد القادر الفاسى (1)

(1680 — 1599 = 1091 — 1007)

أبو محمد عبد القادر بن على بن أبى المحاسن يوسف الفهرى الفاسى . وهو بالنسبة للعصر الذى ندرسه أكبر شخصية فى الأسرة الفاسية الشهيرة التى أنجبت كثيرا من الأعلام .

ولد فى القصر الكبير يوم ثانى رمضان عام 1007 = 29 مارس 1599 ودرس فيها على والده على (2) وعلى غيره من علماء هذه المدينة . درس النحو والفقه والحديث الخ .

وفى سنة 1025 = 1616 استقر بفاس فى حياة والده وأتم بها دراسته على يد عم أبيه أبى زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى العارف (3) وحضر دروس عمه أبى حامد العربى بن يوسف الفاسى (4) الذى أجازه اجازة عامة . وتتلمذ عبد القادر الفاسى أيضا على القاضى أبى القاسم ابن أبى النعيم الغسانى (5) وعبد الواحد بن عاشر الانصارى (6) وأبى الحسن على بن الزبير السجلماسى (7) وأحمد المقرى (8) ومحمد الجنان (9) وغيرهم .

ولما تزوج لم يعد يحضر سوى مجالس عم ابيه فأخذ عنه اكثر

---

(1) انظر ترجمته عند . ل . بروفنسال **شرفاء** 264 — 269 مع المراجع المذكورة هناك ، ع . كنون **النبوغ** ، 1 : 283 — 284 ، م ، ابن تاويت و م . عفيفى ، **الادب المغربى** 342 — 345 ، ك . بروكلمان ، **ملحق** 1 : 262 ، 2 : 708 و1036 ، **مولاى سليمان عناية** ، 37 — 41 ، ع . الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 156 — 162 وما هناك من المراجع ، ع . العياشى ، **رحلة** أماكن متفرقة ، م . العلمى ، **الانيس** 12 ، حفيده الطيب الفاسى ، **فهرس** ، حفيده محمد بن عبد الرحمن الفاسى ، **تحفة الوارد والصادر** ، أ . الولالى ، **مباحث الانوار** ، ع . ابن سودة ، **دليل** 1 : 62 ، 71 ، 196 ، 2 : 315 ؛ م . الحجوى ، **الفكر السامى** 4 : 114 رقم 772 ، ولده عبد الرحمن الفاسى ، **تحفة الاكابر** .

(2) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 243 وهامش 1 مع المراجع المذكورة هناك .

(3) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 245 وهامش 2 مع المراجع المذكورة هناك .

(4) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 244 — 247 مع المراجع المذكورة هناك .

(5) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 252 وهامش 2 . مع المراجع المذكورة هناك .

(6) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 256 وهامش 2 مع المراجع المذكورة هناك .

(7) انظر م . الكتانى **سلوة** 2 : 313 .

(8) انظر ل . بروفنسال **شرفاء** 93 وهامش 3 مع المراجع المذكورة هناك .

(9) انظر م . الكتانى **سلوة** 3 : 58 .

العلوم وبخاصة التصوف · ولما مات عمه اتصل بمحمد بن عبد الله معن الاندلسي أولا ثم صحب بالتتابع أبا القاسم بن الزبير المصباحي ومحمد الهجيرى القصرى وعبد الرحمن اللجائى (10) وجلون بن الحاج (11) والحسين الزرويلى (12)

ويعتبر عبد القادر الفاسى من علماء المغرب البارزين الذين بلغت شهرتهم الى المشرق ولا يعال سعة علمه سوى تقواه وزهده ، فكان يعيش من كسب يده فى استنساخ الكتب وبيع نسخ **صحيحى** البخارى ومسلم · وتكون على يده عدد وافر من الطلبة يصعب تتبعهم هنا وقد ذكر معظمهم فى **الفهرس** الذى الفه ولده عبد الرحمن بعنوان **ابتهاج البصائر ، فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر** (13) نذكر من بينهم أبا سالم العياشى وعبد السلام القادرى وعبد السلام جسوس (15) ومحمد العربى الفشتالى (16) وأحمد ابن يعقوب الولالى (17) وأحمد بن عبد الحى الحلبى (18) ومحمد العربى ابن أحمد بردلة (19) ومحمد بن أحمد المسناوى الدلائى (20) والحسن اليوسى ·

ونسب بعض الكرامات لعبد القادر الفاسى ذكرها ابنه عبد الرحمن فى كتابه **تحفة الأكابر ، فى مناقب الشيخ عبد القادر (21)**

وقد توفى عبد القادر الفاسى فى ثامن رمضان عام واحد وتسعين وألف = 2 أكتوبر 1680 ودفن من الغد فى زاوية القلقليين (22) بفاس حيث كان يلقى دروسه · وكان ميلاده فى ثانى رمضان عام سبعة وألف = 29 مارس 1599 ·

---

(10) انظر ترجمته عند م · الكتانى **سلوة** 1 : 304 ·
(11) انظر ترجمته عند م · الكتانى **سلوة** 1 : 207 ·
(12) انظر ترجمته عند م · الكتانى **سلوة** 1 : 210 و 3 : 326 ·
(13) هذا الفهرس هو الذى ترجمه الى الفرنسية محمد بن شنب بعنوان **الاجازة** . (انظر ما سبق ص · 5 ، هامش 31) ·
(14) انظر ع · ابن سودة **دليل** 1 : 88 ·
(15 — 16 — 17 — 18 — 19 — 20) انظر تراجمهم على الترتيب عند · ل · بروفنسال **شرفاء** 305 وهامش 2 ، 277 وهامش 2 ، 290 — 291 ، 286 — 287 ، 288 وهامش 1 ، 299 ·
(21) انظر ع · ابن سودة **دليل** 196 رقم 760 ·
(22) انظر ل · بروفنسال **شرفاء** ، 241 هامش 3 ·

ولم يترك من التآليف المكتوبة شيئا يذكر ، باستثناء بعض الشواذ واجوبة عن اسئلة فقهية (23) فمن النوع الأول **العقيدة المشهورة** (24) **وتعليقات على البخارى** . (25) **والنتيجة المحمودة فى الرد على زاعم ملكية وادى مصمودة** . (26) **وأرجوزة فى الأشهر** . (27) وأخرى فى **القلم الفاسى** ، **وفقهية** تحتوى على ذكر العبادات ألفها لافراد أسرته .

ويشتمل النوع الثانى فى الغالب على أجوبة عن **نوازل** مثل هذه المسألة التى نسوقها كمثال :

« ... فانه قد اتصل بنا من قبلكم مكتوب يشتمل على **نوازل** زعمتم انه التبس عليكم حكمها ، **ومسائل** استبهم عليكم فهمها ، فخصصتمونى فيها بالخطاب ، وعينتمونى لرد الجواب ، وكلفتمونى أن أكتب لكم ما يكون كفيلا بالبيان ، وعليه المعول فى ذلك الشأن ... .

« فأقول وبالله التوفيق ، وبه الهداية الى سواء الطريق : **المسألة الاولى** . من توضأ فى داخل بحيث لو رفع بصره لم ير السماء وبل يرفع بصره الى جهة سقف بيت بل البيت أم لا ؟ لأنا لم ندر **هل** قول الشيخ : « ثم رفع طرفه الى السماء » مقصود بالذات . فلو توضأ حيث لا يرى السماء لم يؤمر برفع بصره الى جهتها ، بل يكفيه أن يقول ذلك الذكر وهو مطرق ببصره الى الارض كما كان . أو ليس مقصودا بالذات ، وانما المراد برفع بصره الى الجهة العليا ، بين لنا ذلك ولكم الأجر . **الجواب** : أنهم وان لم يصرحوا الشىء فيما رأينا لكنهم ذكروا أن علة ذلك : السماء قبلة الدعاء ، ولأنها أعظم المخلوقات المرئية لنا فى الدنيا ، فيشغل نظره بها ويعرض بقلبه عن كون الدنيا ، فكيون ذلك اذعان (كذا) لحضور قلبه . فبمقتضى

---

(23) جمعت فى جزءين كبيرين وطبعت فى فاس وقد شرحها حفيده محمد (انظر ما يأتى فى صفحة 225) .

(24) طبعت أيضا فى فاس .

(25) جمعها ولده عبد الرحمن وطبعت كذلك فى فاس .

(26) انظر ع . ابن سودة **دليل** 1 : 62 رقم 153 .

(27) مجموع مخطوط رقم 1013 د بالمكتبة العامة بالرباط . وتحتوى هذه الارجوزة على تسعة وأربعين بيتا (أنظر ك . بروكلمان **ملحق** 2 : 708) .

تعليلهم بالبانى ، قصر رفع الطرف على الحالة التى يشاهد فيها السماء .
وعلى الأول قد يقال : رفع طرف لان المراد بالسماء جهة العلو التى هى أعلى الجهات ، وأرفعها فى الاعتقادات ، فيكون معظما لله بقلبه ولسانه وبصره . فان غاية تعظيم الجارحة اسمها بل استعمالها فى الجهات حتى ان من المفهوم فى المحاورات أن يفصح الانسان عن علو رتبة غيره وعظم ولايته فيقول : أمره فى السماء السابعة دلالة على علو رتبتها . وتكون السماء عبارة عن العلو حسبما قرر ذلك الغزالى فى الاقتصاد فى رفع اليد بالدعاء الى السماء والله أعلم » (28)

تعطى هذه الفقرة فكرة عن كيفية تعليل المؤلف بعض النوازل والاجابة عنها ، فقد نقل السؤال بحذافيره كما لو كان يمثل معطيات مشكلة حسابية ، ثم أتبعه بجواب يحل ذلك المشكل ويقدم كل التوضيحات الضرورية قبل أن يأتى فى الاخير بملخص واضح ومحدد . كل ذلك بأسلوب منطلق ولغة سهلة رغم ما يلاحظ من سجع فى الجمل أحيانا . تلك هى الخصائص الأساسية لهذا العالم المحقق الذى تخرج على يده كثير من الطلبة ، وحل العديد من المشاكل الفقهية ، والذى عاش ومات صالحا ، فاستحق لقب شيخ الجماعة (29) ان مشاركته الواسعة فى العلوم الاسلامية لذلك العهد دفعت المؤرخ محمد القادرى الى أن يقول عنه بحق : « لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب لكثرة الفتن به وهم : سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى ، وسيدى محمد ابن ناصر فى درعة ، وعبد القادر الفاسى » (30)

---

(28) مجموع مخطوط رقم 128 د بالمكتبة العامة بالرباط ورقة 1 .
(29) انظر شرح هذه العبارة عند ل . بروفنسال **شرفاء** ، 226 هامش 2 .
(30) م . القادرى **نشر** حسبما أورده ع . الكتانى **فهرس الفهارس** ، 2 : 158 .

محمد بن سليمان الروداني (1)

(1683 — 1627 = 1094 — 1037)

ولد محمد بن سليمان الروداني بمدينة ترودنت عام 1037 هـ = 1627 م ، وكان علامة متضلعا فى جميع العلوم الدينية والدنيوية ، وخلف آثارا نثرية وشعرية .وقد اكسبه تجواله فى العالم العربى القابا متعددة ، فدعى أبا عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسى (لا علاقة له بمدينة فاس) ابن طاهر السوسى المغربى الروداني المراكشى المالكى نزيل الحرمين الشريفين ، وله شيوخ كثيرون ، منهم بالمغرب : أبو مهدى عيسى السكتانى . (2) مفتى مراكش وقاضى القضاة بها ، ومحمد بن سعيد المرغيتى ، ومحمد بن أبى بكر الدلائى ، ومحمد ابن ناصر الدرعى ، الذى لازم دروسه طوال أربع سنوات فى التفسير والحديث والتصوف وغيرها من العلوم .

ومن شيوخه بالجزائر العالم الكبير سعيد بن ابراهيم المعروف

---

(1) انظر ترجمة محمد بن سليمان الروداني عند :
أ — ع . العياشى ، **الرحلة** ، 2 : 30 — 45 ، وملخصها عند :
ب — م . اليفرانى ، **الصفوة** ، ص . 196 — 198 .
جـ — م . القادرى ، **التقاط** .
د — م . القادرى ، **النشر** ، 2 : 81 — 88 .
هـ — م . الحضيكى ، **طبقات** .
و — م . الناصرى ، **الرحلة** .
ز — ع . ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 4 : 334 — 359 رقم 401 .
ح — المحبى ، **خلاصة الأثر** .
ط — ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 284 — 285 .
ى — م . ابن تاويت و م . عفيفى ، **الأدب المغربى** ، ص 313 .
ك — ع . الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 62 ، 317 ، 321 ، 2 : 118 .
ل — ك . بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 459 (610) **والملحق** ، 2 : 691 .
م — د . رونو .
ن — م . السوسى ، **سوس العالمة** ، ص . 181 .
ص — ع . ابن سودة ، **دليل** ، 2 . 304 .
ع — م . الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 . 115 — 116 ، رقم 773 .

(2) هو مؤلف **الفتاوى** المشهورة باسمه ، وصاحب **الحاشية** ، **والشرح** على **صغرى السنوسى** . (انظر م . السوسى ، **سوس العالمة** ، ص . 183) .

بسيدى سعيد قدورة (3) وتوجه الى المشرق بعد ذلك فأخذ عن أشهر الشيوخ فى كل بلد حل به ، ففى مصر لازم دروس نور الدين الأجهورى (5) والشهاب الخفاجى (5) ، والشهاب القليوبى (6) ومحمد بن أحمد الشوبرى (7) والشيخ سلطان (8) وقد أجازوه جميعا . ومن ثم قصد الحرمين الشريفين حيث جاور سنين عديدة بمكة والمدينة ، وأكب علـى التأليف والتدريس قبل أن ينتقل الى القسطنطينية عام 1081 = 71/1670 . وفى طريقه اليها توقف فى الرملة (9) حيث حضر دروس شيخ الحنفية خير الدين الرملى (10) وأقام مدة فى دمشق حضر أثناءها دروس الشيخين محمد بن حمزة ومحمد بن بدر الدين بلبان الحنبلى (11) ولما وصل الى القسطنطينية التى أقام فيها حولا ، نال حظوة فائقة لدى الوزير ومن دونه من رجال البلاط .

ولمحمد بن سليمان الرودانى تلاميذ عديدون فى المغرب والمشرق، منهم محمد بن أبى بكر الشبلى . (12) ومحمد بن عبد الرحمن الفاسى (13) واللشيخ أحمد بن أبى بكر بن شيخان باعلوى ، وأحمد بن تاج الدين الدمشقى ، ومفتى مكة المكرمة الشيخ امام الدين بن أحمد المرشدى العمرى الحنفى . (14) وتلميذه عبد الله بن سالم البصرى (15)

(3) انظر م . القادرى ، **النشر** ، 1 : 216 ، و ك . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 2 : 355 ، **والملحق** ، 1 : 545 .
(4) انظر ك . بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 317 .
(5) **المصدر السابق** ، 2 : 285 ، **والملحق** ، 2 : 396 .
(6) **المصدر السابق** ، 2 : 364 ، **والملحق** ، 2 : 492 .
(7) **المصدر السابق** ، 1 : 181 ، 396 ، و 2 : 330 ، **والملحق** ، 1 : 307 ، 3/682 ، 2 : 443 ، 458 .
(8) **المصدر السابق** ، 1 : 294 / 4 ، 450 ، 2 : 198 ، 233 ، **والملحق** ، 1 : 290 ، 647 ، 651 ، 807 ، 842 ، 2 : 290 .
(9) مدينة صغيرة فى فلسطين تقع فى شمال شرق بيت المقدس .
(10) ك . بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 266 ، 312 ، 426 ، 428 .
(11) **المصدر السابق** ، 2 : 448 .
(12) مؤلف كتاب **مشرع الراوى ، فى مناقب بنى علوى** . انظر ك . بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 617
(13) ل . بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، ص . 295 ورقم 1 ، مع المراجع المذكورة هناك .
(14) انظر ك . بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربى** ، 2 : 279 ، **والملحق** ، 2 : 510 .
(15) **المصدر السابق** ، **الملحق** ، 2 : 521 (931) .
وهذه المعلومات مأخوذة عن ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 4 : 358 — 359 نقلا =

وترجع شهرة ابن سليمان الروداني قبل كل شيء الى تضلعه في علم الفلك ، فقد صنع ، زيادة على أسطرلابات ، أدوات تظهر غريبة في ذلك العصر ، في نفس الوقت الذي اخترع معاصره الفرنسي باسكـال (1623 — 1662) الآلة الحاسبة . وسننقل فيما يلي شهادة أبي سالم العياشي الذي كانت له معرفة شخصية بالمترجم ، والذي لا يتطرق الشك الى ما قال فيـه :

« وكانت له — أي للروداني — يد صناع ، يحسن غالب الحـرف المهمة سيما الرقيقة العمل الرائقة الصنع ، كالطرز العجيب ، والصياغة المتقنة ، وتسفير الكتب ، والخرازة . وقد أخبرني أنه لما كان بمراكش كان يتفرغ في الاسبوع الا يوم الخميس فيطلع فيه ثلاثة أزواج من السبـاط واكثر ، فيبيعها ويتقوت بها الى الخميس الآخر . وله يد طولى في عمـل الاسطرلابات وغيرها من الالآت التوقيتية ، كالارباع والدوائر والانصاف والمكانات . ومن أعجب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجـاج المنصدمة بحسن احتيال ، ولطف تدبير ، الى أن لا يكاد صدعها يبين ، ويصير مثل الشعرة الرقيقة .

« ومن ألطف ما أبدعه وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه **الآلة الجامعة النافعة** في علمي التوقيت والهيئة ، ولم يسبق الى مثلها ، ولا حاذى أحد على شكلها ، بل ابتكرها بفكره الفائق ، وصنعه الرائق . وهي كورة مستديرة الشكل ، منعمة الصقل ، مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتـان ، يحسبها الناظر بيضة من عسجد لاشراقها ، مسطرة كلها دوائر ورسوم ، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين ، فيها تخاريم وتجاويـف لدوائر البروج وغيرها ، مستديرة كالتي تحتها ، مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ، ومخبر فائق . وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة ، مع سهولة المدرك

= عن المحبي في **خلاصة الأثر** ، وعن ابن المترجم سالم الروداني في **الامداد ، في معرفـة علـوم الاسنـاد** .

لكون الأشياء فيها محسوسة ، والدوائر المتوهمة فى الهيئة والتقاطع الذى بينها مشاهد فيها ، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها . وحاصل القول فيها أن الوصف لا يكاد يحيط بها ، ولا يعلم قدرها ومزيتها الا من شاهدها وكانت له معرفة بالعلمين ، فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر ، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير فى تصوره ذهنا ، قد أيد بنور الهدى والهام ربانى » (16)

وألف ابن سليمان الرودانى رسالة يبين فيها كيفية استعمال هذه الكرة سماها **النافعة على الآلة الجامعة** (17) وقد يكون من المفيد محاولة اعادة تركيب هذه الآلة اعتمادا على رسالة المؤلف ، لاخذ فكرة عن تقدم الفلك فى ذلك العصر ، كما الف **منظومة** طويلة فى الفلك **وشرحها** . (18) رد فيها على نظريات بعض الرياضيين ، معتمدا على قواعد وبراهين من عنده . ومن غريب الصدف أن الرياضى والفيزيائى الانجليزى المشهور نيوتن (1643 — 1727) اخترع بعد موت الرودانى بمدة قصيرة قانون الجاذبية الارضية (سنة 1687) . فاذا كان الرجلان مختلفين من حيث البلاد واللغة ، فقد شغلتهما نفس الاهتمامات فى ميدان البحث والابتكار .

وقد كان مترجمنا المنجم من أكابر الفقهاء والمحدثين أيضا ، فأهله ذلك لأن يشغل فى مكة ، بعد رجوعه من القسطنطينية عام 1082 = 72/1671 ، منصب مفتى الحرمين الشريفين ، فكان له من النفوذ القوى ما يمكنه من الفصل فى جميع المسائل الفقهية الخاصة والعامة ، ويجعل شريف مكة المكرمة يرجع اليه ويصدر عن رأيه فى جميع القضايا ، ودامت تلك المكانة السامية للرودانى الى أن توفى شريف مكة عام 1093 = 1682 ،

---

(16) ع . ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 4 : 349 — 350 . وقد كان أبو سالم العياشى أول من أدخل الى المغرب آلة من هذا النوع أهداها اليه الرودانى نفسه ، واستعملها بعد ذلك ابن عمه عبد الله العياشى فى الزاوية الحمزاوية لتحقيق القبلة وتصحيح محراب مسجدها . (انظر مجلة **تطوان** ، 1963 ، عدد 8 ، ص . 162 ، مقال م . المنونى .

(17) مخطوط المكتبة الحمزاوية ، عدد 168 ، (انظر **المرجع السابق** ، ص . 151) .

(18) طبعت المنظومة فى الهند ، وعنوان شرحها . **مقاصد العوالى بقلائد اللآلى** ، (مخطوط) ع

اى سنة واحدة قبل وفاة المترجم . وبعد ذلك زالت حظوته وحكم عليه بالنفى الى بيت المقدس . فامتنع من الذهاب اليه متعللا بانعدام الأمن فى الطريق ، وأخيرا ترك أسرته فى مكة وذهب الى دمشق حيث عاش وحيدا لا يخالط الا قليلا من الناس ، مكبا على التأليف . وهناك الف كتابه المشهور فى علم الحديث **الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ** (19) على نمط **جامع الاصول** لابن الأثير (المتوفى عام 606 هـ) ، الا انه اكثر منه تفصيلا . ويحتوى ، فضلا على ما فى **موطأ** مالك بن انس (المتوفى عام 179) ، على أحاديث الكتب الخمسة التى هى : **صحيح البخارى** (المتوفى عام 256) ، **وصحيح مسلم** (المتوفى عام 261) ، **وسنن أبى داوود** (المتوفى عام 275) . **وجامع الترمذى** (المتوفى عام 279) ، **وسنن النسائى** (المتوفى عام 303) . ومن المعلوم ان اصطلاح المحدثين فى الأصل يضيف الى الكتب الخمسة السابقة **سنن ابن ماجه** (المتوفى عام 273) لتتكون الكتب الستة الاساسية فى التشريع ، وقد تردد رأى المحدثين ، خلال العصور ، بين اعتماد الكتب الاربعة فقط (باخراج كتابى الترمذى وابن ماجه لما فيهما من الأحاديث الضعيفة) أو الكتب الخمسة (باخراج سنن ابن ماجه فقط) ، أو الكتب الستة جميعا (20) وبذلك يكون المترجم قد تبع المعروف من تطور اصطلاح المحدثين . والف الرودانى كتابا آخر أوسع من الاول واشمل ، جامعا فيه بين اربعة عشر من كتب الحديث وسماه **جمع الفوائد ، لجامع الاصول ومجمع الزوائد** (21) اشتمل على أحاديث الكتب الستة السابقة ، **والموطأ** ، **ومسند الدارمى** (المتوفى عام 255) ، **ومسند أحمد ابن حنبل** (المتوفى عام 241) ، **ومسند أبى يعلى** الموصلى (المتوفى عام 307) ، **ومسند البزار** (المتوفى عام 292) ،

---

(19) طبع هذا الكتاب بالهند .

(20) انظر ابن خلدون ، **المقدمة** (طبعة بيروت) ص 792 — 793 ، وكولدزيهر ، **دراسات حول الحديث الاسلامى** ، 7 : 322 — 327 وما بعدها .

(21) انظر ع . ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 4 : 336 و 339 ، و م . السوسى ، **سوس العالمة** ، ص . 181 .

ومعاجم الطبرانى (المتوفى عام 360) الثلاثة : الكبير والاوسط والصغير · ويعتبر رجال الحديث كتاب الرودانى هذا احسن وأوفى من **كتاب الهيثمى** (المتوفى عام 808) ، الذى جمع فيه من قبل أحاديث هذه المسانيد كلها ·

وقد الف ابن سليمان الرودانى، علاوة على ذلك : **أوائل الكتب الحديثية، ومختصر التحرير فى أصول الحنفية** (22) لابن الهمام (المتوفى عام 861) **وشرحه** · وترجم لنفسه فى فهرسته **صلة الخلف بموصول السلف** (23) التى ذكر فيها كل ما قرأ من الكتب والشيوخ الذين أخذ عنهم ، واعطى بالخصوص فكرة عن التعليم فى عصره · وله فى النحو **حاشية على التسهيل** ، **وحاشية على التوضيح** ، وكلاهما لابن مالك (المتوفى عام 672) وفى البلاغة **مختصر تلخيص المفتاح** للقروينى (المتوفى فى عام 739) **وشرحه** ، وفى صناعة قرض الشعر **جدول فى العروض** ، وفى طريق القوم **منظومة فى التصوف** (24)

وكما كان ابن سليمان الرودانى رياضيا ، ومنجما ، وفقيها ، ومحدثا ، ونحويا ، ولغويا ، كان كذلك أديبا · واكتسب آثاره النثرية والشعرية طابعا خاصا ان لم نقل غريبا ، مثلما هو الحال فى الحرف الدقيقة التى كان يمارسها ، والآلات الغريبة التى يصنعها · وهذه مقطوعة شعرية يجيب بها أحد أصدقائه ، وهو يحيى ابن الباشا الاحسائى ، بمناسبة مروره بالمدينة المنورة ، فى ثمانية ابيات من بحر المديد ،رويها الهمزة تتفرع عنها عدة أبيات مختلفة البحر والروى ، اذا ما قرئت عموديا أو افقيا أو جزئيا · ويتركب من الحروف الاولى فى الأبيات الاصلية كلمتا (يا يحيى خذ) اشارة الى الآية الكريمة : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » (25)

---

(22) شرح عذا الكتاب المسند محمد سعيد بن محمد سنبل الشافعى (انظر ع· ابن ابراهيم المراكشى الاعلام 4 · 359) ·

(23) مخطوط عدد 5 ح · مكتوب بخط ابن المؤلف ابى بكر عام 1097 = 1686/85 ·

(24) انظر م · السوسى ، **سوس العالمة** ، ص · 181 · « وهذه المؤلفات يغلب على الظن انها كلها توجد فى الشرق » ·

(25) السورة 19 الآية 12 ·

ى يفعت .. غرة بدر .. تباهـــا لامع .. وجها .. سمى .. الذكاء
ا ارتقى .. على الانام .. ضيـــاه ساطع .. عطره .. شدى .. النداء
ى يقظ .. فطن أريب .. لبيــب شامخ .. المجد .. ذكى .. النهاء
د حاكم .. نظم اليتامى .. ذكـــاه بارع .. شعرا .. سنى .. البهاء
ى يقتضى .. شكرا علينا .. ثنـــاه باهر .. الحسن .. بهى .. النقاء
ا أصله .. عند انفخام .. حبـــاه رافع .. قدرا .. ولـــى .. اللـــواء
ذ خطبه .. فى نسج نظم .. بديع بحره .. طـــام .. وفى .. العطاء
ذ ذارشى .. عبد الخزام .. شذاه هامع .. زهرا .. زهى .. الصباء

ولا حاجة الى استخراج ما فى هذه الأبيات من تكلف ومبالغة ، بحيث لا يكاد يبقى فيها شىء اذا استثنينا ما تحتـــوى عليه من ضروب التكرار والحشو . وقد ينبه لذلك ابو سالم العياشى ، فرجا من القارىء أن يتساهل مع الشاعر ، ويغض الطرف عما فى أسلوبه من ثقل ، وفى افكاره من رتابة : « لما اشتملت عليه من افنان الفنون ، ويانع الغصون » .

وكتب الرودانى على اثر تلك الابيات نثرا لا يقل عنها تصنعـــا :

« دونكما بكرا تدانيها ، لانك اخو أبيها ، اقترحها فكر بارد ، وقدحها زند خامد . قال تعالى : « يخرج الحى من الميت » . وفقتها من القصائد عشرا ، وفوقتها من النوافخ نثرا ، لتكون مكان قصيدتك بما لها ، والحسنة بعشر امثالها . ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة ، أبيات قصيدتك الباهرة ، فان لاقيتها فيافوزها بسعادتها ، أو القيتها فياخسارتها فى تجارتها ، فـــان قلت الشعر بالشعر ربى ، والتفاضل فى البيع ربى ، قلت التفضيل عنـــد المالكية حاصل ، والتحصيل بعد المعية فاصل ، وقول باهرتك ان التريض على العبيد عسير ، على بمعنى عند وسبق القلم ، فكتب محل الكاف عينا ، والثاء سينا ، تذنيبا منه بنكتة كالشمس خفاها ، والضياء دجاها » (27)

---

(26) انظر ع . ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** 4 : 357 ، نقلا عن **رحلة العياشى** .
(27) المصدر السابق ونفس الصفحة .

تدل هذه الجمل القصيرة المزدوجة السجع على قصر فى النفس ونقص فى الالهام · واذا كان المثل المضروب قد اختير بدراية ، فان الامر ليـــس كذلك فيما يتعلق بالآية الكريمة ومرماها البعيد عن احتمال التشبيه بانتاج هذا (الفكر البارد) و (الزند الخامد) ·

يستنتج مما سبق ان فكر ابن سليمان الرودانى كان علميا اكثر منه ادبيا · فكانت كتاباته النثرية والشعرية ، بما فيها من تعقيد وضـــــروب تنسيق ا لا تخلو احيانا من مهارة وبراعة ، تذكر بالطرق الفنية ، والالآت الدقيقة التى تنتجها يده الصناع · هكـــذا كان هذا الرجل الغريب الـــذى درس ، علاوة كل ما تقدم ، علوم البحر من **رمل** و**أوفاق** و**سر الحرف** ·

وكانت وفاة محمد بن سليمان الرودانى بدمشق فى عاشر ذى القعدة الحرام عام 1094 = 31 أكتوبر 1683 (28) ودفن ، بوصية منه ، فى التربة الايجيـــة بسفح جبل قاسيون ·

---

(28) وليس عام 1682 كما حسبه ع · ابن سودة فى **الدليل** ص · 304 · ولا عام 1095 كما بعض المصادر الأخرى · (انظر م · القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 155 ب ، و ع · كنون **النبوغ** 1 : 285 ·

عبد الرحمن الفاسي [1]

1685 — 1631 = 1096 — 1040

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن ابى المحاسن يوسف الفاسي الفهري « سيوطي زمانه » وأكبر مؤلف مغربي . ولد بفاس في 17 جمادى الثانية عام 1040 = 21 يناير 1631 وتابع فيها دراسته تحت اشراف والده . فبعد ان حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره وجوده بالقراءات السبع ، تابع دروس عدد كبير من أعلام المدينة الادريسية يطول ذكرهم في مختلف فروع المعرفة (2)

وليس عدد الشيوخ المشارقة الذين اجازوه بأقل من ذلك ، وان كان لا يعرف بالضبط أين لقيهم ، لان مترجميه لم يذكروا ان كان قد قام بأداء فريضة الحج (3) يبقى بعد كل هذا ان المترجم ترك تآليف كثيرة ومتنوعة تربو على مائتي كتاب (4) في العقائد ، والفقه المالكي ، والقضاء

---

(1) انظر ترجمة عبد الرحمن الفاسي بقلمه في **ابتهاج القلوب** ، **والأقنوم** ، **وديوانه** . وعند أ — م . القادري ، **فريدة الدر** ، ص . 97 ، ب — مولاى سليمان ، **عناية** ، ص . 43 — 44 ، ج — ابن عجيبة ، **طبقات** ، د — م . الفاسي (ابنه) ، **المنح البادية** ، **واللؤلؤ والمرجان** ، هـ — م. الفاسي ، **الأدب المغربي** ، ص . 533 ، **ولائحة كاملة** ، و — ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 285 ، ز — ا . النميشي ، **تاريخ** الشعر ، ص . 72 ، ح — ع . الكتاني ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 133 — 134 ، ط — م . الكانوني ، **تاريخ الطب** ، ص . 91 ، ک — ج . سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص. 1010 ، ل — ا . الرجراجي ، **الشموس المنيرة** ، ص . 51 — 52 ، م — م . الحجوى ، **الفكر السامي** ، 4 : 116 ، رقم 774 ، ن — ل . بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، ص . 266 — 269 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ص — ک . بروكلمان ، **الملحق** ، 1 : 805 ، 2 : 695 ، ع — دكتور هـ . ب . ج . رونو ، **الطب والاطباء** ، ف — م . بشير ، **يواقيت** ، ص . 195 ، ض — ل . ميليو ، **مجموع فقهي** ، ص . 55 ، 1952 .

(2) انظر مولاى سليمان ، **عناية** ، ص 43 .

(3) **المصدر السابق** ، ص . 47 .

(4) يذكر أصحاب التراجم منها لحد الآن ازيد من مائة كتاب على اثر ما عثر عليه منها أخيرا من طرف م . الفاسي (انظر مجلة **البحث العلمي** ، عدد 6 ، السنة الثانية ، 1965 ص . 33 — 34 ، تتميما لما في مجلة **هسبريس** ، جزء ، 1942 ، ص . 65 — 81) .

المغربى ، والطب ، والتنجيم ، والتراجم ، والتاريخ · وفى كتاب ل · بروفنسال **مؤرخو الشرفاء** (ص . 266 — 269) قائمة أهم مؤلفات عبد الرحمن الفاسى فى المادتين الأخيرتين مع نقدها ، لذلك سنتركها جانبا لنعطى نظرة وجيزة عن كتبه الادبية والفقهية وبخاصة دائرة معارفه المسماة **بالاقنوم فى مبادى العلوم** ·

المؤلفات الادبية :

1 — ديوان شعر جمعه ابنه محمد وادمجه فى الجزء الخامس من كتاب **اللؤلؤ والمرجان** الذى وضعه للتعريف بوالده (5)

2 — **العجب فى علم الأدب** ·

3 — **معارضة قصيدة أبى الشق** · (لعله يقصد ابا الشمقمق) ·

4 — **تأليف فى صناعة الشعر** ·

5 — **الجرومية فى التغزل** (6)

6 — **بائية فى مدح صلحاء فاس** ، مطلعها :

الامل الى فاس فتلك منى القلب وحدث بها عمن ثوى باطن الترب

وقد عارض بها **سينية** ابن باديس فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى ، دفين بغداد ·

الامل الى بغداد فهى منى النفس وحدث بها عمن ثوى ساكن الرمس

ويلاحظ أن المترجم لم يتصرف فى هذه المعارضة الا قليلا باستبدال بعض الكلمات والقافية ·

7 — **قصائد كثيرة** فى مواضيع مختلفة (7)

ب — المؤلفات الفقهية والحديثية وهى كثيرة من اهمها :

---

(5) كان هذا الديوان فى ملك المهدى الفاسى قاضى برشيد (انظر م · الفاسى ، **لائحة كاملة** ، ص · 66) ·

(6) انظر **المصدر السابق** فيما يتعلق بسائر هذه المؤلفات الادبية ، ص · 66 ، 69 ، 73 ·

(7) انظر م · الفاسى ، **لائحة كاملة** ، ص · 76 ·

1 ـ **العمل الفاسى** ، الذى سنتحدث عنه بعد قليل ٠

2 ـ **السكينة فى تحديث أهل المدينة** (8)

3 ـ **مفتاح الشفاء** ، يعنى **شفاء** القاضى عياض المشهور (9)

4 ـ **استطابة التحديث بمصطلح الحديث** ، وهى منظومة فى مصطلح الحديـث (10)

العمـل الفاسـى (11)

هذا الكتاب الذى يتحدث عـن القضاء المغربى ، يتبـع مؤلفات مختلفة فى الفتاوى ، والأحكام ، والاجوبة ، والنوازل ، والوثائق ٠ وهو يكون دراسة وافية فى الأقضية التى صدرت عن قضاة فاس ، نظمه المؤلف فى سبعة عشر وأربعمائة بيت من بحر الرجز ملخصا فيه سلسلة من الصيغ القضائية ٠ ونظرا لاختصاره فقد وضعت له شروح عدة ، فى مقدمتها شرح الناظم نفسه ، الا انه لم يكمله ، وشرح ابى القاسم بن سعيد العميـرى (المتوفى عام 1178 = 1764 ـ 65) بعنوان **الأمليات الفاشية من شرح العمليات الفاسية** ٠ (12) وشرح محمد بن أبى القاسم السجلماسـى الرباطى (المتوفى عام 1214 = 1800) (13) ويجب التذكير هنا بأن تاريخ الفقه الاسلامى يرجع الى الامام مالك بن انس « الذى اتخذ من عمل أهل المدينة اصلا من أصول مذهبه ، يقدمه على الاحاديث الصحيحـة ، فى حين تبع الحنفية والحنابلة من جهتهم عمل العراق ، والشافعية عمـل مكة » (14) ولما تمركز المذهب المالكى بعد ذلك فى القيروان ، بقى العلماء يرجعون الى طريقة فتاوى الفقهاء وأحكام القضاة ٠ وحدث مثل ذلك عندما وصل العلم الى فاس ، غير أن علماء هذه المدينة كانوا يلتزمون فى اغلب

(8 ـ 9 ـ 10) انظر ع ٠ الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 133 ٠

(11) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، عدد 872 ، 1388 ، 1490 ، 1491 ، من حرف د ٠

(12) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، عدد 361 و 1089 د ٠

(13) هذا اشهر شروح **العمل الفاسى** ، وهو فى الواقع يتمم شرح عبد الرحمن الفاسى نفسه ٠ وقد طبع على الحجر بفاس مرات عديدة ، أولاها عام 1291 = 1874 ٠

(14) انظر ل ٠ ميليـو **مجموعة العمل** ، ص ٠ 9 ـ 10 ٠

الأحيان بعمل الاندلس ، لان أهل فاس ، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة (9 و 10 للميلاد) ، كانوا قد انحازوا الى أمويى الاندلس ضد شيعة عبيد الله الفاطمى · ولما استقل المغرب بعد ذلك كان له فقهه الخاص الذى هو أصل العمل الفاسى ·

« ان السبب الاصلى للعمل عند فقهاء المالكية هو عجز الفقه · فقد يظهر تضارب بين آراء علماء المذهب فى بعض المواد ، ويأخذ أحد القضاة ، فى بعض الحالات ، بقول مخالف للمشهور ، تفاديا لضرر أو اضطراب ، ومسايرة للعادة رعيا للصالح العام ، ثم يقلده من يأتى من بعده ... هذا الحل مطابق لمبادىء المذهب المالكى المبنى أساسا على المصلحة ، أو اعتبار الحاجيات والضرورات الوقتية . فالعمل ، مثل العادة ، أصل من أصول الفقه ، يبرز تقلباته الطابع المتغير لمفهوم الصالح العام ، فاذا انتفت علة وجوده ، عدل عنه الى المشهور الذى هو أحد الضوابط المشرعية للفقه . لكن العمل ، فى آخر المطاف ، لا يمكن أن يخالف الشرع (القرآن والسنة) الذى لا يقدم عليه أى اعتبار لصالح عام أو اية عادة قائمة » (15)

ان تحليلا سريعا للعمل الفاسى يجعلنا نستخرج منه الأقسام الرئيسية التالية :

1 — موضوع هذا النظم : بعض مسائل من الأحكام ·

2 — العمل الفاسى ، التابع للاعراف ، يرفع الخلاف فى بعض النوازل ·

3 — هذه المسائل مأخوذ بعضها عن الثقات من العدول والقضاة ·

4 — وبعضها الآخر مستقى من مؤلفات المتأخرين من الفقهاء وأجوبتهم ·

5 — منها ثمانى عشرة مسألة وردت فى **لامية** الزقاق (16) ·

---

(15) **المصدر السابق** ، ص · 10 ·

(16) انظر ترجمة عبد الوهاب الزقاق عند ابن عسكر ، **الدوحة** ، ص · 43 ·
و ل · بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، ص · 89 ، رقم 2 ، مع المراجع المذكورة هناك ·
وتوجد **لامية** الزقاق مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط تحت عدد 782 د ·

ب — مسائل من النكاح ، والطلاق ، والنفقة ، واللعان ، والعدة ٠

ب — مسائل من البيــــوع ٠

د — مسائل من الرهن ، والضمـان ، والشركة ، والقسمـــة ، والشفعة ، والوكالـــة ، والاستحقاق ، والاستلحـــاق ، والاسترعـــاء ، والغضب ٠

هـ — مسائل الجعل ، والاجازة ، والكراء ٠

و — مسائل من الجنس ، والهبة ، وما يلحق بهما ٠

ز — مسائل من اليمين ، والقضاء ، والشهادة ٠

ح — مسائل من الوصايا ، وأحكام الأوصياء والمحاجيـــر ٠

ط — جمع مسائل من أبواب ٠

وهنا ينبغى التنبيه الى كتاب آخر ظهر فى **العمل المطلق** الى جانب الكتاب السابق الخاص بعمل فاس ، وهو أيضا رجز من نظم وشرح السجلماسى سابق الذكر ٠ « ويعتمد هذا الكتاب — **العمل المطلق** — على الأقضية التى وقع فيها فصل مشترك فى جميع البلاد الاسلامية الذى تتسم الحلول المدروسة فيه ببعد المرمى ، وعموم التطبيق ، ومن ذلك العمـــل المقرر فى الصيغة الخاصة بالطلاق الثلاث ، عندما يتلفظ به الزوج مـــرة واحدة ، خلافا للقواعد التالية بنص القرآن من أن الطلاق يقع ثـــلاث مرات » (17)

ان دراسة العمل الفاسى وحده تتطلب كتابا كاملا ، ولما لم يكن ذلك باستطاعتنا ، فقد اكتفينا بجلب استشهادات لبعض المتخصصين فى المادة الفقهية ٠ ونختم كذلك بفقرة وردت فى نهاية بحث ف . لوبينياك عـــن الشفعة : « يقدم كتاب **العمل الفاسى** المشهور فى الفصل المتعلق بالشفعة — كما نرى — مصلحة حقيقية ، بما يأتى به من تجديد وتنوع فى العمـــل

---

(17) ل ٠ ميليـــو ، **مجموعـــة العمـــل** ، ص ٠ 10 ٠

الفقهى ، ويعطى أمثلة متعددة لهذا التطور فى الفقه الايجابى المغربى ، الذى يكون أحد ملامحه الأكثر جاذبية لبعض العقول الغربية . فالعمل الموضوع أمام الضرورات والحالات الجديدة ، التى لم تكن معروفة عند المؤلفين القدماء ، لم يتردد فى أن يكيف لها القواعد ويلينها ويدخل الفروق الضرورية ليضمن للمتقاضين حقا اكثر انسانية وملاءمة لمطامحهم وحاجياتهم ، دون أن يتعارض مع القواعد الأساسية للفقه الاصلى . وهكذا يبدو ، من حين لآخر ، أن المبدأ القديم لثبات الفقه الاسلامى ، ينبغى أن يراجع بعزم واقدام » (18)

الأقنوم فى مبادىء العلوم (19)

لا تقل شهرة عبد الرحمن الفاسى **بالأقنوم** عن شهرته **بالعمل الفاسى** . **والأقنوم** ايضا رجز تعليمى طويل النفس ، يتناول جميع العلوم المعروفة فى عصر المؤلف ، ويبلغ عددها واحدا وثمانين ومائتى علم ، كالعقائد ، والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، واصول الفقه ، والفرائض ، والنحو ، والتصريف ، والخط ، والمعانى الخ . وتعد هذه المعلمة بحق فريدة من نوعها ، ويعرفنا الناظم فى المقدمة بما يهدف اليه :

جمعت منها الموجز القريبا — لكى يرى فى جمعه عجيبا
من كل مدخل الى علوم — ونظمه أسميه بالأقنوم
شبه النقاية ولكن أزيد — علما ، ومنظوم ولكن أفيد
جئت به فى قصدها تتميما — كيما يكون جامعا عظيما
وذاك لما أن رأيت الاعتنا — بما على ما قل منها ودنا
وددت لو لم تخل من فنون — تزيد والحديث ذو شجون (20)

تسير المنظومة كلها على هذا المنوال حيث يلاحظ استعمال بعض الزوائد ، والكلام المعاد ، لملء فراغ بعض الأبيات ، أو اقامة وزنها .

---

(18) ق . لوبنياك ، **الفصل المتعلق بالشفعة من العمل الفاسى** ، هسبريس ، جزء 26 ، 1939 ، ص . 193 — 239 .
(19) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، عدد 15 ك .
(20) **المصدر السابق** ، ص . 2 .

ويهمنا بالخصوص من **الأقنوم** الفصل السادس والعشرون المخصص للأدب الذى يحدده الناظم هكذا :

علم بكيفية ايجاد الكلام	**مع البلاغة بنثر أو نظام**
لابد من دراسة الأخبار	**فيه وعلم سالف الأعصار**
ومازها من مثل الأشراف	**من مازها منها القليل كاف**
ولينتخب من كلها صحيحه	**مع جودة العقول والقريحه**
فيدخل الأحسن فى كلامه	**بطريق تليق فى مقامه**
ويدع التقعير والتقعيبا	**ويلزم التأديب والتهذيبا**
والصون عن دناءة المروءه	**والغيبة المشومة المشوؤه**
وصنعه عن كذب يشان	**وقبل هذا واجب يصان**
عن رفث المزح وعن قول شنيع	**وبعد يستحب حيث يستطيع**
فى القول أن يعدل عما ألزما	**مستثل الاعراب حتى يسلما**
فالنفس مثل الطفل ان تهمله	**زاد والا انكف ان تمله**
وليعط أرفع الكلام للرفيع	**من المخاطب ويخفى للوضيع**
وليسلك الايجاز فى محله	**كل مقام مفرد بقوله**
اذ ليس الاختصار بالمحمود	**فى كل ما يرام من مقصود (21)**

هكذا نرى الناظم ينصح الاديب بأن يختار فى كتابته ، من الألفاظ والعبارات النبيلة أو العادية ، ما يناسب مقام الخطاب ، مذكرا بنصيحة ابن قتيبة المشهورة : « لكل مقام مقال » . ويذكرنا هذا « **الفن الشعرى** » بنظيره عند الشاعر الباريسى بوالو (1636 — 1711) ، الذى ألف كتابه فى نفس الوقت الذى نظم فيه عبد الرحمن الفاسى **الأقنوم** .

ولنتقف بعد هذا قليلا عند الفصل المتعلق بالأسلوب من **الاقنوم** :

وهو عبارة عن المنوال	**لنسج ما ركب من مثال**
بصورة صارت لدى الخيال	**بالذهن كالقالب والمنوال**

---

(21) **المصدر السابق** ، ص . 83 .

انتزعــت بالذهــن مــن أعيــان	**تراكـب صحـت بهـا معانـــى**
يرصهـــا فى قالـــب كالبنـــا	**أنواعهـا تخـص فنـا فنـــا**
يأتـى السـؤال للطلـول مثـلا	**بأن تخاطـب كمـن قـد عقـلا**
أو بالتحيـــة لهـــا واستدعـا	**الصحــب للوقوف يصغى سمعـا**
أو باشتكا الصحب عليها أو سؤال	**عـن الجواب لمخاطـب يسـال**
أو أمــره بــأن يحيـى الطلــول	**أو بالدعا لها بسقيـا فى المقـول**
أو بسـؤال البـرق أن يستقبـلا	**أو عنه يستفهم ذاك الطلـلا (22)**

هكذا نجح الناظم فى التعريف بالأسلوب بطريقة مجازية ، مشبها اياه بمنوال النساج ، وقالب البناء . واذا كان مترجمنا ، مثل بوالو ، ناظم شعر قبل كل شىء لم يطبق هو دائما ما ينصح به الآخرين ، فان له على الأقل فضل الشعور بالاشياء والتعريف بهـا .

ولنستمع اليه فى الختام يتحدث عن الذوق :

والـذوق وجدانـى لدى الكـلام	**فى اللسن مثل الـذوق فى الطعام**
اذ بممارسـة أسلـوب العــرب	**حصلـت الملكـة التـى تحـب**
صاحبهـا يسمـع غـير المعتـاد	**له يـراه عـن لسانـه حـاد**
فذلـك الـذوق يمجـه بـه	**لكونـه خرج عـن أسلوبـه (23)**

وكانت وفاة عبد الرحمن الفاسى فى 16 جمادى الاولى من عـام 1096 = 20 أبريل 1685 .

---

(22) المصدر السباق ، ص . 89 .
(23) المصدر السابق ، ص . 92 .

الحسن اليوسى (1)

(1692 — 31 — 1630 = 1102 — 1040)

أبو على الحسن بن مسعود بن محد بن على بن يوسف بن داوود بن يدراسن البوحديوى · ربما كان أكبر أديب عرفته بلادنا ، وأحد المؤلفين المغاربة القلائل الذين ذاع صيتهم بالمشرق · (2)

عرف الناس قيمة هذا العالم فى حياته ، وأكدتها الدراسات العديدة التى خصصت له منذ مطلع هذا القرن · (3) وقد قال فى حقه معاصره أبو سالم العياشى :

من فاته الحسن البصرى يصحبه فليصحب الحسن اليوسى يكفيه

وبعد مرور قرنين على وفاته ، نجد بعض النقاد يتحدثون عنه بما يأتى :

1 — يقول ل · بروفنسال . « قبل أن يكون اليوسى عالما بالتوحيد ، عضوا عاملا فى الطريقة الصوفية ، كان أديبا بارعا متضلعا فى الأدب العربى ، وشاعرا ذا قيمة لا يستهان بها » · (4)

---

(1) انظر ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، 269 — 272 وما ذكر من مراجع ، م · الفاسى ، **الأدب المغربى** ، ص · 534 — أ — ب ، ع · كنون ، **النبوغ** ، 1 : 285 286 ، 2 : 307 — 313 ، 3 : 37 — 38 ، الخ ، م . ابن تاويت و م . عفيفى ، **الادب المغربى** ، ص · 311 — 321 ، الخ ، ك · بروكلمان ، **الملحق** 2 : 675 — 676 ، ع · الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 464 — 470 ، ج · بيرك ، **اليوسى** ، م · **حجى** ، الزاوية الدلائية ، ص · 97 — 108 ، ع · ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 88 و 188 ، 2 : 312 الخ · ع · ابن ابراهيم ، **اظهار الكمال** ، ص · 286 — 288 ، أ · النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص · 32 ، م · داوود ، **تاريخ تطوان** ، 1 : 411 — 415 ، ع · ابن زيدان ، **المنزع** ، ص 309 ، م · بشير ، **يواقيت** ، 1 : 133 ، أبو المحاسن ، **أبو على اليوسى** ، م · الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 117 — 118 رقم 779 ·

(2) مثله فى ذلك مثل سلفه العياشى ، وعبد القادر الفاسى ، وخلفه الزيانى ، وأكنسوس ·

(3) أنظر البيبليوغرافيا فى الأخير ·

(4) ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 269 ·

2 ــ ويؤكد محمد الفاسى أن اليوسى « ذائع الصيت لاسيما فى العقائد والفقهيات . وقد كان أيضا وقبل كل شىء أديبا وشاعرا ذا موهبة عالية ، بل انه أكبر شعراء القرن الحادى عشر = السابع عشر م » (5) .

3 ــ ويلاحظ ج . بيرك « أن اليوسى الصوفى المتكلم ، المتفلسف فى الفقه بدلا من أن يكون مجرد فقيه ، يحتل مركزا شاذا فى الوسط الفكرى لعصره ، وبخاصة فى فاس ، ذلك الوسط الذى كان يتمثل فى كبار الفاسيين . وليس هذا الشذوذ ناتجا عن أصل الرجل ولا عن تكوينه ، اذ ان كثيرا من علماء البادية الآخرين يلجون باب الحظوة والشهرة بسهولة فى المدينة الكبرى . ان أصالة اليوسى لهى على الاصح فى تأكيد الصراع فى بعض المواقف ، فى حين انه أيضا أحد المؤلفين القلائل فى الأدب لذلك العهد . وبهذا ينفصل عن التقاليد فى النهج ، وبهذا يمتزج بها على العكس . ذاك هو ما لا يكشف عن مميزات موهبة اليوسى أو شخصيته ، بقدر ما يبين وضعية الآداب فى المغرب خلال النصف الثانى من القرن السابع عشر ، بالنسبة للمدرسة التقليدية التى تتوطد بفاس » (6) .

ولد اليوسى عام 1040 = 1630 ــ 31 فى قبيلة آيت يوسى الكبرى جنوبى فاس . وتجول منذ يفاعته فى أرجاء المغرب طلبا للعلم ، من سجلماسة الى دكالة ، مارا بدرعة وسوس ومراكش . وانتهى به المطاف الى زاوية الدلاء ، حيث أكب على التعليم الى أن قضى عليها السلطان مولاى الرشيد عام 1079 = 1668 . وقد أخذ عن شيوخ كثيرين ذكرهم فى **فهرسته** ، من أشهرهم : محمد ابن ناصر ، وعيسى السكتانى ، والمرغيثى الذى أجازه ، وعبد الله بن على بن طاهر السجلماسى ، (7) ومحمد بن محمد

---

(5) م . الفاسى ، **الأدب المغربى** ، ص . 534 I .

(6) ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص . 112 .

(7) انظر ل . برونشفيك ، **شرفاء** ، ص . 270 هامش 2 ، م . القادرى ، نشر ، 2 : 125 ، ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص . 46 .

التجموعتى ، (8) وأبو بكر بن الحسن التطافى ، (9) ومحمد المزوار ، (10) والهشتوكى ، وأحمد بن سعيد المجيلدى · (11) ونشير الى ان اليوسى ، عندما استقر بالزواية الدلائية ، أخذ عن محمد المرابط ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وأبى عمرو الدلائيين · وتخرج على يد اليوسى عدد وافر من العلماء ، أمثال الحسن بن رحال المعدانى ، وأحمد الولالى ، والعربى القادرى ، وعبد السلام القادرى ، ومحمد بن عبد السلام بنانى . اخذوا عنه التصوف والتاريخ والأدب · وفى أثناء مقامه بتطوان عام 1085 = 1674 — 75 ، تتلمذ له عالمها الحاج على بركة · (12)

ألف اليوسى كتبا كثيرة ضاع — للأسف — معظمها ، لكن وقع العثور على بعضها · ونظرا لكثرتها نكتفى بذكر ما لا يوجد عند ل . بروفنسال وك · بروكلمان (13) .

أ — فى الفقه والحديث :

1) **أرجوزة فقهية** على نمط **المرشد المعين** لابن عاشر (14) .

2) **قواعد الاسلام ، من مضمون حديث النبى عليه السلام** ، فى واجبات المكلف (15) ·

---

(8) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 270 هامش 4 ، م . القادرى ، **نشر** ، 2 : 23 ، **التقاط** ، ورقة 33 ، ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص · 46 وهامش 36 .

(9) أنظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 270 هامش 1 ، م . القادرى ، **نشر** ، 2 : 125 ، م · الافرانى ، **صفوة** ، ص · 117 ، ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص · 46 — 47 ·

(10) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 270 هامش 6 ، م . الافرانى ، **صفوة** ، ص · 111 ، م · ابن الموقت ، **السعادة** ، 1 : 135 ، ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص · 47 .

(11) انظر م . القادرى ، **نشر** ، ص · 351 ، م . الحضيكى ، **مناقب** ، 1 : 74 ، ج . بيرك ، **اليوسى** ، ص · 47 وهامش 38 ، ع . ابن زيدان ، **اتحاف** ، 1 : 325 .

(12) انظر م . داوود ، **المختصر** ، ص. 281 — 283 ، **تاريخ تطوان** ، 1 : 347 — 383.

(13) هذه اللائحة عند م . حجى ، **الزاوية الدلائية** ، ص · 102 — 108 .

(14) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، 157 ح (ضمن مجموع) ورقة 124 أ — 131 ب ، ورقم 1164 د .

(15) نفس المجموع السابق ، ورقة 27 أ — 42 أ .

3) **رسالـــة فى العلـــم النبـــوى** ·

ب ـــ فى المنطـــــق :

1) **شرح السلم المرونـــق** للأخضـــرى ·

ج ـــ فى الأدب :

1) **رحلـــة** (16) ، كتبها ولده محمد عندما صحبه الى الديار المقدسة .

د ـــ فى التصـــوف :

1) **أربعة وعشرون سؤالا** (17) تتعلق بمصاحبة الشيـــخ وتأدية الاوراد ·

هـ ـــ متنوعـــات :

1) **الكناشة العلمية** ، (18) تشتمل على فوائد فى التفسير ، والحديث، والتصوف ، والتراجـــم ·

و ـــ رسائـــــل :

1) **رسالة فى نصح المسلمين** · (19)

2) **رسالة الى الصوفيين** : (20) الحاج على ، وأبى القاسم بـــن معمـــر ·

3) **رسالة الى بعض الاخوان** ، (21) تشتمل على نصائح دينية ·

4) **مفتاح الوصول** ، (22) تتحدث عن مسائل التصوف ·

---

(16) مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 2343 ، ومخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1418 ك ·

(17) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 612 ج (ضمن مجموع) ورقة 48 أ ـــ 52 أ

(18) مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 5995 ·

(19) ـــ (20) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1138 ك (ضمن مجموع) 1 ـــ 31 و 32 ـــ 39 ·

(21 ـــ 22 ـــ 23 ـــ 24 ـــ 25) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 612 ج ورقة 42 أ ـــ =

5) **رسالة حول من لا يحسن النحو والصرف** : (23) هل يجوز له ان يفسر القرآن ، وحكم الرقص ، والغناء ، والتصفيق ، وضرب الغربال ، الخ ·

6) **الوافيــة** فى الرسالة الآسفية · (24)

7) **نصائح** موجهة الى سكان مكناس واعمالها · (25)

8) **وصيــة الامام اليوسى** لأولاده واخوانه · (26)

هكذا يبلغ مجموع المؤلفات المعروفة لليوسى ثمانية واربعين ، (27) اذا ما اعتبرنا الرسائل ، مع العلم ان بعضها لا يتجاوز صفحة · وقد رتب ج . بيرك أهم مؤلفات اليوسى وحللها وهى : (28)

ا ــ فى التوحيــد :

1 ــ **حاشية** على **شرح السنوسى لعقيدته الكبرى** .

2 ــ **شرح العقيدة الصغرى** للسنوســى .

ب ــ فى المنطــق :

1 ــ **نفائس الدرر** على شرح المختصر للسنوسى .

جـ ــ فى الأدب :

1 ــ **زهر الأكــم ، فى الامثال والحكــم** ·

2 ــ **داليــة** فى مدح الشيخ محمد ابن ناصــر · (29)

= 44 ب ·

(26) مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 1577 ·

(27) ذكر ل · بروفنسال منها 13 (**شرفاء** ، ص ·271 هامش) ، و ج · بيرك 33 (**اليوسى** ، ص · 138 ــ 140) ، و م · حجى زاد على الرقم المذكور أخيرا 15 لا 14 (**الزاوية الدلائية** ، ص · 102 ــ 108) ·

(28) **اليوســى** ، ص · 23 ــ 36 ·

(29) انظر ما سبق ، ص · 64 ·

3 ــ **نيل الأمانـــى** فى شرح التهـــانـــى ·

د ــ دوائـــر معـــارف :

1 ــ **القانـــون** فى ابتـــداء العلـــوم ·

2 ــ **المحاضـــرات** ·

3 ــ **الفهـــــرست** ·

لم يبق لنا بعد كل الدراسات التى صدرت حول اليوسى ، مفصلة ومجملة ، الا أن نوضح أو نتمم بعض النقط المتعلقة بجانبه المزدوج : الفقهى والأدبى الذى يهمنا هنا · (30) وسنورد بعض المقاطع التى تبدو لنا اكثر تمييزا لطبعه الخاص فى التأليف ·

اشرنا فيما سبق ، أثناء ترجمة محمد ابن ناصر (31) اكبر شيوخ اليوسى ، الى ان طريقة هذا الشيخ ، فى تدريس العلوم الاسلامية ، تقتصر على تفهيم النص ، وتحليل الشرح · وقلنا ان هذه الطريقة التى دشنها الامام ابن عرفة ، أخذ بها اليوسى فيما بعد ، وشرحها فى فهرسته بقوله : **« حقيقية الاقراء هى تصحيح المتن وحل المشكل . والزيادة على ذلك ضررها أكثر من نفعها . قال : ولابد أن يندرج فيما ذكر من تصحيح المتـــن وحل المشكل التنبيه على النقص أو الحشو ، أو توجيه ما يحتاج الـــى التوجيه ، ونحو ذلك »** (32) ·

انه حكم قيم خطير العواقب ، يجعل من المؤلف عالما حريصا على صفاء اللغة حرصا كاملا ، لا يخفى ارتيابه تجاه الرواة والنساخ ، الذين كثيرا ما يحرفون ــ عمدا أو خطأ ــ النص الأصلى ، ويعطونه أبعادا مغايرة · يضاف الى هذا ان حل المشكل المطـــروح يعنى « الاجتهـــاد » ،

---

(30) ذكره ل · بروننسال فى **شرفاء** ص · 272 ضمن اصحاب كتب التراجم فى القرن الحادى عشر = السابع عشر م · بسبب كتابة **المحاضرات** ·

(31) انظر ما سبق ص · 86 ــ 89 ·

(32) أ · الناصرى ، **طلعـــة المشترى** ، 1 : 159 ·

بالاضافة الى المعلومات الضرورية للأستاذ . واخيرا يجيز عالمنا النقد المعقول للمتن وتحديد ما يرمى اليه ؛ وذلك رد فعل قوى ، ان لم نقل ثورة ، على « التقليد » . (33)

اليوسى الشاعر

يعد اليوسى شاعرا مفلقا ، كما تدل على ذلك قصائده العديدة المجموعة فى **ديوان** ، ومنها **الدالية** الشهيرة التى امتدح بها الشيخ محمد ابن ناصر ، وشرحها فيما بعد . كان اليوسى يحفظ على ظهر قلب دواوين كبار الشعراء كالمتنبى ، وأبى تمام ، والمعرى ، حتى انه كان يقول . « لو شئت الا أتكلم الا شعرا لفعلت » (34) .

1) يعرف الجميع البيتين الذين عبر بهما اليوسى عن امتعاضه من مدينة فاس ، حيث كان موضع حسد وكيد من طرف بعض زملائه ، وهما :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها — علمى ولا عرفوا جلالة منصبى
لو أنصفوا لصبوا الى كما صبا — راعى السنين الى الغمام الصيب(35)

نلاحظ بساطة لغة هذين البيتين ووضوحها ، والصورة الحسنة المستعملة فيهما : فليس هناك رغبة أقوى من رغبة الراعى ، وهو يستقبل فى السنين القاحلة ، السحاب المبشر بالخير العميم .

2) أ — يعتبر اليوسى ، من بين جميع الشعراء الذين تفجعوا على اخلاء زاوية الدلاء ، الوحيد الذى نظم فيها قصائد عديدة مؤثرة ، ومنها :

ألا ليت شعرى هل أرى من ثنية — عضاها كمصفوف الكتائب تشرف ؟
وهل أردن من سلسبيل موارد — هناك لمعسول المباسم ترشف ؟

---

(33) انظر ج . بيرك ، **اليوسى** ص . 37 .
(34) م . الافرانى ، **صفوة** ، ص . 206 .
(35) م . الافرانى ، **صفوة** ، ص . 208 .

وهل أرين مغنى الدلاء عشيـــة — **كـأن بقاياهـا بنـاء مفـوف ؟**
ذكرتكـم وهنـا وانـى لمدلـج — **بأجواز أقطار الصحـارى أطـوف**
فقلت ، وقلبى ضمن شجو ولوعة ، — **وجفنى بمنثور الجمان يكفكـف :**
أدارا سقيت الوبل غير مبـرح ، — **ولا برحت عنك الحـوادث تصرف**
لقد هجت فى القلب العميد صبابـة — **تكاد لها صم الجبال تقصف (36)**

انه يذكر الخضرة ، والعيون ، والمنازل ، فى أبيات متوالية لا تكلف فيها ، مكونا بذلك زينة المشهد ، كما لو كان الأمر يتعلق بقطعة مسرحية ٠

ب — ولا يجمل اغفال القصيدة الكبرى لليوسى فى رثاء الزاويـة الدلائية ، ومطلعهـا :

أكلف جفن العـين أن ينثر الدرا ، — **فيأبى ويعتاض العقيق بها حمـرا**
وأسأله أن يكتم الوجد ساعـة ، — **فيفشى ، وان اللوم آونة أغـرى**
وقـد كنـت أستصحيه حتى توقـدت — **جذا الوجـد ، فاستسقيته يطفىء الجمـرا**
علـى أن دفـع العـين فضـل حشاشـة — **تذاب ، فماذا ينفع الدمع أن يجرى ؟ (37)**

ج — ويتفجع اليوسى بعد ذلك على تحول احوال الزاوية الدلائية واقفار عرصاتها بقولـه :

فبينا ليالى الوصل بيض وروضه — **بفيض الندى كانت مرابعه خضرا**
عدت غدوة أيدى الحوادث فاختلت — **خلاها ، فعادت بعد نضرتها غبـرا**
وأبدلن مأنـوس الديار وأهلهـا — **بوحش ، وحولن الاهيل به قفـرا**
وبينا جموع الحى كالراح شبتهـا — **بماء فما تخشى جفـاء ولا نعـرا**
وكالفرقديـن الطالعـين تآلفـا — **وصاحبى الملك الذى نادم الشعرى**

---

(36) ع ٠ كنـون ، النبـوغ ، 3 : 80 ٠
(37) المصدر السابق ، 3 : 277 وما بعدهـا ٠

أصابتهم عــين الكمــال فغادرت أكفهم من كل ما جمعت صفرا...(38)

وتتابع أبيات هذه القصيدة التى لا تقل عن مائة وثمانية وخمسين ، بنفس الايقاع والنسق الحزين ، فى عبارة مختارة تمتزج فيها الحقيقـــة بالمجاز . ويختمها الشاعر بجملة أبيات تبتدىء « بمن ومن » على نسق خاتمة معلقة زهير ابن ابى سلمى ، طافحة بالحكم والعبر حول الدنيا ومصيرها .

3) تعتبر دالية اليوسى فى مدح الشيخ محمد ابن ناصر أهم قصائده جميعا ، فهى تشتمل على خمسمائة وستة واربعين بيتا ، على نمط القصيدة التقليدية ، من البدء بذكر أطلال الأحبة والوقوف عليها لتذكر أحوالهم الماضية ، قبل الانتقال الى المدح . ومطلعهــا :

عــرج بمنعرج الهضــاب الــورد بين اللصاب وبــين ذات الارمــد
وأجز من الجزع الذى بحضيضــه أجداث أصداء العشيــر الهمــــد
وأربع علــى الربع المحيــل هنيئة ان الربــوع ربيع قلــب الاكمــد
وقف المطى عــلى ديــار أحبــة كانوا الغياث مــن الزمان الأنكــد

وعندما يتخلص الى مديح الشيخ ابن ناصر يقــول :

غيث الورى ذاك ابن ناصر الــذى نصر الاله بــه شريعة أحمـــد
وأعاد وجه الديــن أبيض مسفرا بهجــا مقرا عـــين كــل موحــد
وأقام سمك بنائه حتــى سمـــا فوق السماك على الاواسى الوطد
وأزال عنه كــل حندس شبهــــة وظلالـــة وخلاعـــة وتشــــدد
كم سنــة أحييــت بعد اماتـــــة وضلالة أخمــدت بعد توقــد (39)

يبدو اليوسى هنا عنيفا فى الحفاظ على السنة ، ومعاداة كل بدعة مخالفة للدين . لقد كان هذا متوقعا ما دام متزمتا عنيدا فى الفقه كما رأينا .

4) عرف اليوسى كذلك كيف يلاحظ الطبيعة ويصفها ، مبرهنا

---

(38) ع . كنــون **النبــوغ** ، 3 : 278 .
(39) أ . الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 1 : 197 .

دائما عن موهبة وخيال مبدع . او ليس من الاصالة الحق هذه العلاقة التى الفاهـا بين الزهر والمطـر ؟ :

ان بـين الغمام والزهر الغـض — لرحمـا قديمـة واخـاء
بان الف عـن الفـه فتـوارى — فى الثرى ذا ، وذاك حل السمـاء
فـاذا ما الغمـام زارت جنابـا — آذنت فيـه بالحبيـب اللقـاء
ذكـرت عهـده القديـم فحنـت — عنـد لقيـاه فاستهلـت بكـاء
فترى الزهـر بارزا مـن خبايـا — ه يحيـى الوفـود والاصدقـاء
بادى البشـر والبشاشـة جـذلا — ن لبوسـا من كـل لـون رداء
ثملا مـن شمول شمس الضحـى — وهو على بسـط سندس خضراء
راقصا ، والصبا تهنيه ، والـورق — غوانى القيـان تشدو غنـاء (40)

5) لم يبرز اليوسى فقط فى المواضيع الجدية ، كالتى قدمنا نماذج منها ، وانما اجاد ايضا فى ميدان البديهة والنكتة ، حيث ينكشف ذهنـه اللاسع ، وقريحته اللاذعة . فعندما تعرض معاصره الشاعر عبد المالك التجموعتى الى البربر ، وسخر منهم بهذين البيتين :

فلو كنت فى الفردوس جارا لبربـر — لحولت رحلى من نعيـم الى سقـر
يقولـون للرحمـن بابا بجهلهـم ، — ومن قال للرحمن بابـا فقد كفـر

اجابه اليوسى جوابـا قاسيا ، وحاربـه بنفس السلاح الـذى استعملـه :

كفى بك جهلا أن تحن الى سقـر — بديلا من الفردوس فى غير مستقـر
وتجهل معنـى مستبينا مجـازه — لدى كل ذى فهم سليـم وذى نظر
فـان أبا الانسـان يدعـوه أنـه — كفيل ، وقيوم رحيـم به ، وبـر
ومن قـال للرحمن بابا فقد عنـى — به ذلك المعنى المجازى وما كفـر

---

(40) ع . كنـون ، النبوغ ، 3 : 133 .

وقد قال عيسى : اننى ذاهب الـــى أبى وأبيكم . جاء ذلك فى الأثر (41)

6) لم يستعمل اليوسى هذه السخرية وهذه البداهة دائما فى غرض النقد اللاذع ، فهو عندما لم يتمكن ذات يوم من الاكل مع ضيوفه ، بعث اليهم مع الطعام برقعة كتـــب فيهـــا :

كلوا واعذرونى فى التخلف اننـــى رأيت اتباع الظرف ليس من الظرف

وأحســـن ظرفـــى تـــرك ضيفى كما يشـــا وليس ارتقاب الضيف من شيم الطرف (42)

اليـــوســـى الناثـــــر

يمتاز نثر اليوسى ، كما يمتاز شعره ، بالوضوح ، وتسلســـــل الأفكار ، والاجادة فى عرض الآراء واختيار الالفاظ · وهو فى هذا يذكرنا ، مع الفارق طبعا ، بنثر الجاحظ · ان اهتمام اليوسى بالبحث عن الحقيقة ، وحرصه على أن يكون أكثر ما يمكن دقة وضبطا ، جعلاه لا يتردد أحيانا فى استعمال كلمات مقتبسة من اللسان العامى الدارج · ومهما كانت الظروف والملابسات ، فانه لا يتحول عن صراحته التى كثيرا ما تكون قاسيـــة ·

نأتى ، كنموذج لنثر اليوسى ، بمقطعين من رسالتيه المشهورتين (43) اللتين بعث بهما الى المولى اسماعيل ، ولامه فيهما اشد اللوم ، دون أن يخشى أن يجلب عليه ذلك غضب السلطان ·

---

(41) **المصدر السابق** ، 3 : 255 — 256 ·

(42) ع · كنـــون ، **النبـــوغ** ، 3 : 256 ·

(43) الرسالة الاولى ذكرها أ · الناصرى فى **الاستقصا** ، 7 : 82 — 86 ، وذكرها أيضا م · أكنســوس ، **الجيش** ، 1 : 78 ·
وتوجد منها نسخ مخطوطة فى المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1611 د ضمن مجموع ، ورقة 1 — 4 ، ورقم 1348 د ، ورقة 13 — 36 ·
أما الرسالة الثانية فتوجد مخطوطة فى المكتبة العامة بالرباط ، رقم 849 ج (ضمن مجموع) ، ورقة 1 — 146 ·

المقطـــــع الاول :

« ... فليعلم سيدنا أن الارض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له ، والناس عبيد لله سبحانه واماء له ، وسيدنا واحد من العبيد ، وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا . فان قام عليهم بالعدل والرحمة والانصـــاف والاصلاح ، فهو خليفة الله فى أرضه ، وظل الله على عبيده ، وله الدرجة العالية عند الله تعالى . وان قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيـــان والافساد ، فهو متجاسر على مولاه فى مملكته ، ومتسلط ومتكبر فى الارض بغير الحق ، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه · ولا يخفى علـــى سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير اذنه ، كيف يفعل به يوم يتمكن منه ... » (44)

ثم يذكر اليوسى السلطان بالحقوق الكثيرة التى عليه القيام بها ، ويأتى منها بثلاثة : 1) جمع المال من حق وتفريقه فى حق ، 2) واقامـــة الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وفى معناه تعمير الثغور بما تحتاج اليه من عـــدد وعدة ، 3) والانتصاف من الظالم للمظلوم . وبعد أن بين أن هذه الحقوق الثلاثة قد اختلت ، يشرح للسلطان كيف يجب عليه تداركها ·

أما الرسالة الثانية فان لهجتها أقسى وأشد ، رد اليوسى بهـــا عن انتقادات وجهت اليه من قبل السلطان ، منها خروجه الى البادية وهى سبب ضياع العلم ، فأجابه بقوله :

المقطـــــع الثانـــــى :

« .. انا الذى أقول هذا واطلبه لو أجده ، وأما السلطان ففى يده اليوم الشريعة وغيرها : فما شاء فعل بى وبغيرى ، شرعا كان أو غيره · وأما أنا ، لو وجدت شريعة الله ، لم أحتج الى شىء من هذا الكلام ·

(44) أ . الناصرى ، **استقصا** ، 7 : 82 .

فوالله لا أعلم على حدا ثابتا عند السلطان فيطالبني باقامته ، ولاجناية على احد في مال ، ولا نفس ، ولا أنا عبد آبق ، ولا فارس هربت براية الملك ، ولا عامل بقي على حساب الجباية . ففي أي شيء يطالبني السلطان بشريعة الله ؟ أما كون علمي حجة لي أو علي عند الله ، فالأمر الى الله تعالى . والتعليم اشتغلت به جهد طاقتي ، ولو لم اشتغل به أصلا لم أقبض فيه ، لانه فرض كفاية لافرض عين : فأي شيء ثبت على شرعا يا معشر المسلمين حتى أطالب فيه ؟ وقد اعترفت على نفسي بطاعة السلطان : لم أنازع ، ولم أخالف ، ولم أحارب ، ولم أخلط ، وهذا القدر هو المطلوب من الطاعة أما ما خرج عن ذلك ، كخروج فرد عن داره أو بلده ، أو نزوله بلدا ، أو لزومه جهة ، أو انتقاله من موضع الى موضع ، فلا مدخل له في الطاعة ، لأن السلطان خليفة الله في الارض ، فليس له أن يكلف العباد الا بما كلفهم الله تعالى ... » . (45)

قليل من الكتاب هم الذين يستطيعون أن يستعملوا مثل هذه اللهجة مع الملوك ، وبخاصة من هو منهم من طراز المولى اسماعيل . (46) في مثل هذه المراسلة ، نجد النثر بسيطا واضحا ، والأسلوب سلسا جذابا . ويمكن أن يكون هذا المقطع كمرافعة رائعة في محاكمة قضائية .

ان أكبر مؤلفات اليوسي النثرية ، مثل **القانون** ، **والفهرست** ، **والمحاضرات** ، كانت موضوع دراسات متعددة ، وذلك ما يعفينا من الرجوع اليها . (47) غير أننا سنقتطف بعض الفقرات من كتابه **زهر الأكم في الامثال والحكم** ، (48) الذي يعد من الكتب الأدبية الصرفة . ويتركب من قسمين :

---

(45) أبو المحاسن ، **أبو علي اليوسي** ، **مجلة المغرب الجديد** ، السنة 1 ، العدد 7 ، ص . 28 — 29 (ديسمبر 1935) .

(46) من هؤلاء الكتاب الشجعان : محمد بن عبد القادر الفاسي الذي سبقت ترجمته . وبعد مرور قرن ونصف على زمن اليوسي ، بعث الزياني برسالة مماثلة صراحة وعنفا الى السلطان مولاي عبد الرحمن .

(47) انظر بالخصوص ج . بيرك ، **اليوسي** ، 25 — 26 .

(48) توجد منه نسخ مخطوطة عديدة بالمكتبة العامة بالرباط تحت الارقام 71 د و 191 و1001 د و 1159 د .

الاول فى الامثال وما يتصل بها ، والثانى فى الافكار الفلسفية وما يتصل بها · (49)

امتدح اليوسى العلم فى مقدمة هذا الكتاب ، ثم تكلم عن الأدب بهذه العبارات : « ... فلا جرم كان من أجل العلوم وأفخرها ، وأحقها بالاعتناء وأجدرها ، علم الادب والتضلع من كلام العرب . اذ به تنحل عقدة اللسان ، وتزاح روعة الجنان · وهو لسان نبينا نخبة العالم ، وصفوة ولد آدم ، وكتابه الذى أخرس به مصاقع البيان من بلغاء عدنان ... » (50)

يختنف الأسلوب المتبع هنا عنه فى الرسالتين السابقتين : فالفكرة أكثر تكلفا ، والنثر الفنى المنمق أكثر اختصارا ، تتحد الاسجاع فى كل جملتين منه . ولما تعرض اليوسى الى موضوع كتابه ، عرف الامثال والحكم بقوله :

« ... زمام كل معنى ، ومنار كل مرمى ، ومصباح كل ظلما · وبها يرتاض كل جموح ، ويصبح المبهم ذا وضوح . وبها يعود الغائب مشهودا ، بل المعدوم موجودا » . (51)

الجدير بالملاحظة فى هذا الكتاب أن المؤلف جمع فيه كل الأمثال التى علقت بذاكرته ، حتى الأمثال العامية حديثة العهد بالاستعمال « ليستفيد منها — كما قال — الأديب والكاتب والشاعر جميعا » (52) .

وقد رتب اليوسى هذه الأمثال على الحروف الابجدية ، واتبع نفس الطريقة المرتكزة على شرح المثل ، وذكر الظروف التى قيل فيها ، والاشارة الى القصة التى نتج عنها · ويقارن أحيانا المثل بما يقابله عند العامة ·

وبعد أن أدى اليوسى مناسك الحج للمرة الثانية عام 1101 =

---

(49) يشتمل القسم الاول على مقدمة وأربعة فصول ، والثانى على اثنين وثلاثين فصلا ·
(50) انظر مجلة **دعوة الحق** ، العدد 3 ، ديسمبر 1963 ، ص · 36 (مقال للوراكلى) ·
(51) **المصدر السابق** ، فى نفس الصفحة ·
(52) **المصدر السابق** ، ص · 37 ·

1690 ، مات فى 15 ذى الحجة عام 1102 = 9 شتنبر 1691 ، ودفن فى مسقط راسه بتمزرت قرب مدينة صفرو ، حيث لا يزال قبره مزارة حتى اليوم .

ونختم ترجمة اليوسى بالخلاصة التالية لمحمد الفاسى :

« ان حظ هذا المفكر لعجيب : فبينما لا تتعلق آثاره القيمة الا بمواضيع أدبية صرفة ، نجد شهرته الشعبية لم تحتفظ له الا بالجانب الصوفى ، وكونه من مريدى الزوايا ، جاعلة منه وليا صالحا يزور قبره القريبون من صفرو ، وجميع سكان تلك النواحى حتى الآن » (53) .

* * *

أحمد ابن الحاج (54)

(1042 — 1109 = 1632 — 1697)

ابو الفضل وابو العباس أحمد بن العربى بن محمد بن على بن محمد ابن الحاج الفاسى الحارثى المرداسى السلمى . أحد العلماء المشهورين فى العلوم الاسلامية .

ولد بفاس عام 1042 = 1632 ، وقرأ بها على أكبر الشيوخ ، أمثال أبى زيد ابن القاضى ، وأبى العباس الابار (55) ، والقاضى ابن سودة (56) ، ومحمد ميارة الكبير (57) ، وحمدون المزوار ، وأحمد بن جلال التلمسانى ، وعلى الزرهونى . وقد حضر مجالس الشيخ عبد القادر الفاسى

---

(53) م . الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص . 543 ـ .

(54) انظر ترجمته عند ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 277 وهامش 3 ، مع المراجع التى ذكرها ، ع . الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 79 — 80 و 276 ، ع . ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 316 ، المنجرة ، **فهرست** ، ابن عبد السلام بنانى ، **فهرست** ، م . بن أحمد الفاسى ، **المورد الهنى** .

(55) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 263 ، **هامش** و المراجع المذكورة هناك .

(56) محمد بن محمد ابن سودة قاضى فاس المتوفى بهذه المدينة عام 1076 = 1665 — 66 . انظر م . الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 76 .

(57) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 258 — 259 ، والمراجع المذكورة هناك .

سنين عديدة واستفاد منه معلومات جمة ، وعليه عول في فتاويه الفقهية .

وفي عام 1078 = 1667 حج أحمد بن الحاج الى مكة المكرمة ، ولقي في رحلته شيوخا مشارقة مشهورين ، كزين الدين الطبري ، والبابلي ، والشهرزوري ، (58) والشبراملسي ، وعبد السلام اللقاني ، والخرشي . (59)

وقد أسندت بعض الكراسي العلمية بالقرويين الى ابن الحاج واخذ عنه عديد من الطلبة أدرك بعضهم شهرة واسعة أمثال عبد السلام القادري واخيه العربي القادري ، وعبد السلام جسوس ، (60) وابن زاكور ، (61) والمسناوي الدلائي ، (62) والوجاري ، (63) وابن رحال ، (64) وابن المبارك ، (65) وابن زكري ، (66) وابن عبد السلام بناني . (67)

ذكر هذا الاخير شيخه ابن الحاج في **فهرسته** ، وأثنى عليه ، ووصفه بصفات عالية ، وانشد في حقه :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

وأنشد فيه أيضا :

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

واخيرا أسند الى أحمد ابن الحاج منصب القضاء بفاس عام 1105 = 1693 ، فسار فيه بالعدل والانصاف الى أن أدركته الوفاة في فاتح ربيع الأول 1109 = 17 شتنبر 1697 ، ودفن بضريح سيدي عزيز بفاس .

---

(58) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 263 ، هامش 6 ، والمراجع المذكورة هناك .
(59) **المصدر السابق** ، ص . 283 هامش 2 .
(60) انظر ما سبق ، ص . 79 ، هامش 115 .
(61) انظر ترجمته فيما يأتي ، ص . 161 — 171
(62) انظر ترجمته فيما يأتي ، ص . 196 — 204
(63) انظر ل بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 318 ، هامش 6 ، والمراجع المذكورة هناك .
(64) انظر ترجمته فيما يأتي .
(65) انظر ترجمته فيما يأتي .
(66) انظر ترجمته فيما يأتي .
(67) انظر ترجمته فيما يأتي .

محمد المهدي الفاسي [1]

(1033 — 1109 = 1624 — 1698)

ابو عيسى وابو عبد الله المهدى بن أحمد بن على بن يوسف الفاسى · صوفى كبير ، وعالم متخصص فى الأنساب والتراجم والتاريخ ·

ولد بالقصر الكبير فى 29 رجب 1033 = 17 ماى 1624 ، (2) وقرأ أولا على والده أبى العباس أحمد بن على الفاسى (3) القرآن الكريم ، وحفظه فى سنين قليلة ، ومبادىء العلوم الشرعية · ثم توجه الى فاس ، ولازم دروس عمه عبد القادر · ولم يلبث محمد المهدى أن تصدر فى علوم اللغة ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتراجم ، والتاريخ ، والأنساب · وخالط أشهر شيوخ التصوف فى عصره ، كمحمد بن عبد الله معن الأندلسى، وولده أحمد ، (4) وقاسم الخصاصى · (5)

وقد تتلمذ لمحمد المهدى الفاسى عدد من الطلبة النابهين ، كأبناء عمه محمد الطيب بن عبد القادر الفاسى ، (6) ومحمد بن عبد الرحمن بن

---

(1) انظر ترجمته عند ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 273 — 275 ، والمصادر المذكورة هناك ، م · الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص · 534 بـ ، ع · الكتانى ، **فهرس الفهاس** ، 1 : 205 — 206 ، ك · بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 703 ، مولاى سليمان ، **عناية** ، ص · 44 — 46 ، م · القادرى ، **فريدة الدر** ، ص · 98 ، سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص · 1431 ، م · العلمى ، **الانيس** ، ص · 24 — 27 ، المهدى ابن يحيى ، **جلاء القلب القاسى** ، ع · ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 48 ، 93 ، 180 ، 202 ، 203 ، 204 ، 213 ، 2 : 294 ، 489 ·

(2) هذه هى رواية صاحب **السلوة** (2 : 316) · وعند مولاى سليمان أنه ولد فى شعبان ، وعند آخرين أنه ولد فى رجب لكن مع اختلاف فى تحديد اليوم ·

(3) انظر ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 273 ، هامش 3 ، مولاى سليمان ، **عناية** ، ص ، 32 — 33

(4) انظر ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 276 ، هامش 3 ، والمراجع المذكورة هناك ·

(5) **المصدر السابق** ، ص · 273 ، هامش 6 ، والمراجع المذكورة هناك ·

(6) **المصدر السابق** ، ص · 283 — 284 ، والمراجع المذكورة فى الهامش 2 ، مولاى سليمان · **عناية** ، ص · 46 — 47 ·

عبد القادر الفاسى ، (7) وخطيب مكناس محمد بن محمد بن محمد (ثلاث مرات) بن أحمد بن يوسف الفاسى · (8)

الف المترجم كتبا عديدة تدل على قيمته العلمية وموهبته · ويمكن ترتيب مؤلفاته كما يلى :

أ ـ فى القـــراءات :

1) **الدرة الغراء ، فى وقف القـــراء .**

ب ـ فى السيـــرة :

1) **العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد ·**

2) **سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبى الأول والآخر ·** (9)

3) **كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج ·** (10)

جـ ـ فى الفقه والتوحيـــد :

1) **النبذة اليسيرة ، واللمعة الخطيرة ، فى مسألة خلق أفعال العباد الشهيـــرة ·**

2) **شفاء الغلة وانقشاع السحابة ، عن حكم السكر أول الملـــة وتنزيه الصحابة ·** (11)

3) **معونة الناسك ، بالضرورى من المناسك ·**

---

(7) تقدمت ترجمته ، ص 102 ـ 105 ·

(8) انظر مولاى سليمان ، **عناية** ، ص · 52 ـ 53 ·

(9) يظهر أن مكتبة الزيتونة بتونس تملك منه نسخة مخطوطة كتبت عام 1098 = 1687 · انظر م · ابن عاشور ، **المغرب** ، ص · 13 بـ ·

(10) سيؤلف بعد هذا التاريخ الشيخ محمد المعطى الشرقى كتابا فى نفس الموضوع بعنوان **ذخيرة الغنى والمحتاج ، فى صاحب اللواء والتاج** · (انظر ما يأتى فى الموضـــوع ،

(11) هذا هو العنوان الصحيح للكتاب ، وليس (الصحابة) مكررا ولا الشكر (بالشين) كما عند ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 274 هامش 1 · انظر مولاى سليمان ، **عناية** ، ص · 45 ، م · العلمى ، **الانيس** ، ص · 24 م · القادرى **النشر الكبير** ؛ 2 ، ورقة 38 ب ·

4) **تحفــة الناسك ، بالمهم من المناســك** ·

د ــ فى التصـــــوف :

1) ثلاثة **شروح لدلائل الخيرات** ، كبير ، ومتوسط ، وصغير ·

2) **ممتع الأسماع ، فى أخبار الجزولى والتباع ، ومن لهما مــــن الأتبــاع** · (12)

3) **الالماع ، ببعض من لم يذكر فى ممتع الأسماع** ·

4) **تحفة أهل الصديقية ، فى الطريقة الجزولية والزروقية** · (13)

5) **عوارف المنة ، فى مناقب سيدى محمد بــن عبد الله محيـــى السنــة** (14) ·

6) **الرصاصة المطفية ، فى الذب عن أهل المخفيــة** (15) .

هـ ــ فــى الانســـاب :

1) **داعى الطرب ، فى أنساب العرب** ·

و ــ فى التراجــم :

1) الجواهر الصافية ، من المحاسن اليوسفيــة · (16)

2) **روضة المحاسن الزاهية ، بمآثر الشيخ أبى المحاسن الباهية** ·(17)

---

(12) نظمه وشرحه أحمد بن عبد القادر التستاوتى ، مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقـم 894 د .

(13) اختصره م · القادرى بعنوان **الطرفة فى اختصار التحفة** . انظر ع · الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 205 ·

(14) خصصه لشيخه محمد بن عبد الله معن الاندلسى .

(15) هى جواب لبعض طلبة فاس فى موضوع الشطحات الصوفية للشيخ الخصاصى · وكان أحد هؤلاء الطلبة ، وهم جميعا من تلاميذ عم المؤلف عبد القادر الفاسى ؛ قد انتقص فى كتابته هذا الصالح ، ودعاه مشعوذا ، رافضا أن يعترف بفضله .

(16) خصصه للتعريف بجده الشيخ أبى المحاسن الفاسـى . مخطوطة المكتبة العامـة بالرباط ، رقم 1234 د .

(17) هذا هو أصل الكتاب المخصص لترجمة أبى المحاسن ، وما قبله انما هو اختصار له .

ز ــ فى **الارصــــاد الجويــة :**

1) **أوقـــات العــــام** ·

حـ ــ 1) **اجازة** لمحمد ابن زاكـــور (18) .

ط ــ **العرف الآسى فى العرف الفاسى** · (19) وهو كتاب يعتبر اليوم مفقودا ، يتعلق بعادات سكان فاس وأعرافهم ·

يظهر من هذه القائمة ان محمد المهدى اهتم على الخصوص بالحركة الصوفية بالمغرب ، منذ الجزولى (20) وتلميذه التباع ، (21) حتى نهاية القرن الحادى عشر (السابع عشر م.) وبكيفية موازية ، يسجل تاريخ المدرسة الشاذلية ، وفرعها الذى اسسه أحمد زروق · (22)

وها هى مقدمة كتاب محمد المهدى الفاسى المتعلق بهذه المدرسة :

« ... لما كان غالب طرق اهل الله بقطرنا هذا فى هاتين المائتـــين : العاشرة والحادية عشرة ، ترجع الى شيخين : الشيخ الامام ، العالم الكامل ، القطب الجامع الكبير ، ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولى ، ثم السملالى ، الشريف الحسنى ، والشيخ الامـــام العلامة ، المحقق الفهامة ، العارف الربانى ، شيخ وقته ، وعروس عصره ، ابى العباس احمد بن عيسى البرنسى ، الفاسى ، المؤذن ، عرف بزروق ، رضى الله عنهما ، الا من شذ عنهما من بهلول ، ومجذوب ، أو صاحب حال ممن لا يعرف له شيخ ، اردت أن اجمع اسانيد من عرفت منهـــم ، وطرق اتصالهم بالشيخين المذكورين ، لمتطلع الى معرفة ذلك من محب

---

(18) انظر م · العلمى ، **الانيس** ، ص · 24 ــ 27 ، ع · الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 206 ·

(19) انظر ع · ابن سودة ، **دليـــل** ، ص · 489 ·

(20) انظر ك · بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 252 ، **الملحق** ، 2 : 359 ، **دائرة المعارف** ، 2 : 540 ا ــ 541 ب ·

(21) انظر ل · بروفنســال ، **شرفاء** ، ص · 274 ، هامش 3 ، والمراجع المذكورة هناك ·

(22) انظر ل · بروفنســال ، **شرفاء** ، ص · 187 ، هامش 3 ، والمراجع المذكورة هناك ·

لهم ، ومتصرف بطريقتهم ، ومريد كثرة الحديث عنهم ، والتأنس بتـــرداد ذكرهم · وقد قيل :

اسرد حديث الصالحين وسمهـــم   فبذكرهــم تتنــزل الرحمـــات
أحضـــر مجالسهـــم تنل بركاتهـــم   وقبورهم زرها اذا ما ماتـــوا ...

توفى محمد المهدى الفاسى فى 9 شعبان 1109 = 20 فبراير 1698 ، ودفن بداخل ضريح جده ابى المحاســن ·

عبـــد الســـلام القادرى (23)

(1698 — 1648 = 1110 — 1058)

نسابة الشرفاء الشهير ، ابو محمد عبد السلام بن الطيب القادرى الحسنى · ولد بفاس فى 10 رمضان 1058 = 28 شتنبر 1648 ، وقرأ بها على عبد القادر الفاسى ، (24) وابنيه : محمد (25) وعبد الرحمن ، (26) والحسن اليوسى ، (27) والعربى الفشتالى ، (28) واحمد بن العربى ابن الحاج · (29)

كان عبد السلام القادرى متضلعا فى اللغة ، والبلاغة ، والمنطق ، والكلام ، والحديث ، والأصول · غير أن أكبر اختصاصه كان فى الانساب عموما ، وأنساب بنى هاشم والفرع العلوى منهم خصوصا · قضى حياته

---

(23) ترجم له ل · بروفنسال ، **شرفاء** ، ص · 276 — 280 ، وذكر بعض المراجع ، ع · الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 132 — 133 ، 2 : 165 و 292 ؛ وذكر بعض المراجع أيضا ، ك · بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 682 — 683 ، ا · الوزير الغسانى ، **نبذة من حياته ومؤلفاته** ، نقلها م · القادرى فى **النشر الكبير** ، ورقة 232 ب — 234 ب ، ع · ابن زيدان ، **المنزع اللطيف** ، ص · 309 ، ا · النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص · 74 ، م · البشير ، **يواقيت** ، ص · 203 ، ع · ابن سودة ، **دليـــل** ، 1 : 75 ، 96 ، 107 ، الخ ، 2 : 316 ، 377 — 378 ، الخ ·

(24) انظر ما سبق ·

(25) انظر مولاى سليمان ، **عناية** ، ص · 48 — 50 ·

(26) انظر ما سبق ·

(27) انظر ما سبق ·

(29) انظر ما سبق ·

كلها فى زيارة قبور الأولياء الصالحين ، (30) لشدة تعظيمه لهم ، وبالـــغ اعتقاده فيهم · وعلى اثر رجوعه من احدى الزيارات التى قام بها بأقصى بلاد سوس ، مات بفاس فى 13 ربيع الأول 1110 = شتنبر 1698 ، ودفـــن خارج باب الفتـــوح ·

خلف القادرى تآليف كثيرة ، ذكر منها ل · بروفنسال (31) ثلاثين . وهذه أسماء اربعة عشر كتابا آخر عثر عليها بعد ذلك :

ا — **فى التراجـــم :**

1) **موجز** حياة المؤرخ ابن أبى زرع ، (32) مؤلف **الأنيس المطرب بروض القرطـــاس** ·

2) **القصيدة التاريخية** ، وهى ارجوزة ذيل بها **وفيات** ابن قنفذ (33) التى نظمها محمد بن على الفشتالى (34) ·

ب — **فى المناقـــب :**

1) **الزهر الباسم (أو العرف الباسم) فى مناقب الشيـــخ قاسم ، ومآثر من الاشياخ والاتباع أهل المكارم** (35) .

جـ — **فى الأنســـاب :**

1) **عقود الـــلآل ، ووسيلة الســـؤال ، بما لـــه (صلعم) مـــن الآل** (36) .

---

(30) مثل الشيخ عبد السلام بن مشيش فى شمال وزان . انظر عنه **دائرة المعارف الاسلامية** ، 1 : 94 .

(31) **شرفاء** ، صفحات 277 ، هامش 4 ، 278 ، 279 هامش 2 ، 280 ، هامش 2 .

(32) أول هذا الموجز ، الذى يقع فى عشر صفحات ، ذكره ل . بروفنسال نقلا عن م . الكتانى ، **سلوة** ، 1 : 3 ، ويوجد فى مكتبة ع . ابن سودة (انظر كتابه **دليل** ، 1 : 188 ، رقـــم 718) .

(33) انظر ل . بروفنســـال ، **شرفاء** ، ص . 98 ، هامش 2 ، والمراجع المذكورة هناك .

(34) **المصدر السابق** ، ص . 97 — 98 ، ع . ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 407 ، رقم 1850 .

(35) انظر ع . ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 215 . وهو فى أخبار الشيخ قاسم الخصاصى ، لم يكمل فتممه حفيده محمد بن الطيب القادرى .

(36) انظر ع الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 133 .

2) **أسمى المراقـــى ، فى النسب العراقى** · (37)

3) **مواقف التعريف ، بمن ينسب بفاس الى النسب الشريف** · (38)

4) **شجرة الشرفاء القادريين** (39) ·

5) **تحفة النبيه ، بنسب بنى طاهر وبنى الشبيه** (40) ·

6) **نظـــم الجواهر ، من نسب بنى طاهـــر** · (41)

7) **شـــرح الصدر ، بأهل بـــدر** · (42)

د ـــ فى الحديث والســـيرة :

1) **نظم مختصر ابن فارس فى السيرة** (43) ·

2) **الدرة الخطيرة ، فى مهم السيـــرة** · (44)

هـ ـــ فى التصـــــوف :

1) **نظم سند** الشيخـــين : ابى بكر وابنه محمـــد الدلائيين ، فـــى الطريقة · (45)

و ـــ فهـــرســـــت · (46)

وبالجملة يمكن ترتيب مؤلفات عبد السلام القادرى بتصنيفها ثلاثة

---

(37) انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 ، 75 ، رقم 205 .

(38) **المصدر السابق** ، 1 : 108 ـــ 109 ، رقم 420 · وهو ذيل **للدر السنى** فى عشرات الصفحات ، يوجد قسم منه بمكتبة ع · ابن ســـودة ·

(39) **المصدر السابق** ، 1 : 118 · وهو موجز فى عشرين صفحة عند القادريين بفاس ·

(40) **المصدر السابق** ، 2 : 380 ـــ رقم 1665 · وهو قصيدة فى نحو مائة وستين بيتا ، توجد عند الفاسيين ·

(41) **المصدر السابق** ، 2 : 415 ـــ 416 ، رقم 1902 . وهى قصيدة فى مكتبة الفاسيـــين أيضا ·

(42) انظر ع . الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 133 · ويذكر عنوان هذا الكتاب بكتاب آخر ذكره ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 277 ، هامش 4 (16) . غير أن تحريف كلمـــة « البدريين » جعل العنوان هكذا : « رجاء الاجابة فى البدر بين الصحابة » ، ولا معنى له · والصواب : **رجاء الاجابة فى البدريين الصحابة** ·

(43 ـــ 44 ـــ 45 ـــ 46) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 133 .

اصناف : (47)

ا ـــ مؤلفات تعليمية فى المنطق ، والنحـــو ، والبلاغة والفقـــه ، والتصوف ·

ب ـــ مؤلفات أدبية صرفة ، وبخاصة **ديوان** اشـعاره ·

جـ ـــ مؤلفات فى التراجم ، والانساب ، وأهمها **الدر السنى ، فى بعض من بفاس من أهل النسب الحسنى** ·

ورغم ان مؤلفاته التعليمية مختلفة من حيث الموضوعات ، فانهـــا تتشـابه مضمونا وشكلا ، اذ هى على العموم اراجيز وضعت لتحفـــــظ وتشرح · ولنأخذ منها **أداء الحقوق ، فى ابداء الفروق** ، (48) وهــــو فى التصوف ، نجده يحتوى على مقدمة فى خمسة ابيات ، ينتقل بعدها الى ذكر الفروق بقوله :

وهــــذه نظائـــــر تعــــرف   **مجموعهــا عـــشرون أو تنيـف**
يحتاجهــا كــل مريــد صوفــى   **ومقتــف لنهجــه الموصـــوف**
تخفى على ذى وجهة وتشتبـــه   **وقلمــا لهـا النبيـــه ينتبـــه**
يلبـــس فيهــا باطــــل بحــــق   **ان لــم تبن عـــن شبهها بالفــرق**
والفــرق بـــين هـــذه الاشيـــاء   **فقـــه معـــانيهـــا علـــى الوغـــاء**

ويذكر الفرق بين التوكـــل والعجز بقوله :

اما التوكــــل فامــر قلبـــــى   **عنوانـــه ثقتـــــه بالــــــرب**
وحســـن تفويـــض لـــه فى الأرب   **مـــع القيـــام بأمـــور السبـــب**
والعجــز تعطيــل كــلا الأمريـــن   **أو واحـــــد فقط مـــن هذيـــن :**
اما اعتمادك علـــى الاسبـــاب ،   **أو تركها ولـــم تقف بالبـــاب (49)**

---

(47) هذا التصنيف هو لمحمد الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص · 534 ب ·

(48) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 48 د · (ضمن مجموع) ، ص · 99 — 106 ·

(49) **المخطوط السابق** ، ص · 99 ·

وتتوالى الابيات المائة والثلاثون فى بيان الفرق بين التمنى والرجاء ، والنصح والتأنيب ، وما الـــى ذلك .

وبالجملة ، فقد ترك عبد السلام القادرى آثارا ضخمة ومفيدة ، تدل على مدى سعة افقه العلمى ، وتبحره العميق . ولو ان كثيرا من آثاره ظلت ناقصة ، فان حفيده محمد بن الطيب القادرى اكملها ، ومكن الاجيال التالية من الاستفـــادة منهـــــا .

محمد العالم (1)

(ت : 1118 = 1706)

الامير محمد ابن السلطان المولى اسماعيل ، كان فى نفس الوقت عالما مشاركا ، وأديبا شاعرا . ذكر المؤرخون أن والده كان يحترمه لعلمه وفطنته ، ويستشيره فى كل شؤون المملكة . وقد اثارت هذه الحظوة غيرة الوزراء وأعيان الدولة ، فقرروا أن يفصلوا بين الوالد وولده ، ويثيروا الخلاف بينهما . وواتتهم الفرصة عندما تعين اقامة عامل فى درعة يكون من الاسرة المالكة ، بعد الخلاف الذى نشب بين الدرعيين وجيرانهم سكان الاقاليم الاخرى .

وبعد أن قام محمد العالم بالمهمة أحسن قيام ، رقى حاكما لمدينة مراكش . فاضطلع بالمهمة اضطلاعا كاملا ، الا أن حاسديه افسدوا عليه قلب والده ، فعزله وعهد الى لجنة لتقوم ببحث من أجل تحديد مسؤوليته . وأثناء ذلك كان رعاياه المراكشيون يبكون عاملهم العالم ، ويتألمون لفراقه . ولما اسفر البحث عن براءة الامير ، عين من جديد سنة 1111 = 1699 على رأس ترودنت ونواحيها بسوس ، ووضع تحت امرته ثلاثون ألف فارس ، واطلقت يده ليتصرف فى المنطقة كيف يشاء . غير أن اتهامات أخرى الصقت به ، وفصل عن عمله ، واستقدم الى فاس . ثم كانت المأساة سنة 1114 =

---

1) ترجم له ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 5 : 12 — 18 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 78 — 79 ، 4 : 61 — 84 ، وذكر ايضا بعض مراجع ترجمته ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 204 ب — 206 أ ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 275 ، 3 : 81 الدكتور هـ. رونو **الطب والاطباء بالمغرب**، ص. 102 — 103، وهامش 1 و 2 م . المختار السوسى ، **سوس العالمة** ، ص . 64 — 79 ، أ . السنجيطى ، **الوسيط** ، ص. 4 ، 5 وما بعدهما ، وهناك ، م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى**، ص. 321 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، ص. 314

1702 ، عندما عين السلطان مولاى اسماعيل ابنه الشريف عاملا علـــى درعـــة ، فثار محمد العالم فى الجنوب .

ارسل مولاى اسماعيل ابنه زيدان على راس جيش قوى للقضاء على ثورة الجنوب ، فانسحب محمد العالم من مراكش دون قتال ، فى 16 ذى الحجة 1115 = 21 ابريل 1704 ، وتوجه الى ترودنت ، فدخلها أول يوم من المحرم فاتـــح 1116 = 6 ماى 1704 . ولحق به أخوه زيـــدان ، وحاصره فى ترودنت سنتين قبل أن يتمكن من القاء القبض عليه ، عندمـــا كان يحاول الفرار الى الجبال المجاورة ، وبعث به مقيدا الى مكناس . سارع السلطان بالخروج لملاقاة ابنه الاسير ، ولقيه على ضفاف وادى بهت ، ونفذ فيه العقوبة الشرعية بقطع يده ورجله من خلاف ، وذلك يوم رابع ربيع الاول عام 1118 = 16 يونيه 1706 (2) . ولم يلبث الامير الشقـــى بعدها أن مات فى القصر الملكى بمكنـــاس .

كذلك كانت حياة هذا الامير الاديب المبرز فى النحو ، والبلاغة ، والمنطق، والكلام ، واصول الفقه ، والذى كثيرا ما قام وحده ، أثناء المناظرات الفقهية، فى وجه أكبر علماء فاس، وفيهم شيخه عبد السلام القادرى (3) . عندما «يجمع على نفسه كبراء علماء فاس للاقراء عليهم ، ويجيبونه لذلك ، ويقاسون معه الشدائد ، لذكائه وشدة فطنته ، مخافة الافتضاح معه فى قصور فهـــم أو نقـــل » (4) . ولهذه الخلال السامية اعطى لقب العالم . وقد أجازه من كبار الشيـــوخ : احمد بن العربـــى ابن الحاج (5) ، ومحمد المسنـــاوى

---

2) وليس عام 1116 = 1704 كما جاء عند الزيانى فى **البستان** . وقد نظم شاعر مجهـــول الاسم معاصر لاحداث ثورة امحمد العالم هذا التاريخ بحروف الجمل . انظر الابيات عند ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 65 .

3) تقدمت ترجمته ص . 142 — 146 .

4) ع.ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 5 : 12 .

5) تقدمت ترجمته فى ص . 136 — 137 .

الدلائـــى (6) ، ومحمد بن أحمد الولالى الذى علمه المنطق ، والبلاغة ، والاصول ، والتصوف .

قام محمد العالم فى الميدان الثقافى بدور حاسم فى سوس ، طـــوال السنوات السبع التى قضاها هناك ، اذ قرب اليه علماء هذه الناحيـــة ، واغدق عليهم من ضروب التشجيع والتكريم . فصار نصير الادب بينهم ، وباعث نهضة أدبية كانت جذوتها قد خمدت فى تلك البلاد منذ نهاية عصـــر المرينيـــــــين (7) .

اخذ محمد العالم يستقبل فى قصره بترودنت الشعراء الذين تقاطـــروا عليه من جميع أرجاء سوس ، ينشدونه ما نظموا فيه من قصائد . فكانت لا تعجبه ، ولا يرفع لها رأسا . الى أن وفد عليه ثلاثة من كبار الادبـــاء وهم ابراهيم السكتانى ، وابن الحسن الايلالنى ، وابن عبد الله الزدوتى ، وكلهم متخرجون من القرويين بفاس ، متوسعون فى ميدان الادب ، لا يجاريهم فيه أحد من علماء سوس وأدبائها . كون هؤلاء الادباء ، تحت رآسة الامير العالم ، شبه منتدى يعقدون فيه جلسات أدبية ممتعة « وكأنما نشـــرت فى ترودنت مجالس ما بين الكرخ والرصافة » (8) . وقد جمعت هذه المجالس الادبية فى كتاب بعنوان : **نفحات الشباب** (9) ، محتويا على مساجلة فى وصف مجلس أنس ، واخرى فى حلبته من فرسان العبيد يتسابقون فى الميدان ، وثالثة فى هجو أولائك العبيد يوم انتبذ الادباء بعد خروجهم من حضرة الخليفـــة فى منتزه كانوا فيه وحدهم . حررت هذه المجالس بأسلوب رشيق أنيق ،

---

6) انظر ترجمته فيما ياتى :

7) هذه الحركة الادبية تجددت أيام السعديين ، ثم خدمت بعد وفاة امحمد العالم . انظر م. المختار السوسى ، **سوس العالمة** ، ص. 64 — 65 .

8) انظر م. المختار السوسى ، **سوس العالمة** ، ص. 65 ، والكرخ والرصافة : قصـــران مشهوران ، أحدهما ببغداد ، والاخر بدمشق . ويشير المؤلف الى الادبين الاموى والعباسى

9) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

يدل على مدى تقدم الادب آنذاك فى ذلك الاقليم الجنوبى من المغرب .

ورغم كون مؤلف هذه المجالس مجهولا ، فانه كثيرا ما يذكرنا بالاديب محمد بن الطيب العلمى (10) ، ويقدم معلومات مفيدة عن نوع التعليم المتعارف اذ ذاك فى سوس وعن قيمته . فعندما استعرض الكتب التى قراها الشعراء الثلاثة المشار اليهم ، ذكر من بينها **مقامات** الحريرى ، و **معلقات** الشعراء الجاهليين ، و **حماسة** ابى تمام ، و**الحماسة المغربية** (11) وعددا وافرا من **دواوين** الشعراء كالمتنبى، والبحترى، وأبى تمام، وجرير، والفرزدق ، والاخطل ، وابى نواس ، وبشار ، ومسلم بن الوليد . هذا ، بالاضافة الى شهادة الشاعر محمد بن احمد بن ابراهيم الهوزيرى ، الذى تؤكد بأن من جملة الكتب الادبية التى كانت تدرس أيضا بسوس **يتيمة الدهر** للثعالبى ، **ونفح الطيب** ، لاحمد المقرى (12) .

لمحمد العالم آثار ادبية كثيرة نظما ونثرا ، **وحاشية على تسهيل بن مالك** (13) . وقد قال يوما ، وهو خليفة بسوس ، يتشوق الى مدينة فاس :

ألا ليت شعرى هل أنزه ناظرى	**وللنفس اقبال بوادى الجواهر**
أمتع طرفى فى رياض أنيقة	**وأقطف أزهارا بها كالزواهر**
بحيث نرى أسد العرين صريعة	**وقد فتكت فيها ظباء المقاصر**
وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت	**حديثا صحيحا عن نسيم الازاهر**
وقد نسجت كف النسيم عشية	**دروع مياه بين تلك النواعر**

---

10) انظر ترجمته فيما يأتى ، ص . 177 — 195 .

11) من تأليف الشاعر أحمد الكراوى ، على نمط حماسة أبى تمام . انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 422 — 423 ، رقم 1940 .

12) انظر م. المختار السوسى ، **سوس العالمة** ، ص. 67 ، **خلال جزولة** ، 3 : 257 .

13) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 77 .

وأصبحت الاطيـــار فوق غصونهـــا فصادحـــا تقص فوق خضر المنابـــر
سقى الله أدواحـــا بفاس عهدتهـــا تفـــازل أنـــواء الفيوث المواطـــر
ولا برحـــت عين تراهـــا قريـــرة وان قذفت بالقلب جمرة حائر (14)..

هذه الابيات مؤثرة ، على بساطتها ، فالصور موفقة ، معبر عنها باسلوب ممتع : ازهار مشرقة كالنجوم ، دروع نسجتها يد النسيم علـــى صفحات المياه ، وغصون خضر تذكر بالمنابر . وهى لا تكاد تحتاج الـــى شرح وتعليق باستثناء البيتين الثالث والرابع .

كان محمد العالم شديد الصلة بعالم شنجيط واديبها الكبير عبد الله ابن محمد العلوى (15) ، صاحب القصيدتين الطنانتين فى مدحه . ولما قدم الشنجيطى على السلطان مولاى اسماعيل بمكناس ، امتدحه محمد العالم بقـــولـــه :

مكناســـة الزيتون فخرا أصبحـــت تزهـــو وترفـــل فى مـــلاء أخضـــر
فرحـــا بعبـــد الله نجـــل محمـــد قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر(16)

ان الحرب التى خاضها الامير العالـــم قد اذكت شعوره ، وقال مخاطبا اخـــاه زيـــدان :

أبلـــغ الزيـــدان عنـــى آيـــــة بسيـــوف العدل تشفى ذا الفلـــل
كم لنـــا يا ابـــن العلا من وقعـــة كان منـــا الفضل فيهـــا لـــو عدل
حصحص الحـــق ولاحـــت شمسه وزمـــان الفـــى ولـــى وانخـــدل
ولـــواء النصـــر خفـــاق ولـــم يبـــق الا الجـــد قولا وعمل (17)

---

14) **المصدر السابق** ، ص. 78 ، وما بعدها .
15) انظر أ. الشنجيطى ، **الوسيط** ، ص. 4 — 26 ، و 386 — 393 .
16) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 77 .
17) انظر ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 79 .

هذه الابيات المنظومة فى بحر مجزوء الرمل ، بايقاعها الاخاذ ، تحتوى على حركة حماسية ، وتعبر عن شعور حربى . يعزز الشاعر هذا الشعور ايضا ، حسب طريقته المعهودة ، بصورة معتبرة مستعملة بحذق ومهارة . هذه الغلة الحادة التى لا تطفئها الا سيوف العدل .

ونعود الى المجالس الادبية التى قلنا سابقا ان الامير العالم كان يعقدها مع الادباء السوسيين الثلاثة ، وتدور مساجلاتها حول مواضيع سطحية وعابثة ، ويبتدئها دائما الامير نفسه .

المجلس الاول حول العشق والغرام :

محمد العالم :

ذليانى سبق السيف العذل حشو أذنى صمم عمن عدل

السكتانى :

قضى الامر فاصبحت لقى بلحاظ لا ببيض واسل

الزدوتى :

من يكن يشكو جراحات الظبا فأنا أشكو جراحات المقل

الايلالنى :

فليزرنى ليرى كيف الهوى من يرى أن الهوى امر جلل (18)

المجلس الثانى فى امتداح الخمر :

محمد العالم :

هذى الكؤوس مشعشعات الراح فانهض نلب نداءها يا صاح

---

18) انظر م. المختار السوسى ، سوس العالمة ، ص. 77.

ابراهيم السكتاني :

ما عذر من ترك العقار بروضة زهراء بين منادمات صباح

محمد الايلالني :

فالوقت طاب وبلبل الاغصان قد ملأ الرياض بصوته الصداح

محمد الرسموكي :

والروض أزهر ورده بخدوده والياسمين بلونه الوضاح

محمد الزدوتي :

فكأن مبيض الزهور منضرا حبب الرحيق أعالى الاقداح

السكتاني :

وكأن محمر الشقائق وجنة دعكت براحة ما جن مزاح

الايلالني

وكأن ذاك الورد فى أشواكه شاك تبدى فى أتم سلاح

الرسموكي :

وكأن هاتيك الغصون وميسها بالرفق ميس من قدود ملاح

الزدوتي :

قم واسقنيها مثل عين الديك تحفز للمكارم أنفس الشحاح

السكتاني :

من كف أغيد ردفه مترجرج كالدعص بين تقلبات رياح (19) ..

ويتوالى الحوار هكذا فى جو رومنطيقى حول البساتين ، والازهار ،

---

19) انظر تمام هذا المجلس عند م. المختار السوسى ، سوتش **العائلة** ، ص. 75 — 76 .

والطيور ، والخمر ، والغناء ، والنساء . هذا النوع من الارتجال ، الـذى كان شائعا فى بلاطات الامراء بالمشرق والاندلس ، يعتبر علامة لمجتمع متطور ، ذى أدب رفيع . وهو ، وان كان لا يأتى بأى عنصر جديد ، ما دامت نفس الموضوعات قد طرقت من قبل بنفس العبارات والصور ، فانه يدل على أن الادب الخالص كان متدارسا بالمغرب .

اما النثر ، فلمحمد العالم فيه ، زيادة على الحاشية المشار اليهـا ، رسائل محررة فى مناسبات ، بذلك الاسلوب الفخم المنمق الذى يطبع نثـر القرن الثانى عشـر = 18 م · والمقطع التالى مقتبس من رسالة بعث بها الى كبير وزراء أبيه ، أبى العباس اليحمدى (20) ، يعبر له فيها عـن امتنانه لقيامه بالدفاع عنه ، ودحض الاتهامات التى الصقها به خصومه :

« . . . واعلامك بأن بعض محبيك كاتبنا بجميع ما قلته فينا ، وما صدر منك الينا من الصنائع والاحسان . فقد احسنت أبا العباس ، ولم يتقدم لك منا احسان ، وقمت فى نصرتنا مقاما لم يقم معك فيه انسان · وقـد أسديت والله شكور ، واتجرت تجارة لن تكسد ولن تبور . فلا أنسى لك يوم الفقهاء تنويهك بقدرنا ، واعظامك لامرنا . ومن قبل كنا بحقك جاهلين ، وعن قدرك ذاهلين . والآن تبين الحق ، وحصحص الصدق ، واتضح الصارم من الحسام ، والصيب من الجهام . فكم لنا هنالك من خالص وده ، ومحفوظ عهده ! فما قام احد منهم مقامك ، ولا أرشق سهامك ، ولا دافع دفاعك ، ولا نازع نزاعك . فسترى ، ان وسع الله علينا ، نتيجة تلك المقالات ، وثمرة تلك المدافعات . فوالله ما نطلب التوسعة الا لمكافأة أمثالك ، ومجازاة أشكالـك ! فدم على ذلـك ، أدام اللـه سيادتـك ، وأبقـى بمنـه

---

20) تقدمت الاشارة اليه

مجـــادتــــك . . . » (21) .

اذا افتقدنا فى هذه الرسالة أفكارا جديدة ، فاننا لا نعدم فيها عبارات وصورا جميلة . ونجد بالاحرى الطريقة المتبعة ، فى مخاطبة الامير لموظف ســـام فى الدولة ، شيئا من الغرابـــة بل من اللبس ، حـــين تقرأ عبـــارة « سيادتـــك ومجادتـــك . . . »

ويوجد قبر هذا الامير داخل مزار الشيخ سيدى عمرو الحسينـــى بمكنـــــــاس (22) .

21) انظرها تامة عند ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 80 ، وما بعدها .

22) توفى هذا الصالح بمكناس عام 910 = 1504 . انظر **المصدر السابق** ، ص. 495 — 496 .

الوزير الغساني (1)

(ت : 1119 = 1707 — 1708)

أبو عبد الله محمد المدعو حمو بن عبد الوهاب الوزير الغساني الاندلسي الاصل . أديب مولع بالكتب النفيسة ، وكاتب السلطان مولاى اسماعيل . اشتغل بهذا المنصب سنوات عديدة فى مكناس قبل أن يرجع الى فاس حيث أدركته الوفاة سنة 1119 = 1707 — 8 .

شارك الوزير الغساني فى سفارة بعث بها مولاى اسماعيل الى الجزائر عام 1103 = 1692 ، لعقد هدنة مع أتراك الجزائر على اثر الهزيمة التى منى بها المغاربة فى المشارع على وادى ملوية . وكان الغساني قد توجه قبل ذلك من قبل مخدومه المولى اسماعيل فى سفارة أخرى الى اسبانيا ، أواخر سنة 1101 = 1690 ، « للتفاوض حول افتداء الاسرى المسلمين المعتقلين هناك ، ولمحاولة استرجاع الكتب العربية التى بقيت فى المساجد الاندلسية القديمة » (2) . ولما رجع الى المغرب كتب **رحلة الوزير فى افتكاك الاسير** وقد وصفها ل . بروفنسال أحسن وصف بقوله : « عرفت هذه الرحلة منذ أن نشر صوفير سنة 1884 ترجمة جزء منها . ويقرؤها الانسان بشغف حيث يتصور مرتاح البال الاقامات المتوالية للكاتب المغربى بمحضر الشخصيات السامية فى البلاط الاسبانى ، وهم يقومون بكل ما فى وسعهم ليتركوا فى نفس الضيف أحسن انطباع عن لباقتهم ومجاملتهم ، وليبينوا له تفاصيل كل ما من

---

1) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 284 — 286 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع.ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 61 ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص.535 أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 79 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 344

2) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 285 .

شأنه ان يثير فضوله » (3) . وكان هذا المستعرب وهو يكتب ذلك سنـــة 1922 ، يملك نسخة من هذه الرحلة أخذت عن مخطوطة سلا (4) . ثـم طبعت **رحلة الوزير** لاول مرة فى طنجة سنة 1940 بعناية الفريد البستانى ، تحمل رقم واحد من سلسلة مطبوعات معهد الجنرال فرانكو . وقد نبــه الناشر الى هفوات تأريخية وقعت لصاحب الرحلة لدى تعليقه وشرحه العقائد والقضايا الدينية المسيحية ، حيث يظن أن بعضها ربما كان من تلاعب النساخ لما فيها من تحريف وتصحيف (5) . لكنه مع ذلك يشير الى أهمية هذا الكتاب الذى كان يعتبر آنذاك أكبر أثر فى هذا الصنف من الرحلات « يتقدم الينا بمجموعة تأريخية كلها عبر ، تاركا لنا ملاحظات دقيقة ودروسا قيمة فى حياة الامم الاجتماعية والتأريخية ، ولم يهمل الاقتصادية والدينية منها . وقد رسم لنا بريشته الساذجة البريئة الطبيعية لوحة رمزية لها تشبهاتها الغامضة ، وتموجاتها الساحرة ، وقيمتها الفكرية ، فى عالم البحث والتنقيب والتفكيـــــر . . . » (6) .

ان الانطباع العام الذى يخرج به القارىء لهذه الرحلة هو الدقة فى الملاحظة والاهتمام بتصوير كل ما أثار الاعجاب أو الفضول بأكثر ما يمكن من الامانة والصدق . كذلك كان لكاتبنا الديبلوماسى أسلوب سهل واضح « يبايـــن — على حـــد تعبير م • الفاسى التفصـــح المعتاد عند كتـــــاب المخـــــزن » (7) .

واذا كان الوزير يستعمل عبارات عامية دارجة ، مثل الدشرة ، والمخزن ، والبراوات (= الرسائل) ، والمكانات (= الساعات) ، فما ذلك

---

3) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .
4) **نفس المصدر ونفس الصفحة** .
5) الفريد البستانى ، مقدمة **رحلة الوزير** ، ص. 1 — 2 .
6) **المصدر السابق** ص. 8.
7) **الادب المغربى** ص. 535 .

الا ليفهم القراء مراده دون التباس ، لا عن عجز وضعف فى الاسلوب . نعم ، نجد عنه سقطات مثل (يزعمون النصارى) (8) ، غير ان هذا راجع ولا شك الى تحريـف النسـاخ .

يرى صاحب **الدليـل** (9) ان للوزير الغسانى ايضا رحلة حجازيـة مخطوطة فى مجلد ، غير اننا لا نعرف ان كانت ما تزال فى احدى المكتبـات الخاصة ، أم نقلت ــ ككثير من المخطوطات ــ الى المكتبة العامة بالرباط . ومهما يكن من أمر ، فاننا نقتصر الآن علـى هذه النماذج المقتبسة مـن رحلتـه الـى اسبانيـا :

وصف حفلة رقص فى مدينة ليناريـس :

« وهى ،كما قدمنا ،مدينة متوسطة ، اثرها اثر الحضارة ، واهلها اهل بشاشـة . ومن بشاشتهم وعوائد كرمهم ان اجتمعوا كلهم نساء ورجالا وأتوا بآلة الطرب . وعادتهم أن يرقص منهم رجل وامرأة . فحين يقـوم الرجل يريد الرقص ، يتخير من النساء صغيرة أو كبيرة ، ويزيل لها شمريره الذى على رأسه ، ويبايع لها . فلا يمكنها التخلف أصلا . . » (10) .

من السهل أن نلاحظ فى هذه الفقرة كيف أن المؤلف يسجل شيئـا فشيئا كل ما يثير اعجابه من المشاهد ، مع أكثر ما يمكن من الدقة . فنراه يلح على مسألة اختلاط الرجال بالنساء لمراقصتهن ، بخلاف المعهود فـى بلـده .

ثم يروى الوزير كيف استقبل فى القصر الملكى عند قيامه بالمهمة التى جاء من اجلها الى هذه البـلاد :

---

8) **رحلة الوزير** ، ص. 8 و 45 و 65 و 99 . والامثلة على ذلك متعددة .
9) 2 : 334 .
10) **رحلة الوزير** ، ص. 30 .

الاستقبـــال فى القصــــر الملكـــى :

« ومن الغد ، ورد علينا الميوردوم فى وقت معلوم ، بعد أن تهيأ عظيمه للملاقاة وقصد بنا اليه . فوجدنا أهل المدينة اجتمعوا كلهم نساء ورجالا . فلم نصل دار الطاغية الا بعد جهد وعناء ، لكثرة ما اجتمع من الخلق . فحين قربنا من الباب ، لقينا الوكيل الميوردوم ، ومعه من معه من الاعيان والشلظاظ . فسلم ورحب ودخل بنا الدار ، ويسمونها الباصيو ومعناه المشور. فجعلنا نمر بالجماعات من الاعيان والاكابر ، فيسلمون ويقف كل عند حده ، الى أن دخلنا قبة كبيرة ببابها كاتب الديوان الكبير ، وهو رجل كبير السن بلغ منه الكبر الى أن انحنى . فلقينا أحسن الملاقاة ، ومعه جماعة من الدوكس والكونديس . ودخل بنا قبة أخرى لها باب ومن هذه القبة وجدنا الطاغيـــة واقفا على قدميه ، وقد جعل فى عنقه سلسلة من ذهب ، وتلك هى عوائد ملوك العجم ، اذ هى عندهم بمثابة التاج . عن يمينه طبلة من ذهب مرصعة ، أعدها وصنعها أيام مقامنا بعد وصولنا ، ليجعل عليها البراءة السلطانية ، اجلالا وتعظيما لمراسلها أعزه الله تعالـــى ... » (11) .

هكذا نرى الوزير الغسانى يعنى بايراد جميع التفاصيل والجزئيات ، مستعملا الكلمات المعبرة التى لا تند عن فهم القارىء ، وذلك ما يضفى على الرحلات من هذا الصنف مسحة أدبية ، وطابعا عاما ، بل عالميـــا . ولما كان الوزير الغسانى أول من دون رحلة عن سفره الى اسبانيا ، فقد حذا حذوه كثير من الديبلوماسيين المغاربة الذين توجهوا الى البلاد الاجنبية فى مهمات مماثلـــة (12) .

ونختم هذه الترجمة بالخلاصة التالية :

---

11) **رحلة الوزيـــر** ، ص 42 .
12) من هؤلاء احمد الغزال ، ومحمد بن عثمان المكناسى .

« تقدم لنا رحلة الوزير الغسانى ملاحظات ثمينة جدا عن اسبانيا فــى القرن السابع عشر ، سواء عن سكان الريف وسكان الحضر ، من أعلــى الطبقات الاجتماعية الى أبسطها . ويعرف المؤلف كيف يدون ، بتجرد كبير ، ولباقة فائقة ، كل ما يقع عليه بصره . ونظرا لحيوية النكتة ، وايجـــاز الملاحظة لديه ، يمكن مقارنته بصيودو ــ مركيز دبفيلار . والى هذين الرجلين يرجع الفضل فى رسم اللوحة الاكثر صحة لاسبانيا أيام شارل الثانى » (13) .

---

13) هـ. بيريتس اسبانيا من خلال الرحالة المسلمين ص. 17 .

محمد ابن زاكور (1)

(ت : 1120 = 1708)

ابو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن زاكور الفاسى . عالم متمكن فى العلوم الشرعية ، بحاثة شهير ، واديب لامع ، ورحالـــة كبيــر .

ولد بفاس اواسط القرن الحادى عشـــر = السابع عشر م . وقرا على اكابر اعلامها ، امثال عبد القادر الفاسى ، ومحمد المهدى الفاسى ، وأحمد ابن الحاج ، والقاضى بردلة ، ومحمد القسنطينى ، والحسن اليوسى ، وعبد السلام القادرى المتقدم ذكرهم .

توجه ابن زاكور الى تطوان حيث اخذ عن الحاج على بركة (2) . ثم الى الجزائر ، فأخذ عن مفتيها محمد بن سعيد المعروف بقدورة (3) . وكان ابن زاكور متضلعا فى البلاغة ، واللغة ، والعروض ، والقوافى ، تضلعه فـــى الفقـــه ، والحديث ، والتأريخ ، يحفظ عن ظهر قلب عددا من الامهـــات ، **كمختصر خليل** ، و **الكافية** ، و **التسهيل** لابن مالك ، و **كافية ابن الحاجب** .

---

1) ترجم له ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص. 287 — 290 ، وذكر بعض مراجع ترجمته . وعبد الله كنون ، **النبوغ** ، 1 : 313 ، 3 : 82 — 83 ، و 131 — 133 ، و 231 و 291 و 305 — 312 ، **ذكريات** ، رقم 13 ، م. السائح ، منتخبـــات ، ص. 59 — 60 ، م. الفاسى ، الادب المغربى ، ص. 535 أ و ب ، م. ابن تاويت و م عفيفـــى ، **الادب المغربى** ، ص. 346 — 354 ، ع. ابن زيدان ، **المنزع اللطيف** ، ص، ص.330 أ ، النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 74، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 130 — 131ك ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 1 : 26 ، **الملحق** ، 1 : 54 و 545 ، 2 : 684، م. داوود ، **مختصر تطوان** ، ص. 283 — 284 ، **تاريخ تطوان** ، 1 : 416 — 423 ، ابن عبد السلام بنانى ، **فهرست** ، ج بيرك ، **اليوسى** ، ص . 116 — 119 ، ع . ابـــن سودة ، **دليل** ، 1 : 163 و 182 و 261 ، 2 : 387 ، و 401 و 438 و 441 و 483، م. الكانونى ، **تاريخ الطب** ، ص. 87 ، س. الحوات ، **الروضة المقصودة**

2) تقدمت ترجمتـــه .

3) هو ولد سعيد ابن ابراهيم المتقدم الذكر .

توفى ابن زاكور بفاس يوم العشرين من محرم عام 1120 = 11 ابريل 1708 ، ودفن خارج باب عجيسة ، تاركا عددا ضخما من المؤلفات القيمة الدالة على موهبته الحق . ويمكن تصنيفها كما يلى :

1 — تـراجـم وتـأريـخ : (4)

ا — **الاستشفاء من الالم بذكر أثر صاحب العلم** ، فى نسب الولى الصالح المولى عبد السلام بن مشيش (5) .

ب — **فهرست** ، تحتوى على تراجم علماء تطوان والجزائر الذين اجازوا ابن زاكور ، سماها **نشر أزاهر البستان فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان من فضلاء الاكابر والاعيان** (6) .

جـ — **المعرب المبين ، عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين** (7) .

2 — حديث وأصول :

ا — **الحلة السيراء ، فى حديث البراء** (8) .

ب — نظم **ورقات امام الحرمين** بعنوان : **معراج الوصول ، الى سماوات الاصول** .

---

4) الكتب المذكورة تحت هذه الترجمة قد حللها ل. بروفنسال فى كتابه **الشرفاء** ، ص. 289

5) انظر م. العلمى ، **انيس** ، ص. 4 ، م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 180 ، م القادرى ، **نشر** ، 1 : 186 ، **النقاط** ، ورقة 57 ظ .

6) وليس (أزهار) كما عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 180 . وقد طبع هذا الكتاب فى الجزائر ، مطبعة فونطانا ، سنة 1319 = 1902 . ثم طبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1967 .

7) طبع بفاس دون تاريخ . وتوجد منه نسختان مخطوطتان بالمكتبة العامة بالرباط عدد 901 و 1428 د .

8) ويقال له أيضا **الدرة السيراء** .. انظر ع . الكتانى، **فهرس الفهارس،** 1 : 130، وقد نال ابن زاكور فى هذا العلم اجازة من محمد بن عبد القادر الفاسى ، ومحمد المهدى الفاسى، والحسن اليوسى . (انظر م. العلمى **انيس** ص. 23 — 27)

3 ـ طـــــب :

الـدرة المكنوزة فى تذييل الارجوزة ، وهى ، كما يدل عليها اسمها ، ذيل **لارجوزة** الرئيس ابن سيناء الطبية (9) .

4 ـ تـوقيـت :

ا ـ **الروضـة الجنية ، فى ضبط السنة الشمسية** ، وهى ارجوزة على نمط **المقنـع** للمرغيثـى .

5 ـ ا د ب وقواعـد اللغـة :

ا ـ **الروض الاريض ، فى بديع التوشيح ومنتقى القريض** ، وهو ديوان ابن زاكـور (10) .

ب ـ **الحسام المسلول ، فى قصر المفعول ، علـى الفاعل والفاعل علـى المفعـول** .

ج ـ **أنفع المسائل ، فى أبلغ الخطب وأبدع الرسائل** ، وهو مجموع رسائـل وخطـب .

د ـ **شـرح حماسـة أبـى تمـام** سمـاه **عنوان النفاسـة ، فى شـرح الحماسـة (11)** .

هـ ـ **شرح قلائد العقيان** بعنوان **مقياس الفوائـد ، فى شرح ما خفى مـن القـلائـد (12)** .

---

9) وتسمى ايضا **المكنونة** .. غير أن هذا الاسم غير صحيح على ما يظهر لانه لا يلائم سجعا كلمة ارجوزة . (انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 289 ، هامش 6 ، 11)

10) توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 357 ك ، واخرى بمكتبة الزيتونة بتونس (انظر م. ابن عاشور **مجلة المغرب** ، ص. 13 بـ)

11) توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الزيتونة بتونس (انظر **المصدر السابق**) .

12) توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 1402 د ، ومخطوطة أخـرى بتونـس .

و ــ **شرح المقصور والممدود** لابن مالك بعنوان **الجود بالموجود** .

ز ــ شرح **لامية العرب** للشنفرى بعنوان **تفريج الكرب ، في شرح لامية العرب** (13) .

ح ــ شرح **الخزرجية** في العروض والقوافي بعنوان **النفحات الارجية ، والنسمات البنفسجية ، بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية** (14) .

ط ــ شرح **بديعية** صفي الدين الحلي بعنوان **الصنيع البديع ، في شرح الحلية ذات البديع** .

تدل هذه القائمة ، ولو انها غير تامة ، على ان ابن زاكور كان أديبا اكثر منه مؤرخا أو فقيها ، وعلى انه شاعر وشارح ناقد ادبي قبل كل شيء . لذلك سيكون بحثنا عن مميزات هذا المؤلف متجها الى هاتين الناحيتين :

ابن زاكور الشاعر :

عالج ابن زاكور جميع الموضوعات الشعرية ، ونظم قصائد رائعة في الغزل ، والخمر ، والوصف ، والمدح . وله موشحات رائقة لطيفة .

وهذه نماذج من شعر ابن زاكور .

1 ــ مجلس شراب وأنس :

يا رعى الله ليال قد خلت كلآل في سلوك من نضار

---

13) توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 157 د ، ضمن مجموع ، ورقة 95 و ــ 108 و + مخطوطة اخرى بتونس .

14) توجد منه نسختان مخطوطتان بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 1081 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 63 ظ ــ 139 و ، وعدد 133 ك ، مع تغيير في العنوان . (المسيكة) .
وصاحب الارجوزة الاصلية التي تتكون من 96 بيتا من بحر الطويل هو ضياء الدين على السعدي الخزرجي (1194 ــ 1252) وعنوان ارجوزته : **الدائرة الشافية في العروض والقافية** .

وعهــودا سلفــت لــى بالحمــى   فسقــى الوبــل الحمى غير مضار
حيــث لا هــم ولا غــم ســوى   رنــة العــود وكاســات تــدار
مــن عقــار كنضــار أفرغـــت   فى أبــاريــق حكت شهب الــدرار
عللــوا قلب الشجــى مــن شربها   مــا أحيلى الشرب مــن تلك العقار
مع ظبــاء كلــف القلــب بهـم   سمحوا بالوصــل من بعد نفــار
فى ريـــاض كــزراب نمقـــت   بشقيــق كعقيــق وبهــــار
أأرى أحظــى بوصل بعدمــــا   بعدت من طاقتــى تلــك الديــار
فعلــــى آرامهــا مــــن مدنــف   شائق نشر ســلام كالعــرار (15)

2 — **وصف أزهار** ، يذكر **بنورية** ابن خفاجة الاندلســى (16) :

مــد للسلــوان أشــراك النظــر   فى ابتهاج الروض من وجــد المطر
وتلق الانس عن آيسى الربـــى   وأرو طى النور عــن نشر السحــر
وارتشف ثغــر أقــاح باسمــــا   واصطبــح بالطل من كأس الزهــر
والتثــم وجــه المنــى مستبشــرا   حيث رام الغصن تقبيــل النهــر
وجــلا الــورد خــدودا أشربــت   خمــرة العقيــان من فرط الخفــر
وانبــرى النسرين يهدى ذهبــــا   فى صحاف مفرغات من درر (17) ..

3 — **وصف هياج بالبحر** ، وكان الشاعر أراد السفر الى الجزائر :

يــــا أيهــا البحــــر مهـــــلا   فقــد دهـــانـــا اهتيـــاجــــك
انـــــا هممنــــا بـــأمــــــر   منــع منـــه انــزعــاجــك
لــــو كنـــت تــدرى لابـــدى   سيمـــا الســرور ابتهــاجــك
يـــا ليــت شعرى الــى كــــم   يحكــى فؤادى ارتجــاجــك (18)

---

15) ع. كنــون ، **النبــوغ** ، 3 : 82 .
16) انظر عن هذا الشاعر ك. بروكلمان ، **الادب العربى** ، 1 : 272 ؛ الملحق 1 : 480 .
17) ع. كنون ، **النبــوغ** 3 : 131 — 132 .
18) **المصدر السابق** ، 3 : 132 — 133 .

4 — ولطول مقام ابن زاكور فى تطوان ، وكثرة تردده عليها ، قال فيها مقطعات شعرية بديعة ، منها :

تطوان ما أدراك ما تطوان	**سالت بها الانهار والخلجان**
قل ان لحاك مكابر فى حبها	**هى جنة فردوسها الكيتان (19)**

5 — ومدح ابن زاكور شيخه عالم تطوان الكبير الشيخ الحاج على بركة بقصيدة طويلة مطلعها :

الى م فؤادى يذوب زفيرا	**لقد كدت أقضى معنى حسيرا**
عرانى من الوجد ما قد نفى	**كراى وأذكى حشاى سعيرا**
فمن رقة قد حكيت نسيما	**ومن دنف قد حكيت نقيرا**
. . . وأنقذنى من ظلام الهوى	**وكان لقلبى المعنى بحيرا**
امام تسربل بالمكرمات	**وأرخى ازار العفاف كبيرا**
وطاول بدر السماء منيرا	**وساجل قطر الغمام غزيرا**
وأضحى لكأس المعالى مديرا	**وأمسى لروض العلوم سميرا**
تواضع حلما فزاد ارتقاء	**ورام خفاء فزاد ظهورا (20) . . .**

6 — وعرف ابن زاكور فى الملمات أيضا كيف يعبر عن عواطف صادقة ومؤثرة ، تشهد بموهبته وعبقريته . فقال فى رثاء امرأة من اقاربه :

سقى الرحمان قبرا ضم شخصا	**تسربل بالمكارم وارتداها**
ونضر مضجعا لفتاة صدق	**حوى غرر الفضائل اذ حواها**
لقد كانت تحض على المعالى	**وتندب للمكارم من أباها**

---

19) ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 133 .
20) **المصدر السابق** ، 3 : 231 — 232 .

وقد كانت بأفــق الفضل شمســـا فحطتهـــا المنية عـــن ذراهـــــا
وألبسهـــا المنون حلـــى كســـوف فهلا فضلها الوافى حماها (21) . . .

لعل فى المقطعات السابقة ما يكفى للدلالة على شاعرية ابن زاكور ، شعر رقيق عامر بالاحساس ، حيث تمتزج أرق العواطف بأكثر الصور جاذبية وسحرا . اما اللغة فغنية على سهولتها ، والالفاظ مختارة بعناية . ومما زاد هذه الاشعار حسنا ورواء ، أنها منظومة فى بحور قصيرة موسيقية ، كالرمل ، والمديد ، والكامل ، والمتقـــارب .

تظهر هذه المزايا واضحة فى فن التوشيح الذى برع فيه ابن زاكور وأغرب . ومن ذلك قوله فى وصف الطبيعة والحث على الغبوق :

جـــاء الاصيـــل محيى قتيـــل النائبـــات
قم يـــا (حميم) نبرد (حميم) الحسرات
قدك من الاشجان يـــا من لـــه قلب رقيق
أصـــغ الى ألحان ورق تنادى من سحيق
قد أينـــع البستان فهاتها مثل العقيـــق
تشفى غليل صب عليـــل ذى زفـــرات
هب النسيم يهدى شميم الزهرات ..(22)

وضعنا كلمتى (حميم) بين قوسين لمجيئهما فى معنيين مختلفين فـــى جناس بديع . وكثيرا ما يلجأ وشاحنا الى هذا الاسلوب البلاغى ، والـــى تشبيه الخمر بالعقيق فى الحمرة ، والعاشق بالمريض ، لكثرة لواعجه وتوالى آلامـــه وحســـراتـــــه .

ويقول فى موشح آخر لا يقـــل روعة عن السابق ، يصـــف الرياض

21) نفس المصدر ، 3 : 291 .
22) المصدر السابق ، 3 : 305 .

والشراب :

ارسل جياد النظر	واعتبر	واشرب طلا السلوان
وذد شرود الغير	ولتشكر	من طرز البستان
حلاه غب المطر	بالزهر	مكلل التيجان
وطائر البشر صدح	لان قدح	زند المنى السعد
باكر معاهد الفرح	فقد شرح	جمالها الورد
واعتنقت هيف الغصون	يستشرون	جواهر الاطواق
كانهم مدلهون	متيمون	سمت لهم أشواق
وللبنفسج عيون	لا ينعسون	تبكى من الايراق
والنرجس الغض نفح	لما اصطبح	من نشره ند
فاركض سوابق الفرح	فقد جرح	خدوده الورد .. (23)

وقد وصف ابن زاكور الربيع بموشح بديع ، استفرغ الجهد فى تنسيق أفكاره واختيار الفاظه ، حيث يلاحظ تناسق وانسجام بين البديع ، والرفيع ، والمذيع ، وبين راض ومراض ، فى البيت الاول ، مثلا :

جل صنيع	البديع	الفاعل المختار
حلى الربيع	الرفيع	بحلية النوار
سر بديع	لى مذيع	سرائر الازهار
الروض راض	وهو راض	غصون اشجاره
شفا المراض	فى مراض	جفون أنواره .. (24)

وقد قلد ابن زاكور فى موشحين آخرين كلا من ابن سهل الاسرائلى فى

---

23) نفس المصدر ، 3 : 306 .
24) ع. كنون ، النبوغ ، 3 : 306 — 307 .

ليل الهوى يقظان ، وصفى الدين الحلى فى **شق جيب الليل عن نحر الصباح** ، وهما فى غاية الحسن والابداع . غير ان جلب بعض أبياتهما يفضى بنا الى التطويل . ونشير فى الاخير الى أن ابن زاكور نظم قصائد مؤثرة فى التصوف الذى آخذه عن الحسن اليوسى ، وتتلمذ له فيه محمد بن الطيب العلمى .

ابن زاكور الناثر

ان الشروح التى كتبها ابن زاكور يتعلق بعضها بالشعر والادب ، كشرح **الحماسة** ، **وقلائد العقيان** ، **ولامية العرب** ، وبعضها بالنحو والبلاغة ، **كالمقصور المدود** ، **وبديعية الحلى** ، أو بالعروض والقوافى **كالخزرجية** . وقد برهن الشارح فى جميعها عن حساسة نقدية مرهفة ، وذوق سليم ، ومعرفة واسعة . ونكتفى ، للتمثيل ، بايراد المقطع التالى من شرح **قلائد العقيان** ، وبخاصة التعليق على اول جملة منه : « الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا ، وشاد مثواه فى أجنتنا » .

« قد انتقده عليه بلغاء قطره بأن ما اشتملت عليه الفقرة الاولى أفضل مما اشتملت عليه الثانية ، والصواب العكس . حكى معناه شيخ أكبر مشايخنا أبو العباس المقرى فى **نفح الطيب** ، عن أبى الحسن بن سعيد . قلت : وبيان هذا الكلام على التمام يقتضى شرائط للسجع وأحكام (25) . . »
ثم يذكر ناقدنا الشروط الاربعة التى ذكرها سعد الدين التفتازانى (ت 793 = 1390) عن ابن الاثير (ت. 637 = 1239) وهى :

1 — اختيار مفردات الالفاظ .

2 — اختيار التأليف .

3 — كون اللفظ تابعا للمعنى لا العكس .

---

25) م. السائح ، **المنتخبات** ، ص. 59 — 60 .

4 ــ كون كل واحد من الفقرتين غير دالة على معنى الاخرى والا كان تطويلا . وبعد ان أورد ابن زاكور نصا للصابى (ت. 448 = 1056) قال :

« فليس فى هذه الشروط كون الفقرة الثانية أفضل من الاولى حتى ينتقد بعدمه على المصنف ، اللهم الا اذا قيل : يستروح ذلك من كون الثانيــة مشتملة على معنى الاولى ، لان المقصود بذلك تفسيرها ، وتبيينها ، وايضاح خفائها . ولا يتم ذلك الا بكون مضمونها أوضح وابين ، والاوضح أحســن وافضل من غيــره (26) » .

ان الغرض الاساسى للناقد كما نرى هو البحث عن الحقيقة ، وعدم التحامل على الغير ما أمكن ، غير معتمد الا على القواعد وشهادة كبــار شيــوخ الادب .

ولا تقل سلاسة النثر وعذوبته عند ابن زاكور فى غير النقد عمــا رأينا . ومن ذلك قوله فى منتزهات كيتان بضواحى تطوان :

« وهذا الكيتان من أجمل المواضع ، وأفضل المتنزهات والمصانع . تطرد خلال رياضه انهار ، تجرى فى الصباح بذائب اللجين وفى الاصيل برائق النضار ، وتسجع بأدواحه أطيار ، لا تدانيها نغمات الاوتار . قد اعتدل هواؤه ، واشتمل بالابتهاج بهاؤه . تغص الزهراء بطلاوة مرآه ، وتود الزهرة لو ترتدى بملاءة حلاه . وتحسد جماله النضير ، وطرازه المونق ، محاسن السدير ، وبدائع الخورنق . ترتاح النفوس فى بساتينه ، وتحيا الارواح بشم رياحينه . ان حل من انحله الوجد برباه ، صاح من حينــه واطرباه ! واسلاه تسلسل غدرانه ، وتغريد ورشانه ، عمن قطف لبه بأجفانه ، ومزق قلبــه

26) **المصدر السابق** ، ص. 60 .

بهجــرانـــــه . . . (27) »

هذا النثر المسجع جذاب بثروته اللغوية ، وصفاء ديباجته ، وحســـن صوره الموحية . وبالجملة ، فان ابن زاكور من أكبر رجال الادب ، وصاحب مدرسة لا تنكر . نقل ما أخذ من معارف عن اليوسى الــى جمهرة تلاميذه النابهين الذين يشرفون الادب المغربى ، مثل محمد بن الطيب العلمى .

27) م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى** ، ص. 352 — 353

احمد ابن ناصر (1)

(1057 — 1129 = 1647 — 1717)

هو ابن الشيخ الشهير محمد ابن ناصر المذكور سابقا . أدرك الشهرة لقيامه مقام أبيه بعد موته فى رآسة الطريقة الناصرية ، ولتأليفه **رحلة** هامة .

ولد بتمكروت (2) فى اليوم الثامن عشر من رمضان عام 1057 = 17 اكتوبر 1647 ، وقرأ بها على والده التفسير ، والحديث ، واللغة ، واصول الدين . ثم أخذ عن أبى سالم العياشى ، ومحمد بن أبى فتوح التلمسانى ، وأبى العباس الجزولى الهشتوكى (3) .

حج احمد ابن ناصر أربع مرات (4) ، صحب والده فى المرة الاولى ، وعمره لا يتجاوز تسع عشرة سنة (1076 = 1665) ، وحج للمرة الثانية عام 1096 = 1685 ، وللمرة الثالثة عام 1109 = 1697 ، وللمرة الرابعة عام 1121 = 1709 . وكتب **رحلته** المشهورة بعد هذه الحجة الاخيرة ، ولقى أثناء ذلك عددا وافرا من العلماء المشارقة ، فأخذ عنهم وأجازه بعضهم .

تتلمذ لاحمد ابن ناصر كثير من المغاربة ، أمثال محمد الصالح

---

1) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 291 — 292 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 157 — 165 ، رقم 107 ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 535 ب ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 89 — 90 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ،م. الدرعى ، **الدرر المرصعة** ، ص. 53 — 109 و 120 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 181 و 189 و 207 و 223 ، 2 : 316 و 344 و 415 و 421 و 457 .

2) قرية على ضفاف وادى درعة جنوبى مراكش ، على بعد 20 كلم من زكورة .

3) انظر م. الحضيكى ، **طبقات** ، 1 : 82 — 83 .

4) وليس حجتين أو ثلاث حجات كما جاء عند م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 535 ب .

الشرقى (5) ، وولده المعطى ، وابى العباس الشرادى ، والحسين المدعو ابن شرحبيل (6) . وبنى ابن ناصر زاويته التى حملت منذ ذلك التاريخ اسم زاوية الفضل ، كما أسس بعض المساجد والمدارس . وامتاز كذلك باستبساله فى الذود عن السنة ومحاربة البدع المنتشرة فى عصره . كما اشتهر بتعلقه الشديد بالكتب ، وتتبع نفائسها فى كل مكان . وهو أول من أدخل الى المغرب كتاب **اليونينية** (7) . وتوفى بتمكروت دون عقب ، يوم تاسع عشر ربيع الاول عام 1129 = 3 مارس 1717 (8) ، ودفن فى مقبرة الزاوية بجوار والده .

« تحتوى **رحلة** أحمد ابن ناصر ، **كرحلة** العياشى ، على معلومات عن طريق قوافل الحج ، واشارات كثيرة لعلماء مصر والجزيرة العربية الذين اشتهروا فى مطلع القرن الثامن عشر . ورغم الشخصية الدينية للمؤلف ، فان **رحلته** لم تنل فى المغرب من الشهرة ما نالته **الرحلة** الاولى (9) .

والف أحمد ابن ناصر ، زيادة على **الرحلة** (10) ، الكتب التالية (11) :

1 — **الرحلة الشامية** ، وتتعلق برحلة أخيه محمد بن محمد ابن ناصر (12) .

2 — أجوبة فقهية بعنوان **تنبيه السائل ، ببعض ما هو عنه سائل** (13) .

3 — **تجديد المراسم البالية ، فى السيرة الحسنة العالية** (14) ، وهو كتيب فى السيرة النبوية .

---

5) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص 119 ، هامش 2 و المراجع المذكورة هناك .

6) ابو على الحسين بن محمد بن على بن شرحبيل الدرعى . الف فى ترجمة شيخه كتابا بعنوان **انارة البصائر ، فى ترجمة الشيخ ابن ناصر** وتوفى سنة 1143 = 1730 دون أن يتمه .

7) كتاب الحسين بن عبد الرحمن اليونينى (كان حيا عام 675 = 1277) **النهاية فى علم النهاية**

8) وليس عام 1128 = 1716 ، كما جاء عند م. ابن ناصر فى **الدرر المرصعة** ص. 120 .

9) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 292 .

10) طبعت على الحجر بفاس عام 1320 = 1902 ، فى جزءين ، وترجم قسما منها أ. بيربروجى انظر البيبليوغرافيا .

11) الكتب المذكورة هنا لم يشر اليها ل. بروفنسال .

12 — 13 — 14 — م. الناصرى ، **الدرر المرصعة** ، ص. 120 .

4 ــ **رسالة فى الصلاة على النبى صلى** الله عليه وسلم (15) .

5 ــ كتيب فى **الطريقة** (16) .

6 ــ **اشفاء المريض ، فى بساط القريض** (17) ، وهو مجموعة اشعار .

7 ــ **ترجمة** والدته السيدة حفصة (18) .

8 ــ **مجموع رسائل** (19) .

9 ــ **فهرست** (20) .

مقتطفات من رحلة أحمد ابن ناصر

1 ــ ضرب مدينة طرابلس الغرب بمدافع أسطول العدو :

« . . . وذلك أنا ، يوم نزولنا بها بمنزل الركب بسيف البحر ، اذا بسفن ثلاث ظهرت على متن البحر ، ثم تتابعت الفلك فى اليوم نفسه الى أن كملت اثنتين وعشرين سفينة . فأقاموا عليها ، دمرهم الله ! بقية الثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة . واهل المدينة ، فى تلك المدة ، فى هول عظيم ، ونكد جسيم ، وعناء شديد ، وليس فيهم مدبر ولا ذو راى حميد ، او نظر سديد . بل اخذوا فى نقل أمتعتهم من المدينة لخارجها ، وحريمهم الى سوانيهم بالمنشية . ولما راينا ذلك ، تكلمنا مع وجوههم على فعلهم الغير اللائق بهم فيما يبدو لنا من اظهار الجزع والجبن لاعداء الله الكفرة ، اللئام الفجرة . وقلنا لهم : ان هذا الصنع الذميم مما يغريهم عليكم ، فاصبروا ولا تظهروا لهم الوهن والجبن . فقالوا : هذا والله منا ليس بجبن ، وانما حملنا على ما رايتم ما اتوا به مما لا طاقة لنا به من البنبة يضربون بها ،

---

15) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

16 ــ 17) ع.ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 161 .

18 ــ 19 ــ 20) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 17 و 344 و 457 ، نقلا عن أ . الناصرى، **طلعة المشترى** .

ولا تقع على شىء كائن ما كان الا وهدته ودكته . والمسلمون فى هذه الليالى كلها لا ينامون ، بل يحرسون على البحر ، ويطوفون حوله ، ونحن وركبنا معهم فى ذلك مستهلين بالشهادة ، رافعين اصواتنا بالتكبير . . .

« فلما كان بعد صلاة العشاء ليلة السبت ، ضرب الكفرة ، دمرهم الله ! بمدافعهم ، فرأينا من ذلك ما لم نره قط ولا سمعنا به . ترى البارود ، حين يخرج من بخش المدفع ، فاذا بكورة محماة تحكى الشهب خرجت منه وصعدت ، ثم يرمون بأخرى وترتفع اكثر من الاولى ، ثم تتدلى هابطة . فاذا وقعت بالارض ، سمع لها صوت هائل تصم منه الآذان ، فتتصدع فى الموضع الذى وقعت فيه وتتفرق ، لا تقع على بناء الا وهدته ، ولا على بسيط مستوى الا وحفرته ، ولا على علية او اسطوانة الا وهدتها ، ولا على شجرة الا واحرقتها او قلعتها . فتمكث فى اعماق الارض سويعة ، فتتكسر فيسمع لها صوت هائل أعظم من الاول . . . (21) »

هذا الوصف المكتوب بنثر حقيقى وموضوعى ، فالمؤلف يجتهد فى أن يحكى ما راى ولاحظ بكيفية صادقة ومفصلة ، ويشركنا معه فى أقل انطباعاته ، غير مخف مفاجآته واندهاشه . ولا نفتقد احيانا ، فى بعض أجزاء هذا النص ، نقدا شخصيا ، ولا صورا بديعة ، او عبارات رائقة . ومن هذه الناحية ، تقدم **رحلة** الناصرى فوائد اكثر من **رحلة** العياشى التى تقل فيها الذاتية ، وتكثر (المراسيم التشريفية) . اى ان ادب الرحلات أخذ يتطور فى السنوات الاربعين التى فصلت بين هاذين المؤلفين .

2 — موجة من الحرارة فى أحد شعاب الحجاز :

« . . . ونزلنا غربى الاكره بين العشاءين ، وفى هذه المسافة لما

---

21) أ. الناصرى ، **الرحلة** ، 1 : 65 — 66 .

توجهنا عام تسعة ، هبت على الناس ريح السموم ، من نضيج اليحموم ، واشتد الحر وتوالى الكرب على الناس ، وضاعت الحيل والايناس ، واشتد العطش على الرجال والاجمال . يشرب كل ولا يغنى شربه ، بل يتزايد بمناولته الماء كربه لا يبين القدح والسقاء عن فيه الا وتزايدت حرارة العطش له . فبركت الابل وفرت لظلال الاشجار ، وتدخل رؤوسها فى أدنى ظل يبدو لها . واذا بركت ، لا تكاد تقوم ولو قطعت اربا اربا . واشتدت الحال ، وبلغت القلوب الحناجر ، وكلحت الوجوه ، واغبرت الغرر وتغيرت ، واسود بيضها وتنكرت . فترى الرجل لا بأس به فاذا به يخشى عليه الفوت ، فاذا أوتى بالماء سبقته اليه الموت . وهلك من الناس كثير ، ومن الابل أكثر ، وترك الناس بضائعهم ، واحمالهم مشحونة بأزوادهم وما به قوامهم ، فتاهت فى الفلوات ، وذهبوا بأنفسهم فى طلب النجاة . يوم يذكر الموقف والعرض ، وضاقت الدنيا على سعتها فى الطول والعرض ، يود الانسان لو يجد السبيل الى باطن الارض . الناس فيه حيارى ، وتراهم سكارى ، وما هم بسكارى . مات من المغاربة زهاء الستين بالشرب والعطش ، من نساء وصبيان ورجال وولدان . هذا ما رأينا عيانا . . » (22) .

تتخلل هذا المقطع اسجاع ، عندما يعبر المؤلف عن المواقف الحرجة ، ويريد أن يؤثر فى القارىء فيجعله يتحقق من نفس الاحساسات التى هزت مشاعره . ورغم هذه الاسجاع فانك تجد النثر سلسا تسهل قراءته .

ان الفقرتين السابقتين اللتين تعتبران بحق نموذجا للوصف الواقعى الموضوعى ، مع شىء من التحلية الادبية ، ان صح التعبير ، لخليقتان بمؤلفى الرحلات الخالدين من أمثال ابن جبير (ت. 614 = 1217) ، وابن بطوطة (ت. 779 = 1377) . غير أن هذا المظهر قد شوهه — للاسف — الحشو المشوش والاستطراد للمسائل الدينية .

---

(22) المصدر السابق ، 1 : 170 .

محمد بن الطيب العلمي (1)

(ت 1134 = 1721)

ابو عبد الله محمد بن الطيب بن احمد بن يوسف بن احمد العلمي . يعد هو واليوسي وابن زاكور الامثلة الحية للاديب المغربي . كما يعتبر العلمي امتدادا للمدرسة الادبية التي اسسها اليوسي وسار على نهجها ابن زاكور . وهو شريف صميم (2) من جبل العلم مثوى جده القطب المولى عبد السلام بن مشيش (ت. 622 = 1225) .

اذا كنا لا نعرف بالتحقيق تأريخ ولادته ، فمن الاكيد انه ولد بفاس . ونقدر ان ذلك كان حوالى عام 1100 = 1688 ، اعتمادا على بعض القرائن التاريخية ، وفى مقدمتها شهادته هو نفسه ، عندما رثى الشيخ المولى محمد بن عبد الله الشريف الوزاني . « كان نظمى لها فى زمن الصغر ، مع ما انضم الى ذلك من سرعة الارتجال . فهى جديرة بأن ينظر اليها بعين الرضى ، وتقابل بالتجاوز » (3) . وحيث كانت وفاة ابن الشريف سنة

---

1) ترجم له ل. بروننسال **شرفاء** ، ص. 295 = 297 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 535 ب 536 أ ، ع. كنون ، **نبوغ** ، 1 : 314 — 315، 2 : 201 — 210 و 253 — 254، 3 : 83 — 84 و 130 — 131 و 291 و 312 — 313 ، **ذكريات** ، رقم 14 ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 684 و 800 ، ع. ابن زيدان ، **المنزع اللطيف** ، ص. 309 ، **دائرة المعارف الاسلامية** ، مقال ل. بروننسال 1 الطبعة الجديدة ، ص. 363 ، ع. ابن منصور ، **البدائع** ، جزء 1 ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 77 ، ج. بيرك ، **الادب المغربى والشرق فى القرن 18**، فصلة 3 ص. 311 — 312 ، **اليوسى** ، ص. 118 — 119 ، م. داوود ، **مختصر تاريخ تطوان** ، ص. 283 و 286 و 287 — 288 ، **تاريخ تطوان** ، 1 : 349 — 350 و 381 — 384 و 389 و 416 ، 3 : 130 — 142 ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 5 : 283 ، 5 : 283 ، ع . ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 246 و 249 و 261 .

2) بالرغم من شكوك م. القادرى ، **نشر** ، 2 : 204 ، وهى التى حملت الفضيلى على عدم ادراج محمد بن الطيب العلمى فى جملة الشرفاء بكتابه **الدرر البهية** .

3) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 143 .

1120 = 1708 ، فان عمر شاعرنا لم يكن يتجاوز العشرين على أكثر تقدير .

بدا ابن الطيب العلمى قراءة القرآن الكريم على والده ، الا أنه فقده بعد قليل . فاضطر الى أن يلتحق بأحد الكتاتيب القرآنية ، ثم دخل القرويين ليتعلم الفقه ، واللغة ، والمنطق ، والطب ، وحتى الموسيقى ، فضلا عن الادب والتاريخ . غير أن تعلقه بهذين الفنين الذين كانا مما يرغب عن تعلمه آنذاك ،ويتمه المبكر ، جعلا منه منذ حداثة سنه شاباغريب الطبع صعب القياد . وقد قام برحلات داخل المغرب (4) ، ثم توجه الى المشرق لاداء فريضة الحج ، فأدركته المنية فى الطريق بمدينة القاهرة عام 1134 = 1721 (5) ، قبل أن يحقق أمنيته الدينية ، وهو ما يزال فى ريعان الشباب .

يعد ابن الطيب العلمى من أكبر رجال الادب بالمغرب . وكثيرا ما يضرب المثل بشعره ونثره فى الرقة واللطف . ورغم حياته القصيرة ، ألف كتبا عديدة لم يسلم من الضياع (6) الا أهمها ، وهو **الانيس المطرب** الذى سنتحدث عنه فيما بعد . ونشير الى أن من بين مؤلفاته **رسالة معرفة الانغام الثمانية** ، تؤكد معرفته للموسيقى (7) ، ومجموعة أشعار سماها **القصائد المعشرة** (8) **فى التشوق الى البقاع المطهرة** ، وهى كما يبدو من العنوان ، قصائد ضمنها شوقه الشديد الى زيارة الحرمين الشريفين .

---

4) زار بالخصوص مكناس وتطوان وزرهون . ونجده عام 1121 = 1709 فى جبل العلم ، ومنه توجه الى سبتة حيث حضر معارك بين المغاربة والاسبانيين ، خارج اسوار المدينة المحاصرة .

5) وحسب رواية أخرى عام 1135 = 1722 .

6) ومع ذلك لم ييأس الباحثون من العثور على المؤلفات الاخرى لابن الطيب العلمى او على بعضها على الاقل . وهكذا عثر على **كناشته** العلمية التى كانت فى ملك ع. الكتانى ، وهى اليوم بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2249 ك . وتحتوى على 29 بيتا لم تنشر بعد . (ص. 17 — 19) .

7) المقطع المتعلق بالموسيقى فى **الانيس** (ص. 173 — 178) يدل على معرفة المؤلف لهذا الفن ، معرفة تامة .

8) وليس (العشرة) كما جاءت عند ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 315 . انظر م. القادرى ، **نشر** ، 2 : 204 ، **النقاط** ، ورقة 62 ظ. وقد وقع فى نفس الخطأ م. عنيفى فى **مجلة التربية الوطنية** ، عدد 2 و 3 ، ابريل 1963 ، ص. 30 .

وتشتمل قوافيها على جميع الحروف الهجائية ، عشرة أبيات فى كل حرف منها ، وذلك ما يفسر كلمة المعشرات الواردة فى العنوان .

وفى رسالة ، بعث بها « الصاحب » الشرقى (9) الى ابن الطيب العلمى ، اشارة الى **مختصر** الفه هذا الاخير واثار اعجاب أكابر الادباء ، وطربوا له كل الاطراب ، وتعجبوا منه غاية الاعجاب . غير ان أهم مؤلفات العلمى ، ولا شك ، هو كتاب **الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب** الذى اشرنا فيما سبق الى ما عرفه به بروفنسال . وقد ذكر المؤلف فى المقدمة الاسباب التى حملته على تأليفه ، والطريقة التى سلكها فقال :

« . . . اقتصرت من الرجال على المشهور بين الجمهور ، واطلعت فيه من الاهلة بعدد الشهور . ولم أبخل عليه بما جر الكلام اليه من الحكايات، وبعض الشكايات ، ومسائل علمية ، اقتضتها الصنعة القلمية . وربما أدى الحال الى المجون ، والحديث ــ كما قيل ــ شجون . وحليت كلا بما يوافق، وسورت أيديه بالثناء الى المرافق ، وسويت فى الانصاف بين المرافق والمفارق. ولم أغض من حق أرباب الصدور ، يعلم ذلك من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور . واتيت لكل واحد بكلامه ، الصادر على ألسن أقلامه ، لينتظره الاعيان ، ويحكموا على العيان . وعذرا لذوى الالباب ، من الولوج فى ضيق هذا الباب . ولولا مخافة نهر السائل ، وما يترتب عليه من المسائل ، لكنت البرىء بقول القائل :

اذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه الى ما تستطيع

ولطالما امتنعت من هذا التأليف ، واعتذرت بأنى لم أبلغ فيه حد

---

9) انظر ترجمته عند العلمى ، **الانيس** ، ص . 354 ــ 355 .

التكليف . ولما لم يغن الامتناع ، كشفت عن وجه تدوينه القناع . . » (10) .

نستخلص من ذلك الملاحظات التاليـــة :

1 ـــ ان **الانيس** هو عبارة عن مختارات أدبية ، قصد المؤلف بها أن يجمع تراجم معاصريه وانتاجهم ، سواء منهم الشيوخ والتلاميذ .

2 ـــ ان عدد هؤلاء كثير ، لكن قلة المعلومات جعلته يقتصر على اثنـــى عشر منهم . وفى ذلك دلالة على أن الادب الصرف كان يدرس فى ذلك العهد ، وان اهله لم يكونوا يحظون الا بعناية ضئيلة من أصحاب كتــب التراجـــــــم .

3 ـــ أن هذه المختارات تحتوى أيضا على استطرادات مختلفة ، وذلك ما يجعلها اقرب الى (المتنوعات الادبية) فى عصر الانحطاط (11) . ويذكر النموذج الذى ساقه المؤلف بالمبدأ الذى اعتمده الادباء العرب وبخاصة ابن قتيبـــــــة (12) .

4 ـــ أن حرص العلمى على توخى الحقيقة حدا به الى أن يستقـــــى المعلومات من المصادر الوثيقة ، وينقل بالحرف ما كتبه المؤلفون أنفسهم .

تأتى بعد المقدمة مباشرة ثلاث قصائد (13) فى مدح السلطان المولى اسماعيل « لنستدفع ـــ كما قال ـــ بذلك جيوش الهم ، ولنكون ممن قدم الامر الاهم » (14) . ويطلب العلمى من قارىء القصيدة الثالثة أن يغض

---

10) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 2 ـــ 3 .

11) انظر ش. بيـــلا ، **اللغة والادب** ، ص. 171 ـــ 172 .

12) انظر مقدمات **أدب الكاتب** ، و **عيون الاخبار** ، و **الشعر والشعراء** ، الخ

13) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 3 ـــ 6 (تحتوى القصيدة الاولى على 31 بيتا ، والثانية على 18 بيتا ، والثالثة على 13 بيتا) .

14) **المصـــدر السابـــق** ، ص. 3 .

النظر عن هفواتها ، لانه نظمها فى حداثة سنه . وتقع التراجم الاثنتا عشرة ومختارات اصحابها فيما بين الصفحة السادسة والصفحة التاسعة والاربعين بعد الثلاثمائة ، تأتى بعدها خاتمة محتوية على ملاحظات مفيدة حول رجال الادب : « مراتب هؤلاء الرجال متفاوتة فى الارتجاج والارتجال ، فهم بين رئيس طاوعته اقلامه ، ورسخت فى مراكز البلاغة اقدامه ، وانتشرت فى عساكر المبارزة راياته واعلامه . فهو فى فنون الكلام يتصرف ، ويريد أن ينكر فيأبى الله الا أن يعرف . كلامه السهل يسيل المدامع ، وتصغى له المسامع ، ويعد بنظم مثله كل سامع ، فاذا ريم أعجز ، وما طل فى ذلك الموعد وما انجز . وبين آخر كثير الاغراب ، راغب عن الاعراب ، لا يعلم له مراد ، ولا يفهم من أبياته الا الافراد . وهو اذا تأملته وجدته يتكلف ذلك الايهام ، ليعمى على الافهام ، ويحتاج اليه للاستفهام ، وليعلم أن له اطلاعا على اللغة ، وانه بلغه من الغريب ما بلغه . وذلك رأى جنح اليه اعتقاده ، وأداه الى ارتكابه اجتهاده ، فباء باجتهاد غير مصيب ، وانقلب عن غنيمة الاجادة بغير نصيب . . . » (15) .

لو أن العلمى نص على الطبقة الثالثة من الشعراء ، أعنى الطبقة الدنيا للحق بأبى عامر ابن شهيد (16) فى تعريفه مختلف طبقات الادباء . ونذكر بأن ابن قتيبة (17) ميز هو أيضا بين صنفين من الشعراء : المتكلف والمطبوع (18) . وقد نادى العلمى — كسائر النقاد الكفاة — بالاسلوب السهل ، والاختيار الذكى للالفاظ ، والوضوح فى التعبير . وحمل على التقليد والاغراب اللذين كانا شائعين فى عصره ، ولم يسلم هو نفسه

---

15) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 349 — 350 .

16) انظر عن هذه الشخصية ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 1 : 235 . وانظر تعريفه لطبقات الادباء فى ترجمته من كتاب **الذخيرة** لابن بسام .

17) انظر ما سبق

منهما أحيانـــا للاســـف .

وتستمر خاتمة **الانيس** فى بيان الفصاحة مع ايـــراد الاستشهادات التقليدية التى نجدها فى أكثر كتب الفن (19) ، وفى ابداء ملاحظات حول الشعر . (20) ثم يذكر المؤلف بأن عليه أن يفى بوعد قطعه على نفسه باتمام قصة بداها فى ترجمته (الصاحب) الشركى ، وتتعلق برجم النبى (صلعم) لامرأة زنت وهى محصنة . وقد ابكت هذه القصة المحزنة شاعرنا ، وانطقته بقصيدة من اثنين وعشرين بيتا (21) . واثاره بيتان لشاعر مشرقى مجهول ، فخمسهما وأنهى بذلك الخاتمة .

وفى آخر الكتاب قصيدة يؤكد الناشر أنه وجدها على آخر صفحـــة من مخطوط **الانيس** ، وهى فى موضوع التهنئة ، بعث بها الشاعر الى احـــد اصدقائه بمناسبة رجوعه من المشرق (22) . وتحتوى الصفحات الاخيرة على تقريظ الكتاب من قبل محمد بن سليمان ، أحد الادباء الاثنى عشـــــر المترجمين فى **الانيس** ، والناشر الذى سهر على التصحيح (23) .

تكمن أهمية **الانيس** خاصة فيما يشتمل عليه من معلومات كثيرة ووثيقة عن الحياة الادبية فى المغرب فى مستهل القرن الثانى عشر = الثامن عشر م . لان « فيه هنا وهناك ملامح مفيدة من تعريف بالشاعر مثلا ، وذكر منازل السنة وادلتها ، وجدول الشهور العجمية حسب تقويم جليان الذى كان ما يزال معروفا فى البوادى ، ورسم العناصر الاربعة وتأثيرها وتوافقهـــا

---

18) انظر ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء** ، ص. 15 .
19) انظر م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 349 — 352 .
20) **المصدر السابق** ، ص. 352 — 354 .
21) **نفس المصدر** ، ص. 356 — 357 .
22) **المصدر السابق** ، ص. 357 .
23) **نفس المصدر** ، ص. 360 .

الـــخ » (24) . أما الادباء الذين ترجم لهم فى **الانيس** ، فليس فيهم مـــــن المشهورين غير ابن زاكور ، بينما الآخرون اكثرهم « كتاب من الحاشية السلطانية فى مستهل القرن الثامن عشر ، أسماء تكاد تكون غامضة على العموم لم تتمكن من الحصول على الشهرة الحضرية الواسعة . لذلك فانهم يسيرون فى اتجاه معاكس لتيار عصر مولع بموضوعات أكثر تزمتا ، غير انه حدث تطور فى الاذواق منذ **الحلــل** » (25) .

لكن ما فى **الانيس** قبل كل شيء هو العلمى نفسه الذى نلتقى به فى كل صفحة ، بل وفى كل فقرة . ولما كان تتبع فصول هذا الكتاب الذى يستحق دراسة وافية تفضى الى الطول المفرط ، فاننا سنقتصر على اعطاء نظرة خاطفة عن المظهر المزدوج للمؤلف الشاعر والكاتب .

الـعـلـمـى الـشـاعـر

حدد العلمى شعره فى ثنايا قصيدة بعث بها الى أحد اصدقائه جـــاء فــيــهــــا :

ولــى شعر يغـــار السحر منـــه	**شهــى مثــل منظــرك الشهــى**
معانيــه وألفـــــاظ ونســـــج	**خفـــى فى خفـــى فى خفـــى**
ولكنـــــى لمـــا أودعـــت فيـــه	**أنزهـــه عن الغمـــر الغبـــى (26)**

ليس هذا التعريف بالجديد ، اذ طالما شبه الشعر الجيد بالسحــر (الحلال) ، وانما يفتخر العلمى كسائر الشعراء ، ويبالغ فى مزايا شعره . غير أن هذا الشعر فى الحقيقة ساحر جذاب . سواء برقته وعذوبته ، او

---

24 و 25) ج. بيرك ، **الادب المغربى والشرق فى القرن 18** ، ص. 311 — 312 . ويتعلق الامر بكتاب **الحلــل** للحلبـــى .

26) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 97 .

بدقة افكاره وتعابيره . ويزيده فتنة وروعة كثرة استعمال البحور القصيرة الصعبة كالرمل والسريع والمنسرح .

وقد تناول شعر العلمى جميع الموضوعات تقريبا من مدح ، وشكوى ، ووصف الرياض والحياض وفوارات المياه ، والنزهات على ضفاف وادى فاس ، الى حب وأفكار فلسفيـــة .

1 ـ المـــــــــــد ح :

راينا فيما سبق أن العلمى عرف اليتم وهو صغير ، وعاش فى فقر مذقـــع لان والده لم يترك له شيئا بعد موته . لذلك نجده يستعين فى أمر معاشه بقرض الشعر المربح . وبالطبع كان الشخص الاول الذى تطارح الشاعــر على أبوابه هو ملك البلاد ، فخصه ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، بثلاث قصائد تبتدىء أشهرها هكــذا :

لك العز والتأييد والفتح والنصــر   أيــا ملكا يصبو له البر والبحــر
هزمت جيوش الكفر فى كل معــرك   وشيدت ركن الدين فانتفض الكفر(27)

يمتاز هذا المطلع بالاستعمال الموفق لصور البر والبحر ، وهما يعفران جبينهما بين يدى السلطان ، وصرح الدين الذى شيدت أركانه وعززت ، وصرح الكفر وقد هدمت جوانبه وهزمت جيوشه . كل ذلك فى لغة سهلة لا تكلف فيهـــا .

وهذان بيتان آخران من نفس القصيدة يشتملان كذلك على صـــور مبتكرة وتشبيهات رائعة :

جنـــودك كالليــل البهيــم مهابــة   ولكنمــا أبطالها الانجــم الزهــر

---

27) م العلمى ، **الانيس** ، ص 4 .

تقدمهــا خيــل عتاق اذا عــدت تكاد تجاريها الرياح أو الطير (28)

ومدح العلمى كذلك الوزير القائد محمد أبا عبد الله ، والقائد أحمــد ابن على أحد وزراء بنى حمامة ، والوزير الحسن الروسى (29) .

أما الشيخ محمد بن مولاى عبد الله الشريف ، فقد اشرنا الى أنــه رثاه وهو لم يجاوز العشرين من عمــــره .

2 ــ الــــوصـــــف :

ان الحياة الماجنة التى كان يحياها شاعرنا ، وبخاصة النزهات التى كانت له على ضفاف وادى فاس وسبو ، قد مكنته من فرص عديدة لملاحظة الطبيعة ووصفها بكيفية دقيقة وخيالية ، حتى لتكاد جميع قصائده تحتوى على وصف الرياض والازهار والعطور ، ومدح الخمر وذكر ما يصحب شربها من نشوة ومرح ، كما يتجلى فى هذه القطعة :

غنت على الاغصان ورق الحمــام فكدت من شوقــى أذوق الحمــام

وابتسمــت فى الــروض أزهــاره والجــو يبكــى بدمــوع الغمــام

فهاتهـــا تنســل مـــن ظربهـــا تريك سرى الفجــر تحت الظــلام

مــن كـــف هيفــاء مغنيـــة تمــزج راحى بالســرور المــدام

غيــداء لــولا فــرط حبــى لهــا مــا كنت أدرى كيف شرب المدام

يــا كأسها المجلو فــى يدهــا قبل اذا تستطيع ذاك السلام (30)

بعد هذه الصور المبتكرة العجيبة ، نجد تشبيه الخمر بالنار تارة ،

---

28) **المصدر السابق** ، ص 5 .

29) أنشد فى مدح الاول قصيدة دالية من 22 بيتا من بحر الوافر ، وفى الثانى قطعة هائية من سبعة أبيات من بحر الرمل ، وفى الثالث قصيدة يائية من 19 بيتا من بحر الوافر .

30) م. العلمى ، **الانيس** ، ص 318 .

وبالذهب تارة أخرى فى قوله :

خمــرة تعلــو عليهــا حبـــب فتــرى الابريز مــن تحت الــدرر
جاءنــا الساقــى بها فى يـــده وهى مثل النار ترمى بشرر (31)

فى مثل هذه القطع الشعرية المليئة بالصور والتشبيهات المثيرة ، يذكرنا العلمى فى نقط شتى بالشاعر الصفدى (32) ، كما يحلو له هو نفسه ان يعترف بذلك فى قولــه :

بــدر بأفــق القلــوب مطلعــــه يفتــر عــن درر وعــن بــرد
رويــت عن ثغــره النظام الــى أن شخت بيــن الروى والوتـــد
ولـــى لســـان يزينه لســـن أكــاد فيــه أقاس بالصفـــدى
ظلت دموعـــى فى الخــد مطلقــة يوم الوداع والقلب فى صفد (33)

3 ـ شعــــر الغـــــزل :

يصعب فى هذا المجال أن نحدد ما اذا كان العلمى حقا طالب لذة جاريا وراء الشهوات المادية ، أم أنه مثالى مشرب بالمذهب الصوفى ، فحينا نسمعه يقـــول :

ولم أهــو لهوا لا ولاهمت فى رشى ولا استملحت عيناى زيدا ولا عمرا
ولم انتخــب هندا وليلى لصبوتــى ولم أتبع فى العشق قيسا ولا بشرا(34)

ثم نجده مرة أخرى يؤكد ما يخالف ذلك فى نفس القصيدة :

بكيــت لبــدر سار عنى ظاعنـــا على قده قد كنت أستطلع البــدرا

---

31) **المصدر السابق** ، ص. 322 .
32) انظر عنه ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 31 ، **الملحق** ، 2 : 27 ، **دائرة المعارف الاسلامية** ، 4 : 54 ظ ـ 56 و .
33) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 93 .
34) م . العلمى ، **الانيس** ، ص . 303 .

خشعت له لما سرى ليلة النـــوى ويخشع كل الناس من ليلـــة الاسرا
وكم لى أنهاه عن السير بالحشـــى وما خلت أن البدر لا يترك السيـــرا
سرى يذرع الاقطار شبرا وأذرعا ولم يبق لى فيها ذراعا ولا شبـــرا
لقد كنت أغنى الناس لو دام وصله أرى ثغره درا فأنسى به التبرا (35)

وفضلا عن ذلك ، نسجل نفس التضارب فى آراء أصدقائه فيه ، اذ يقول أحدهم : « أشهد أن التدين المشوب بالعفة والكرم كان دينه » ، لكنه هو نفسه يعترف بمساوئه فيقول « كنت شغوفا بفتى جميل لا يستطيع أن يصفه قلم ولا لسان ، يسترق كرام الرجال بلا نفقة ولا مشقة ، ويتباهى بذلك على أبى زيد وضاح اليمن » (36) ، ويقول أيضا : « كان لـــى حبيب تهيم البدور بجماله » .

ومن الممكن على كل حال أن يكون العلمى أبيقوريا منغمسا فى اللذات، وصوفيا متدينا فى نفس الوقت ، يسير تارة وراء الشهوات ، ويرجع أخرى الى التوبة والعبادة ، تجتذبه حياته الماجنة المضطربة مرة الى الشر ، ومرة ثانية الى الندم وتأنيب الضمير ، كما تتجلى فى البيتين التاليين اللذين يشتكى فيهما الى المولى تعالـــى :

يـــا رب أشكوك مـــا علمت بـــه مـــن الخـــلاف وســـىء الادب
ومن أحاديث قد وشيـــت بهـــا طرزتهـــا بالخـــداع والكـــذب
ومـــن فواحـــش جئتهـــا فرحـــا بين الغصـــون وآلـــة الطـــرب
ومـــن صـــلاة أضعتهـــا زمنـــا اخرتهـــا عمـــدا بلا سبـــب (37)

---

35) **المصدر السابق** ، ص. 302 .
36) الاشارة الى الشاعر الماجن الشهير الذى دفن حيا بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك الاموى لما تغزل بزوجته فى شعره .
37) م . العلمى ، **الانيس** ، ص . 334 .

وهناك ابيات اخرى للعلمى ذات منزع صوفى ، يشتكى فيها من عدويه اللدودين : النفس والشيطان . ومهما يكن من أمر ، فقد أجاد صاحبنا فى وصف ليالـى الانس والشراب ، كقولـه :

بتنـا بـروض وفيـه — مـن الجمـا ل فنـو ن
مـن نـرجـس وظـلال — حـو اجـب و عيـو ن
والكـأس تحسـب حبـى — لـه عليهـا ديـون
عاطيتـه الـراح حتـى — عـراه منـه أنيـن
تلجلـج اللفـظ منـه — فـلا يكـاد يبيـن
ر شـى ا ذ ا ر ا م قتلـى — يقـول كـن فيكـون (38)

4 ــ تقليـد مـدرك :

ان قصة الشاعر مدرك بن على الشيبانى (39) ، الذى لقـى ذات يوم غلاما نصرانيا يدعى عمرو بن يوحنا بأحد اديرة بغداد ، شهيرة لا حاجة الى ايرادها هنا . ولم يكتف العلمى بتقليد القصيدة التى قالها مدرك فـى الغلام ، وانما زعم انه اتى بأحسن منها . وقصيدة العلمى بحق تحفة رائعة ، يقول هو عنهـا :

هـذى رسالـة بمـا فى الصـدر — مـن الهـوان والهوى والهجـر
منظومـة مثـل اللآلـى تـزرى — بكـل بكـر مـن بنـات الفكـر
فشعرهـا انسان عـين الشعـر

مـن عاشق عـان لمـا يعانـى — تفجـرت مـن عينـه عينـان

---

38) **المصدر السابق** ، ص. 64 .
39) انظر الكلام عليه عند ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 1 : 132 و 437 .

فقلبــه مراتــع الغـــزلان ودمعــه قـلائـد العقيـــان
منظومـــة فى صفحـــات النحر (40)

5 ـ المسمطــــات :

هى قصائد مشطورة تتطابق فيها قافية المصراع الثانى فى البيت الاخير من كل دور ، دون ان تطابق قوافى المصاريع الاخرى . وقد أبدع العلمى فى هذا الميدان واغرب ، واتى فيه بقصائد رائقة ، منها قصيدة نظمها فى صباه ، وكتب على ظهرها بعض شيوخه كلمة استحسان . جاء فى اول هذا المسمط :

افـــدى بامـــى وابــــى ظبيـــا غريـرا مـر بـــى
يفتـــر عـــن كالحبـــب يـــا ليتـــه لـــم يغـــب !

* * *

يشـــح عنـــى بـالكـــلام لكـــن يجـــود بـالكـــلام
عهـو د ه ا ر ض كـــلا م تـــز ر ى ببـــر ق خلـــب

* * *

و د د ت تقبيـــل الســـلا م منــه و لــو يرمــى الســلا م
مـــا ز ا ل يمنـــع الســـلا م عنـــى بغيـــر سبـــب

* * *

ولـــم يجـد لـــى بالوصـــال ولـــم يكلمنـــى بحـــا ل
فلـــم يكلـــم ا لغـــز ا ل الا النبـــى العربـــى . . . (41)

---

40) م . العلمى ، **الانيس** ، ص . 229 .
41) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 310 .

6 ـ الموشحـــات :

برع العلمى فى التوشيح براعة كبرى ، ونظم فيه قطعا عجيبة ، منهـا هذا الموشح الذى عارض به موشح شهاب الدين العزارى « يا ليلة الوصل وكأس العقـار » :

يا ليلة السكر ويوم الخمار بين الصغـار علمتها الاكواس من الجمار

بـات يحيينـا نسيم الريــاض
حتـى اكتسى الليـل قميص البيـاض
كأنمـا يمـلا الطـلا من حيـاض

مهفهف ينسيك ذات الخمار غـب المـزار يدير باليمنى لنا واليسار

فاشرب فمـا فى شربها مـن جنـاح
هـذا غـراب الليـل ضـم الجنـاح
وقهقـه الابريـق والطيـر نـاح

وينتهـى هذا الموشـح هكـذا :

ياليلة الوصل وكأس العقار دون استتار علمتماني كيف خلع العذار(42)

وبالاجمال ، فان هذا الموشح يذكرنا بأشهر الموشحات المنظومة فى الموضوع ، وبخاصة موشح أبى اسحاق الحصرى القيروانى (43) ، صاحب المطلع الشهيـر :

أليـل الصـب متـى غـده أم قيـام الساعـة موعـده

---

42) ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 312 ـ 313 .

43) انظر **دائرة المعارف الاسلامية** ، الطبعة الجديدة ، 3 : 660 أ ـ 661 ب .

العلمي الناثر

لا تقل شهرة ابن الطيب العلمي ناثرا عنه شاعرا ، و**الانيس** شاهد على ذلك ، اذ كثيرا ما يستعمل النثر الفنى بكل المحسنات والطرق البديعة المفروضة فى عصره . فهذا الكتاب ، سواء فى مفهومه أو شكله ، اشبه شىء « **بقلائد العقيان** لابن خاقان ، أو بالاحرى **بالمنتقى المقصور** لابن القاضى الذى يعتبر بالتقريب مثيلا لـه » (44) .

يرى النقاد أن أسلوب العلمى يذكر بطريقة الصاحب ابن عباد (45) ، وابن العميد (46) . ويمكن أن نقول ، دون أن نوغل فى المقارنة : ان نثر العلمى غنى ومليء بالصور ، شيق القراءة على ما فيه من تكلف ، موفق التصوير ، كما يتجلى فى هذه النماذج التى سنسوقها من أشهر مقاماته ورسائله .

أ ـ مقامة الحلاق :

انها ليست كالمقامات الاخرى ، لانها لا راوى لها يروى اخبار البطل ، وانما يحكى قصتها بعض الظرفاء الثقات . وليست أهمية هذه المقامة فى حبك القصة بقدر ما هى فى المعلومات القيمة التى تقدمها لنا عن المجتمع المغربى فى القرن الثانى عشر = 18 م .

« أخبرنا بعض الظرفا ، من ذوى المروءة والوفا ، ممن اعتمد على نقله وروايته ، واحكم بصحة عقله ودرايته ، قال : جلست يوما مع جماعة من الاحباب ، وطائفة من الاصحاب ، على شىء من الشراب ، نتذاكر ما مر

---

44) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 297 .

45) انظر ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 1 : 89 و 130 ، **الملحق** ، 1 : 198 .

46) **المصدر السابق** ، **الملحق** ، 1 : 153 ، **دائرة المعارف الاسلامية** ، الطبعة الجديدة ، 3 : 725 ـ 726 .

فى أيام الشباب ، وبيننا شاب حسن الصورة ، عليه الملاحة مقصورة ، واللطائف فى شمائله محصورة ، الا ان شعر شاربه قد طال ، واسترسل غاية الاسترسال . فسألناه عن سبب طوله ، وعدم قص طويله ، فقال : انا اخبركم بخبر يعجب لذكره الحاضرون ، ويطرب لسماعه المنصتون والناظرون . كنت من شبابى اتزخرف المكاسب واتخير منها ما يناسب . فصليت يوما صلاة الاستخارة ، فوجدت نفسى مائلة الى التجارة . فقصدت مدينة سنجار ، وفتحت بها حانوتا فى سوق التجار ، ووضعت فيه من محاسن القماش ، ما استعين به على المعاش . وزينت الدكان بحسب الامكان ، وكسوتها بالاستار على أربعة اركان . وعاملت اهل الاسواق ، بمكارم الاخلاق ، واستعنت بالقربة ، على ليالى الغربة . فاتفق لى فى بعض الايام ، ضرورة الى دخول الحمام . فوجدت فى طريقى جماعة من النسوان ، بينهن فتاة كأنها قضيب البان . فلمحت من تحت الازار معصمها وقد سطع صفاؤه ، وابصرت من تحت النقاب مبسمها وقد لمع ضياؤه . فوقفت وقد جرى من الجفون دمى ، وعجزت عن نقل قدمى . ثم تتبعتها من بعيد ، ولاحظتها الى أين تريد . فدخلت دارا يدل اتقان بابها ، على سعادة أربابها . . . » (47)

رغم كون المفروض أن حوادث المقامة تجرى فى سنجار ، فان شخصياتها مغربية من الناحية النموذجية ، عرف العلمى كيف ينزلها منازلها بكيفية تعريفية . فبطل القصة شاب اديب اختار مهنة التجارة فى القماش ، وعاشر زملاءه التجار بالحسنى ، وزارهم ليتسلى ، غير أن شغفه بمحبوبته دفع به الى ارتكاب خطا فادح ، بانتهاك حرمة بيت الخطيب . وقد تكون هذه الشخصية تمثل المؤلف نفسه . والخياط فى القصة « يخيط فى دكان ،

---

47) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 262 .

وعنده من الصناع الوان ، ذوو اذقان ومردان ، صنوان وغير صنوان » (48) .

وهو ايضا اديب يصف نفسه قائلا :

انــا الخيــاط لــى رزق ولكــن — أرى حالى من الافلاس عبــــره
ذراعــى فيه مــن فقرى مقــص — ورزقى خارج من عين ابره (49)

والخطابة تمثل نوع العجوز التقليدية ، وتصف نفسها قائلة :

انــا ياقوتــة المــلاح وربــــى — فى أمورى هــو الكفيــل بقوتــى
ان سلكــت القفــار جئت بوحش — أو سلكــت البحار جئت بحــوت
ويقود الصعــاب لطــف احتيالــى — بخيــوط تكــون مــن عنكبــــوت
القنــى فى لظــى فان غيرتنــــى — فتيقن أن لست بالياقوت (50)

والخطيب رجل غنى محترم ، لكن ليس له غير ابنة يحبها كانسان عينه، ولا يريد تزويجها من أحد . أما الشابة ، فقد رأينا عشيقها يصف قدها ، ومعصمها ، ومبسمها . وأمها لم تكن تبحث سوى عن ضمان سعادة ابنتها فى أحضان زوج كفء لهــا . ولننظر الآن الى الحلاق الذى سميت المقامة باسمه ، ولم نتحدث عنه بعد . انه ، كسائر أفراد حرفته ، رجل ثرثار وطفيلى ، غريب وطماع ، يتدخل فى أمور الغير ، وينتهى به الحال الى أن يجر من أحسن اليه الى أحرج المواقف . وهو فى هذا يذكرنا قليلا بقصــة « حــلاق اشبيليـــة » .

ب — وفى رسالة بعث بها العلمى الى أحد أدباء مكناس ، كان قد اعترض عليه فى احدى مرثياته التى جاء فيهــا :

ان تمت يــا محمد اليوم لا تعتب — فمــــن قبــل ماتـــب الانبيــاء

---

48 — 49) **المصدر السابق** ، ص . 263 .
50) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 263 .

فأنكر الاديب المكناسى كلمة « العتب » من هذا البيت وقال : « الاتيان بها غير مباح ، وزعم أن ارتكابها من الخطا الصراح » (51) . فكتب اليه العلمى رسالة تدل على سعة اطلاعه ومقدرته الفائقة فى النقد الادبى :

« . . . فقد بلغنى انك طالعت قصيدتى العديمة النظير ، الفائقة الدر النثير والروض النضير ، المنظومة على الارتجال ، بشهادة عدة من الرجال . فأنكرت كلمة العتب من ذلك البيت ، الموضوع لتحلية الميت . وانى اقول : لو تزودت شيئا من المعقول ، او طرفا من المنقول ، لتأملت قبل ان تقول ، واخترت التسليم لاهل العقول . وهب ذلك الخطأ قد كان ، وتصور فيه الامكان . فالانسان لا تؤمن عثراته مصائبه ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه . وقد ذكرت فى ايرادك ، المبنى على مرادك ، انى جعلت الميت ممن لم يرض بالوفاة ، ولم يقتد فيه بمن فات ، وان ذلك حمله على عتاب من اماته ، حيث لم يطل حياته ، فنهيته عن ذلك العتاب ، بهذا الخطاب . وقد حملتنى فى ذلك اثما كثيرا ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قلت : وهذا من البعيد الذى لا يمكن أن يقصد ، وتأويله لا ينكر أبدا ولا يحجد . وذلك قولى « لا تعتب » نعنى على الموت الذى أصاب ، فالكل به مصاب ، لا على رب الارباب . ومع ذلك فهى هنا مصروفة عن معناها الذى له وضعت ، كما وردت فى أشعار القوم وشيعت . قال شاعرهم :

لا تعتبنى يا هند ان مت فكلما حى الى الموت

اخذه من قول الآخر :

دع العتب يا سلمى فان ذقت موتة فهذا دعاء للبرية شامل

وقرينة السياق تنفى ذلك المعنى البعيد ، وتعين الوجه الذى أريد . . . » (52)

---

51) **المصدر السابق** ، ص. 308 .

52) م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 308 ، وما بعدها .

ج ـ مراسلة العلمى لصديقه الحميم محمد بن العربى الشركى ، ولو انها فى الغالب متصنعة متحذلقة ، تشتمل على عواطف صادقة ومؤثرة . وهذه فقرة منها فى العتـــاب :

« . . . فانه لما طال أمد الفراق ، وبلغت الروح الى التراق ، وظـــن انه الحين وقيل من راق، فكرت فيما يفك من يد الاشواق أسرى ، ويجبر ما بين الاضحاء كسرى ، فقلـــت :

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح   وبالبدر لم يطلع وبالبدر لم يســـر

فما عثرت بعد معاناة البين ، ومعاتبة الدهر المفرق بين المحبين ، الا على بعض درر من كلامك ، استخرجت من بحور مددك بمداد اقلامك ، كنت ادخرتها عن القوم ، لمثل هذا اليـــوم :

تفقدتهـــا بعد الســـرور بأنسهـــا   «وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر»(53)

كذلك كان هذا الرجل الذى عاش حياة مضطربة ومات مبكرا ، لم يمنعه ذلك من أن يكون أحد افذاذ رجال الادب ، ليس فى عصر المولى اسماعيل فحسب ، بل عبر عصور المغرب كلها . وان ترجمة قصيرة كهذه لا يمكن أن تعرف به كما يجب ، ولا أن تبـــرز مختلف جوانب شخصيته ، وهـــو القمين بأن تخصص له دراسة وافيـــة .

---

53) المصـــدر السابـــق .

محمد المسناوي الدلائي [1]

(1724 – 62 – 1661 = 1136 – 1072)

هذه احدى الشخصيات البارزة فى الاسرة الدلائية الكبرى التـى لعبت زاويتها دورا مهما فى تأريخ المغرب ، لا فى الميدان الثقافى فحسب ، ولكـن أيضا فى الميدانين السياسى والاجتماعى .

هو ابو عبد الله محمد المسناوى بن احمد بن محمد المسناوى بن محمد بن ابى بكر الدلائى . ولد فى الزاوية الدلائية عام 1072 = 1661 – 62 وبعد سبع سنوات ، حمله والده الى فاس فى جملة أهله ، بعد أن خرب السلطان الرشيد بن الشريف زاويتهم . فنشأ المترجم فى فاس وقرأ علـى كبار علمائها ، أمثال عبد القادر الفاسى ، والحسن اليوسى ، وعبد السلام القادرى ، ومحمد بن عبد الرحمن الفاسى ، ومحمد العربى القادرى ، ومحمد القسنطينى ، وأحمد بن العربى ابن الحاج ، وعبد المالك التجموعتى ، وعم أبيه محمد المرابط الدلائى ، ومحمد البوعنانى التلمسانى ، الذين تحدثنا عنهم فيما سبق . وتخرج على يد محمد المسناوى الدلائى جماعة من العلماء من بينهم أكثر المؤلفين فى تراجم رجال القرن الثانى عشر = الثامن عشر .

---

1) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 301 – 302 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 608 ، **الذيل** ، 2 : 685 ، ع. كنون ، **نبوغ** ، 1 : 286 – 287 ، أ. الوزير الغسانى ، **رسالة** حول حياته وتآليفه أوردها فى **البدور الضاوية** ، ص. 375 – 380 ، مخطوط ضمن مجموع ، رقم 2055 د ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 79 – 80 ، و 88 – 89 ، و 110 الخ ، المنجرة ، **فهرست** ، وكذلك **فهرست** ابنه عبد الرحمن ، م. ب. ع. الفاسى ، **المورد الهنى** ، ابن عبد السلام بنانى، **فهرست** ، الشيخ مخلوف ، **شجرة النور** ، ص. 333 – 334 ، س. الحوات ، **البدور الضاوية** ، الحسن ابن رحال المعدانى ، **رسالة** حول حياته ومؤلفاته ، م. الحجوى **الفكر السامى** ، ص. 118 – 119 ، رقم 782 ، م. حجى ، **الزاوية الدلائية** ، ص. 83 .

ومن اشهرهم : ميارة الصغير ، وابن عبد السلام بنانى ، وابن المبارك ، وعبد السلام جسوس ، وابن زكرى (2) .

صار المسناوى على التوالى خطيبا واماما بالمدرسة البوعنانية ، ثم بضريح المولى ادريس الازهر ، ثم مفتيا وشيخ الجماعة بفاس . وقد دفع الناس الى احترامه وتقديره سلوكه المثالى ، ووقار شخصه ، وجلال مظهره ، فضلا عن بالغ المحبة ومتين التعلق . كان متمكنا اشد ما يكون التمكن من قواعد اللغة ، والفقه والحديث ، والتفسير ، والجدل ، ذا ذاكرة عجيبة ومقدرة فائقة فى التعليم .

اصبح المسناوى أكبر رجال الفتوى ، لا يرد له حكم . وكثيرا ما كانت فتاويه تتعلق بمسائل العقائد وامور المعيشة المادية . اما ما يتصل بدعاوى الطلاق ، فانه كان يتجنبها خوفا من أن يساعد على فصم العلاقات الزوجية .

وللمسناوى مؤلفات عديدة لا تخلو من اهمية ، منها كتب التراجم ، والفقه ، والتصوف ، والادب .

أ — كتب التراجم :

1 — رسالة فى أبناء الشيخ عبد القادر الجيلانى بعنوان **نتيجة التحقيق ، فى بعض أهل الشرف الوثيق (3)** .

2 — رسالة اخرى عن الشيخ الصالح احمد اليمنى بعنوان **التعريف بالشيخ أبى العباس أحمد اليمنى** (4) .

---

2) ستأتى تراجم تلاميذ المسناوى تباعا .

3) طبع على الحجر بفاس عام 1309 = 1891 ، ونشر فى تونس عام 1296 = 1879 (انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 302 هامش 3 ، ويزيد قائلا : « ونشرت ترجمة انجليزية للقسم المتعلق بعبد القادر الجيلانى فى ايديمبورغ عام 1903 من طرف ط. ه. ويير) .

4) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 406 د ، 471 ، 1419 د .

3 ــ رسالة ثالثة فى نسب الشرفاء الادارسة بعنوان **رسالة فى نسب السادة الاشراف الادارسة الجوطيين** (5) .

4 ــ مناقب الشيخ عبد الله الخياط المعروف باسم **جواهر السماط ، فى مناقب سيدى عبد الله الخياط** (6) .

5 ــ رسالة حول الشرفاء المشهورين بفاس سماها **تقييد فى الاشراف، الذين لهم شهرة بفاس لما وقع فى المسألة من خلاف** (7) .

ب ــ كتب الفقه :

1 ــ **نصرة القبض ، فى الرد على من أنكر مشروعيته فى صلاتى النفل والفرض** (8) .

اثار هذا الكتاب شبه ثورة فى القواعد التقليدية للصلاة بدعوته الى القبض الذى لم يكن مطبقا آنذاك خلافا لمذهب مالك القائل بالسدل فى الصلاة . وبذلك يسجل رجوعا الى مبادىء الاسلام والسنة النبوية ، دون التقيد بمذهب معين .

2 ــ **جواب عما يقع فى زمن المسبغة من كثرة السؤال** (9) . وهو ، كما يدل عليه اسمه ، جواب عن سؤال يتعلق بالحاف الفقراء فى مسألة الناس زمن القحط .

---

5) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 56 د ، 494 د ، 1632 د .

6) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 204 .
مخطوط هذا الكتاب فى احدى المكتبات الخاصة لآل ابن سودة بفاس .

7) **المصدر السابق** ، ص. 88 ــ 29 ، مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 487 د .

8) ويسمى أيضا **نصرة القبض ، والرد على من زعم عدم مشروعته فى النفل والفرض .**
(انظر م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 79 و ، نقله ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 287)

9) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1081 د ، ضمن مجموع ، ورقة 139 ظ ــ 141 و .

3 ـ **القول الكاشف ، عن أحكام الاستنابة فى الوظائف (10)** . يتحدث عن الطريقة المتبعة فى انابة آخرين للقيام ببعض الوظائف .

4 ـ رسالة فى تعريف الذمة بعنوان **صرف الهمة ، الى تحقيق معنى الذمة** .

ج ـ كتب التصوف :

1 ـ افكار مجموعة مأخوذة عن مختلف الصوفية المشهورين ، كأبى مدين الفاسى ، بعنوان **فوائد فى التصوف (11)** .

2 ـ **جهد المقل القاصر ، فى نصرة الشيخ عبد القادر (12)** . وهو ، كما يدل اسمه ، فى الدفاع عن الشيخ عبد القادر الجيلانى .

يلتقى هذا الكتاب بالرسالة التى للمسناوى فى نفس الموضوع ، وسبقت الاشارة اليها ، ليبين مدى اعجاب المؤلف بهذا الشيخ الصالح الذى انعقد الاجماع على مكانته السامية (13) .

د ـ كتب الادب :

ـ **المقامة الفكرية ، فى محاسن الزاوية البكرية** ، وهى مقامة طويلة فى مدح الزاوية الدلائية (14) .

ولاعطاء فكرة عن طريقة تفكير المسناوى وانشائه ، نورد مقاطع

---

10) وقد استبدل كلمة (أحكام) فى العنوان بكلمة (صحة) (م. القادرى ، **المصدر السابق**). أو بكلمة (حكم) (ع. كنون ، **المصدر السابق**) .

11) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 984 د ، ضمن مجموع ، ورقة 129 ـ 141 .

12) يتعلق الامر بعبد القادر الجيلانى أو الجيلى .

13) ومع ذلك فقد جرؤ م. أكنسوس ، بعد ذلك بنحو قرن ، على أن ينازع فى تلك المكانة الروحية (أنظر ما ياتى ص.)

14) س. الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 171 .

من اثرين من آثاره ، نعتبرهما أكثر دلالة على شخصيته :

1) فوائد فى التصوف :

أ ــ فى معرض الاخطاء الواقعة فى الانساب :

« . . . ونظير هذا الاشكال ما وقع فى نسب الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى من أنه من ولد جعفر بن عبد الله الكامل ، فانه لا يعرف فى أولاد عبد الله الكامل من اسمه جعفر ، باتفاق جميع من عدهم من الزبيرى ، وابن حزم ، وابن أبى زرع ، والتنسى . وانما يعرف له محمد النفس الزكية و . . . فلعل فى العمود اسقاط أو خطأ . وقد نبه على هذا بعض شيوخنا فى أرجوزة له سماها بالاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف » (15) .

ان مما يلفت النظر هذه الدقة الفائقة التى للمؤلف فى الاهتمام بتأريخ الاشراف وأنسابهم . وقد رأيناه يخصهم بجميع مؤلفاته فى التراجم والتصوف . ويسترعى الانتباه كذلك اعتماده فى أنسابهم على أعلام النسابين المشارقة والاندلسيين ، والمغاربة ، والتونسيين ، دون تمييز .

ب ــ جواب عن سؤال : هل العارف الكامل يملك الدنيا ، ويتعاطى الاسباب الموصلة اليها ، أم لا ؟ وعلى فرض تعاطيها ، فهل تشغله عن الله تعالى أم لا ؟ . . .

الجواب : « انه يملكها ويتعاطى اسبابها كغيره ظاهرا ، وان كان بخلافه باطنا . ولا يخل ذلك بزهده ومعرفته ، كما لا يشغله عن قصده ووجهته . فان الناس فى طلب الدنيا على قسمين : عبد طلب الدنيا للدنيا ،

---

15) مجموع مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط ، رقم 984 د ، ورقة 137 و . وناظم الارجوزة المذكورة هو عبد السلام القادرى الذى سبقت ترجمته .

وعبد طلب الدنيا للآخـــــرة . . . » (16) .

لا يمكن ان تكون هذه اللهجة سوى صوفية ، كما تشهد بذلك الالفاظ الاصطلاحية الواردة فيها ، وتدل على اجتهاد المترجم فى التوفيق بين المادة والروح ، وبين العقل والقلـــب .

ج ــ نجد نفس الاعتدال عند فقيهنا المسناوى فى فتواه التالية ، التـــى يعتبر موضوعها أصعب من السابق . فقد سئل عمن ادعى أن الله ورسوله أذنا له فى تربية الخلق ، وأنه يتكلم فى جميع أقواله باذن المالك الحق ، وأنه تعالى أطلعه على جميع القلوب ، وما فيها من الاخلاق الزكية والعيوب . . .

فأجاب : « ان هذه الدعوى لا تقبل الا ممن كانت فيه الاهلية وتوفرت فيه شروطها ، بحيث يكون عارفا كاملا . . . » (17) .

وبعبارة أخرى : يكون متوفرا على جميع صفات الكمال التى عددها . وباتخاذ هذا الموقف ، يبدو المسناوى مفكرا معتدلا ، ومنطقيا معارضا لمـــا سيدعى فيما بعد « بمذهب المتصوفة » ، مناصرا متحمسا للصرامـــــة الدينية ، والرجوع الى أصول الاسلامية النقية الاولى .

2) المقـــــامـــــة الفكـــريـــــة :

« حكى النسيم بن سحر ، عن الروض بن مطر ، قال : لما تراكمت على الفؤاد المبرح أعباء الاشجان ، وتناوبت نوائب الدهر الحاقد فى نفسى الاحزان ، فلم أر لدواء علتـــى ، واطفاء غلتى ، الا السفر من حضـــرة فاس ، وان كانت عاطرة الانفاس . فلما حان ارتحالى ، وأحضرت ما هو اليق بحالى ، أحاطت بى الاخوان جملة ، وغشيتنى منهم البدور والاهلة .

---

16) **المصدر السابق** ، ورقة 141 و .
17) **نفس المصدر** ، ورقة 143 و .

ولما وقفوا بغنائى ، وما علموا أن فى وقوفهم فنائى ، وتتابعت زفراتى ولا كريح فيها اعصار ، انشدتهم ولسانى يعثر متلعثما ، ودموعى قد استحالت دما :

يا من لهم أقصى الحشا والفؤاد	**منازل بل فى سواد البصر**
ما عن رضى يا اخوتى نأيكم	**بل نأيكم داء بقلبى استقر**
لكن من قد قضى علينا النوى	**سيقضى بالجمع اذا ما أمر » (18)**

ان موضوع هذه المقامة ، التى تتحدث عن الاسف على تخريب زاوية الدلاء والاقامة الاجبارية لاهلها بفاس ، ظل مدة طويلة محط كلام الادباء الدلائيين وأحبائهم (19) . يضاف الى هذا أن الاسمين المستعارين لشخصيتى المقامة التقليديين : الراوية والبطل ، يدلان على اهتمام المؤلف لاعطاء طابع أدبى عميق لكتابته ، بل طابع ريفى . ولما وصل الى مكناس ؛ حيث توقف ليتملى بمرأى أشجار الزيتون ، ومائها الجارى الهتون ، متحيرا بين أن يسير أو أن يبيت ليلته فيها ، واذا بشاب جميل الطلعة جاءه هناك ، واخذ يحدثه بمحاسن الزاوية الدلائية ومفاتنها . فلم يتمالك بطل المقامة من أن يمتطى على الفور متن جواده :

« فعمدت أجوب الفيافى والتنائف ، وأقتحم الاخطار والمخاوف ، فطورا أتسابق مع الرياح ، وأحيانا اجارى ذات الجناح . فلما بلغت ما بين تادلا ، ومرابع الدلا ، علوت ربوة للمبيت ، وأنبت ساعدى مناب وسادة البيت . فما انتهت الا والصبح قد ارتفع برقوعه ، والليل قد ولت منهزمة جموعه . فأرسلت عينى رائدا ، وسرحت طرفى متباعدا ، فرأيت أرضا لا كما تصفها الالسن ، ولا كما أبصرته فى منتزهاتها الاعين ، تذكر حصباؤها الدرية ،

---

18) س. الحوات ، **البدور الضاوية** ، ص. 571 .

19) مثل الحسن اليوسى الذى رثى الزاوية الدلائية بقصيدته الرائية الشهيرة .

ومياهها الفضية ، قول بعض الفضلاء الماجدين ، والجهابذة المجيديـــن :

بــلاد بها الحصبـــاء در وتربهـــا عبيـــر وأنفاس الريـــاح شمـــول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلـــق وصح نسيم الروض وهو عليل »(20)

ويتوالى وصف هذه الناحية الجميلة بما فيها من أنهار ، وأزهار تغطى البطاح والتلال ، لكى تشوبه مرارة خيبة الاصل بمنظر أطلال الزاويـــة وخـــــرائبهـــــا :

« . . . اذا منازلها خاوية ، والذئاب فى أرجائهـــا عاوية ، وليـــس الا الغربان والبوم ، والحمائم تنوح فى أطلالها وتحوم . فخرجت منها ودموعى نهر غزير ، وأنشد منزلها بقلب كسيـــر :

أيـــا منزلا بالديـــر أصبح خاليـــا تلاعـــب فيـــه شمـــال ودبـــور
كأنك لم يسكنك بيـــض أو انـــس ولم تتبختر فى قبابك حور » (21)

ورغم كون هذه المقامة قد صيغت بأسلوب مسجع منمق ، فان قراءتها شيقة ، لاحتوائها على صور مزخرفة ، وعواطف وجدانية مؤثرة . وهى شاهد حق على القيمة الادبية لاحد أولئك الذين أسهموا أكثر فى ازدهار الادب ، أوائل القرن الثانى عشر = الثامن عشر .

ولما أحس المسناوى بدنو أجله ، نظم قصيدة يضرع فيها الى الله تعالى أن يغفر ذنوبه ، وأوصى أن يشيع بها الى قبره . ومنها :

يـــا رب عطفـــا علـــى مســـىء أتـــى بـــه القـــوم للمقابـــــر
فجـــاء فـــردا بغيـــر زاد فخلـــف الاهـــل والعشائـــر

---

20) س. الحوات ، **البدور الضاوية** ، ص. 573 .
21) **المصدر السابق** ، ص. 574 .

وقد جرى عمل الناس فى فاس بعد ذلك بقراءة هذه القصيدة عند تشييع الموتى . وكانت وفاة الشيخ المسناوى يوم رابع عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة والف = 8 يوليوز 1724 . « وكان موته فى العاصمة حدادا عاما حقا . ودفن فى قبر كان قد حفره بنفسه منذ ثلاث سنوات خلت داخل ضريح محمد العايدى بروضة العلماء ، خارج باب الفتوح » (22) .

وكان المسناوى ، على حد تعبير بعض اصحاب كتب التراجم (23) ، آخر علماء الدلاء والصالحين المتقشفين فى عصره .

---

22) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 302 .

23) مثل م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 44 .

الحسن بن رحال المعداني [1]

(ت 1140 = 1728)

ابو على الحسن ابن رحال بن احمد بن على التادلاوى المعدانى المكناسى ، من اكبر المفتين المتحمسين للمذهب المالكى ، متضلع فى جميع العلوم ، وبخاصة الفقه ، والنوازل ، والاحكام . كما كان استاذا كفئا دعى « صاعقة العلوم والتدريس » .

اخذ عن الحسن اليوسى ، وعبد السلام القادرى ، المتقدمى الذكر . واخذ عنه عدد وافر من الطلبة الذين كانت لهم فيما بعد شهرة علمية واسعة ، امثال الكبير السرغينى (2) ، واحمد ابن المبارك السجلماسى ، ويوسف المجيلدى ، ومحمد بن الصديق الدكالى (3) .

بعد أن درس المعدانى مدة فى المدرسة المتوكلية العنانية بفاس ، ولى قضاء فاس العليا ، قبل أن يختاره السلطان المولى اسماعيل قاضيا لحاضرته مكناسة الزيتون ، حيث بقى يزاول مهامه الى أن فاجأته المنية يوم ثالث رجب من عام اربعين ومائة والف = 14 فبراير 1728 . ودفن بضريح أبى عثمان سعيد المشترائى ، خارج باب وجه العروس .

أدرج ل. بروفنسال الحسن المعدانى فى كتابه **مؤرخو الشرفاء** (4)

---

1) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 297 — 298 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : ورقة 80 ظ ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 278 ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 696 ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 7 — 9 ، ع. ابن سودة **دليل** ، 1 : 189 — 190 ، و 214 و 268 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 109 — 110 ، رقم 757 .

2) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 317 ، هامش 3 ، وما ذكر هناك من مصادر ترجمته.

3) انظر م. الكتانى ، تبلوة ، 1 : 273 .

4) ص. 297 — 298 .

بين اصحاب كتب التراجم فى القرن الثانى عشر = 18 ، من اجل كتاب يظن انه واضعه فى أحد رؤساء زاوية ابى الجعد : محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقى المتقدم الذكر ، وسماه **الروض اليانع الفائح ، فى مناقب الشيخ ابى عبد الله محمد الصالح** (5) . غير ان هذه المعلومات المستقاة من كتاب **السلوة** خاطئة ، لان مؤلف هذا الكتاب هو ابو على الحسن بن محمد الهداجى المعدانى (6) . وقد وقع فى نفس الخطا آخرون من اصحاب التراجم (7) .

الف ابن رحال المعدانى كتبا يدور اغلبها حول الفقه وهى :

1 ــ **حاشية** كبرى على مختصر خليل (8) .

2 ــ **حاشية** على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم (9) .

3 ــ **حاشية** عجيبة على شرح الخرشى (10) .

4 ــ **الارفاق فى مسائل الاستحقاق** (11) .

5 ــ **ضمان الصناع** (12) .

6 ــ **كشف القناع ، عن مسائل الصناع** (13) .

7 ــ **البارع** فى أحكام النجوم (14) .

والى جانب تضلع المعدانى فى علم الفقه والاحكام ، كان أديبا يقرض

---

5) مخطوطا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 2260 و 2371 ك .

6) انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 214 . وقد مات هذا المؤلف بعد 1180 = 1766 (وليس عام 1863) .

7) مثل أ. الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 2 : 58 و 99 . (انظر المخطوطين المذكورين فى الهامش رقم 5) .

8) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 886 ك .

9) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 873 د .

10) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 8 .

11) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1079 د . وسمى أيضا **الارتفاق ، فى مسائل من الاستحقاق** .

12) مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1418 د .

13 و 14) مخطوطا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1079 د و 288 ك .

الشعر من ذلك قوله :

اياك والتفريط فى الاوقات	**فهى قوام الدين والحياة**
مع فتنة ومحنة قد عظمت	**فى ظاهر وباطن كما ثبت**
سيما فى مغربنا وشبهه	**فاجهد لما ذكرته وانتبه**
فالقوت روح الجسم والحياة	**وفقده طبعا هو الممات (15)**

تحتوى هذه الابيات على كثير من الاشياء المضمرة ، تشعر بها كلمات الاوقات والدين ، والظاهر والباطن وغيرها ، كما تدل على أن الحالة السياسية بالمغرب لم تكن آنذاك على ما يرام ، فى وقت يحارب فيه المولى اسماعيل كلا من الاجانب والثوار .

عبد القادر ابن شقرون المكناسى (16)

(ت بعد 1140 = 27 — 1728)

يوصف هذا العالم بالمكناسى ، تمييزا له عن سميه الذى عاش بفاس ايام السلطان مولاى سليمان . وقد خصص محمد الكتانى ، بعد أن ترجم الاول فى **السلوة** (17) ، بضعة اسطر لازالة كل التباس بين الرجلين .

وهو أبو محمد وأبو نصر عبد القادر بن العربى المنبهى المدغرى المعروف بابن شقرون المكناسى . طبيب ماهر ، وفقيه متمكن فى الفتيا ، واديب بارع . درس بفاس على احمد ابن الحاج ، ومحمد القسنطينى ، ومحمد

15) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 9 .

16) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 297 ، وهامش : 2 وذكر بعض مصادر ترجمته ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 1 : 264 و 320 — 330 ، **المنزع اللطيف** ، ص. 310 ، ع. كنون ، **نبوغ** ، 1 : 289 و 2 : 256 — 257 ، الدكتور رينو ، **الطب والاطباء المغاربة** ، فى صحيفة معهد الدراسات الشرقية ، 3 : 89 — 99 ، 1937 ، **من بعض المقتنيات** ، ص. 119 — 121 ، م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى** ، ص. 314 ، أبو القاسم العمرى ، **الفهرست** .

17) 1 : 98 . ويسمى ابن شقرون الفاسى كذلك عبد القادر ، غير أن والده يسمى أحمد

المسناوى الدلائى ، وعبد الرحمن بن عمران ، وعبد السلام القادرى ، وعبد الوهاب أبــى عنان المتقدم ذكرهم . واخــذ الطب عن أحمد بن محمــد ادراق .

ودرس ابن شقرون فى مدينة مكناس ايضا على القاضى أبى مديــن السوسى (18) والقاضى سعيد العميرى التادلى (19) ، وأحمد بن يعقوب الولالى (20) . وعبد السلام البيجورى (21) ، والطبيب الشهير ابراهيــم بن القائد على (22) . وقد حج ابن شقرون ، واغتنم فرصة مقامه بالمشرق لزيارة تلك الاقطار ، وتوسيع آفاق معرفته ، فحضر بمصر دروس الشيخ أحمد الزيدانــى (23) . وتتلمذ لابن شقرون عدد وافر من الطلبة ، أمثال أبى القاسم بن سعيد العمرى (24) ، الذى ذكر فى **فهرسته** ، والشيخ محمد الصالح بن المعطى الشرقى (25) ، الذى مدحه بقصيدة طويلة .

واستقر ابن شقرون ، آخر حياته ، بمدينة مكناس « حيث عاش ــ على ما يظهر ــ عيشة متقشفة منزويا عازبا . وضم الى علم الاديان ، علــم الابدان ، فركب الادوية . . . وعرف الامراض ، وارسل سهام الرقى فأصاب الاغــــــراض » (26) .

اننا لا نعرف بالضبط متى ولد ابن شقرون ، ولا متى توفى ، غير اننا

---

18) أبو عبد الله محمد بن أبى مدين بن الحسين بن ابراهيم السوسى المنبهى الزيــادى ، قاضى مكناسة الشهير ، المتوفى بها عام 1120 = 1708
(أنظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 85 ــ 88) .

19 و 20) **المصدر السابق** ، 4 : 74 ، 84 ، 132 .

21 و 22) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 1 : 340 ــ 341 و 357 ــ 358 و 264 .

23) أنظر د. هـ. ب. ج رينو ، **الطب والاطباء المغاربة** ، ص، 91

24) أبو القاسم على بن سعيد العميرى من اشهر علماء العهد الاسماعيلى . توفى بمكناس عام 1150 = 1737 (أنظر ع. ابن زيدان ، **اتحــاف** ، 5 : 475 ــ 476) .

25) أنظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 119 ، وهامش 2 .

26) د. هـ. ب. ج وينو ص، 91 ــ 92 ، وقد نقل بعض عبارات ع ابــن زيــدان ، **اتحــاف**، 5 : 321 الذى اخذها بدوره عن م. العلمى ، **الانيس** ، ص. 193 .

نعرف انه كان حيا يرزق عام 1140 = 1727 — 28 ، اى بعد وفاة المولى اسماعيل بسنة . وقد افرد الطبيب الاخصائى د. هـ. ب. ج رينو ابـــن شقرون المكناسى بدراسات مدققة باعتبار أنه كان طبيبا فى خدمة السلطان المولى اسماعيل . واعتنت هذه الدراسات بالخصوص بتحليل وشرح **الارجـــوزة الشقرونية** ذات السبعمائة بيت ، والتى تبحث فى الاغذية الصحية (27) .

وبالاضافة الى هذه الارجوزة الطبية ، الف ابن شقرون المكناسى :

1 — **شرحا على البسط والتعريف** للمكودى ، فى قواعد اللغة العربية .

2 — **قصيـــدة** فى مـــدح الرسول عليـــه الســـلام .

3 — **بيتيـــن** قالهما فى الدرهم الفضى الذى ضربه المولى اسماعيل .

4 — **قصـــائـــد** مختلفـــــة .

ابـــن شقـــرون الشاعـــر

تدل المختارات الشعرية التالية ، من قصائد ابن شقرون ، على قوة الهامه ، ومقدرته الشعرية الفائقة . وهى مقدرة لا تقتصر على النواحـــى الجدية ، وانما تظهر كذلك فى المواضيع الهزليـــة .

أ — قصيدة مدح الرسول عليه السلام تشتمل — كنظيراتها — على الوصف ، ومدح الشراب ، والنسيب ، والحكم ، والامثال ، غير ان هذه الموضوعات المختلفة تكتسى ، ببراعة قلم ابن شقرون ، طابعا جديدا وشكلا أصيلا ، كما يتجلى فى وصفه لعناقيد العنب :

---

(27) طبعت الارجوزة على الحجر بفاس عام 1324 = 1906 ، بعد ان طبعت بتونـــس فى المطبعة الرسمية عام 1323 = 1905 . وتوجد منها نسخة مخطوطة تحتوى على 673 بيتا فقط بالمكتبة العامة بالرباط (مجموع رقم 1613 ك) . وقد نظمها ابن شقرون بطلب من الشيخ الصالح بن المعطى الشرقى ، عندما مر بمكناس ، عام 1113 = 1701 — 2 .

اسقيانـــى كؤوس بنــت الدوالـــى	**ان عرانـــى السقام فهى الدوالـــى**
بنت كــرم ربت عناقيدها الســو	**د بمهــد الغصون تحــت الظــلال**
رنحــت مهدها الريـــاح وناغــت	**بها البلابــل من غصون عــوال**
رضعــت من لبــان سلسل نهــر	**وسقاهـــا الجلا ســلاف الــزلال**
ربهـــا المزن فــوق عرش عريش	**فتكلــــل عرشهـــا باللـــآلــــى**
حجـــب الفرس بكرهـــا فى دنـــان	**ضمحوهـــا بعنبـــر وغوالـــى (28)**

يمكن أن نزيد من ضرب الامثلة ، دون الخوف من ملل القارىء ، طالما هى رائعة تلك الصور والعبارات الواردة فى هذه القصيدة . ونلاحظ بخاصة ذلكم الجناس التام البديع فى البيت الاول ؟ وسيقلد فيما بعد الوزير محمد بن ادريس العمراوى (29) هذا الوصف ، عندما يرسم صورة عناقيده الخمرية .

ويقول ابن شقرون فى الشكوى مما الم به من مرض وعوز :

ليــت شعرى فهــل يعود زمـــان	**قد مضى مسرعـــا كطيف الخيال**
صرت من بعد أنسه ذا سقـــام	**أشتكـــى هــم عيلـــة وعيـــــال**
ولبســـت سرابيـــل الضـــر حتـــى	**سامنى كــل مفلس مــن هزالـــى**
كــل يوم يجــدد الكرب نـــوبـــا	**كــم جديد لبسته فوق بـــال (30)**

ويثور شاعرنا أحيانا ، فينشىء يقــول :

لى من الطب فى الورى بعد صيــت	**وأنـــا أشتكى بفرط اعتــلال (31)**

غير انه لا يلبث أن يتوب ، ويستسلم للخالق تعالى قائلا :

انما أشتكـــى لمن يكشف الضـــر	**ويســـدى المنـــى بغيـــر ســـؤال**

---

28) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحـــاف** ، 5 : 325 .
29) ستأتى ترجمتـــه .
30) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 5 : 326 .
31) **نفس المصدر** فى نفس الصفحة .

ضقت ذرعا وما رجوت سوى رب الـــورى المتكبـــر المتعـــال
غافر الذنب قابل التوب ذى الطو ل شديد القوى مفيض النوال (32)

ثم يخاطب الرسول الكريم بقولـــه :

يـــا رسول الاله انـــى ضعيـــف فاكفنـــى شـــر كـــل باغ وقـــال
يـــا رسول الالـــه ضاق خناقـــى فتـــدارك بحـــل عقـــد اعتقـــال
يـــا رسول الاله كن لـــى جـــارا ان أنيخـــت مطيتـــى لارتجـــال
الغياث الغيـــاث يـــا خير مـــن أمدحـــه تأملـــى وارتجـــال
أنت مدخرى ومـــا لابن شقـــرون ســـواك لهـــول يوم المـــآل (33)

يبدو التدرج واضحا فى هذا التوسل : تألم متزايد حتى الموت ، فطلب الغياث ، ثم الامل والرجاء . وبالجملة ، فان لامية ابن شقرون تجعل صاحبها فى مصاف أكبر شعراء هذا العصر .

ب ـــ بيتـــان قالهمـــا فى الدرهم الفضى الذى ضربه المولى اسماعيل :

كلمـــات حـــق نقشهـــا حســـــن فى فضـــة تسبـــى نهـــى الخلـــق
تقضى حوائـــج كل ذى أمـــــل اللـــه حـــق ناصـــر الحـــق (34)

جـ ـــ مـــن قصيـــدة غزليـــــة :

أســـر الفؤاد فبات فـــى أغلالـــه قمـــر تشعشع فى سماء جمالـــه
سلب الكرى عن ناظرى لما درى انـــــى أعللـــه بطيـــف خيالـــــه
قد حـــام قلبـــى حول بانة قـــده فرمـــاه مـــن لحظاتـــه بنبالـــه
فغرقـــت من بحـــر الهوى فى لجـــة وصبرت محتسبـــا علـــى أهوالـــه

---

32) المصدر السابق ، 5 : 326 ـــ 327 .
33) نفس المصدر ، ص. 327 .
34 ـــ 35 ـــ 36) ع. ابن زيدان ، اتحاف ، 5 : 328 ـــ 329 .

وقطعــت ليــل صدوده حتى بــدا صبــح الوصول ولاح في أذيالــه
فجنيــت زهــر جماله متمتعـــا بدقيق مبسمه وعذب زلالــه (35)

فى كلا المثالين السابقين نجد ابن شقرون احسن اختيار الكلمــات والعبارات ، واجاد عرض الصور ، ولو أن فيها شيئا مــن التكلف .

د ــ ومن اصالة ابن شقرون أيضا استعماله الالغاز والاحاجى ، وبخاصة عندما يصف الفواكه والخضر · وهذان مثالان لذلك . أولهما تعمية فى التمــر المجهــول :

مــا أحمر اللون حلو الطعم معسول يعزى لذات عقــاض زانها طــول
قد شاع معروفهــا بين الورى كرما فاعجب لمعــروف أم وهو مجهول

والثانــى عمــى بــه فى اللفــت :

مــا أبيــض فى خــده حمـــرة يرفــل فى ثوب مــن السنــدس
قد بيــع فى السوق على حسنــه مظلمــة بالثمــن الابخــس (36)

هكذا نجد التعمية ، والتشخيص ، والتورية ، مستعملة بطريقة لطيفة بارعة ، بالاضافة الى أن كثرة استخدام البحور الجذابة مثل الكامل ، والبسيط، والرجز ، تزيد فى جمال هذه الابيات ، وتضفى عليها حلة من الخفـــة والموسيقى . كذلك كان ابن شقرون المكناسى ، الطبيب الماهر ، والشاعر الرقيق ، من ابرز الوجوه فى عصر المولى اسماعيل . واذا كان قد عرف بما فيه الكفاية كطبيب ، بفضل الدراسات الحديثة التى خصه بها كبار الباحثين الاخصائيين ، فانه تميز أيضا بأن يقدم الى الجمهور ككاتب شاعر يحتل مكانة سامية بين ادبــاء عصــره .

محمد الحاج الدلائي [1]

(ت 1141 = 1729)

محمد الحاج من سلالة الامارة الدلائية ، وثانى اثنين من أدباء هذه الاسرة . رأينا أن نذكره فى هذه اللائحة الخاصة بالادب المغربى ، بعد أن تحدثنا من قبل عن ابن عمه محمد المسناوى (2) . واذا كان هذا الاخير فقيها صوفيا قبل كل شىء فان محمد الحاج كان ، علاوة على ذلك ، مؤرخا وكاتبا بارعا .

هو أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن محمد (ثلاثا) (3) بن عبد الرحمن بن أبى بكر الدلائى . قرأ فى فاس على عمه المسناوى ، وعلى الحسن بن رحال المعدانى ، وعبد السلام بن الطيب القادرى المتقدمين ، كما قرأ على غيرهم من شيوخ القرويين الذين لا يقلون عنهم شهرة ونباهة .

كان محمد الحاج متمكنا فى شتى العلوم كاللغة ، والنحو ، والجدل ، والتأريخ ، والانساب ، والنوازل ، والحديث ، والادب ، كما كان خطيبا مصقاعا فصيحا جهورى الصوت ، أسند اليه السلطان المولى اسماعيل الخطابة والامامة بالمدرسة العنانية ثم بجامع الاشراف . وقال عنه أحد معاصريه ، من أصحاب كتب التراجم ، وكان يستمع الى خطبه : « انه آخر

---

1) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 302 — 303 ، والمراجع المذكورة هناك ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 20 : ورقة 85 ظ 86 و ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 536 ، ع . التازى ، **نزهة الاخيار** ، ص 134 — 135 ، ك بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى 2** : 461 ، **ملحق** ، 2 : 685 ، م. حجى ، **الزاوية الدلائية** ، ص. 235 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 380 و 384 .

2) أنظر ما سبق ، ص . 196 — 204 .

3) يزاد أحيانا محمد رابع يلقب بالساقط ، لعدم ظهوره فى شجرة الاسرة الدلائية . ويلقب محمد الثانى بالشاب والثالث بدغين الزاوية . انظر س. الحوات ، **البدور** ، ص. 717

خطباء المغرب فى عصره » (4) .

وفى عام 1141 = 1729 (5) اظهر محمد الحاج رغبة قوية فى حج بيت الله الحرام ، ومجاورة قبر الرسول عليه السلام . فباع منزله بفاس على عجل وتوجه الى الديار المقدسة . غير أنه ما كاد ينتهى من مناسك الحج حتى توفى فى حادثة عرضت له بوادى فاطمة ، بين مكة والمدينة . ويجهل تأريخ ولادته بالتعيين ، وانما يقرب ذلك تقريبا ، فيجعل فى أواخر القرن الحادى عشر = 17 .

أكثر آثار محمد الحاج الادبية تتعلق بمدح الرسول الكريم ، واشهرها **أرجوزة** فى شرفاء المغرب ، أبياتها بعدد اهل بدر وفيها يقول :

هذا تمام درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان
أبياتها عدد أهل بدر فيالها من مطالع كالبدر (6)

وهذه لائحة بتآليف محمد الحاج الدلائى (7) :

1 — **درة التيجان ، ولقطة اللؤلؤ والمرجان** ، وهو عنوان الارجوزة المذكورة قبل .

2 — **فخر الثرى ، بسيد الورى** ، قصيدة فى مدح الرسول عليه السلام .

3 — **الزهر الندى ، فى الخلق المحمدى** ، قصيدة فى نفس الموضوع .

---

4) س. الحوات ، **البدور** ، ص. 718 .

5) حسب نفس المصدر (ص. 723) يكون محمد الحاج مات عام 1142 = 1729 ، بعد أدائه جميع مناسك الحج ، ويمكن التفكير فى أنه توفى أوائل محرم فاتح هذه السنة = أوائل يوليوز من السنة الكريكوريانية ، وذلك ما يؤكد هذا القول .

6) **نفس المصدر السابق** ، ص. 719. وهذه الارجوزة فى خمسمائة بيت شرحها شرحا جيدا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسى ، الا أنه للاسف لم يكمله. (انظر ل. بروفنسال **شرفاء** ، ص. 303 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 384 .

7) اللائحة الكاملة لمؤلفات محمد الحاج عند س. الحوات ، **البدور** ، ص. 718 — 723 . وما يحمل منها هنا أرقام 7 و 8 و 9 غير مذكورة عند ل. بروفنسال ، **شرفا** ، ص. 303، وهامش 4 .

4 ـ **سواكب الافضال ، فى كواسب الافعال** ، قصيدة فى اكتساب الافعال .

5 ـ **زهر الحدائق ، وخلاصة الحقائق ، من سيرة سيد الخلائق ، وما يستتبع ذلك من النكت والرقائق** ، وهو كتاب فى شمائل الرسول عليه السلام ، على نهج **الشفا** للقاضى عياض .

6 ـ **شرح الشفا** للقاضى عياض .

7 ـ **حاشية** على الكلاعى .

8 ـ **رسائل** كتبها بأمر من السلطان المولى اسماعيل ، عام 1132 = 1719 ـ 20 ، الى المجاهدين المحاصرين للاسبانيين فى سبتة ، يحضهم على الجهاد ، ويستحثهم للتسلح بالصبر .

9 ـ **خطب ومواعظ** مختلفة .

10 ـ **تحريك العزم الساكن ، وتهييج الشوق الكامن ، الى أفضل الاماكن ، فى زيارة طيبة المطيبة ومن بها ساكن** : قصيدة فى ثلاثة واربعين بيتا تتعلق بالحج وتبتدىء هكذا :

دعانى الهوى والشوق اقلق ما بيا … وحادى الركاب مر بالعيس غاديا

فحرك منى فى حشاى سواكنا … الى ساكن الحمى وهاج فؤاديا

وطار قليبى من سجون شجونه … وفاضت دموعى من عيونى سواقيا

شغفت بدار لو يساعدنى الهوى … بزورتها أعطيت نفسى وماليا (8)

11 ـ **قصيدة فى مناسك الحج** أورد فيها جميع المناسك ، وقال فى مطلعها :

صاح حث المطايا بالسير ليلا … أشرفت أشرقت مرابع ليلى

طلع البدر من سماها فظلت … أعين العاشقين تسكب طلا

---

8) س. الحوات ، **البدور** ، ص. 720 .

وسرى سحرا نسيـم صباهــا عــن قرب الصبــاح يسحب ذيــلا
عنبرى الانفاس تحمى بــه النفس وطاب شذاه من باب معــلا (9)

فى هذين المقطعين اللذين يعالجان موضوعا واحدا ، تلاحظ دقة التصوير والتشبيه ، مع التعبير بلغة شيقة غنية بالمفردات . تلك هى الخلال الادبية التى جعلت محمد الحاج جديرا بأن يبرز اسمه فى لائحة الادب المغربى .

---

9) **المصدر السابق** ، ص. 722 — 723 .

محمد ابن زكري [1]

(ت 1144 = 1731)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى ، أصله من فاس ، بها ولد ونشأ وتوفى . بدأ عمله — كأبيه — بدباغة الجلود ، وأخذ فى نفس الوقت يحضر دروس المساء فى القرويين . واستمر على ذلك مدة ، الى أن اكتشف فيه الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى المتقدم خصالا تؤهله لتحصيل العلم . فمنعه من الرجوع الى دار الدباغة ، وشجعه على الانقطاع لمتابعة الدروس . فلم يلبث أن أصبح من أكبر علماء القرن الثانى عشر = 18 .

قرأ ابن زكرى ، علاوة على محمد الفاسى ، على أحمد بن العربى ابن الحاج ، ومحمد المسناوى الدلائى المتقدمين . وأخذ عنه بدوره عدد وافر من الطلبة . وحج ابن زكرى عام 1140 = 1728 ، فلقى بمصر أعلام المذهبين الحنفى والشافعى ، وجرت له معهم مناظرات فقهية فى موضوعات مختلفة ، وبخاصة حول حكم استعمال التبغ . ومات يوم ثامن عشر صفر 1144 = 22 غشت 1731 ، ودفن بضريح سيدى عزيز .

خلف ابن زكرى تآليف مهمة ، ولو أنها فى الغالب شروح وحواش ، يمكن ترتيبها كما يلى :

أ — فى النحو :

1) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 91 ، هامش 2 (أ) ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : ورقة 90 و — 91 ظ ، **التقاط** ، ورقة 51 و ، م. الكتانى ، **سلوة** ، 1 : 158 — 160 ، أ. بن عبد السلام بنانى ، **تحلية الآذان** ، م. الزيادى **سلوك الطريق الوارية** ، ورقة 100 — 106 ، أ. بن عبد الوهاب الوزير الغسانى ، **العرف الشحرى** ، **فى بعض فضائل ابن زكرى** ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 288 — 289 ، أحمد النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 79 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 48 و 118 و 189 .

1 ـ **شرح خريدة السيوطي** .

2 ـ **حاشية على الموضح** لابن هشام .

ب ـ في الحديث والتصوف :

1 ـ **شرح صحيح البخاري** . (2)

2 ـ **شرح النصيحة الكافية** لزروق (3) .

3 ـ **شرح القواعد** لزروق أيضا (4) .

4 ـ **شرح الحكم** لابن عطاء الله .

5 ـ **شرح الصلاة المشيشية** (6) .

6 ـ **الفوائد المتبعة ، في العوائد المبتدعة** (7) .

ج ـ في التفسير :

ـ **تفسير بعض الآيات القرآنية** (8) .

د ـ في الفلك :

ـ **المراصد** (9) .

هـ ـ في الادب :

1 ـ **معارضة همزية البوصيري** (10) ، قصيدة في واحد وخمسين وخمسمائة بيت .

---

(2) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1864 ك .
(3) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1894 ك .
(4) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 432 ك .
(5) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 2608 ك .
(6) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 2727 ك .
(7) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 920 د .
(8) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1245 ك .
(9) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 3287 ك .
(10) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1071 د .

2 ـ **شرح همزيـــة البوصيـــرى** (11) .

3 ـ **اشعـــار مختلفـــة** (12) .

وينسب لابن زكرى ، علاوة على ما سبق ، كتاب غريب فى تفضيـــل العجم على العرب ، يقال انه اثار ضده حملة لوم عنيفة من طرف معاصريه . غير ان انصار ابن زكرى ، من امثال ابن عجيبة ، واحمد بن عبد السلام بنانى ، واحمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى ، ينفون نسبة هذا الكتاب لابن زكرى ، بدعوى انه لم يوجد اثر لذلك مما خلفه ابن زكرى بعد وفاته من أوراق مكتوبة ، بينما يؤكد خصومه ، ومنهم المؤرخ الشهير محمد بـــن الطيب القادرى الذى نترجم له بعد ، أن ابن زكرى أدرج فى بعض مؤلفاته اشارات تثبت صحة مزاعمهم . واذا كان ذلك حقا ، فيكون ابن زكرى قد مثل حالة فريدة للشعوبية فى المغرب .

---

11) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1372 ك .

12) انظر بعضها عند أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 79 .

علي مصباح الزرويلي (1)

(1737 — 1685 = 1150 — 1097)

ينتسب هذا العالم ، الذى يعد نموذجا للاديب المغربى ، الى المدرسة التى دشنها اليوسى ، وتبعه فيها ابن زاكور والعلمى المترجمون سابقا .

هو أبو الحسن على مصباح بن احمد بن قاسم بن موسى . وله نسب متعددة ، باعتبار قبيلته الكبرى بنى زروال ، فيقال له الزروالى والزرويلى ، أو باعتبار فرعى هذه القبيلة ، بنى يصلوت والاخماس ، فيدعى اليصلوتى والخمسى ، ويزيد له بعض أصحاب كتب التراجم : العثمانى الوارثى ، نسبة الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، والى مؤسس زاوية بنى يصلوت أبى البقاء عبد الوارث (2) .

لا نعرف من أخبار حياة على مصباح الا أنه كان كاتبا وصديقا للوزير الكبير فى البلاط الاسماعيلى ، أبى العباس أحمد بن الحسن اليحمدى وانه نظم فى مدحه أشعارا كثيرة جمعها فى كتاب **سنا المهتدى ، الى مفاخر الوزير اليحمدى** (4) . ولما لم تكن لدينا معلومات عن حياة هذا العالم الاديب ، فاننا سنكتفى بتحليل بعض مؤلفاته ، مبتدئين **بسنا المهتدى** .

---

1) أنظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 190 ، هامش 2 و 396 ، ع . ابن زيدان ، **المنزع اللطيف** ، ص. 312 — 327 و 329 ، **اتحاف** ، 4 : 9 و 451 ، ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 457 (ص. 608 من الطبعة الجديدة) ، **الملحق** ، 2 : 684 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 315 و 3 : 276 — 277 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 239 و 2 : 389 ، م. البشير الفاسى ، **قبيلة بنى زروال** ، ص. 18 و 48 .

2) **المصدر الاخير** ، ص. 85 .

3) أنظر ترجمته عند ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 190 ، هامش 2 و ص . 210 و 403 ، و ما هناك من المراجع .

4) ألف الزرويلى هذا الكتاب عام 1123 = 1713 . وتوجد منه نسخة مصورة بالميكرو فيلم بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 791 .

1 — يحمد المؤلف الله تعالى فى المقدمة على أن عصمه من مـدح الرؤساء وولاة الامر ابتغاء صلاتهم ورفدهم ، أنفة واعتزازا . ويستثنى من ذلك الوزير اليحمدى الذى يقول عنه : « جرت بينى وبينه معرفة فى زمـن الصبا ، واول ذلك عام 1123 . فامتدحته بما يذكر ، ومع ذلك فما مدحته الا شاكرا لمعروفه السابق ، لا مستدعيا منه لنوال لاحق . فقد وصلنى منه ما يزيد على المائة مثقال ، من عين واثاث ، ففنى كل ذلك ولم يبق منه اثر . . . وما مدحته الا وقد رأيته على فرضا حتما من جهة العادة . . . » (5) .

قد يصعب قبول دعوى « شكر المعروف السابق » دون « استدعاء نوال لاحق » ، لان اليحمدى كان فى التأريخ المذكور وزيرا للمولى اسماعيل ، متمتعا بأكبر مظاهر العظمة . ويكفينا شاهدا على ذلك رسالة الامتنان والشكر الموجهة اليه من قبل الامير الشهيد محمد العالم ، الذى قتل كما نعلم عام 1116 = 1704 . وقد نقلنا بعض هذه الرسالة فيما سبق (6) .

ان مما يؤكد وجهة النظر هذه ، كون الاستثناء الخاص بالوزير اليحمدى قد اتسع كذلك وشمل غيره من ذوى المناصب العليا ، كالامير مولاى أحمد ، وبعض أشياخ الزرويلى (7) . وهكذا أصبح الاستثناء يؤكد القـاعدة كما قـيـل .

2 — ليس الزرويلى بفقيـه ، ولو انه نسب اليه **تقييد على مدونـة سحنون** ، لـم يكمـل .

3 — أهم مؤلفات الزرويلى كتاب ادبى صرف مخصص للشاعريـن المتنافسـين : الفرزدق وجرير ، بعنوان : **آنـس السمير فى وقائع الفرزدق**

---

5) الميكروفيلـم 791 ، ص. 20 .
6) ص . 154 .
7) منهم محمد بن أحمد بن محمد المسناوى الدلائى ، ومحمد المشـاط ، ومحمد ابن زكـرى المذكـور قبـل .

وجرير وقد ظل هذا الكتاب مدة طويلة فى حكم المفقود ، الى أن وقع العثور عليه اخيرا ضمن كتب دخلت الى المكتبة العامة بالرباط (8) .

يتناول الزرويلى فى هذا الكتاب ، علاوة على وقائع الشاعرين المذكورين، مختلف المسائل الادبية ، منشدا عند المناسبة ابياتا من نظمه هو ، او من نظم غيره من الشعراء . وقدم تأليفه بهذه العبارات : « واسست هذا الكتاب على مقدمة واربعة ابواب وخاتمة . وجعلت فى المقدمة ثلاثة فصول : الفصل الاول فى معنى الادب وبيان مكانته من العلوم وما يجب على الاديب معرفته من العلوم حتى يكون اهلا لان يسمى باسم الاديب ، الفصل الثانى فى الشعراء وذكر طبقاتهم ، الفصل الثالث فى معنى الشعر . الباب الاول فى التعريف بهذين الشاعرين الموضوع الكتاب فى نوادرهما ، وذكر نسبهما ووفاتهما وبعض احوالهما . الباب الثانى فى ذكر بعض النوادر التى جرت بينهما ، خصوصا من مهاجاة او مفاخرة بشعر او نثر ، وشرح ابيات ذلك كله . الباب الثالث فى ذكر بعض النوادر التى جرت لغيرهما مع احدهما ، وشرح ذلك . الباب الرابع فى انشاد شىء من اشعارهما ، من هجو فى غيرهما ، او رثاء ، او مدح ، او وصف ، او غير ذلك من الانواع ، وشرح ذلك كله . الخاتمة فى التعريف بمؤلف الكتاب ، وما يتبع ذلك من ذكر بعض أشياخى الذين أخذت عنهم ما كفانى من علوم الدين وغيرها . . . » (9) .

ولا يمضى المؤلف بعد هذا الا قليلا حتى يضيف بأنه لا يتقيد بخصوص الكلام على ما يتعلق بالفصول والابواب المذكورة ، لان الحديث شجون . فاذا انشد شعرا لجرير والفرزدق او لغيرهما ، أتبعه بذكر ما يحضره من شواهده ، وشرح ما فيه من غريب او مثل او حكاية . واذا مر به احد

---

8) مخطوطة رقم 300 ك ، فى 778 صفحة ، غير أنها للاسف ناقصة فى الاخير .

9) ع. الزرويلى ، **انس السمير** ، ص. 12 — 13 .

المشاهير من شاعر ، أو فاتك ، أو جواد ، أو غير ذلك ، اثبت ترجمته على ضرب من الايجاز ، جامعا فيه بين جد الكلام وهزله ، على عادة كتب الادب (10) .

هذا الكتاب اذن مصوغ ومؤلف على طريقة « المتنوعات الادبية » التى تعتبر الكتب الاربعة الآتية اكثرها نموذجية وشهرة :**أدب الكاتب** لابن قتيبة ، و**الكامل** للمبرد ، و **البيان والتبيين** للجاحظ ، و**النوادر** لابى على القالى (11) .

ويمكن ان نتساءل لماذا الف الزرويلى كتابا من هذا النوع ، مع أن الاهاجى اللاذعة المتبادلة بين الشعراء الثلاثة ـ باضافة الاخطل ـ قد جمعت قبله بزمن طويل فى كتاب **النقائض** . ويجيبنا الزرويلى نفسه بأنه كان يجهل وجود هذا الكتاب ، وانما قرا اسمه يوما فى **تاريخ ابن خلكان** . ولم يتمكن من العثور عليه رغم مدة بحثه عنه فى كل من فاس ومكناس . وقد ظن الزرويلى ، فى فترة من الفترات ، انه عثر على ضالته المنشودة ، حينما توجه بالسؤال عن **النقائض** الى صديقه الوزير اليحمدى ، وهو يومئذ قيم الخزانة الاسماعيلية « المحتوية على ما لا يحصى من كتب الادب » ، فكان جواب هذا الاخير أنه لم يره مع شدة شوقه له . وبعد ذلك جاء ، فى أثناء رسالة ادبية بعث بها اليحمدى الى الزرويلى ، أبيات الفرزدق ونقل عن شرح المناقضات . فظن صاحبنا من جديد أن الكتاب قد وقع العثور عليه ، وبعث الى الوزير يطلب ارساله اليه . فجاء الرد سلبيا كذلك، لانه انما نقل عمن نقل عن شرح **النقائض** من كتب النحو وشواهده ، وبخاصة **شرح كافية الراضى** المدرج **فى خزانة الادب ، ولباب العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادى (12) .

---

10) **المصدر السابق** ، ص. 13 .

11) حكى ذلك ع. ابن خلدون عن شيوخه ، **مقدمة** ص. 1070 (طبعة بيروت) .

12) 1621 — 1674 (جمع فى **خزانة الادب** نصوصا مفيدة فى النحو والتاريخ والادب .
انظر ش. بيلا ، **اللغة والادب العربى** ، ص. 172 .

وذلك ماحدا بالزرويلى الى أن يبذل مجهودا فى اعادة جمع هذه النقائض فى كتاب ، مستمدا من المؤلفات المتداولة فى الادب والتاريخ .

لذلك لم يكن هذا العمل أصيلا باعتراف المؤلف نفسه ، الذى رتبه فى الدرجة الخامسة من الدرجات السبع المصطلح عليها فيما يتعلق بالاسباب الدافعة الى التأليف : « المقصود من التأليف سبعة اغراض : 1) شىء لم يسبق اليه المؤلف ، 2) أو شىء الفى ناقصا فيكمل ، 3) أو خطأ فيصحح ، 4) أو مشكل فيشرح ، 5) أو مطول فيختصر ، 6) أو مفترق فيجمع ، 7) أو منثور فيركب . . . وكتابنا هذا ، واليه سياق الحديث ، من الغرض الخامس (13) وهو جمع المفترق . . . » (14) .

هكذا اعتبر الزرويلى كتابا ، احتوى على اكثر من ثمانمائة صفحة ، مجرد (جمع مفترق) ! وهو كذلك لو لم نعتبر سوى الاخبار والانشادات المتعلقة بالفرزدق وجرير ، لكنه — كما جاء فى المقدمة آنفا — مشحون بالاستطرادات والملاحظات الكثيرة حول موضوعات مختلفة . وذلك بالضبط ما يجعل الكتاب ذا فائدة ، اذ يقدم لنا اشارات مهمة عن الكتب الادبية التى كانت تدرس بالمغرب ، وما كان متداولا منها أو عزيز الوجود . وكقاعدة عامة ، كانت الكتب الادبية مغمورة بكتب علم الكلام والفقه . وقد نحى عدد منها نهائيا ، وضمنها **أنس السمير** ، حتى عد فى حكم المفقود .

4 — نفس المصير لقيه **ديوان الزرويلى** الذى ضاع فى حياة المؤلف ، ولم يتمكن بعد ذلك الا من جمع بعضه فقط . وفى ذلك يقول : « كنت أيام اشتغالى بقرض الشعر ، فى زمن البطالة والصبا ، نظمت كثيرا من المقطعات

---

13) يلاحظ أن هناك خللا فى ترتيب اغراض التأليف ، اذ (جمع المفترق) فى الدرجة السادسة حسب الترتيب السابق .

14) ع. الزرويلى ، **أنس السمير** ، ص. 7 .

والقصائد ، فى جل انواع الشعر ، من نسيب ، ومدح ، وهجاء ، ورثاء ، ووصف ، وغير ذلك من الاغراض بحسب الوقت . وكنت ضمنت ذلك **ديوانا كبيرا** ، فسرق منى ذلك الديوان ، فتأسفت عليه من أجل أن فيه أماديح ومراثى فى فضلاء وأولياء من أشياخنا وغيرهم . وكلفنى بعض من لا يسعنى الا اسعافه من اصحابنا الفضلاء ، أن اجمع ذلك فى **ديوان ثان** ، فأجبته الى ذلك . هذا ، ولم أظفر من ذلك الا بالقليل فبعضها الفيته عندى فى الاوراق ، وبعضها كشفه حفظى ، وبعضها وجدته بأيدى الناس فى الكنانيش والاوراق . والكثير من ذلك ضاع ولم أظفر به .. » (15) .

وقد رتب الشاعر هذه القصائد بحسب الانواع ، محاكيا فى ذلك صنيع ابى تمام فى **ديوان الحماسة** (16) . وقسم الديوان الى احد عشر بابا : الباب الاول فى النسيب ، والثانى فى المدح ، والثالث فى الهجاء ، والرابع فى المراثى ، والخامس فى المخاطبات ، والسادس فى الاعتذار ، والسابع فى الوصف ، والثامن فى الافتخار ، والتاسع فى الالغاز ، والعاشر فى الخلاعة والهزل ، والحادى عشر فى التهانى .

ان الانطباع الذى يخرج به قارىء هذا الديوان هو قدرة المؤلف الفائقة على التعبير بسهولة ، الامر الذى يؤكد حقيقة ما ادعاه من أن أشعاره تكثر بكثير ما أعاد جمعه منها . وتقف فيه من حين لآخر على بيتين أو ثلاثة أبيات منعزلة ، كانت ولا شك تكون أجزاء من قصائد طوال . وهناك دليل آخر على ذلاقة الشاعر يؤخذ من تنوع الموضوعات المطروقة وأصالتها ، فهو بحق لا يتقيد بالموضوعات المألوفة فى المناسبات من مدح وهجاء وفخر ، ولكنه وصف أشياء عاشها ولاحظها ، وقام بذلك فى شىء من الاباحة والواقعية

---

15) **نفس المصدر** ، ص. 1 .

16) ع. الزرويلى ، **الديوان** ، ص. 1.

المكشوفة ، مسميا الاشياء باسمائها كما يقال ، على طريقة الشاعر الفرنسى رابلى . بيد أنه ، بدلا من أن يصدم القارىء ، يستهويه بما يسوقه من نكت مسلية فى أسلوب مجازى بديــع (17) .

وهاك بعض المقتطفات من شعره الغزلى والوصفى :

ا ـ الشعـــــر الغزلـــــى

1 ـــ رغم آلام الشاعر ، فانه يخضع لمن يحب دون شكاة :

عيـــون الصبـــا أودت بلبى ظباتهـــا

وذابـــت بهـــا مـــن مقلتـــى دمـــاء

ومـــا انـــا بالشاكـــى ولو سل مهجتى

هواهـــا وراحـــت بالحشا البرحـــاء

لاصبو لوصل العين ما هبت الصبـــا

وقلبى لاقوال العداة عـــزاء (18)

2 ـــ وتجد نفس الفكرة تقريبا فى الابيات التاليـــة :

بـــرزت الـــى بقامـــة هيفـــــاء

فسبت حجـــاى ولات حين سبـــاء

افبعـــد أن علـــم الرفيـــق يشتكـــى

الهـــوى فمـــــا عـــذرى للرفقـــــاء

كـــلا ففتـــك العاشقـــين مكيـــــدة

لقنـــاص كـــل خريدة حـــوراء (19)

---

17) توجد نماذج لذلك فى الصفحات 45 و 50 من المصدر السابق .
18) **نفس المصدر** ، ص. 1 .
19) **المصدر السابق** ، ص. 2

انه لسلوك غريب من ذلك العاشق الذى يجد فى آلامه دواء وعزاء ، ولكنه عاشق رقيق منقـــاد .

3 ــ وقال فى فتى جميل قلب له الدواة ذات يوم خطأ فخجل :

رعـــاك اللـــه مـــن ظبـــى غريـــر
يطيـــب بوصلـــه عينـــى وانســـى
خجلت وقـــد أرقـــت لنـــا دواة
ولم تخجل غداة ارقت نفســـى (20)

ب ــ الشعـــــر الوصفـــــى :

يبرهن الشاعر فى هذا المضمار عن مقدرة فائقة فى الابداع والاصالة ، فيرسم مخططات اجمالية طافحة بالالوان والحيوية .

1 ــ هكـــذا يـــرى ناعـــورة ريـــاض :

وناعـــورة فى الروض تحســـب أنهـــا
مولهـــة ثكالـــى طويـــلا حنينــــا
تصيـــح ولكـــن لا تبيـــن صياحهـــا
وتغنى عن المزن الرياض عيونها (21)

التشبيه دقيق ، والصورة موفقة جـــــدا .

2 ــ ويقـــــول فى شمعــــــة :

وفانيـــة صفرى وليس بهـــا هـــوى
وأوصاف أهـــل الحب بعض صفاتها

---

20) **نفس المصـــدر** ، ص. 7 .
21) **نفـــس المصـــدر** ، ص. 90 .

تبيت علــى رجل ولو طــال ليلهــا

ومــا أن تذوق الدهر طعم سباتهــا

اذا اشتكت الندمان من ألم الجــوى

أرتهـم لهيــب النــار فى جنباتهــا

وان مــا أداروا الخمر فوق أكفهــم

تدرهــا ولكن من طلا عبرتهــا (22)

ان وصف الاشياء مثل الشمعة ، والابرة ، وفخ العصافير ، والدواة الــخ ، ليس بالجديد ، وقد عالجه كثير من الشعراء منذ ازمان طويلة ، لكن بعضهم ــ كالزرويلى ــ توفق فى ذلك اكثر من غيره ، لان « الاصالة تكمن فى الطريقـــة لا فى المادة » كما قيل ذلك مرارا وتكرارا .

3 ــ بعد أن رسم صورة ساخرة لعجوز محدودب الظهر حتى ان نعاله لتكاد تمس وجهه ، ختم بهذا المغزى الاخلاقــى :

كذلــك كــل فتــى نزلــت عنــده ا لــشبيبــــة و ا لفتـــــا

مــــا لــــه أبــــدا لهــــذا ومنتهــى أمــره الفنــــاء(23)

وبالجملة ، فان الزرويلى اديب رقيق ، وشاعر بارع عميق الالهام . بقى حتى اليوم مغمورا لا يعرفه أحد ، ولا يعرف من آثاره غير ما عثــر عليه اخيرا مما سيغنى الادب المغربى . واننا لنجهل حتى تاريخ وفاته ، ونفترض أنه مات بعده 115 = 1737 .

---

22) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

23) **نفش المصدر** ، ص. 94 .

محمد الافراني [1]

(1080 — بعد 1153 = 1669 — 1740)

ابو عبد الله محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الافرانى (أو الوفرانى أو اليفرانــى) مؤرخ الدولة السعدية ، الشهير بكتابه **نزهة الحادى، بأخبار ملوك القرن الحادى** . ولذلك احتل مكانا بارزا فى كتاب ل. بروفنسال **مؤرخو الشرفا** ، مما يعفينا من الرجوع اليه . غير أننا نود أن نضيف بعض الالحاقات المكملة لما هناك ، لاسيما فيما يتعلق بتاريخ ولادة الافرانــى ووفاته وبعض مؤلفاتــه .

لقد كتب ل. بروفنسال : « لا يمكن تحديد تأريخ ولادته الا مع التقريب بعدد من السنين . والعدد القليل من المغاربة الذين عنوا بترجمته غير متفقين ايضا على تأريخ وفاته » (2) وبعد ذلك بقليل (3) ، بين الاسباب التــى جعلت هذا التأريخ المحدد من قبل بعام 1140 = 1727 يتأخر الى عــام 1151 = 1738 ، بينما نقرأ فى **دليل** عبد السلام ابن سودة ما يأتى : « ونشر بعض المراكشيين فى جريدة **السعادة** أنه رأى **كناشة** بخزانة جامع ابن يوسف لاعارة كتبها ، فيه أن فى آخر سنة 1152 = 1739 استعار الافرانى بنفسه كتابا من الخزانة المذكورة ، وفى اوائل عام أربعة وخمسين ومائة والــف

---

1) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 112 — 131 و 306 — 309 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 288 و 2 : 296 — 306 ، ك. بروكلمان ، **ملحــق** 2 : 681 — 682 ، م . الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 536 ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** 5 : 53 — 59 ، رقم 451 ، ع. الكتانى ، **فهرست الفهارس** ، 2 : 15 ، ع . ابن سودة، **دليــل** ، 1 : 153 ، سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص. 1669 ، م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادبالمغربى** ، ص. 313 و 337 و 364 و 421 و 532 .

2) **شرفــاء** ، ص . 112 .

3) **المصدر السابق** ، ص. 115 — 116 .

موافق 1741 بعده ، رد الكتاب اليها بعض ورثته . فعلى هذا تكون وفاته فيما بين ذلك » (4) .

فمن الممكن اذن أن تكون وفاة الافرانى عام 1153 = 1740 وليس عام 1140 و 1151 (5) . يضاف الى هذا ما نتراه أيضا فى كتاب **مؤرخو الشرفاء** من الايضاحات التالية المتعلقة ببعض مؤلفات الافرانى (مرتبة ترتيبا زمنيا) :

1 — **الظل الوريف** : « هذا التأريخ المفقود للاسف ، أتمه بعد خمس سنوات من شرحه لابن سهل عام 1133 (= 2 نونبر 20 — 1721 — اكتوبر 1721) ، وسماه باسمين هما : **الظل الوريف ، فى مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف ، وروضة التعريف** . . . » (6) والواقع أن هذا الكتاب وقع العثور عليه بعد ذلك وطبع ، وسنتحدث عنه بعد هذا .

2 — **درر الحجال** : « . . . لا يعرف عنه الا أنه لم يكمل . . » (7) .

غير أنه ، اذا كان هذا الكتاب لم يكمل فعلا ، فقد عثر عليه بخط المؤلف ، حسبما أخبر بذلك المؤرخ المراكشى عباس بن ابراهيم التعارجى بقوله : « هذا التأليف لم يكمل ، وقفت عليه بخطه . ومن فوائده ، فيه التصريح بأن الامام فقيه العصر أبا على المعدانى شيخه ، وحلاه بهذه الحلى ، وبأن الفقيه الصالح سيدى العربى بن أبى القاسم الامرانى بلديه وشيخه ، وبأن الامام أبا عبد الله المسناوى شيخه . وهذا الكتاب له مقدمة فيها ثلاثة وثلاثون فصلا ، والمقصد فيه أسماط سبعة ، تم منها السمط الاول فى

---

4) **دليل** ، 1 : 153 .
5) هناك معلومات أخرى خاطئة أيضا تجعل وفاة الافرانى بعد 1156 = 1743 (انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 15) .
6) **شرفاء** ، ص . 114 .
7) **شرفاء** ، ص . 115 .
8) **الاعلام** ، 5 : 57 .

ترجمة سيدى يوسف بن على ، ووصل للسمط الثانى فى ترجمة القاضى عياض ، ولم يتمه رحمه الله » (8) .

يجب اذن اضافة الشخصيات الثلاث المذكورة فى الفقرة الاولى الى الشيوخ الثلاثة المعروفين لحد الآن ، اعنى أحمد بن على المواسى السوسى (9) الذى حضر الافرانى مجالسه العلمية بمراكش ، وأحمد بن عبد الحى الحلبى ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى المتقدمين الذين اخذ عنهما بفاس .

الظل الظريف ، طبع أخيرا (10) . واعتمد ناشره على المخطوطات الثلاث التالية :

1 — مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط فى 17 ورقة .

2 — مخطوطة المكتبة الاحمدية بفاس فى 40 ورقة .

3 — بعض أوراق من أول الكتاب (11) .

ويحتوى هذا الكتاب على مقدمة وثمانية أسماط موزعة كما يلى :

1 — نسب السلطان مولاى اسماعيل .

2 — ولادته وتربيته الى تاريخ توليه الملك .

3 — فيمن أخبر به من أهل الكشف والصلاح ، وما وسمه به أهل السيادة والفلاح .

4 — فى بيعته وكيفية اتصاله بالملك ، وركوبه ذلك الفلك .

---

(9) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 113 ، وهامش 3 .
(10) المطبعة الملكية بالرباط ، فاتح شتنبر 1962 . ويحمل الكتاب عنوان **روضة التعريف** .
(11) المقدمة ص. 4. والناشر هو عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

5 — فى تمهيده البلاد ، ونصره على البغى والفساد .

6 — فيما فتح من مدن النصارى ، التى بلغ بها فى المجد القصارى .

7 — فى ذكر حلمه وعدله ، وما كثر ببركته فى مدته من الخير وأهله .

8 — فى المشاهير من أولاده النجبا ، وذكر مآثرهم التى هى الطف من نسيم الصبا (12)

وقد ألف الافرانى هذا الكتاب بطلب من الوزير آنذاك الغازى بن أحمد ، وأهداه الى السلطان (13) . ويمكن ترتيب مؤلفات الافرانى كما يلى :

1 — **فى التاريخ :**

أ — **الظل الوريف** ، انتهى من كتابته عام 1133 = (2 نونبر 20 — 1721 — اكتوبر 1721) .

ب — **درر الحجال ، بالتعريف بسبعة رجال** ، الصلحاء المشهورين بمراكش (14) .

ج — **المغرب ، فى أخبار المغرب** ، تأريخ عام للمغرب (15) .

د — **نزهة الحادى** ، تاريخ الدولة السعدية قبل عام 1137 = 24 — 1725 .

2 — **فى التراجم :**

أ — **صفوة من انتشر** ، معجم تراجم لصلحاء القرن الحادى عشر = 17 . اتمه عام 1137 = 24 — 1725 .

---

12) **روضة التعريف** ، ص. 8 — 9 .

13) **المصدر السابق** ، ص. 6.

14 — 15 — 17) ألفها كلها فيما بين عام 1128 — 1137 .

3 ـ فـى الادب :

أ ـ **المسلك السهل** ، شرح لموشح ابن سهل الاسرائيلى ، وسنعود لتحليله فيمـا بعـد (16) .

ب ـ **ياقوتـة البيان** ، شرح أرجوزة فى البلاغة (17) .

جـ ـ **رسـائل وأشعـار مختلفـة** (18) .

4 ـ متنوعـات :

أ ـ **طلعة المشترى ، فى ثبوت توبة الزمخشـرى** (19) .

ب ـ **الافادات والانشـادات** (20) .

جـ ـ **فتح المغيث ، بحكم اللحن فى الحديث** (21) .

هذه اللائحة تدلنا على أن الافرانى خصص أهم مؤلفاته للتأريخ والتراجم، ولكنه كان أيضا ، كما ينبغى أن يكون ، أديبا وفقيها مشاركا . وقد نظم بعض الابيات الشعرية ، موزعة فى ثنايا كتبه المختلفة ، ترجم ل. بروفنسال بعضها الى الفرنسية (22) ، وهى ليست ذات بال ، ومن بينها أرجوزته البلاغية . وبالعكس من ذلك ، يبدو لنا أن من بين مؤلفات الافرانى كتابين يستحقان بحثا ولو موجزا ، هما : **شرح موشح ابن سهل** و **فتح المغيث** .

1 ـ شـرح موشـح ابـن سهـل :

يتألف هذا الكتاب من مقدمة (مسبوقة بتمهيد) ، وسمطين : أولهما فى

---

16) أول كتاب ألفه الافرانى عام 1128 = 1716 . مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 353 د و 970 د و 1692 ك .

18) انظر ع. ابن ابراهيم ، **الاعـلام** ، 5 : 54 .

19 ـ 20 ـ 21) ألفها الافرانى أيضا بين عام 1128 و 1137 .

22) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 116 ـ 119 .

التعريف بابن سهل ، والثانى فى معنى التوشيح لغة وعرفا . وقد تحدث فى التمهيد عن الادب بقوله : « الادب به تتفاوت المقامات فى المشاهد ، ويستحق الغائب التقدم عن الشاهد ، ولعمرى ، ان كل من يتعاطى الادب ولا ينسل لاجتلاء غرره واجتلاب درره ، من كل حدب ، ما هو الا صورة ممثلة ، أو بهيمة مرسلة » (23) .

ومن ثم ينصح الافرانى باستعمال أساليب قادرة على تسلية القارىء ، وابعاد كل ما من شأنه أن يمله ، مرددا بذلك دون شعور الحكمة اللاتينية : « علم وأنت تسلى » . زد على هذا أن الافرانى ، بعد ذلك بقليل (24) ، يأخذ فى الرد على هجمات المتزمتين المتعصبين ، الذين قد يلومونه على شرحه هذه الموشحة المشتملة على وصف مفاتن المراة ، والتغنى بالخمر بدعوى أن الدين يمنع ذلك . . .

ويعرف الافرانى التوشيح بقوله :

« التوشيح لغة مأخوذ من الوشاح . قال فى **الانوار** : والوشاح حرز تنظم بجواهر وأحجار نفيسة نظمين مختلفين ، تتقلد بهما المرأة ، يلتقيان عند صدرها وبين كتفيها كحمائل السيف . ومنه التوشيح الذى فى الحديث ، وهو أن يخالف الرجل بين طرفى الثوب ، آخذا لهما من تحت أبطيه ، عاقدا لهما على رقبته هـ . ومن هذا ، التوشيح عند أهل البديع ، ومخترعه قدامة ، وهو أن يكون أول الكلام دالا على لفظ . ولهذا سموه توشيحا ، فانه يتنزل المعنى فيه بمنزلة الوشاح ، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح . . . » (25) .

---

23) م. الافرانى ، **المنهل السهل** ، ورقة 2 ظ .
24) **المصدر السابق** ، ورقة 31 ظ .
25) ع.كنون ، **النبوغ** ، 2 : 296 .

لم يأت الافرانى فى هذه المقالة بجديد ، لانه لم يزد على أن ردد مفاهيم معروفة من قبله ، لكن هذا المقطع سيفيدنا عندما ننتقل الى ما بعده ، فيحدثنا عن موشح ابن سهل ، الموضوع هذا الكتاب لشرحه :

« ولما كان توشيح ابراهيم بن سهل ريحانة كل من له الـــى الادب انتساب . . . فقد اجمعت كلمة أرباب البلاغة ، واتفق رأى من نهض لتصفية ابريز المعانى من الصاغة ، على أنه عنقاء مغرب ، الذى لا يؤتى بصورة من مثله فى مشرق ولا مغرب . وشرق حتى ليس للشرق مشرق ، وغرب حتى ليـــس للغرب مغـــرب . . .

« طلب منى بعض من اتخذ ترداده وردا ، وأرتوى من زلل معانيـــه المترقرقة على صفاء الفاظه وردا . . . أن اكتب عليه ما يوضح غامض معانيه ، ويأخذ بمجامع معانيه . . . فقلت يا هؤلاء لقد جئتم شيئا ادا ، وسألتم ما سجل عليه قاضى العجز وادى ، وطلبتم ما هو أبعد من بيـــض الانوق ، واغرب من الاباق العقوق . . . » (26) .

هذه النبذة عبارة عن مجموع نموذجى للنثر المسجع ، والاسلوب الفنى المنمق . الكلمات والعبارات فيه نادرة ، والصور متكلفة . ولكى نأخذ فكرة عن ذلك ، ننظر اليه كيف يعبر عن نقاد الادب (بالصاغة القائمين بتصفيـــة ابريز المعانـــى) ، مما يذكرنا بأدب الحذلقة الفرنسى عند موليير واضرابه !

ويمكن أن نتساءل عما اذا كان الشرح كله بهذه الطريقة المتحذلقة ، لكن الجواب لحسن الحظ بالنفى . فالمؤلف ــ بعد المقدمة ــ يستعمل لغـــة سهلة واضحة ، ويجعل الكلام على كل بيت منحصرا فى مطالب . أولهـــا : تفسير ألفاظه اللغوية ، والثانى رفع القناع عن معنى التركيب وتنزيل المعانى

---

26) م. الافرانى ، **المنهـل السهـل** ، ورقة 2 ظ .

على الالفاظ ، والثالث وشى حلل البيت بسلك المعانى ، ثم بجوهر البيان ، ثم بيواقيت البديع . وهذا الطف المطالب وأعلاها وأغلاها . واخيرا الاعراب الذى هو سبب لفهم فحوى الكلام (27) .

2 — فتـــح المغيــــث :

نجد نفس السهولة فى نثر الافرانى ، وهو يناقش المسائل الفقهيـــة وغيرها من القضايا الدينية ، لاسيما اللحن فى الحديث : « تحصل من هذه الادلة كلها أن اللحن فى الحديث فيه رخصة واسعة لبعض أهل العلم ، وأن من أراد قراءة الكتب الحديثية **كالصحيحين والشمائل** مثلا ، ولا معرفة له بالعربية ، وغرضه التبرك بها فى خاصة نفسه ، أو يسمعها القوم يقصد التبرك فليطلب نسخة من ذلك تكون صحيحة مقابلة مضبوطة . وما اعتراه من اللحن فيها ، فلا يؤاخذ به ان شاء الله . وأما ان كان بقصد التصدر وطلب العلم ، فلا يحل . ومن هذا المعنى قراءة **دلائل الخيرات** ، وكتاب **تنبيه الانام** ، فانهما اشتملا على أحاديث كثيرة ، ولم تزل العامة لاهجين بهما من غير نكير عليهم من العلماء فى ذلك . وما ذلك الا لان العلماء راوا فى الامر سعة . وبما ذكرنا ، تعلم أن ما نسب للشيخ سيدى المهدى الفاسى ، شارح **دلائل الخيرات** ، من أن الاولى للعامة أن يبدؤوا قراءة **الدليل** من الاسماء النبوية ، ولا يقرؤوا فصل فضائل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، لاشتماله على أحاديثه ، فربما لحنوها ، محمول على الافضل ، والا ففيه ما سمعت . . . » (28) .

---

27) م. الافرانى ، **المسلك السهل** ، ورقة 3 ظ .

28) م. الافرانى ، فتح **المغيث** ، ص. 56 — 57 .

ابن المبارك اللمطى (1)

(1743 — 1679 = 1156 — 1090)

ابـو العباس احمـد بن المبارك بـن محمد بن على السجلماسـى اللمطى (2) ، الصوفى الشهير ، وشيخ الجماعة الكبير .

ولد بسجلماسة حوالى عام 1090 = 1679 ، وتابع فيها دروس احد ابناء عمومته أحمد الحبيب اللمطى . وفى عام 1110 = 1698 — 99 ، ذهب الى فاس واستقر بها الى أن أدركته الوفاة يوم ثانى عشر جمادى الاولى من عام 1156 = يوليوز 1743 . ودفن بضريح شيخه الولى الصالح عبد العزيز الدباغ (3) بباب الفتوح . وكان ابن المبارك قد خص هذا الشيخ بكتاب أدرك فيما بعـد شهرة واسعة ، هـو **الذهب الابريز ، فى مناقب الشيخ عبـد العزيـز** (4) .

قبل أن ينقطع ابن المبارك لصحبة الشيخ عبد العزيز الدباغ ، أخـذ بفاس عن محمد بن عبد القادر الفاسى ، ومحمد القسنطينى المتقدمين ، وعن أحمـد الجيرِندى ، ومحمد المسناوى الدلائى ، وعلى الحريشـى ،

---

1) انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص . 309 — 310 ، والمراجع المذكورة هناك ، ك . بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 704 ، ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 278 ، سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص. 1009 ، م. الزبادى ، **سلوك الطريق الوارية** ، ورقة 124 ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 108 ، ع. ابن سـودة ، **دليل** ، 1 : 209 — 210 ، 2 : 317 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 122 ، رقم 787 .

2) ليس اللمطى بسكون الميم كما ظن البعض ، انظر م . القادرى ، **نشـر** ، 2 : 264 ، ل . برفنسال ، **شرفاء** ، ص . 309 ، ع . ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 2 : 178 الخ

3) انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص . 309 ، وهامش 7 ، والمراجع المذكورة هناك .

4) طبع على الحجر بالقاهرة عام 1278 = 1861 ، ثم طبع بمطبعة بولاق عـام 1292 = 1875 ، ثم اعيد طبعه فى القاهرة عام 1304 = 1886 .

والقاضى بردلة المتقدمين كذلــك .

الف ابن المبارك ، علاوة على **الذهب الابريز** الكتب التالية :

1 ـ **تفسيـر** الآية الكريمة « وهو معكم أينما كنتم » (5) .

2 ـ **كشف اللبس ، عن المسائل الخمــس** (6) .

3 ـ **رد التشديد ، في مسألة التقليــد** (7) .

4 ـ **دلالة العــام على بعض أفــراده** (7) .

5 ـ **حاشيــة** على **شرح** الشيخ سعيد قدورة على **سلم الاخضرى** فــى المنطــق (8) .

6 ـ **القول المعتبر ، فى بيان أن جملة الحمد انشاء لاخبــر** (9) .

7 ـ **مبلغ الآمال ، لطالب التصريف فى الافعــال** .

8 ـ **تقاليــد وأجوبـــة** .

9 ـ **الاجوبة التسكيطيــة ، فى الاسئلة السبكيــة** .

10 ـ **حاشيــة على جمع الجوامــع** (10) .

11 ـ **فهرست** ، بشكل اجازة كتبها لابى العباس بن الحسن المكودى (11) .

12 ـ **كتاب** حاول فيه التوفيق بين الطب والفقه ، مجيبا عن السؤال : هل يجوز لمن حل الطاعون ببلدهم أن يغادروه (12) .

---

5) اغلب معاصرى ابن المبارك عابوا عليه تأليف هذا الكتاب ، ولا ندرى لماذا . انظر م. القادرى ، **النشر الكبير** ، **2 : 108 و** .

6) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1095 ك .

7) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1092 ك .

8) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1741 ك .

9) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1168 ك .

10) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 3135 ك .

11) انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 318 . وتوجد هذه الاجازة بخط المؤلف فى مكتبــة الزيتونة بتونس ، ومعها عدة رسائل مفيدة له . انظر مجلة **المغــرب** ، رقم 6 — 7 ص. 13 ب ، مقال محمد الفاضل ابن عاشور .

12) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقــم 1348 د .

عبد الوهاب أدراق [1]

(ت. 1159 = 1746)

ابو محمد عبد الوهاب بن احمد ادراق الفاسى ، احد افراد اسرة شهيرة فى ممارسة الطب ، توارث افرادها ابا عن جد خدمة الدولة العلوية . كان أبوه أحمد بن محمد شيخا لابن شقرون المكناسى المتقدم ، كما كان جده ابو عبد الله محمد (ت. 1070 = 1659 — 60) ولا شك ، أحد قدماء المشتغلين بالطب من هذه الاسرة . وفضلا عن ذلك ، ورد فى كتب التراجم ذكر سميين لاحمد أدراق ، لا يمكن تحقيق ارتباط نسبهما بهؤلاء : أحدهما احمد بن محمد أدراق المتوفى فى سابع ذى القعدة عام 1090 = 10 دجنبر 1679 ، والثانى أحمد بن محمد أدراق معاصر السلطان سيدى محمد بن عبد الله (1188 — 1205 = 1775 — 1790) (2) .

كان عبد الوهاب أدراق طبيبا خاصا للسلطان المولى اسماعيل ، وفى نفس الوقت شاعرا مؤرخا مشاركا فى النحو واللغة والفقه . أخذ عن الحسن اليوسى ، وعبد السلام القادرى المتقدمين ، وعن الصوفى احمد بن عبد الله معن (3) .

---

1) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 310 — 311 ، والمراجع المذكورة هناك ، ع. ابن زيدان **اتحاف** ، 5 : 400 — 407 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 290 ، ك. بروكلمان، **ملحق** ، 2 : 714 ، د. رونو ، **الطب والاطباء بالمغرب** ، **نشرة معهد الدراسات الشرقية**، 3 : 1937 ص. 99 — 106 ، من بعض **المكتبات** ، ص. 119 ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 79 ، م. الكانونى ، **تاريخ الطب** ، ص. 82 — 83 ، م أكنسوس ، **الجيش** ، 2 : 94 وما بعدها ، ع. القادرى ، **المورد الهنى** ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 408 ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 110 و — 110 ظ ، ابن تاويت و م. عفيفى **الادب المغربى** ، ص. 314 ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 6 : ورقة 261 ظ — 262 ظ ، م. الضعيف ، **تاريخ** .

2) انظر د. رونو ، **المصدر السابق** .

3) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 276 ، هامش 4 ، والمراجع المذكورة هناك .

الف عبد الوهاب أدراق كتبا متعددة فى الفنون التالية :

ا ــ **فــى الطــــب :**

1 ــ **قصيدة النعناع** فى ثلاثين بيتا (4) ، بين فيها منافع هذا النبـــات الشهيـــر بالمغـــرب .

2 ــ **ذيـــل** لارجوزة ابن سينا الشهيـــرة (5) .

3 ــ **أرجـــوزة** فى حب الافـــزنـــج (6) .

4 ــ **هـــز السمهرى ، على من نفى عيب الجذرى** (7) .

5 ــ **شرح كتاب النزهـــة** للشيخ داوود الانطاكى (8) .

ب ــ **فـــى التراجـــــم :**

6 ــ **منظومة** فى صالحى مكناسة الزيتون . وهى التى افسحت لـــه المجال ليذكر فى كتاب ل. بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** . وهذه المنظومة على غرار منظومة المدرع فى صالحى فاس (9) .

ج ــ **قصائد فى الحكمـــة والفلسفـــة :**

هذه القصائد تنم عن ذهن دقيق الملاحظة ، مولع بالتفكير .

7 ــ **نصائح** ، منهـــا قولـــه :

---

4) مخطوطتا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 158 د و 1131 د .
5) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحـــاف** ، 5 : 403 .
6) **المصدر السابق** ، فى نفس الصفحـــة .
وهذه الارجوزة نشرت وترجمت الى اللغة الفرنسية من قبل الدكتور رينو ، والاستاذ ج. كولان فى **وثائق مغربية** ، ص. 32 وما بعدها .
7) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 5 : 403 .
8) **المصدر السابق** ، فى نفس الصفحة .
9) **نفش المصدر السابق** .

سـر كمـا تحمل فى كـف القـدر — **لا كمـا تختـار ان كنـت أثـر**

بـا لعبـد مـن مـراد ان يـزد — **كـل شـىء بقضـاء وقـدر**

فاذا مـا قلـت انـى قـادر — **فـادن كى تفعل شيئـا أو تـذر**

سلـم الامـر لمـولاك ولا — **تتعب العقل بورد أو صـدر (10)**

تلخص هذه الابيات مبدأ الجبرية القائل بأن المرء مقدر ومسير منذ الازل، ومع ذلك غير ممنوع من العمل لاختيار الحياة المفضية الى السعادة :

2 ــ قصيـدة النعنـاع :

هذه القصيدة ، ولو أنها خاصة بالخاصيات العلاجية لنبات النعناع ، فانها تحتوى على مقاطع ذات منافع عامة ، بل وأدبية أيضا . وتتركب مـن مقدمة وخاتمة ، فصلت بينهما منافع وخاصيات النعناع وعددت :

أ ــ المقـدمـة :

ألا هل من الاعشاب نبت يوافـق — **موافقـة النعناع بـل ويطابـق ؟**

فكـم من خصال حازها وفوائـد — **وكم من مزايـا لا يفى بها ناطـق**

يسارع بالتسليم عرفا علـى الذى — **يمـر بـه فى روضـه ويسابـق**

فما العنبر الشحرى مـا المسك مـا الشذا

اذا فهـن طيبـا كلهـا منـه سـارق

اذا عبـق النعناع فاغن بـه ولا — **تعرج على روض خلا منه عابـق**

ففـى طبعـه حـر بآخـر أول — **وييس عليـه المعتنـون توافقـوا**

ولكن به لين من المـاء عـارض — **تزيـد بـه أسـراره والدقائـق**

ب ــ المنـافـع :

فخذ منـه قبل الاكل نزرا وبعـده — **تـر عجبا نعـم العشير الموافـق**

---

10) ع. ابن زيدان ، اتحاف ، 5 : 404 .

يصون غذاء المرء من كل آفة تخاف ولم يطرقه بالسوء طارق

اذا الشهوتان احتاجتا لمرافق فليس كما النعناع خدن موافق

جـ ـ الخاتمة :

فما لي لا أثني عليه وأعتني بنظم لآليه وفضله سابق (11)

بدلا من أن يمل أدراق قارئه وبخاصة الاديب ، طوال هذه القصيدة التى تنيف أبياتها على الثلاثين ، فانه يستميله اليه ، مستعملا عبارات رائقة وكلمات معبرة ، مبرهنا بذلك عن مقدرة فائقة ، الامر الذى جعله قمينا بأن يعد من بين رجال الادب النابهين فى عصر مولاى اسماعيل .

مات ادراق بفاس يوم ثامن وعشرى صفر عام 1159 = 22 مارس 1746 (12) مشرفا على الثمانين وذلك ما يجعلنا نفترض ان ولادته كانت حوالى عام 1077 = 1666 . ودفن بضريح سيدى محمد الطالب قرب سيدى على بوغالب ، بباب الفتوح .

11) ع. ابن زيدان ، **اتحاف ، 5 : 404 ـ 405** .

12) وليس يوم 28 صفر 1189 = 21 مارس 1746 ، حيث يظهر أن هناك خلطا فى التاريخ ، كما جاء عند ك. بروكلمان ، **ملحق ، 26 : 714** .

خناثة بنت بكار [1]

(ت· 1159 = 1746)

خناثة بنت بكار بن على بن عبد الله المغافرى ، احدى النساء المغربيات المتميزات بتربيتهن وثقافتهن ، لكنها أكثر من الاخريات شهرة ، باعتبارهـا كانت زوجا للسلطان المولى اسماعيل ، وأما للسلطان مولاى عبد الله ·

عربية الاصل ، يتصل نسب أبيها بالقحطانيين عرب اليمن العاربة ، متضلعة فى الادب والعلوم الشرعية . ونظرا لفكرها الوقاد ، ورايها الصائب ، وديانتها المتينة ، كانت تقوم بدور المستشار الحكيم لزوجها الملك .

وبعد مرور أربع سنوات من تولى ابنها مولاى عبد الله الملك ، قامت بأداء فريضة الحج صحبة حفيدها سيدى محمد بن عبد الله . وقد خرجت من مكناسة الزيتون ، وسط حاشية عظيمة وفى ابهة فائقة ، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الثانية من عام 1143 = 22 دجنبر 1730 ، حاملة معها مائة ألف دينار هدية للحرمين الشريفين .

وفى طرابلس الغرب ، استقبل ابن حاكم المدينة الحجاج المغاربة استقبالا حارا ، واحتفى السكان بالملكة الوالدة احتفاء عظيما ، وهم يهتفون بحماس . فكان ذلك مناسبة للحرس الاسود من عبيد البخارى المرافق للموكب ، أن يظهر مقدرته فى الفروسية واستعمال الاسلحة النارية ، مما أثار اعجاب الجميع

---

1) انظر ع · ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 16 — 23 ، ع · كنون ، **النبوغ** ، 1 : 281 ، أ. الناصرى ، **استقصا** ، 7 ، فى مواضع متفرقة ، ع. الاسحاقى ، **رحلة** ، الشيخ الطبرى ، **قصيدة** ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : 136 ظ — 139 ظ ، **التقاط**، ورقة 51 و — 58 و ، م. أكنسوس **الجيش** ، ص. 105 ، م. الفاسى ، **الرحالة المغاربة** ، ص. 23 ، ج. كرابيرك ، **سبيسيو** ، ص. 269

وبخاصة الاتــراك .

ولما وصلت خناثة الى ينبوع من أرض الحجاز ، زارها شرفاء هــذه الناحية فأوسعتهم عطاء وهبات . وأخيرا دخلت مكة المكرمة صبيحة سابع ذى الحجة من نفس السنة ، فاشترت عقارات أو قفتها فى سبيل الله ، ومنها دار بباب العمرة ، أحد أبواب البيت الحرام ، أوقفتها على الطلبة خاصة . وبقيت فى مكة عشرة أيام ، سارت بعدها الى المدينة المنورة ، ومكثت فيها ثلاثة أيام قبل أن تأخذ طريق العودة الى المغرب .

وقد خلد ذكرى هذه الرحلة الفخمة الشيخ ابو عبد الله محمد بــن على الحسنى الشافعى الطبرى (2) ، امام مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ، فى قصيدة مؤثرة امتدح بها هذه السيدة الشهيرة ، وهــى :

غنــى على عــود السعود هزارى ... وشـــدا علــى الاوتار بالاوطــار

والانس طاب لنــا بأوقات الهنــا ... بسلامــة الحجــاج والـــزوار

لاسيمــا بسلامة الســت التـــى ... حظيــت ببيت اللـــه والاستــار

فلها المنى بوصال من قد جاورت ... والاكرمــون يــرون حــق الجــار

فاحت بهــا أرجــاء مكــة رغبــة ... ومحبـــة مــن سائـــر الادوار

وهى الحقيقــة بالجلالــة فى الورى ... فجلالــة الاضيــاف ليس بعــــار

والله قــد ألقــى عليها دائمــــا ... حســن القبول كسيمــة الاخيــار

وهى الحليمة والكريمــة مــا لهــا ... فى الجــود ثــان مثل غيث جــار

ولهــا كمــال وافــى فى عفــــة ... ولها حيــاء فاق فــى المقــدار

فاللــه يحملهــــا بحسن رعايــة ... منــه الــى مكنــاس بالاوطـــار

ويحفهـــا بسعــادة وسيـــادة ... من كـــل سوء ماضــى أوطــار

---

2) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 291 — 292 .

وعلـــى النبـــى وآلـــه وصحابـــه صلـــى وسلم ذو الجلال البـــارى
مـــا غردت ورق الرياض بدوحهـــا وترنمـــت فى سائر الاسحـــار (3)

وماتت خناتة بنت بكار بفاس فى شهر جمادى الاولى من عام 1159 = مايو — يونيو 1746 ، ودفنت بضريح الاشراف فى فاس الجديد ٠

ومن آثار قلم خناتة بنت بكار :

1 — رسالة تحمل طابعها موجهة الى سكان وجدة ، تنصحهم وتطمئنهم بشأن المخاوف التى كانت تراودهم من قبل جيرانهم أتـــــراك الجزائـــر ٠

2 — **شرح الاصابة ، فى معرفة الصحابة** لابن حجر العسقلانى .

وقرات خناتة على الشيخ أبى عبد الله محمد المكى الدكالى مـــــن حفاظ القرآن الكريم المشهورين ، كانت تكتب الآيات الكريمة فى لوح تبعث اليه ليسلكه لها ، الى أن استظهرت القرآن الكريم كله .

---

3) ع. ابن زيدان ، **اتحـــاف** ، 3 : 22 — 23 .

عبد المجيد الزبادي [1]

(ت. 1163 = 1750)

شاعر وطبيب ، وصوفي ورع ، وصاحب **رحلة** ضخمة شهيرة بعنوان : **بلوغ المرام ، بالرحلة الى بيت الله الحرام** . (2)

أدرجه ل. بروفنسال فى كتابه **مؤرخو الشرفا** (3) بين أصحاب كتب التراجم فى القرن الثانى عشر = 18 ، بسبب كتيب له فى المناقب عرف بالشيخ الصوفى ابن عباد دفين فاس (4) ؛ وسماه : **افادة المراد ، بالتعريف بالشيخ ابـن عبـاد** (5) .

ينتسب الزبادى الى الشرفاء الحسنيين الادارسة . وأصله من سوس ، كما تدل عليه نسبته المنالى . واسمه الكامل هو : أبو الثناء وأبو محمد عبد المجيد بن على بن محمد بن على المنالى الزبادى الحسنى الصوفى الفاسى .

أخذ الزبادى عن أحمد الوجارى ، ومحمد المسناوى الدلائى ، وابـن

---

1) انظر ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 314 ، والمراجع المذكورة هناك ، أخاه محمد الزبادى، **سلوك الطريق الوارية** ، ورقة 101 — 124 ، م. القادرى ، **النشر الكبيـر** ، 2 : 264 — 267 ، م. الكانونى ، **الطب والاطباء** ، ص . 84 ، م . الفاسى ، **الادب المغربـي** ، ص. 536 ب ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 80 ، ك بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 676، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 168 و 173 وما بعدها ، ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 182 و 190 ، 2 : 318 و 335 و 345 و 372 و 374 و 416 و 430، ع. الكتانى **فهرس الفهارس** ، 2 : 24 .

2) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 398 ك . وقد اختصر مجهول هذه الرحلة . انظر ع. ابن سودة **دليـل** 2 ، : 335 .

3) ص. 314

4) انظر ل. بروفنسال ، **شرفا** ، ص. 314 هامش 6 ، والمراجع المذكورة هناك .

5) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 984 د ضمن مجموع ، من ورقة 1 الى 40 ، بخط المؤلف ، انتهى منها يوم 17 رمضان 1144 = 14 مارس 1732 . وتسمى أيضـا **افـادة المرتـاد** .

زاكور ، وابن المبارك اللمطى المتقدمين ، كما أخذ أيضا عن محمد بن قاسم جسوس (6) ، وانتسب لطريقتين من الطرق الصوفية الشهيرة : القاسمية ، على يد الشيخ أحمد السوسى (7) دفين مراكش ، وولده أحمد العباس (8) ، والعيساوية ، المنسوبة للشيخ محمد بن عيسى الفهدى المكناسى (9) ، اخذها عن الشيخ وران (10) ولقى الزبادى بالمشرق عددا آخر من الاعلام ، كالشيخ محمد كشك المصرى ، ومحمد الحفناوى ، وتلميذه محمد الكردى ، والبرناوى ، والسمان . كما لقى بفاس محمد العياشى ، وعبد الله الولالى ، وكان له كثير من الاصدقاء من بين معاصريه العلماء ، أمثال عبد الهادى العراقى الحسينى ، وأحمد الصقلى الحسينى (11) ، ومحمد بن عبد الله الفاسى (12) ، ومحمد بن التاودى ابن سودة (13) ، ومحمد ابن عبد العزيز الصنهاجى (14) ، وعبد الناصر السلاوى ، وعمر الفاسى (15) .

قام عبد المجيد الزبادى بتدريس كثير من الكتب المتداولة آنذاك وبشرحها، مثل **ألفية ابن مالك** ، و**منظومة القرطبى** ، و**رسالة ابن أبى زيد القيروانى** ، و**النصيحة الكافية** لزروق ، و**شمائل الترمذى** .

وقد خصه أخوه محمد الزبادى (16) ، الذى لم يكن أقل منه شهرة ،

---

6) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 230 هامش 5 ، والمراجع المذكورة هناك .
7) انظر ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 165 — 168 ، والمراجع المذكورة هناك
8) انظر **المرجع السابق** ، 2 : 173 — 180 ، وما ذكر من مراجع .
9) **نفس المصدر السابق** ، 4 : 11 — 21 ، وما ذكر من مراجع .
10) **المصدر السابق** ، 3 : 66 — 67 ، مع المراجع المذكورة هناك .
11) انظر ل. بروفنسال ، **شرفا** ، ص. 333 هامش 6 ، وما ذكر من مراجع هناك .
12) انظر مولاى سليمان العلوى ، **عناية** ، ص. 79 .
13) انظر ل. بروفنسال ، **شرفا** ، ص. 332 — 334 ، وما ذكر من مراجع .
14) انظر م. الكتانى ، **سلوة** ، **2 : 179** .
15) انظر ترجمته فيما يأتى .
16) أنظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 334 — 335 ، والمراجع المذكورة هناك

بكتاب قيم طالما عد ضائعا (17) ، الى أن وقع العثور عليه مؤخرا ، وهو بعنوان : **سلوك الطريق الوارية فى ، التلميذ والشيخ والمريد والزاوية** (18) . نسب المؤلف فيه الى أخيه عبد المجيد أعمالا واشارات مدهشة ، ناتجة عن تصوفه وسلطته الخفية التى لا تخلو أحيانا من معجزة . من ذلك انه ابرأ مرضا عضالا ، وحقق رغبة فقير معدم فرده غنيا كما اراد ، وضمن الحج لجميع مريديه الذين غطاهم ثوبه ، وأخبر بتنبؤات عجيبة (19) .

وكان عبد المجيد الزبادى كثيرا ما يقيم حلقات ذكر صوفية يتواجد أثناءها حتى يفقد شعوره ، وينشد الاشعار على الطريقة الرمزية الصوفية . ومن ذلك قصيدته التى يتغزل بها فى « نفيسة » ، ويقول فيها :

أيها السائر المحثحث عيسه — من ضروب المعاش يبغى نفيسه
أرح النفس من عنا السير وأقصد — من بيوت الكرام بيت نفيسه
بيت حلم ببنت جود ومجد — ذات زهد وذات نفس نفيسة (20)

وله فى مدح آل البيت :

بآل البيت تنشرح الصدور — وتزدان المحافل والصدور
لايام الزمان هم شموس — وفى ظلما لياليه بدور (21)

ويمدح كذلك من آل البيت صديقه الحميم محمد بن الهادى العراقى بقوله :

مولاى يا نجل الكرام ومن له — فى القلب منك منزل لا يوصف

17) قال عنه ل. بروفنسال (**شرفاء** ، ص. 335) : « أصبح هذا الكتاب للاسف غير موجود، رغم كون الكتانى قد نقل عنه غير ما مرة فى كتابه **سلوة الانفاس** »
18) مخطوطة مصورة على الميكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط ، تحت عدد 190 .
19) **المصدر السابق** ، ورقة 114 — 116 .
20) ع. الزبادى ، **الرحلة** ، ص. 178 .
21) **المصدر السابق** ، ص . 180 .
22) **نفس المصدر** فى نفس المكان .

ان غبـــت لحظـــة فكأننـــي يعقوب لما غاب عنه يوسف (22)

وللزبادى أشعـــار وموشحات ، بعضها ملحون ، وأكثرها في مـــدح الرسول الكريم . ومن ذلك قوله ، وهو مما يتغنى به الصوفية في حلقـــات الذكـــر حتـــى اليـــوم :

أنفـــق علـــى المحبـــوب روحـــك مـــع مـالـــك
أشـــر لـــه المـركـــوب مـــن طيـــب رأسمالـــك
ايـــاك أن تختـــار سكنـــاك فـــى الغـــرب
ارحـــل الـــى المختـار محمـــد العـربـــى (23)

وقد ألف الزبادى ، علاوة على الكتابين المذكورين قبل ، وهما كل ما ذكره لـــه ل. بروفنسال ، الكتب التاليـــة :

1 ــ **حزب الاذكار ، المستعملة آناء الليل وأطراف النهار** . (24) وهى مجموعة من الاوراد .

2 ــ **تأليـــف** في ترجمة أبى عبد الله بن على مرزوق .

3 ــ **فهـــرســـت** (26) .

4 ــ **اتحاف الناسك ، ببيان المراحل والمناسك** (27) . وهى قصيدة من ستة وعشرين ومائـــة بيت .

5 ــ **أرجـــوزة** في الشرفـــاء العمرانيين والادارســـة الموجوديـــن بالمغـــــرب (28) .

6 ــ **شراب الصفا ، بالتوسل الى اهل الاصطفـــا** (29) .

---

23) م. الزبادى ، **سلوك الطريق الواريه** ، ورقة 117 و .

24) مخطوطتا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 984 د (ضمن مجموع ورقة 42 ظ ــ 59 و) ، ورقم 1426 د (ضمن مجموع أيضا ورقة 11 و ــ 11 ظ) .

25 ــ 26 ــ 27 ــ 28 ــ 29) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 190 ، 2 : 318 و 372 و 416 و 430 .

زد على ذلك ما ذكره له ك. بروكلمان (30) من القصائد الثلاث التالية :

1 ــ **نيل الادب فى ، التشوق الى أفضل أرض العرب** (31) .

2 ــ **نيل المنى وبلوغ السول ، بالتعلق بجانب الرسول ، عليه الصلوات لا تحول ولا تزول** (32) .

3 ــ **منظومـــة** فى الفرق بين الظاء والضاد (33) .

ورغم كون **رحلة الزبادى** اصغر حجما من **رحلة العياشى** ، فانها لا تقل عنها اهمية ، وتحتوى على اوصاف وملاحظات اكثر مما عند العياشى ، فى اسلوب مركز سهل ، ولو انه غير مزخرف . تجد عند الزبادى اشارات من كل نوع : مراحل السفر من فاس الى مكة ذهابا وايابا (34) ، ونصائح موجهـــة للحاج (35) ومناقشة مسائل فقهية وتأريخية ولغوية (36) واجازات وتراجم لشخصيات شهيرة (37) ، كل ذلك محلى بأشعار ينشدها المؤلف من حين لآخر بحسب المناسبات ، تدل على ما له من مقدرة كبيرة والهام عميق . بل ، ان مما يثير اكبارنا للزبادى أنه لم يخص سوى أبيات قليلة لمدح الناس فى أغراض نفعيـــة (38) .

فرحلة الزبادى اذن تعتبر دائرة معارف أكثر منها كتابا جغرافيا على غرار رحلات ذلك العصر ، ومع ذلك فان هناك فرقا بين هذه الرحلـــة

---

30) **ملحـــق** : 2 : 676 .
31) **المصدر السابق** ، 3 : 426 ، قصيدة نظمت عام 1146 = 1733 .
32) **نفس المصدر** ، وهى قصيدة نظمت عام 1147 = 1734 .
33) **نفس المصـــدر** ، 2 : 42 .
34) ص. 9 و 23 و 37 . وقد خرج المؤلف من فاس يوم الاحد ثانى رجب عام 1158 = 31 يوليوز 1745 . ونشير الى أنه حسب جدول موافقات السنوات يكون يوم ثانى رجب هو يوم السبت لا الاحـــد .
35) ص. 2 ــ 8 .
36) ص. 15 ــ 19 و 26 ــ 32 و 34 ــ 35 .
37) ص. 11 .
38) وقد اختصر هذه الرحلة مجهول . انظر ع. ابن سودة **دليل** 2 .335

وغيرها من سائر الرحلات ، يتجلى فى كونها واقعية وموضوعية .

وهذان مقطعان من رحلة الزبادى :

1 ــ لما هم بالدخول الى مكة المكرمة ، أخذ ينشد ويقول :

وفدت بذلى على ما جد وانى من زللى ذو احتشام
نزلت على أكرم الاكرمين وليس يخيب نزيل الكرام

« فلما وقعت على البيت العتيق الابصار ، ونفذ من ظاهره الى باطنه الابصار ، خشعت الجوارح والاسرار ، لما احتف به من الانوار . وتمثل لى البيت المعمور ، الذى هو بالانوار الجمالية مغمور ، والمولى جل وعلا يقول وهو الشكور المشكور : مرحبا بضيوفى ونعم الضيوف ، لقد رضيت عن كل من بساحة هذا البيت يطوف ، فما أكرمه من كريم عطوف ، رحيم رؤوف . ووجدت معنى أن الله اذا تجلى لشىء بالجلال خشع وخضع « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » ، واذا تجلى بالجمال لشىء بهر العقول ، ولم تشف فيه النقول ، واحبته القلوب وحنت اليه الافئدة وارتاحت اليه النفوس وتذكرت به الالباب ، ونفذت منه الاسرار الى رب الارباب ، ومن وقف عنده كان له أعظم حجاب ، اذ يغشى السدرة ما يغشى . . . » (39) .

هذا الاسلوب الذى استعمله المؤلف والمرتكز على تصور مشاهد كهذه ، أسلوب عزيز على الصوفية ، وكثيرا ما يستعملونه للتأثير على المخيلة .

ب ــ يذكر الشاعر الاماكن المقدسة بكيفية صادقة ومؤثرة :

---

(39) ع. الزبادى ، **رحلة** ، ص. 91 .

ترى هل لى منى بمنى وهل لـى	بجمع جمع شملى فى انتظـام
وهـل بالخيـف خيف أو بفسـح	لدمـع العين سفح فـى الخيـام
وهـل بالجـزع لـى جزع لبيـن	وهـل الوى لكاظمـة زمـامـى
وهل بالشعـب شعب الحال منـى	وهـل أستاك من ذاك البشـام
وهـل لـى أن ارى بقبى وسـلـع	وأظفـر فى المدينـة بالمقـام
ففى تلك المغانـى لـى معـان	وفى تلك الربـوع شفـا سقامـى
وفى تلك المعاهـد أهـل ود	وصـدق واعتـلاء واحتـرام
هنـاك العيش يصفـو والتهانـى	تحق وذاك قصـد المستهام (40)

مـات عبد المجيد الزبادى مطعونا بفاس ، يوم الجمعة 10 شعبان 1163 = 16 يوليوز 1750 ، ودفن بمطرح الجنة ، داخل باب الفتوح .

40) المصدر السابق ، ص. 104 .

محمد بن عبد السلام بنانى (1)

ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون بنانى (او البنانى) النفزى الفاسى ، مفت كبير وشيخ الجماعة . ولد بفاس حوالى عام 1083 = 1672 ، وتابع فيها دروس كبار الشيوخ ، امثال القاضى بردلة ، واحمد ابن الحاج ، ومحمد القسنطينى ، والحسن اليوسى ، وعبد السلام القادرى ، وعلـى بركة ، وابن زاكور ، وأحمد الولالى ، والعميرى ، ومحمد المسناوى الدلائى ، وعبد السلام جسوس ، المترجم لهم فيما سبق . وأخذ فى مصر عن الشيخ عبد الرؤوف البشبيشى آخر تلامذة ابى الحسن الاجهورى قبل أن يقبل بكليتـه على التصـــوف .

وتخرج على يد محمد بنانى جماعة من اعيان العلماء ، كأحمد الهلالى ، وادريس العراقى ، والتاودى ابن سودة ، الذين سنترجم لهم فيما بعـد ، وكذلك سميه ابن الحسن بنانى (2) ، ومحمد بن قاسم جسوس المتقدم ، وعلى بن العربى السقـاط .

والف المترجم كتبا كثيرة لا تكاد تخرج عن دائرتى الحديث والفقه ، وهذه اهمهـا :

1 ـ **معانـى الوفاء ، فى معانى الاكتفاء** (3) ، وهو شرح **لاكتفـاء**

---

1) انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص. 312 ــ 313 ، وما هناك من مراجع ، م. القادرى ، **النشر الكبير**، ورقة 116 و ــ 118 ظ ، ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب** ، 1 : 296 ، 2 : 251 و 356 ، **ملحـق** ، 1 : 585 ، 2 : 686 ، **فهرست المترجم** ، ع. الكتانى **فهرس الفهارس** ، 1 : 160 ــ 162 ، والمراجع المذكورة هناك ، م. الزبـادى **سلوك الطريق الوارية** ، فى مواضع متعددة ، م. ابن الحاج ، **رياض الورد** ، ع. كنون **النبـوغ** ، 1 : 278 و 290 ، ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 82 و 197 ، 2 : 316 و 317 و 318 و 348 و 416 ، م. الحجوى ، **الفكر السامـى** ، 4 : 122 ــ 123 ، رقـم 788 .

2) انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص. 164 هامش 7 ، والمراجع المذكورة هناك .

3) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1814 ك ، والاصل فى ستة أجزاء (انظر م. القادرى، **النشـر الكبيـر** ، ورقـة 116 ظ

الكلاعـــى فى عدة مجلدات ، يدل على كفاية المؤلف وسعة اطلاعه . الفـــه باشارة من شيخه محمد بن عبد القادر الفاسى المتقدم ، الذى قدم له تصميما قبل أن يشرع فى العمل . ولما لم يجد المؤلف كل المواد اللازمة لتأليف هذا الكتاب ، بعد أن ظل يشتغل فيه طوال ست عشرة سنة ، ذهب الى المشرق عام 1141 = 1728 . فحج وحمل معه الى المغرب من المصادر ما يلزم . ويرى بعض النقـــاد (4) أن هذا الشرح فريد فى بابـــــه .

2 ـ **اختصار شرح شهاب الدين أفندى** (احمد بن الحسين بن رسلان الروميلـــى) (5) علـــى **شفاء** عياض .

3 ـ **شـــرح الشفا لعيـــاض** (6) .

4 ـ **شرح لاميـــة الزقـــــاق** .

5 ـ **شرح الحزب الكبيـــر الشاذلـــى** (7) .

6 ـ **شرح الصـــلاة المشيشيـــة** (8) .

7 ـ **شرح خطبة مختصر خليل** ، لم يكمل .

8 ـ 9 ـ **شرحان لمنظومة عبد الرحمن الفاسى** فى الاسطرلاب .

10 ـ **ذيـــل** على **شرح حدود ابن عرفة** ، لم يكمل .

11 ـ **شـــروح أخـــرى كثيـــرة** (10) .

---

4) بخاصـــة م. ابـــن الحـــاج ، **تـــاريـــخ** .
5) انظر ترجمته عند ل. بروفنســـــال ، **شرفـــاء** ، ص. 313 ، ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب** ، 1 : 369 م. القادرى ، **النشر الكبيـــــر** ، ورقة 116 ظ .
6) مخطوطـــة المكتبـــة العامة بالرباط ، رقـــم 1456 ك .
7) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 1599 د ، 1595 ك ، 1622 ك .
8) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقـــم 1388 د .
9) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 414 د ، 1411 د ، 1469 د .
10) أمثال :
أ ـ **أرجوزة الشاطبى فى التقاء الساكنين** ،
ب ـ **حزب النصر** لمحمد ابن ناصر ،
ج ـ **القصيدة اللغزية الرائية** .

12 ــ **كتاب فى فضائل الحرمين الشريفين** ، وهو رحلته الصغرى المشتملة على مقدمة ، وتسعة عشر فصلا ، وخاتمة . ويختص الفصل الثامن عشر منها بذكر الاعلام الذين لقيهم المؤلف فى البقاع المقدسة .

13 ــ **حاشية على الفية ابن مالك** (11) .

14 ــ 15 ــ **فهرستان** كتب احداهما للشيخ ابى العباس احمد بن الحاج ، والثانية ــ وهى اشهر من الاولى ــ كتبها لكل من محمد بن قاسم بن جسوس ، ومحمد بن الحسن بنانى المتقدمين . والفهرست الاخيرة تحتوى على اشارات مفيدة عن الحركة الدينية بالمغرب ، خلال النصف الاول من القرن الثانى عشر = 18 .

اما فيما يخص « المتنوعات الادبية » ، فان الغرض منها الرد على **الانيس المطرب للعلمى** . وهذا هو المقتطع المتعلق بالاجازة من الفهرسة الثانية :

« وبعد فان الفقيه . . . ممن تردد فى طلب العلم النفيس الى ، وحضر فى غير ما درس حضور استفادة وتحصيل لدى . . . ولما لمع برق نجابته ، وقارب الكمال العرفى بدر رايته . . . طلب من هذا العبد الضعيف تقرير تقييده الذى قيده فى استدعائه بيمينه مما ساعده عليه ، والاعلام بحاله فى الاجازة لمن لم يكن خبره لديه ، فاجابه لذلك . . . وحيث تحتم الجواب ولم يكن لى بد قلت . . . ان الفقيه المذكور قد حضر معنا ، وقرأ ما تيسر من الفنون العلمية فى مجالس عديدة ، واجزت اخانا ان يروى عنى ، ويحدث من

د ــ **التنوير** ، لم يكمل .

هـ ــ **المتن الكبير** ، لم يكمل .

و ــ **كليات المقرى** ، لم يكمل .

ز ــ **مختصر السعد** ، لم يكمل (انظر م. القادرى ، النشر الكبير ، ورقة 116 ظ .

11) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 16 ك .

شاء كيف شاء بما علمه لى أو سمعه منى ، اجازة تامة ، مطلقة عامة ، فيما ذكر وغيره من الكتب الحديثية ، والتفاسيــر السنية ، وسائر العلــوم النقلية والعقلية ، والافادات الاعتقادية ، بشرطه المعتبر ، عنه أهل الحديث والاثــــــر . . . » (12) .

تأتى بعد ذلك لائحة شيوخه الستة عشر ، مع ذكر تاريخ وفاة بعضهم ، وقائمة مـــا قرأ عليهم من كتب وفنــون .

وكانت وفاة ابن عبد السلام بنانى بفاس ، يوم سادس عشــر ذى القعدة عام 1163 = 17 أكتوبر 1750 ، وهو ابن ثمانين سنة ، مما يجعل تاريخ ولادته حوالى عـــام 1083 = 1672 .

---

12) من مجموع مخطوط غير مرقم فى ملك ع. ابن سودة ، مؤلف **الدليل** .

احمد بن الحبيب اللمطى [1]

(ت. 1165 = 1751)

هذا الصوفى الكبير هو خال احمد بن المبارك المترجم آنفا وشيخه . ويلقب مثله بالسجلماسى واللمطى . والنسبة الثانية الى فرقة من الاولى . يتصل نسبه بعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق ، حسبما هو مكتوب على ضريحه ، ولذلك يسمى احمد الحبيب بن محمد الغمارى بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى (مرتين) الصديقى السجلماسى اللمطى .

كان صالحا شهيرا ، قارئا من الدرجة الاولى ، عارفا بعلوم الحديث والعقائد . أخذ عن عبد السلام القادرى المتقدم ، وتتلمذ له عدد من الطلبة ، كأبى العباس الهلالى ، وابى القاسم محمد بن احمد الفاسى (2) ، واحمد العياشى ، والامام يحيى السوسى الجرارى ، واجازهم جميعا .

توفى احمد الحبيب بسجلماسة فى رابع محرم عام 1165 = 23 نونبر 1751 ، ودفن بداره على عادة الصالحين .

---

1) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 309 **وهامش** 3 ، والمراجع المذكورة هناك ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 187 — 189 ، والمراجع التى ذكرها ، أ. الهلالى ، **الزواهر الافقية ، الفهرست** ، ع. القادرى ، **المورد الهنى** ، يحيى السوسى الجرارى ، **فهرست** .

2) انظر ترجمته عند مولاى سليمان العلوى ، **عناية** ، ص. 56 — 57 ، م. الكتانى ، **سلوة**، 1 : 321 .

محمد بن الطيب الشرقي (1)

(1110 — 1170 = 1698 — 1756 — 57)

احد كبار اللغويين والمحدثين ، ليس فى المغرب فقط ، ولكن فى العالم العربى كله فى القرن الثانى عشر = 18 . وهو شمس الدين محمد بن الطيب بن موسى الصميلى الفاسى المدنى . ينتسب الى قبيلة شراقة العربية على مرحلة من فاس شمالا . ومن الخطا كتابة نسبه بالفاء (الشرفى) ، وعده من الشرفيين الاندلسيين ، لان اصله من الصميليين المعروفين بفاس ، حسبما اكد ذلك القاضى أبو الفتح محمد الطالب ابن الحاج (2) ، وعبد المجيد الزبادى فى **رحلته** ، وغيرهما من أصحاب كتب التراجم .

ولد ابن الطيب الشرقى بمدينة فاس عام 1110 = 1698 ، ومات بالمدينة المنورة عام 1170 = 1756 — 57 . وكانوا فى المشرق يدعونه محمد بن الطيب الفاسى .

بلغ عدد شيوخ ابن الطيب الشرقى مائة وثمانين ، ذكرهم فى الاجازة التى كتبها لمحمد بن عبد السلام بنانى المتقدم ، وهم اعلام ذلك العصر فى المغرب والمشرق (3) . وتخرج على يده عدد وافر من العلماء المغاربة والمشارقة

---

1) انظر ترجمته عند ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 212 و 396 — 399 ، والمراجع المذكورة هناك ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 536 ب ، **الرحالة المغاربة** ، فى مجلة **دعوة الحق** ، عدد 4 ، يناير 1959 ص. 23 ، م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 52 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 246 — 247 ، 2 : 287 و 348 .

2) أنظر ترجمته عند ل. بروفنتسال ، **شرفاء** ، ص. 342 — 345 ، والمراجع المذكورة هناك .

3) من شيوخه المغاربة ، علاوة على أبيه ، المسناوى الدلائى ، والقاضى العربى بردلة ، وعبد السلام جسوس ، ومحمد بن عبد القادر الفاسى ، والقاضى سعيد العميرى ، وأحمد ابن ناصر ، والوكارى ، وابن زكرى ، الخ .
ومن شيوخه المشارقة أبو طاهر الكورانى ، والزرقانى ، وعبد الرؤوف البشبيشى ، والسيد عمر الباعلوى ، الخ .

ايضا ، ادرك بعضهم شهـــرة واسعة جدا ، كالشيخ مرتضى الزبيدى ، والقاضى الشوكانـــى .

كان الشرقى كثير الترحال لا يكاد يستقر فى مكان ، والى ذلك يشيـــر بقـــولـــــه :

يومـــا بفاس وفى مكناســـة زمنـــا وتـــارة فى زوايا العـــم والخـــال
وبرهـــة سفرى صفـــرو وآونـــة تازا وطورا أرى أفلىالفلا الخالى(4)

اقام بمكة المكرمة عامين ختم اثناءهما الكتب الصحاح الستة وغيرها مـــن مهمـــات مصادر الحديـــث .

ورغم هذه التنقلات ، تمكن ابن الطيب الشرقى من تأليف كتب كثيرة (5)، غير معتمد فى غالب الاحيان الا على ذاكرته الجبارة . وفى مثل هذه الظروف التى لا تعرف استقرارا ، الف **حاشيتـــه** القيمة على **القاموس** . ونذكر مـــن تآليفـــــه :

أ — فـــى اللغـــــة :

1 — **اضاءة الراموس** (6) وهـــو حاشية علـــى **القاموس المحيـــط** للفيروزبـــــادى .

2 — **المسفر ، عن خبايا المزهر** ، حاشية على**مزهر السيوطى** .

ب — فـــى الحديـــث والفقـــــه :

3 — **حاشية** على **شرح القسطلانى** على **الصحيح** .

---

4) ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 397 .

5) بلغ مجموعها خمسين تاليفا ، بالاضافة الى مجموعة من الاحاديث .

6) الجزء الثانى مخطوط المكتبة العامة بالرباط تحت أرقام 262 ك و 1645 ك . وهو الوحيد من بين مؤلفات الشرقى الموجود بالمكتبة العامة بالرباط . والباقى ذكره ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 398 .

4 ــ **حاشية** على **شمائل الترمــــذى** .

5 ــ **شـــرح سيرة ابـــن الجـــزرى** .

6 ــ **شـــرح سيـــرة ابـــن فـــارس** .

7 ــ **سمط الفرائد ، فيما يتعلق بالبسملة والصلاة من الفوائد** .

8 ــ **الاستمساك بأوثق عروة ، فى الاحكام المتعلقة بالقهوة** .

جـ ــ فـــى التصـــوف :

9 ــ **شـــرح المضرية ، فى مدح خير البريـــة** .

د ــ فـــى التـــراجـــم :

10 ــ **الانيس المطرب ، فيمن لقيتـــه من أدباء المغرب** .

11 ــ **الافق المشرق ، بتراجم من لقيناه بالمشرق** .

12 ــ **اقرار العين ، باقرار الاثر بعد ذهاب العين** ، وهى فهرستـــه الكبـــــرى .

13 ــ **ارسال الاسانيـــد ، وايصال المصنفات والمساند** ، وهـــى فهرستـــه الصغـــــرى .

هـ ــ فـــى ا لا د ب :

14 ــ 15 ــ **رحلتـــان** : أولـــى وثانيـــة (7) .

ان استعراض مقتطفات من **حاشية** ابن الطيب الشرقى على **القاموس** من شأنه أن يعطينا فكرة عن طريقته وقيمته اللغويـــة .

---

7) لم يبق منهما سوى الاولى التى قام بها عام 1139 = 1726 . وتوجد نسخة منها مخطوطة بمكتبة ليبزيـــك .
انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 348 ، وقد لخص ما فى هذه النسخة الوحيدة م. الفاسى **دعوة الحق** ، عدد 4 ، 1959 ، ص . 23 .

1 — يتحـــدث الشرقـــى عن علم اللغـــة بقولـــه :

« ان اول ما يعتنى به المعتنى بالعلوم المهمة ، واغنى ما يعتنى بـــه الغنى فى التحصيل بعلو الهمة ، والغوص فى قاموس اللغات ، والحرص على اقتباس قاموس الكلم النابغات ، والتضلع بالوحشى والغريب ، والتمتع بالبعيد والقريب فبذلك يحوز العلوم بأسرها ، ويجوز فى المشكلات الـــى فكاك أسرها ، وتعنو له المعانى ، غنية عن معاناة المعانى . ويحبـــى فى كل العلوم منحة التسهيل والتسيير ، ويجبى اليه ثمرات خصوص الحديث والتفسير . وقد كنت فيمن نبغ فى هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الفائقة وتفيا ظلالها الوريفة ، وغاص قاموس بحرها وتعرف الوحشى منها والمتداول، وتصرف فى المختصر من دواوينها والمتطاول . ولم نزل نعانى معانيها دهرا ، حتى قالوا تحبها قلت بهـــــرا . . . » (8) .

وهذا مبدأ عالمى يقول بأن معرفة اللغة شرط أساسى للتمكن من سائر العلـــــــوم .

2 — ثم يبين الشرقى موهبته الفائقة فى هذا العلم ، ويتخذ موقفـــا صريحا وحاسما فى الخلافات القائمة بين الشـــراح :

« وفى أثناء القراءة والاقراء ، والاستقصاء للمصنفات والاستقراء ، رأيت المجد الشيرازى يكثر فى **قاموسه** من الاعتراضات على **الصحـــاح** ، ويجعل أهم أعراضه واتم اغراضه الالحاف فى ذلك والالحاح ، ويبالغ فى الرد ، ويأتى بالتنديد ولا يحمله سد ، ورايت بعض المدعين يقلدونه فى كلامه ، ويعتقدون لقصورهم تصويب اعتراضه عليه وملامه ، مع أن كتاب **الصحاح** ، أجمع أئمة اللغة أنه بمنزلة **صحيح البخارى** بالنسبة الى باقى الصحاح ، دون غيره اللغات الصحاح . فلما رايته أكثر من التنديد عليه ، وبالغ فى غزو

8) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 344 ك ، جزء 1 ، ص. 1 .

الاوهام اليه ، انتصرت لابى نصر ، وعارضت اعتراضاته بالفتح والنصر ، وجعلت أرد ما يورده مشروحا فى شرحى لمصنفات اللغة ، وتعقبه فى الدروس اكمل التعقب وابلغه . وملأت من أوهامه الزائدة شرحى **كفاية المتحفظ ، ونظم الفصيح** ، وابديت فى غيرهما ما تقربه عين اللغوى الفصيح فلما وقف على ذلك اشياخنا الاساتذة ، واصحابنا الجهابذة ، تاقت نفوسهم الى جمع ذلك ، فى تعليق مستقل بايضاح ما هنالك . . . » (9) .

3 ــ رغب بعض أصدقائه والحوا عليه فى أن يجمع تعليقاته فى كتاب ، فأبى متعللا بالعجز من جهة ، وباتساع الموضوع وتشعبه من جهة اخرى ، الى أن أتاه ذات يوم ، وقد تغرب عن الوطن ، خطاب من أبى محمد بن عبد المجيد بن على الصوفى (ابن الشيخ عبد المجيد المتقدم) ، يلح عليه فى أن يقوم بهذا العمل « ويتضمن السؤال عن مسائل كثيرة ، تغفل عن ادراكها العقول الاثيرة . . . فاذا حقق لنا سيدنا بارك الله فيه تلك المسائل ، وأوضح لنا فيها الحق من الباطل ، فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال ، ويهمل علينا من هامل سحائب فضله وعدد الوادق أى اهمال . . . وهل اعتراضاته ــ الشيرازى ــ على الجوهرى صحيحة أم لا ، وعلى ما يتكل هو والجوهرى فى ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطه حيث يفقد شبيهه ، فلا يدرى المفقود هل من المعجم أو المهمل ، نحو غدم وغدرم قبلهما عثم وبعدهما غرم . وقد أعجم النساخ ذالهما بالقلم فى جميع الفاظ المادة . فان كان ذلك فى الواقع كذلك فحق أن يقول غدم بالمعجمة ليعلم انه عدم بالمهملة مهمل فى كلام العرب أو لم يحفظها هو . وحيث سكت عنها فالاصل عندى أن تكون مهملة . الا أنها وقعت فى محلها فلا يحتاج الى التنبيه ، وتكون حينئذ غدرم محتملة للامرين لانها ربارعية ، فلابدا أيضا من التنبيه فيهما .

9) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 344 ك ، جزء 1 ، ص 1 .

اما لو تعين اعجام غرم ، فلا اشكال فى اعجام غدرم من غير تنبيه .

« وقد كنت أقف كثيرا على نحو ذلك فى **القاموس** ، ولم تحضرنى الآن نسخة منه فأمثل له ، وعند الجوهرى عظم بين عشم وعصم ، فلم ندر هل طاؤه مهملة ام معجمة . وهى عندى مهملة ، وفى النسخ معجمة . . » (10) .

هذه الرسالة الطويلة بما تضمنته من حجج من هذا النوع ، انتهت باقناع ابن الطيب الشرقى باستئناف العمل ومتابعته حتى النهاية . وقد ختم مقدمته بهذين البيتين :

مباحث لو فوق النحور تجسدت لازرت بدر فى عقود وعقيان
جدير لها طيب الثناء لو أنها قديمة عهد أو قريبة أوطان (11)

أما الشرح نفسه فقد عمل بعناية فائقة ، أعبرت الفاظه وشكلت ورتبت بطريقة منهجية . فمثلا ، عندما فسر عبارة (حبا وكرامة) قال :

« قال القزاز فى **جامعه** : قالوا فى تفسير الحب والكرامة ، الحب هو الخشبات الاربع التى توضع عليها الجرة ، والكرامة هى الغطاء الذى يوضع على تلك الجرة ، من خزف كان أو من خشب . وقال أبو جعفر الفهرى : قيل : الحب الخابية ، والكرامة الجرة ، القلة . وذكر شرحها الترمذى فى شرح **الفصيح** . وقال العتبى : القلة تقع على الكوز الصغير ، والجرة العظيمة ، والحب اللطيف اذا كان القوى من الرجال يستطيع أن يقله . قال : ولست أعرف من ذلك حدا محدودا على طريقة اللغة .

« وأجمعوا على أن الحب مذكر ولم ينبه عليه النص ، كما لم ينبه على كونه غير عربى . وقد قال فى **المصباح** : الحب بالضم الخابية ، فارسى معرب . وقال ابن دريد فى **الجمهرة** : الحب فارسى معرب . وقال أبو

---

10) **المصدر السابق** ، ص. 3 .
11) **نفس المصدر** فى نفس الصفحة .

خاتمة : اصله حبب ومنه سمى الرجل حبيبـــا » (12) .

وبعد أن نقل الشـارح آراء بعض المؤلفين ، قدم الراى العام للغويين ، الامر الذى مكنه من نقد **القاموس** بكيفية مخففة وغير مباشرة ، وهو لا يهمل شيئا فى سبيل ايضاح لفظ ، أو تقليب وجهة النظر فى شرح ، متبعا هكذا خطة سليمة وموضوعيـــة .

كذلك كان هذا العالم الذى اسهم بحظ وافر فى نهضة اللغة ، سواء فى المغرب أو فى المشرق ، طوال القرن الثانى عشر = 18 . ونال عن جدارة تلك الشهرة الواسعة ، كما شهد بذلك أنبـــه تلاميذه الحافظ الزبيدى بقوله :

« هو عمدتى فى هـــذا الفن ، والمقلد جيدى العاطل بحلى تقريـــره المستحسن . . . لا أدعى فيه دعوى فأقول شافهت ، أو سمعت ، أو شددت ، او رحلت ، أو أخطأ فلان أو أصاب ، أو غلط القائل فى الخطاب . فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا ، ولم يخل لاحد فيها مجالا » (13) .

---

12) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 262 ك . ص. 7 .
13) ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 398 .

محمد المكى ابن ناصر (1)

(ت· بعـد 1170 = 1756)

احد كبار رؤساء الزاوية الناصرية الكبرى بتمكروت ، والتى سبـق ان رأينا اثنين من شيوخها (2) · وهو أبو عبد الله محمد المكى بن موسى ابن حسين ابن ناصر بن عمرو بن عثمان الدرعـى ·

لا نعرف بالضبط تأريخ ولادته ولا وفاته ، وانما نعرف أنه ولد ونشأ بوادى درعة ، وكان حيا عام 1170 = 1756 (3) · ودرس دراسة جديـة على عدد من الشيوخ يطول ذكرهم · وتخرج على يده كثير من الطلبة .

كان محمد المكى مؤرخاشهيرا ، وأديبا ماهرا . توجه عام 1151 = 1738 الى مكة المكرمة ، ولقى بجامع على بن يوسف فى مراكش المؤرخ محمد الصغير الافرانى الذى كان اماما وخطيبا بهذا الجامع . وبعد سبع سنوات نجده فى فاس طريح فراش المرض ، ثم فى مكناس ينال اجازة عامة من القاضى العميرى المتقـدم .

وتشتمل مؤلفات محمد المكى علـى :

أ — كتب فى التراجم تتعلق بجده وأسرته وبعض الصالحين .

ب — قصائـد مختلفـة .

ج — رحلـة عبـر المغـرب .

---

1) أنظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 315 — 316 ، والمراجع المذكورة هناك. ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 276 — 278 ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعـلام** ، 5 : 65 — 71 . ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 53 و 46 — 47 ، 2 : 308 و 361 و 379 .

3) تقييد بخط ع. الكتانى على أول نسخته الخطية من **الدرر المرصعة** .

1 ـ **الدرر المرصعة ، فى أخبار أعيان درعة او كشف الروعة ، فـــى التعريف بصلحاء درعـــة** (4) .

2 ـ **فتح الملك الناصر ، فى اجازات مرويات بنى ناصر** (5) .

3 ـ **طلعـــة الدعة ، فى تاريخ وادى درعـــة** (6) .

4 ـ **البرق الماطر ، فى شرح النسيم العاطـــر** (7) .

5 ـ **الروض الزاهـــر ، فى التعريف بالشيـــخ ابن حسين وأتباعـــه الاكابــــــر** (8) .

6 ـ **قصيـــدة** فى مدح المولى ادريس الازهـــر (9) .

7 ـ **قصـــائـــد** متنوعـــة .

8 ـ **الرياحين الوردية ، فى الرحلة المراكشية** (10) .

بعد أن لقى محمد المكى ابن ناصر فى مكناس القاضى العميرى الذى أجازه اجازة عامة ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، مدحه بقصيدة تنم عـــن مقدرة المترجم فى قرض الشـعر ، وتعطى فكرة عن الذوق الادبى فى ذلك العصر ، منهـــــــا :

لـــه فهرست تسمو بمـــا جمعـــت ... من العلوم على كـــل الفهاريـــس

---

4) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ، رقم 265 ك + مجموع مخطوط عدد 88 ج ص. 84 ـ 116 .

5) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 323 ك. وفى هذا الكتاب يذكر المؤلف الاجازات التى نالها جده أبو العباس أحمد وأخوه الحسين وأولادهما وأحفادهما .

6) انظر ع. ابن سودة ، **دليـــل** ، 1 : 53 .

7) انظر **المصدر السابق** ، 2 : 428 . وهو شرح لقصيدة فى القطب أحمد بن محمد ابن ناصر بعنوان **النسيـــم العاطر ، فى مدح القطب أبى العباس ابن ناصر** .

8) يعنى الولى الصالح عبد الله بن حسين الملقب بالقباب .

9) لم يذكر مؤلف **طلعة المشترى** منها (ص. 151) سوى 19 بيتا وقف عليها فقط .

10) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 88 ، ج أول مجموع .

ما شئت من أدب غض يروق ومـــن نظم زرى بابن أوس وابن حمديس

أزرت جواهرهــا بمــا تضمنــه قلائـــد الفتـــح من شعر وتجنيس

أبرزهـــا فكـــر مولانـــا وعالمنـــا قاضى القضاة ونبراس النباريـــس

من لم يزل فى ظلام الجهل صارمـــه العلمى يردى أخا بغى وتدريـــس

ود الحريـــرى لو يعطى بلاغتـــه وابن الخطيب كما ود ابن طـــاووس

ياليته خط لـــى سطرا يســـر بـــه قلبى وأرجو به سكنى الفراديس(11)

---

11) أ. الناصرى ، طلعة المشترى ، 2 : 150 .

العصر الثاني

(1823 — 1757 = 1238 — 1171)

أ ــ الحيـــاة السيـاسيـــة :

تركنا المغرب من الناحية السياسية يعيش سنوات الاضطراب الثلاثين (1139 — 1171) ، وقد اعتلى العرش أثناءها عدة مرات سبعة مـــن الملوك غدوا ألعوبة فى يد قبائل (الجيش) تارة ، وفى يد عبيد البخارى تارة اخرى . تلك كانت فترة اضطرابات . « يشيب لهولها الولدان » ، حسب عبارة بعض المؤرخين .

واثرت هذه الازمة ايضا فى الحالة الاقتصادية للبلاد ، لان بيت المال كاد أن يصبح فارغا ، وافتقدت الحبوب الرئيسية من الاسواق أو بيعت فيها بأثمان فاحشة . غير ان الحياة الفكرية ــ لحسن الحظ ــ تابعت مسيرتها رغم هذه الظروف الصعبة ، فرأينا كيف امكن لمولاى عبد الله أن يتمم بعض اعمال أبيه فى هذا المضمار . ومن جهة اخرى ، فان وجود كتاب لامعين ، من امثال محمد بن المكى ابن ناصر (1) ، ومحمد بن الطيب الشرقى (2) ، ومحمد ابن عبد السلام بنانى (3) ، وعبد الوهاب أدراق (4) ، ومحمد الافرانى (5) ، بل وحتى امرأة شهيرة هى خناثة بنت بكار (6) ، يدل على ان الحركة الثقافية لم يعترها بطء او خمـــول .

---

1) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 265 — 267 .
2) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 258 — 264 .
3) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 253 — 256 .
4) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 239 — 242 .
5) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 229 — 236 .
6) انظر ترجمته فيما سبق ، ص. 243 — 245 .

ستعقب هذه الازمة الطويلة فترة استقرار ودعة ، بفضل مليكين عظيمين همـا : سيدى محمد بن عبد الله ومولاى سليمان ، اذ كان كل منهما عالما متضلعا ، ومؤلفا لعدة كتب ، ويمثل عصرهما اوج عهود الثقافة ، لكننـا سندرس اولا الحياة السياسيـة .

1 — سيـدى محمـد بـن عبـد اللـه

(1789 — 1757 = 1204 — 1171)

ا — ملكـــــه :

برهن هذا العاهل عن مقدرة وكفاية ، قبل وفاة والده ومبايعته بالخلافة، ايام كان نائبا عن والده فى جنوب المغرب . فقد مهد بلاد مراكش وآسفى ، ثم عين قائدا عاما للجيش ، فأخذ على عاتقه اقرار السلام فى سهول سوس وجبالها . ولما اعتلى العرش ، تابع عمله فى اخماد الفتن ونشر الامـن والطمأنينة داخل البلاد ، وفى تحرير بعض الثغور المحتلة . فطرد البرتغاليين من الجديدة يوم ثانى ذى القعدة عام 1182 = 28 فبراير 1769 (7) ، وحصن بعض المراسى كآسفى ، واسس اخرى كالصويرة وفضالة ، وجدد ميناء آنفا (الدار البيضاء) . غير انه لم يتمكن من استرجاع مليلية وسبتـة من يد الاسبانيين ، وربط علاقات ودية مع عدة اقطار فى اوربا والشـرق الاوسـط .

ب — اعمـالـه :

كان سيدى محمد بن عبد الله مولعا بالبناء والتشييد كجده مولاى

---

7) هذا التاريخ العجمى الموافق ليوم فتح الجديدة قدمه ا. الناصرى فى **الاستقصا** ، 8 : 37 ، غير أن جداول موافقة التأريخين الهجرى والميلادى تجعل الفتح موافقا لعاشر مارس من نفس السنـة .

اسماعيل ، فشيد صروحا عدة ، وكون جيشا عظيما ، ونظم الجبايات ، وضرب سكة سليمة .

جـ — منجزاته فى الميدان الثقافى :

قد يطول بنا الحديث لو حاولنا ذكر كل ما جدد او شيد هذا الملك العظيم من مساجد ومدارس فى جميع المدن المغربية ، لانها تعد بالمآت . ونكتفى بالقول ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، بأن الثقافة بلغت غاية الازدهار فى عهده ما دام هو نفسه عالما كبيرا (8) يشجع العلماء على تحصيل المعارف وتأليف الكتب . وهكذا أمر ثلاثة من أكابر الفقهاء بشرح **مشارق الانوار** للامام ابى الفضل الحسن الصغانى (ت. 650 = 1252) ، الثلث لكل واحد منهم . فكان الثلث الاول من نصيب الشيخ التاودى ابن سودة (9) ، والثانى للشيخ عبد القادر بوخريص (10) ، والثالث للشيخ ادريس العراقى (11) . ولما توفى هذا الاخير قبل اتمام نصيبه من الشرح المذكور ، اتمه ابنه عبد الله (12) بأمر من السلطان .

ان سيدى محمد بن عبد الله هو أول من نظم العدلية ، ووضع برنامجا دارسيا لجامعة القرويين ، بمنشوره المؤرخ بعام 1203 = 1788 والذى نقتطف من فصله الثالث ما يلى : « امرنا المدرسين فى مساجد فاس الا

---

8) نذكر من مؤلفاته :
أ — **الفتوحات الالهية ، فى احاديث خير البرية** .
ب — **الجامع الصحيح الاسانيد ، المستخرج من عدة مسانيد** .
ج — **مواهب المنان ، بما يتكاد على المعلمين تعليمه للصبيان** .
د — **رسالة فى منهج التعليم** .
هـ — **رسالة فى اختياراته المذهبية** .
و — **ترويح القلوب** .
كل هذه الكتب فى الحديث والفقه ، الا الاخير فقد جمع فيه ما استحسن من القصائد الشعرية .

9) انظر ترجمته فيما يأتى ، ص. 322 — 328 .
10) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 146 وهامش رقم 6
11) انظر ترجمته فيما يأتى ، ص . 295 — 297 .
12) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 13 .

يدرسوا الا كتاب الله تعالى بتفسيره ، وكتاب **دلائل الخيرات** والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها ، و**البخارى ومسلما** وغيرهما من الكتب الصحاح ، ومن كتب الفقه **المدونة** ، و**البيان والتحصيل** ، و**مقدمة ابن رشد** ، و**الجواهر** لابن شاس ، و**النوادر** ، و**الرسالة** لابن أبى زيد ، وغير ذلك من كتب الاقدمين . ومن اراد تدريس **مختصر** خليل ، فانما يدرسه **بشرح** بهرام الكبير ، والمواق ، والحطاب ، والشيخ على الاجهورى ، والخرشى الكبير ، لا غير · فهذه الشروح الخمسة بها يدرس **خليل** مقصورا عليها وفيها له كفاية · وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس بـه . . . » (13) ·

وبعد ذلك تأتى لائحة الكتب الموصى بقراءتها فى مختلف الفنون .

« وكذلك قراءة **سيرة المصطفى** صلى الله عليه وسلم كالكلاعى وابن سيد الناس اليعمرى · وكذا كتب النحو **كالتسهيل والالفية** وغيرهما من كتب هذا الفن **والبيان بالايضاح والمطول** · وكتب التصريف . **وديوان** الشعراء الست **ومقامات الحريرى والقاموس ، ولسان العرب** ، وأمثالها مما يعين على فهم كلام العرب لانها وسيلة الى فهم كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وناهيك بها نتيجة · ومن أراد علم الكلام **فعقيدة** ابن أبى زيد رضى الله عنه كافية شافية يستغنى بها جميع المسلمين . . . » (13) ·

ولم يكتف سيدى محمد بن عبد الله بالتوجه الى علماء مملكته ، وانما كتب أيضا الى علماء مصر يطلعهم على الاجراءات التى اتخذها فى ميدان التعليم ، طالبا أن يدلوا برأيهم فى الموضوع : « . . . نريد منكم ان تطالعوا مسائل أخر مؤكدة فى هذا الدفتر يمنته ، قد أمرنا قضاة المغرب أن يحكموا بها فما كان منها على صواب أثبتوه واكتبوا عليه بخطوط أيديكم ، وما كان منها

---

13) ع. ابن زيدان **احياء العلوم** ، فى **مجلة المغرب** ، السنة 5 ، نونبر — دجنبر 1936 ، ص. 8 .

على خطأ فاكتبوا عليه أيضا بخطوط أيديكم فى الدفتر المذكور لنرجع عنـــه ، ووجهوا لنا الكناش بعينه وعليه خطوط أيديكم » (14) .

هذه الاحتياطات التى اتخذها سيدى محمد بن عبد الله تظهر الـــى اى حد كان مدققا ومهتما بالبحث عن الحقيقة ، متمنيا كذلك أن يرى وحـــدة النظر على صعيد القضاء تتحقق فى العالم الاسلامى . وباعتباره محافظـــا متشددا فى أمور الدين ، شن حملة شعواء على البدع ، داعيا بدون انقطاع الى الرجوع الى السنة ، والتقيد بمبادىء الاسلام الحق . وناصر علانية مذهب السلفية ، وتغلب على الفرق الضالة القليلة التى كانت تحاول التسرب الى المغرب ، كالعكاكزة (15) واتباع أحمد بن يوسف المليانى (16) .

وحصر دراسة العلوم الشرعية فى القرآن والسنة ، والمناقشة فـــى توضيح المتن وصحة الحديث المروى ، مبعدا بذلك كل جدل منطقـــى أو عقدى ، لانه كما قال : « انما يتعاطاها الذين يجهلون أنهم يجهلون » (17) ، كما لا ينبغى — فى نظره — أن يقرأ علم الاصول « لانه أمر قد فرغ منه ، ودواوين الفقه قد دونت ولم يبق اجتهاد ، والطلبة الموجودون فى الوقت ، كل من أراد منهم أن يتعاطى علم الاصول ، فانى اقول فيه : أراد أن يتزبب قبل أن يتحصـــرم . . . » (17) . « ومن ترك الشراح المذكورين واشتغل بدرس الزرقانى وأمثاله من شراح خليل ، فانه يكون كمن اهراق الماء واتبـــع السـراب » (17) .

لم يكن سيدى محمد بن عبد الله يفرق بين أى من المذاهب الاربعة . فكان يصرح فى كتاباته انه مالكى المذهب حنبلى العقيدة ، الا انه نبذ الاشعرية

---

14) **المصدر السابق** ، ص. 9.

15) انظر ح. اليوسى ، **محاضرات** ، ص. 145 ، والرسالة التى كتبها نفس المؤلف عن هذه الفرقة الضالة (مخطوطة رقم 1224 ك ، ص. 167 — 187) .

16) انظر م. المهدى الفاسى ، **ممتع الاسماع** ، ص. 30، وما بعدها .

17) مقتطفات من المرسوم المتلعق باصلاح التعليم المشار اليه سابقا .

المنتشرة آنذاك فى المغرب ، بسبب المجادلات العقدية التى يحتوى عليها هذا المذهب والتى يعتبرها الملك بدعة مستقبحة فى الدين . لذلك نراه يامر فقهاء عصره بالتزام هذه التعليمات ، ويعقد معهم اجتماعات متعددة تخصص للمباحثات والمناقشات الفقهية . وكثيرا ما كانت هذه الاجتماعات تعقد بمدينة مراكش بعد كل صلاة جمعة ، وتضم جهابذة العلماء من أمثال عبد الرحمن المنجرة (18) ، ومحمد التاودى ابن سودة الفاسيين ، وأحمد بن عثمان المكناسى ، ومحمد بن عثمان الشريف التادلى ، والشيخ الطاهر السلاوى .

كانت هناك طبقة اخرى من الكتاب فى بلاط سيدى محمد بن عبد الله مكلفة بتدوين التوجيهات الملكية والسهر على تطبيقها ، من بينهم محمد بن عبد الله الغربى ، ومحمد ابن المير السلاوى ، ومحمد الكامل الرشيدى ، وعبد الرحمن بوخريص ، وابن عمرو الرباطى (19) ، وعبد الرحمن المنجرة المذكور آنفا ، ومحمد بن عبد الصادق ، وعلى بن أويس الفيلالى ، وعبد السلام بن أبى عزة حركات السلاوى . وتدل القصة التالية على ما كان لهذا الملك من تقدير للعلم والعلماء : « كان أبو الفيض حمدون ابن الحاج السلمى (20) يوما فى مجلسه الشريف مع جماعة من العلماء الملازمين لحضرته سنة 1199 . فأديرت عليهم كؤوس الاتاى ، وكان اسم الوصيف الذى يديرها ميمونا . فناول الكأس للسلطان ، وكان على اليسار فقال له : اذن يقول السيد حمدون :

صددت الكأس يا ميمون عنا وكان الكاس مجراها اليمينا

---

18) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص. 286 — 287 .
19) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص. 384 — 388 .
20) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص. 352 — 356 .

فقال السيد حمدون : نعم ، وازيد عليه :

ولم تعمل بحكم الشرع فينا كما جلاه خير المرسلينا
رسول الله فيما صح عنه من انه قال : ناولها اليمينا (21)

2 — مولاى اليزيد

(1792 — 1789 = 1206 — 1204)

لم تكن المدة القصيرة لهذا الملك سوى فاصل ملىء بالاحداث السيئة : قنبلة مدينة طنجة من طرف الاسبانيين ، ثوارت وقمع فى جنوب البلاد ، اخفاق محاولة استرجاع سبتة . على ان مولاى اليزيد لقى حتفه وهو يحارب اخاه مولاى هشام الذى كان ينازعه ملك والدهما سيدى محمد بن عبد الله .

3 — مولاى سليمان

(1823 — 1792 = 1238 — 1206)

أ — ملكه :

قبل أن تكون لمولاى سليمان السلطة الكاملة ، كان عليه أن يحارب أخويه مولاى هشام فى الجنوب ومولاى مسلمة فى الشمال . وقد امكنه فى الاخير أن يتخلص منهما ، لكنه قضى أيامه كلها فى تمهيد البلاد ومحاربة برابرة الاطلس المتوسط الملتفين حول ابى بكر امهاوش . وقبل أن يفاجئه الموت بمراكش ، كان قد عين ابن عمه عبد الرحمن هشام نائبا عنه فى فاس ، فخلفه على العرش .

---

(21) ع. ابن زيدان ، **احياء العلوم** ، **مجلة المغرب** المشار اليها سابقا ، ، ص. 9.

ب ـ منجزاتـــه فى الميدان الثقافـــى :

لما كان مولاى سليمان عالما (22) قبل أن يكون ملكا ، فانه عمل بالخصوص فى الميدان الثقافى . زار مرات عديدة جامعة القرويين ، وحضر مجالس اعلامها وناقشهم فى أعوص المسائل ، محاولا ايجاد الحلول المناسبة لها . وكان يزور الفقهاء بنفسه فى تواضع كامل ، متقصيا أخبارهم المادية واحوالهم الصحية . وهكذا ذهب لزيارة المحدث أبى زكرياء يحيى بن المهدى الشفشاونى (23) امام ضريح المولى ادريس ، وشيخ الجماعة بفاس التاودى ابن سودة ، وعاد عبد القادر ابن شقرون الفاسى (24) وهو على فراش الموت ، ثم حضر تشييع جنازته ، وساعد بنفسه على وضعه فى قبره ، ولم ينصرف الا بعد أن تمت عملية الدفن وسوى التراب على القبر . كما كان يحضر الحفلات التى تقام بمناسبة ختم الدروس العلمية ، ويختلط بجمهور الطلبة دون اية امتيازات رسميـــة . فنجده يوم 24 شعبان 1211 = 22 فبراير 1797 يحضر ختم شيخه الطيب ابن كيران (25) تفسير القرآن الكريم فى زاوية ابن رحمـــون (26) .

ومن اعتنـــاء مولاى سليمان بالعلم واهله « أن أبـــا العلاء ادريس البدراوى ، أمام القراء فى عصره ، نظم حقيقة الرَّوْم والاشمام فى أبيات ثلاثـــة ذكرهـــا فى **توضيحـــه** ، ونصهـــا :

ضممـــت لاشمـــام لتفعـــل مثلــــه

فضنـــت وجـــاءت فى القراءة بالاصل

---

22) انظر ترجمة هذا الملك العالم فيما ياتى ، ص . 360 ـ 367 .

23) انظر ترجمته عند ل. برونشـــال ، **شرفاء** ، ص . 147 ، وهامش رقم 4 .

24) انظر ترجمته فى **المصدر السابق** ، ص. 335 وهامش رقم 5 .

25) انظر ترجمته فيما ياتى ، ص . 345 ـ 346 .

26) توجد هذه الزاوية فى زقاق الحجر بفاس . انظر ر. لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، ص. 263 و 457 و 608 .

فرمــت باخفــاء لكى تدرك المنــى
فقالت : أشيخ الذكر فاقرأه بالوصل
فــان وقوفى يقتــل الصب حسنــه
فقلــت لها قفى فقد لذ لــى قتلــى

وعندما اطلع عليها السلطان المترجم امر له بجائزة قدرها مائــة مثقــــال » (27) .

وعندما اتم محمد الجريرى (28) شرحه على **قافية ابن الونان** (29) المعروفة باسم **الشمقمقيــة** واهداه الى مولاى سليمان ، اعطاه مبلغا مهما من المال مكافأة له على عمله الادبى . وقد أوقف هذا الملك العالم عددا من المخطوطات المهمة ، وخص مكتبة آسفى منها بعشرين كتابا . وهو ، وان لم يشيد مدارس مثلما فعل اسلافه ، فانه جدد عددا منها كالبوعنانيــة بفـــــاس .

ومن السمات المميزة لمولاى سليمان تصوفه وتعلقه المتين بالمبادىء الصحيحة للاسلام ، لذلك حارب بشدة جميع البدع المخالفة للسنة النبوية ، وكان أول من رحب بظهور الوهابية فى الجزيرة العربية ، وطبق فى المغرب بعض تعاليمها الصارمة ، فمنع زيارة القبور واقامة مواسم الصالحين (30) .

---

27) ع. ابن زيدان ، **احياء العلوم ، مجلة المغرب** المشار اليها سابقا ، ص. 10

28) أبو عبد الله الجريرى السلاوى (مات عام 1240 = 1824) أول شارح **للشمقمقية** لابن الونان انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 431 — 432 .

29) انظر ترجمته فيما يأتى ، ص . 297 — 304 .

30) كان لمولاى سليمان — كوالده — فقهاء يسهرون على تطبيق تعليماته من بينهم : ابــن شقرون الفاسى ، ومحمد بن عثمان المكناسى ، والطيب ابن كيران ، ومحمد الرهونى ، وحمدون ابن الحاج ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر .

ب ـ الحيـــاة الفكـريـــة

اذا كانت حركة نهضة الآداب والعلوم قد أمكنها أن تمتد طوال القرن الماضى بفضل جهود كل من السلطان مولاى الرشيد وأخيه مولاى اسماعيل ، فان هذه الفترة تشهد ازدهار هذه الآداب والعلوم . ولم يكن بالامكان أن يقع غير ذلك ما دام الملكان العظيمان فيها ، وهما سيدى محمد بن عبد الله وابنه مولاى سليمان ، عالمين كبيرين وكاتبين قديرين . ونظرا لتضلعهما فى العلوم الشرعية بصفة خاصة ، وميلهما الشديد الى طريق القوم ، فـــان أكثر ما كان يحظى بتشجيعاتهما من يسلكون هذين السبيلين . وقد رأينا فى القســم المتعلق بمنجزاتهما فى الميدان الثقافى ، المجهودات التى بذلاهــا فى هذا المضمار ، والوسائل المستعملة لتحقيق اهدافها ، مما يغنينـــا عن تكرار ما قيل . غير أننا نذكر بأن هذه العلوم نمت واتسعت ، وانجبت من فحول الاعلام أمثال المحدث الشهير ادريس العراقى المدعو « سيوطـــى زمـــانـــة » ، والصوفى اللامع المعطى بن الصالح الشرقى مؤلف الكتـــاب الضخـــم **ذخيرة الغنى والمحتاج** ، والفقهاء الكبار ابن كيران والرهونـــى وحمدون ابن الحـــاج (1) .

وحتى التأريخ والتراجم اللذان لم يكن لهما شأن يذكر أثناء القـــرن الماضى ، أخذا يسجلان فى هذه الفترة تقدما بينا مع محمد بن الطيب القادرى صاحب **نشـــر المثانى** الذى ترجم فيه لاعلام القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، والضعيف الرباطى ، وابى القاسم الزيانى المؤرخين المشهورين (2) .

كذلك فن الرحلات الذى بدأ يتطور على عهد السلطان مولاى اسماعيل،

---

1) ستأتى تراجم جميع هؤلاء الاعلام .

2) ذكرنا اسم أبى القاسم الزيانى هنا مع أنه معدود من مؤرخى العصر العلوى الثالث باعتبار تاريخ وفاته (بعد 1238 = 1823) ، لانه قضى أكثر أيام حياته الطويلة ــ نحو قرن من الزمن ــ فى خدمة الملوك الثلاثة لهذه الفترة الثانية .

بسبب ارساله السفراء الى اوربا ، قد ازدهر اكثر لهذا العهد . والواقع أن الملوك الثلاثة لم يألوا جهدا فى اقامة أحسن العلاقات مع الدول الغربية العظمى ، وحتى مع بعض دول الشرق الاوسط كتركيا والحجاز (3) .

ان الديبلوماسيين المنتدبين لدى مختلف رؤساء الدول كتبوا رحلات بأسلوب ادبى فائق . وما يتعلق منها بالبلاد الاوربية ، وهى ذات طابع ادبى صرف ، فانها على العموم محررة على نسق **رحلة** الوزير الغسانى كما سبقت الاشارة الى ذلك ، مثل **نتيجة الاجتهاد** ، لاحمد الغزال الذى أرسله لاول مرة السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى كارلوس الثانى ملك اسبانيا فى نهاية عام 1179 = 8 يونيه 1766 ، **والاكسير فى فكاك الاسير** ، لمحمد بن عثمان المكناسى الذى بعث به السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى الملك الاسبانى نفسه عام 1193 = 1779 .

أما الرحلات ذات الطابع الدينى ، والتى يقوم بها أصحابها لاداء فريضة الحج قبل كل شىء ، فانها أكثر موضوعية وحيوية . تنقل الاحداث بأمانة وأحيانا بطرف ودعابة ، الامر الذى يضفى عليها طابعا خاصا . وأشهر من يمثلون هذه الطبقة من الرحالة ابو القاسم الزيانى ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر ، وأحمد الفاسى (4) .

---

3) نذكر بأهم البعثات الديبلوماسية التى أرسلت فى هذه الفترة :
أ — أحمد الغزال ، ارسله سيدى محمد بن عبد الله الى كارلوس الثانى (آخر 1179 = 8 يونيه 1766) .
ب — أحمد الغزال أيضا ، أرسله سيدى محمد بن عبد الله الى الجزائر (1182 = 1768) .
ج — ابن عثمان المكناسى ، أرسله سيدى محمد بن عبد الله الى كارلوس الثانى (1193 = 1779) .
د — ابن عثمان ايضا ارسله نفس السلطان الى مالطا ونابلى (1196 = 1782) .
هـ — ابن عثمان أيضا ، أرسله نفس السلطان الى تركيا (1200 = 1786) .
و — الزيانى ، أرسله نفس السلطان الى تركيا أيضا فى نفس السنة .
ز — الزيانى أيضا ، أرسله مولاى اليزيد الى كارلوس الرابع (1204 = 1790)

4) ستأتى تراجم جميع هؤلاء الاعلام .

واخيرا ، فان الادب بحصر المعنى أدرك أوج تفتحه ، سواء في ذلــك الادب الفصيح والملحون . وقد ازدهر هذا النوع الاخير على عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله الذى كان هو نفســه من شعرائه (5) .

وعاش فى هذه الفترة أكبر شعراء الملحون الذين عرفهم المغرب ، على حد تعبير م. الفاسى (6) ، وهو الشيخ الجيلالى مثيرد مخترع أكثر البحور التى تتكون منها « ميازين » هذا الفن الشعبى ، وناظم أحسن القطع بالهام فائق ، مثــل قصائد الفصادة ، والبحــر ، والدربلة (أو المرســول أو المرشوش) ، وفاطمة (7) . ويكاد يكون سائر شعراء الملحون مــــن المقلدين له والمحتذين حذوه ، مثل ابن على الشريف (ت 1237 = 1822) ، وابن سليمان ، والبغدادى مؤلف « الحراز » المشهور ، والعميرى (8) . وهناك شاعر آخر ، لا يقل شهرة عن الجيلالى مثيرد ، هو سيدى قدور العلمى الذى خصصنا له ترجمة فيما يأتى وهو ، وان توفى بعد هذه الفترة بثمانية وعشرين عاما عن سن عالية ، فانه فى الواقع عاصر مولاى سليمان وسيدى محمد بن عبــد الرحمــن .

أما الادب الفصيح فيشتمل على آثار ذات طابع أدبى صرف ، ولو أن الموضوعات التى تعالجها تأتى فى نطاق الدين أو التصوف . وبخصوص الشعر ، هناك قصيدتان سارت بذكرهما الركبان فى كل أرجاء المغرب وبعض جهات الشرق العربى ، وأعنى بهما **شمقمقيــة** ابن الونان ، **وقافية** ابن عمرو الرباطى (9) . على أنهما لا تمتازان بغير استعمال الكلمات الغريبة الرنانة ،

---

5) انظر م. الفاسى ، **الادب الشعبى** « الملحون » ، فى مجلة **البحث العلمى** ، العــدد الاول ، ص. 58 .

6) **المصدر السابق** ، فى نفس الصفحة .

7) **نفس المصــدر** ، ص. 59 — 60 .

8) **المصــدر السابــق** ، ص. 60 .

9) ستأتى ترجمة هذين الشاعرين .

وتضمين الحكم والامثال المقتبسة من عصرى الجاهلية والاسلام . لكن صوغ هذه الافكار بالذات فى قوالب يسهل استذكارها ، هو الذى أعطى القصيدتين تلك الشهرة الذائعة .

واذا انظرنا الى النثر فى هذا العصر وجدناه — كالشعر — قد اكتسى طابع التصوف ، كما تشهد بذلك المؤلفات العديدة . وحتى لا نضرب الا مثلا واحدا ، نشير الى أن أبا مدين الفاسى ، وهو من أكبر كتاب العصر ، ترك ثلاثة كتب شهيرة تتسم كلها بهذا الطابع وهى : **المحكم فى الامثال والحكم** ، **وتحفة الاريب ونزهة اللبيب** ، **ومجموع الظرف وجميع الطرف** .

ويعتبر هذا الاتجاه الرامى الى الاستفادة من الامثال والحكم قصد استخراج قواعد السلوك فى طريق القوم الميزة الرئيسية للعصر .

جـ — الرجال وآثارهم

أحمد الهلالى السجلماسى (10)

(1761 — 1701 = 1175 — 1113)

هو أحد الفقهاء الاعلام والمشاركين النابهين . اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن رشيد بن محمد بن عبد العزيز بن على بن محمد ابن أبى اسحاق ابراهيم ابن هلال السجلماسى . ولد بسجلماسة عام

---

10) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 316 — 317 واورد مراجع ترجمته ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 127 — 128 ، ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 456 ، **والملحق** ، 2 : 390 ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 421 — 423 ، مخلوف ، **شجرة النور** ، 355 ، ع . العياشى ، **الاحياء** ، 347 ، 350 م. السوسى ، **المعسول** ، 4 : 32 ، 52 ، ع. الدمناتى ، **فهرست** ، مجموع ك. 1254 فى الاخير ، ح. الفيلالى ، **المقتبس الاسمى** ، مجموع ك. 855 ص. 1 — 10 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 123 ، رقم 790 .

1113 = 1701 ومـــات بمدغرة تافيلالت يوم الواحد والعشرين من ربيـــع الاول عام 1175 = 20 اكتوبر 1761 .

تتلمذ الهلالى فى مسقط راسه على احمد الحبيب اللمطى ، وحضر فـــى فاس مجالس احمد بن المبارك السجلماسى ، ومحمد الكندوز ، ومحمد الكبير السرغينى ، قبل أن يستقر فى تافيلالت ويتفرغ للتدريس بها . وقـــد حج مرتين اجازه اثناءهما علمـــاء مشارقة ، من بينهم محمد الحفنـــاوى المصـــــرى (11) .

وتخرج على يد الهلالى عدد من الطلبة لمعت أسماؤهم فيمـــا بعـــد ، كمحمد بن الطيب القادرى (12) . ويروى أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله لما بويع بالخلافة سأل ابا حفص الفاسى (12) عن أكابر علماء العصر فأجابه : « الاحمدون الثلاثة » ، يقصد بالاضافة الى مترجمنا احمد بن عبد الله الغربى الرباطى (13) ، واحمد بن محمد الورزازى التطوانى (14) . وقد ايد هذه الشهادة علماء آخرون كانوا حاضرين بالمجلس من بينهم محمد التـــاودى ابـــن ســـــودة .

الف أحمد الهلالى كتبـــا عديدة نظما ونثرا يمكن ترتيبها هكذا :

1 ـ فـــى الفقــه والقــواعــد :

1 ـ **نــور البصر ، فى شرح المختصر** (15) ، لــم يتــم .

---

11) انظر ترجمته عند ل. بروفنســال ، **شرفاء** ، ص. 317 وهامش 4 .

12) ستأتى ترجمة هذين العالمين .

13) انظر ترجمة هذا العالم المتوفى عام 1178 = 1764 ـ 1765 عند ع. الكتانـــــى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 80 ـ 82 ، مع المراجع التى ذكرها لترجمته .

14) ترجم له م. داوود ، **تاريخ تطوان** ، 3 : 85 ـ 92 ، مع ما ذكر من مراجع لترجمته . وكان الورزازى من أكابر علماء تطوان فى القرن الثانى عشر = 18 ، وألف فهرست مهمة. مات فى 18 ذى القعدة 1179 = 28 أبريل 1766 .

15) مخطوط عدد 381 .

2 ــ **المراهم ، في الدراهم** (16) .

3 ــ شرح **رجز عبد السلام القادري** على **مختصر السنوسي** (17)

4 ــ جواب سؤال عن **الاستثناء في كلمة الشهادة** (18) .

ب ــ **في التصوف :**

1 ــ **قصيدة** في التوسل الى الله تعالى بأسمائه الحسنى (19) .

جـ ــ **في القراءات :**

1 ــ **عرف الند ، في حكم حذف المدة** (20) .

د ــ **في اللغة :**

1 ــ **فتح القدوس ، في شرح خطبة القاموس (21)**

2 ــ **اضاءة الادموس ، ورياضة الشموس ، من اصطلاح صاحب القاموس (22)** .

هـ ــ **في الادب :**

1 ــ **رحلة** .

2 ــ **ثلاث فهارس** : كبرى ، وصغرى ، ووسطى . وهذه الاخيرة هي اختصار الاولى .

---

16) مخطوط عدد 1081 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 11 ب الى ورقة 17 أ . **المراهم ، في أحكام فساد الدراهم** .

17) مخطوط عدد 362 د ، و 458 د ، و 467 د .

18) مخطوط عدد 1081 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 7 ب الى 11 أ .

19) مخطوط عدد 157 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 90 ب الى 91 . ومخطوط عدد 1608 ، ورقة 1 ب الى 3 أ .

20) مخطوط عدد 1371 د ، ضمن مجموع ، ورقة 296 أ الى 303 أ . ومخطوط عدد 1641 د، ورقة 33 أ الى 40 ب .

21) مخطوطات عدد 905 د ، و 1696 ك ، و 1703 ك .

22) مخطوط عدد 269 د .

3 ـ **قصيـــدة** فى مـــدح القاموس (23) ·

4 ـ **قصيـــدة** فى النصائح : امثال وافكار فلسفيـــة (24) ·

5 ـ شرح قصيدة عبد السلام القادرى فى المنطق سماه : **الظواهـــر الفقهيـــة ، على الجواهر المنطقية** (25) ·

6 ـ **أرجـــوزة** ، اجاب بها عن سؤال منظـــوم عمن يسكن بيـــت المـــدرســـــــــة (26) ·

هكذا يتبين من هذه القائمة أن لاحمد الهلالى انتاجا أدبيا لا يستهان به نظما ونثرا · ومن جهة أخرى فان قصيدة النصائح التى تحتوى علـــى مائة وتسعة وعشرين بيتا أدركت فى المغرب نفس الشهرة التى لقصيدة كعب ابن زهيـــر (بانت سعـــاد) ، ولامية العجم للطغرائى · وتبتدىء هكذا :

يـــا أيها الانسان هب من كـــراك	**واصح من السكر الذى قد اعتراك**
ان الرحيـــل يـــا أخـــى قريـــب	**وكلنـــــا مســـافـــر غـــريـــــب**
والمـــوت لا يمـــوتـــه غـــريـــب	**فكيـــــف لا يـــزود الاريـــــب**
فيالـــه مـــن سفر مـــا أطولـــه !	**ويـــا لـــه من هائل مـــا أهوله !**
كفـــى الحمام واعظـــا لمن عقـــل	**فانظر فكم من قاطن قد انتقل (27)**

ومن نافلة القول التذكر بأن العبارات التى استعملها الشاعر هنا هى عبارات صوفية تدعو الانسان الى التهيىء للحياة الاخرى بالقيام بواجباته فى الحياة الدنيا كالمسافر الذى يستعد للرحيل · وان موضوعات هذه القصيدة التى لا تسير حسب خطة مرسومة ، لتعطينا فكرة عن اتجاه الشاعر : اعتراف

---

23) مخطوط عدد 269 د .

24) مخطوط عدد 157 د .

25) مخطوط عدد 276 ك .

26) مخطوط عدد 194 د .

27) مخطوط عدد 157 د ، ورقة 90 أ .

بالخطايا ، وهلع من الموت ، وتمجيد للعلم ، ومحاربة النفس والقلب والبطن والبدع ، والحث على الصمت ، وحسن السلوك مع الناس .

محمـد الفاسـى (28)

(1765 — 1706 = 1179 — 1118)

ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن عبد القادر بن على بن يوسف الفهرى من اشهر افراد الاسرة الفاسية . ولد بفاس عام 1118 = 1706 ، ونشأ بها فى رعاية والده ، ثم تتلمذ على اكبر علماء المدينة الادريسية فى عصره ، كابن عم أبيه المؤرخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر ، والشيخ محمـد التمـاق ، واحمد الوجارى ، ومحمد المسناوى الدلائى ، ومحمد الكندوز ، ومحمد بن عبد الرحمن الدلائى ، واحمد ابن مبارك اللمطى ، ومحمد بن عبد السلام بنانى ، ومحمد ميارة الصغير (29) .

وشارك محمد الفاسى فى علوم كثيرة ، وامتاز فى الحساب ، والفرائض، والتأريخ ، وصناعة التوثيق ، والانساب . وكان حسن الخط حميد السيرة ، ولى الشهادة فى أحباس القرويين سنين عديدة قبل أن تسند اليه الخطابة بجامع الاندلس العتيق . وادركته الوفاة بفاس فى 20 ربيع الاول عـام 1179 = 6 شتنبر 1765 ، ودفن بضريح جده عبد القادر الفاسى بحـى القلقليين .

---

28) ترجم له ل . بروفنسال ،**شرفاء**، ص . 303 ، 318 ، 319 ، 335 ، واورد مراجع لترجمته ، س. العلوى ، عناية ، ص. 58 — 59 ، م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : 129 — 131 م . الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص . 536 — 537 ، ع . ابن سودة ، **دليل** ، — 31 ، 228 ، 252 ، و 2 : 384 ، 463 — 464 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 118 ، رقم 779 .

29) ستأتى تراجم هؤلاء الشيوخ ، الا محمد التماق ، وقد ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 318 ، هامش 7 ، ومحمد ميارة الصغير ، وترجم له أيضا ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 318 ، هامش 9 .

تكاد تكون جميع مؤلفات محمد الفاسى فى التراجم والانساب ، منها :

1 — شرح لم يكمل على **درة التيجان** ، وهى قصيدة لشيخه محمد بن عبـــد الرحمن الدلائى فى شرفـــاء فـــاس (30) .

2 — ترجمة مطولة لشيخه عبد السلام القادرى بعنوان : **المورد الهنـــى ، بأخبار الامام المولى عبد السلام الشريف القادرى الحسنى** (31) .

3 — **فهرست** للعلماء والمؤلفين المسلمين فى عصره ، لم يكمل ايضا ويعتبر الآن ضائعا بعنوان : **تأليف فى أعيان الاعيان الذين الفوا ، ومعهـــم أعيان المدرسين الذين لم يؤلفـــوا** (32) .

4 — **كناش فى شرفاء المغرب** ، كان يعتبر ضائعا ، ثم وقع العثور عليـــه (33) .

والف محمد الفاسى ايضا **شرحـــا لفقهيـــة** جـــد ابيه الشيخ عبـــد القـــادر الفاسى .

عبد الرحمن المنجرة الصغير (34)

(1766 — 1700 = 1179 — 1111)

أبو زيد عبد الرحمن بن ادريس بن محمد بن احمد الحسنى الادريسى . ينتمى الى أسرة ادريسية من تلمسان ، نال فردان منها بالمغرب شهـــرة

---

30) مخطوط عـــدد 143 ك .

31) يسمى ايضا **الروض الهنى** ، انظر م. القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : 129 ب .

32) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 252 — 253 نقلا عن م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقـــة 131 .

33) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 463 — 464 ، رقم 2155 و 2161 .

34) ترجم له ل. بروفنســال ، **شرفاء** ، ص. 318 ، هامش 2 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 9 ، أ. الفضيلى ، **الدرر البهيـــة** ، 2 : 181 ، ك. بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 698 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 289 .

دينية وادبيـــة : مترجمنـا وابوه ادريس (35) .

كان عبد الرحمن اماما فى القراءات . ولد بفاس عام 1111 = 1700 ، وتابع فيها دروس والده ثم دروس الشيخ المسناوى . ومات بفاس فـى خامس ذى الحجة عام 1179 = 15 ماى 1766 . ويمكن تصنيف مؤلفات المنجـرة الصغير الى ثلاثـة اصنـاف :

1 — **فهـرست** (36) ذكر فيها شيوخه وما قرا عليهم من فنون وكتب .

2 — حواش أو شـروح فى القـراءات :

أ — **حاشيـة** على شرح التونسى المعروف باسم **الطراز ، فى شرح ضبط الخراز** ، ويسمى ضبط ابى عبد الله الخراز **مورد الظمآن ، فـى رسم القـرآن** (37) .

ب — **حاشيـة** أخرى على شـرح **مورد الظمآن** لعبد الواحد بـن عاشـر الانصارى المسمى **فتح المنـان** (38) .

ج — **شرح دالية** ابى عبد اللـه محمد بـن المبارك السجلماسـى السرغينى بعنوان : **المقاصد النامية ، فى شرح الدالية** (39) .

3 — دراســات مختلفــة .

أ — **فتح الهادى ، على بعض ألفاظ نظم ابن غازى والمرادى** ، وهى تعاليق فـى النحـو .

---

35) انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، ص. 318 هامش 1 ، وما ذكر من مراجع ترجمته .

36) مخطوط عدد 2244 ك. وعنوانها : **الاسناد للشفيع يوم التنادى وبما حضر من الذخائر ، عند الانتقال من دار الكبائـر .**

37) مخطوط عدد 1532 د ضمن مجموع ، من ورقة 370 ا الى 377 ب .

38) مخطوط عدد 938 د ضمن مجموع ، من ورقة 54 ا الى 103 ب .

39) مخطوط عدد 379 د ضمن مجموع ، من ورقة 206 ب الى 245 ب .

40) ل. بروفنسال ، **المخطوطات العربية** ، ص. 86 ، رقم 261 و (2) .

المعطـــى الشرقـــى (42)

(ت 1180 = 1766)

محمد المعطى بن محمد الصالح بن محمد المعطى بن عبد الخالـــق بن عبد القادر بن محمد الشرقى (او الشرقاوى) ، صالح ذائع الصيت ، وعالم مشارك ، وأديب بــــارع . أصله من أبى الجعد فى تادلا ، حيـــث كان رئيس الطريقة الصوفية بهذه الناحية ومجدد زاوية جـــده فيها .

وقد خصه كاتبه ومريده محمد بن عبد الكريم العبدونى (ت 1189 = 1775 ـــ 76) بترجمة حافلة ذكر معها أيضا تراجم أفراد الاسرة الشرقية فى كتاب ضخم بعنوان **يتيمة العقود الوسطى ، فى مناقب أبى عبد الله سيدى محمـــد المعطـــى** (43) .

كان مترجمنا ، حسب راى مؤلف **يتيمة العقود** ، ذا أحوال منذ صباه ، وكثيرا ما كان يعتريه الجذب ، وحكى عنه فى ذلك حكايات عجيبة تكاد تبلغ حد السحر (44) . كما كان متضلعا فى جميع العلوم تقريبا من نحو ، وعقائد ، وفقه . وقد قرأها على أبيه محمد الصالح، وعمه محمد المعطى، وعبد القادر بن أبى القاسم الزيزى ، وأصول ، وبيان ، ومنطق ، وقد قرأها على أحمـــد ابن زاكور الفاسى (45) ، وحديث ، وتفسير ، وسير ، وقد قرأها على أبى

---

42) ترجم له ل. بروفنســال ، **شرفاء** ، ص. 119 وهامش عدد 2 ، و ص. 330 مع هامـــش عدد 4 ، وذكر بعض مراجع ترجمته . كما ترجم له أيضا :
— م. ابن عبد الكريم العبدونى ، **يتيمة العقود الوسطى** .
— م. الكتانى ، **سلوة** ، 1 : 193 .
— م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 537 ؛
— ع. ابن ابراهيم المراكشى ، **الاعلام** ، 2 : 161 ، و 5 : 46 .

43) مخطوط عدد 305 ك ، فى 466 صفحة ، مبتور .

44) من ذلك كان يقهر الاسود ، ويرد الخرق الممزقة الى حالة الجدة . (**المصدر السابق** ، ص. 4 و 9) .

45) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 353 .

العافية الصومعى . واخذ الطب عن عبد القادر ابن شقرون المكناسى (46) .

غير ان شهرة المعطى الشرقى ترجع قبل كل شىء الى كتابه الضخم فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعنوان **ذخيرة الغنى والمحتاج ، فى صاحب اللواء والتاج** (47) . فى هذا الكتاب الذى يقع فى ستين جزءا ضخما ، ويمكن ان يخرج فى نحو مائة مجلد عادى ، يبرهن المؤلف عن اطلاع واسع فى الفقـه ، والتصوف ، واللغة ، والادب . ومما جاء فى المقدمة :

« لما وقفت على ما ورد فى شريف الذات المحمدية ، وحسن الاعضاء الطاهرة المنورة النقية ، من الاحاديث الصحيحة المروية ، والآثار المقبولة المرضية ، وما بها من المحاسن الجميلة البهية ، والفضائل والفواضل الجليلة السنية ، سرحت رائد فكرى فى رياض محاسنها الحسية والمعنوية ، وعالم سرى فى كنه حقيقتها المحمدية المصطفوية . فوجدت أزاهرها الغضة الندية لا يقتطف جناها الا الاولياء والصالحون ، ولا يحوم حول حماها الا الاقطاب الواصلون ، والكمل العارفون . فأحجمت نفسى هيبة لذلك المقام ، ووجمت اجلالا وتعظيما لجناب خاتم الانبياء وسيد الرسل الكرام ، فنادانى لسان الحال ، وباعث الاستشفاع والمقال : لذ أيها المذنب بملاذ الاعتصام ، وسيد الشفعـاء العظـام ! . . » (48) .

ونظرا لصفاء باطن الشيخ المعطى وسمو همته ، فانه أقبل علـى عمله الطويل الشاق ، وقضى حياته كلها فى التأليف ، يملى على تلميذه وكاتبه محمد بن عبد الكريم العبدونى المذكور آنفـا . وتنسب الى المترجم كتب أخرى ، الا أنها غير معروفـة (49) .

---

46) تقدمت ترجمته .

47) مخطوطات عدد 2757 ك ، و 2758 ك ، و 2759 ك ، و 2760 ك .

48) مخطوط عدد 2759 ك. ص. 1 — 2 .

49) انظر م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقة 131 ب .

ومات المعطى الشرقى فى العشر الاوائل من محرم عام 1180 = 9 ـ 18 يونيه 1766 ، ودفن فى داره بأبى الجعد قريبا من زاوية جده الشيخ محمـــد الشـــرقـــى .

أبـــو مديـــن الفاســـى (50)

(1768 — 1701 = 1181 — 1112)

هو اخو محمد بن احمد المتقدم وسميه ، محمد بن احمد بن محمد بن عبد القـــادر الفاسى . ويجب الا نخلط بين المترجم وابى مدين بن محمد الفاسى المتوفى فى وبـــاء عام 1089 = 1678 (51) .

كان المترجم فقيها متمكنا واديبا بارعا ولد بفاس عام 1112 = 1701 ، ونشأ بها فى رعاية والده ، وحفظ القرآن الكريم صغيرا ، وتعود احســـن العادات . واشتغل بطلب العلم ، فحضر دروس عم والده محمد بن عبـــد الرحمن بن عبد القادر ، آخذا عنه أصعب مبادىء العلوم الدينية . ثم اتصل بأكبر علماء عصره ، كالقاضى العربى بردلة ، والمسناوى الدلائى ، ومحمد العراقى الوجارى ، ومحمد بن عبد الرحمن الدلائى (52) ، آخذا عنهم علم الادب بالخصوص .

---

(50) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 319 وهامش 2 ، مع بعض مراجع ترجمتـــه . وترجم له ايضـــا :
- م. القادرى ، **النشر الكبير** ، ورقـــة 130 ا .
- م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 537 .
- ع. كنون ، **النبوغ** ، 2 : 37 — 39 .
- أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 81 .
- ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 2 : 609 ، **والملحق** ، 2 : 361 .
- مولاى سليمان العلوى ، **عناية** ، ص. 59 — 60 .
- ع . العياشى ، **الاحياء** ، ص . 347 — 349 .
- سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص. 345 .

(51) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 319 هامش 2 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

(52) تقدمت تراجم هؤلاء الشيوخ الا محمد العراقى ، فانظره عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 17

ولما تمكن من علوم الفقه والحديث والتفسير والتصوف والعقائد ، عين خطيبا واستاذا بجامعة القرويين حيث ظل فى منصبه هذا مدة طويلة . وكانت وفاته بفاس فى ثانى شعبان عام 1181 = 2 يناير 1768 . ودفن بضريح جده عبد القادر الفاسى بحى القلقليين .

من مؤلفاته :

ا – **كتب أدبية :**

1 – **المحكم ، فى الامثال والحكم** (53) .

2 – **تحفة الاريب ، ونزهة اللبيب** (54) ، الذى سنعطى عنه نظرة موجزة .

3– **مجموع الظرف ، وجامع الطرف** (55) ، الذى سنعطى ايضا نظرة موجزة عنه .

ب – **تآليف فى التصوف :**

4 – **شرح رائية الشريشى** (56) ، الذى سنتقدم عنه فيما يأتى نظرة موجزة ، ونذكر مقتطفات منه .

ج – **شروح واختصارات :**

---

53) هو الوحيد من بين مؤلفات أبى مدين الذى ذكره ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 319 هامش 2 ، نظرا لاهميته .

54) مخطوط عدد 590 د ، ضمن مجموع ، من ورقة 81 ب الى 144 ب . وقد طبع مختصر هذا الكتاب وترجم الى اللاتينية من طرف فرنسيس دو دمبى ، فيينا ، 1805 .
وتوجد نسخ أخرى لهذا الكتاب فى المخطوطات 875 و 978 و 1017 و 1021 و 1038 و 1401 و 1158 د .

55) مخطوط عدد 1717 ك .

56) مخطوط عدد 930 ك . ضمن مجموع ، من ص. 1 الى 69 . وعنوان القصيدة المشروحة : **انوار السرائر وسرائر الانوار** .

5 ــ **مستعذب الاخبار ، بأطيب الاخبار** (57) ، وهو شرح للرازى على **السيـــرة** .

6 ــ **شـــرح توحيـــد الرسالـــة** (58) .

7 ــ **الموارية الشافية ، فى شرح النصيحة الكافية** (59) ، وهو شرح لكتاب الشيخ زروق .

8 ــ **اختصـــار شرح النصيحة** (60) ، وهو اختصار للشرح السابق .

د ــ **ديـــوان شعـــر** (61) .

يتبين من هذا العرض ان تآليف ابى مدين تكاد تتصل كلها بالامثال والحكم التى كان شغوفا بها واقبل على دراستها فى سن مبكر ، كمـــا يتجلى نزوعه البين نحو التصوف . لذلك فان تحليلا سريعا لثلاثة من كتبه تظهر لنا ذات طابع خاص اكثر بصاحبها ، يمكن ان يوضح هذين الاتجاهين للكـــاتـــــب .

1 ــ تحفـــة الاريـــب ، ونزهـــة اللبيـــب :

بعد أن بين المؤلف ، فى شبه مقدمة ، أن الادب من أجل العلوم قدرا ، واجملها محاسن وذكرا ، اشار الى ان من ابدع الادب واعلاه ، واطيبـــه واحلاه ، ما أودع الاديب نثره او نظمه ، من مثل سائر او حكمة (62) . ثم انتقل الى مختلف انواع الادب ، مميزا من بينها ثلاثة :

---

57) مخطوط عدد 1149، ضمن مجموع، من ورقة 1 ب . الى 56 أ . ومخطوطان آخران : 1641 و 1663 د .

58) ذكره مولاى سليمان فى **عناية اولى المجد** ، ص. 60 .

59) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة + ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 361 .

60) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

61) **نفس المصدر** فى نفس الصفحـــة .

62) مخطوط عدد 590 د ، ورقة 82 أ .

1) الملكات الفطرية ، كالشجاعة والكرم .

2) والعلوم المكتسبة ، كاللغة والشعر والنحو والقصص .

3) وحفظ الحواس ، ومراعاة الانفاس . وقد أدرج الادب فى الصنف الثانى (63) ، وملأ سائر الكتاب بالامثال والحكم مرتبة على حروف المعجم ، موضحة من حين لآخر بحكايات ذات طابع اخلاقى . وهكذا فان المؤلف لـم يأت بشىء جديد ، وانما نقل معطيات مقررة سابقا .

2 ــ مجمـوع الظـرف ، وجامـع الطـرف :

هذا الكتاب ــ كما يدل عليه عنوانه ــ عبارة عن مجموعة من أحسن القصص واغرب النوادر ، يشتمل على الفصول العشرة التالية :

ا ــ فى أخبار الامراء والرؤساء والكبراء .

ب ــ فى الاقدام وفضله ، والجبن المزرى بأهله .

ج ــ فى الجود والانفاق ، والحلم الممدوح بكل الآفاق .

د ــ فى الذكاء وصدق الفراسة ، والحيل المأثورة عن ذوى السياسة .

هـ ــ فى الفصاحة والبلاغة فى الكلام ، وبعض ما للبلغاء فى ذلك الطـراز مـن نثـر ونظـام .

و ــ فيما يروق الانسان ، من أخبار الحسان .

ز ــ فى مكابدة الغرام ، وبعض اخبار أهله الكرام .

ح ــ فى الاجوبة المستظرفة ، والمراجعات المستظرفة .

ط ــ فى خبر بعض المجانين ، ومن فى مقامهم من البله والمغفلين .

ى ــ فى مسائل مؤتلفة ، وأخبار مختلفة (64) .

---

63) **المصدر السابق** ، ورقة 82 ب .

64) مخطوط عدد 1717 ك . ، ورقة 2 الى ورقة 93 .

3 ــ شــرح رائيـــة الشريشـــى :

قبل أن يدخل المؤلف فى الشرح بحصر المعنى ، عبر عن اعجابــه بقصيدة الشريشى ، ثم ذكر امتنانه فى عمله لشيخه عبد الله بن حمــزة العيـــاشى الذى نصحه بأن يستعين بشرح أبى العباس أحمد بن يوسف بن محمد الفاسى (65) . وبعد ذلك قدم لمحة عن هذا الشرح وترجمة الشاعر ، وذكر عنوان القصيدة وموضوعها ، وهذا مطلعها :

اذا ما بدا من باطــن حالة الزجر فما ذاك الا البــر من منح التبــر

ويتبع الشارح نفس الطريقة فى كل بيت من القصيدة ، يتحدث عنه من ناحية الاعراب واللغة ، ثم يذكر المعنى العام ، كما يتجلى فى النموذج التالى لشرح المطلـــع السابـــق :

« قوله بدا أى ظهر . وما زائدة . ومن فى كلامه يحتمل أنها بمعنى فى ، على حد قوله تعالى من يوم الجمعة . ويحتمل أنها على بابها من ابتداء الغاية ، ويكون انتهاؤها ظهور تلك الحالة على ظاهر العبد ، لان ظهور ذلك الزاجر لباطن العبد ما لم يظهر على ظاهره أثره من الانزجار والانكفاف لا عبرة بـــه . ولما لم يكن كلامه مع شخص معين ، قال من باطن بالتنكير ، أى من باطن البواطن . وحالة الزجر فاعل بدا . والزجر لغـــة : المنع والنهى ، وعنـــد القوم : حال يهبه الله تعالى ، ولابد من وجودها للتائب . ثم بعد الازدجار يجد حال الانتباه . . . ومعنى البيت أن الناظم رحمه الله يقول : اذا بدا وظهر للعبد من باطنه على ظاهره ، أو فى باطنه الذى هو خزانة من خزائن الملكوت ، حال النهى عن المخالفات ، والزجر عن المنهيات ، فما هو الا خير وعطية من واهب العطيات ، لان العبد ليس له فى ذلك كسب ولا تعمل ، وانما هى

---

65) انظر ترجمته عند ل. بروفنســال ، **شرفاء** ، ص. 243 ــ 244 ، مع مراجع ترجمته .

عناية من الحق سبحانه سبقت له ، ورحمة من الله غمرته وانسدلت عليه . فيعلم انه عبد منظور اليه متدارك ، حيث فض طابع قلبه ، وجعل فيه واعظ قائم وزاجر مؤيد . وفي الخبر : اذا أراد الله بعبد خيرا ، جعل له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه . » (66) .

هكذا نرى الشرح واضحا مشيرا الى مراجع غنية وبخاصة فى ميدان التصوف .

ادريس العراقي (67)

(1769 — 1705 = 1183 — 1120)

ابو العلاء ادريس بن محمد بن ادريس بن محمود بن عبد الرحمن العراقي الحسيني الفاسي ، أحد مشاهير المحدثين بالمغرب . ولد بفاس حوالى عام 1120 = 1705 ، كما صرح بذلك هو نفسه ، واشتغل بدراسة الحديث ، منذ بلغ الرابعة عشرة من عمره ، وقرأ من كتبه الكثير (68) . وقد أخذ ، بالاضافة الى والده محمد ، عن المسناوي الدلائي ، وابن زكرى ، وابى الحسن على الشدادى ، وميارة الصغير ، ومحمد الصغير الفاسي (69) ، وسائر كبار علماء عصره في كل من فاس ومكناس .

ولشدة تمكن ادريس العراقي في علم الحديث ، لقب « اسيوطي

---

66) مخطوط عدد 930 ك ص. 4 .

67) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 341 وهامش 3 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ،، ع . كنون ، **النبوغ** ، 1 : 278 — 279 و 293 ، م . القادرى ، **النشر الكبير** ، 2 : ورقة 282 أ — 283 ب ، ع. الكتاني ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 199 — 205 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، م. الطالب ابن الحاج ، **الانساب** ، ص. 9. عبد الواحد الفاسي ، **غاية الامنية** ، هنا وهناك ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 81 و 191 ، 2 : 319 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 124 ، رقم 793 .

68) انظر ع. الكتاني ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 199 .

69) تقدمت تراجم هؤلاء الشيوخ ، عدا محمد الصغير الفاسي ، فترجمته عند سليمان العلوى ، **عناية** ، ص. 85 .

زمانـــه » ، واعتبر أعلم من الحافظ ابن حجر . ومما يدل على براعته في هذا الفن ، أنه كان ذات يوم يقرأ **كبرى السنوسي** على شيخه احمد ابن مبارك اللمطي ، فسأله الشيخ عن عدد رواة حديث معين ، فعد منهم على البديهة ستة ، بينما لم يذكر ابن حجر الا اثنين منهم . وقد استدرك ادريس العراقي، بخط يمينه على هامش **الجامع الكبير** ، نحو عشرة آلاف حديث اغفلهـــا مؤلفه السيوطي . واعترف له بالتفـــوق جميع معاصريه ، حتى المفتـــي الكبير الشيخ التاودي ابن سودة أقر بسداد رأيه وقوة ملكته ، بعد مناقشة فقهيـــة جرت بينهمـــا .

ألف العراقي كتبا عديدة كلها في الفقه والحديث ، الا واحدا في نسبه الشريف سمـــاه **تأليف في نسبي** (70) ، وهي عبارة عن شـــروح وحواشي واختصــــارات .

وهـــي : (71)

أ ــ **شـــرح شمائـــل الترمـــذي** (72) .

ــ شرح الثلث الاخير من **مشارق الصغانـــي** .

ــ شرح **احياء الميت للسيوطـــي** (73) .

ــ شرح ربع **مجمع البحريـــن** للصغانـــي .

ــ شرح المائة حديث الاولى من **الجامع الصغير** .

ب ــ حاشية علـــى **تفسيـــر الثعلبـــي** .

---

70) انظر ع. ابن سودة ، **دليـــل** ، 1 : 81 .

71) التآليف التاليـــة كلها واردة عند م. القادري ، **النشر الكبيـــر** ، 2 : 281 ــ 282 ، ونقلها عنه ع. الكتاني في فهرس الفهارس .

72 ــ 73) مخطوطـــان عدد 1438 ك و 1373 ك .

ـ حاشية على كتاب **الرقائق** للحضرمـــى .

ج ـ اختصـــار **الكامـــل** لابـــن عـــدى .

ـ اختصـــار **تاريـــخ الخطيـــب** .

د ـ **تخريـــج احاديث الشهاب القضاعـــى** .

ـ تكميل **مناهل الصفـــا** ، فى تخريج أحاديث **الشفـــا** .

ـ **الدرر اللوامع** ، فى الكلام على أحاديث **جمع الجوامع** .

ـ **فتح البصير** ، فى التعريف بالرجال المخرج لهم فى **الجامع الكبير** .

ـ **نبـــدة يسيرة ، فى احاديث البسملة والحمدلـــة** (74) .

ـ **رفـــع الالتبـــاس** ، فيما ورد فى القيام للنـــاس (75) .

هـ ـ **فهرست** مستخرجة من كتابه **فتح البصير** ، أثبت فيها أسماء شيوخه وما قرأ عليهم من كتب ، واجازاته لتلاميذه . ومن الغريب أن هذه الاجازات لا تتعلق الا بالطلبة البدويين ، وكأن طلبة الحاضرة لا حاجة لهم بها لوجودهم فى المدينـــة .

وقد مات ادريس العراقى بفاس فى شهر شعبان عام 1183 = نونبر ـ دجنبر 1769 ، ودفن بضريح مولاى احمد الصقلـــى .

---

(74) مخطوط عدد 1419 د ، ضمن مجموع ، ورقة 9 ب ـ 11 أ .

(75) مخطوط عدد 1373 ك ، ضمن مجمـــوع .

ابن الونان (1)

(ت 1187 = 1773)

ابو العباس أحمد بن محمد الونان الحميرى التواتى الفاسى ، صاحب قصيدة **الشمقمقية** المشهورة · لا نعرف شيئا كثيرا عن حياة هذا الشاعر ، اذ نجهل تاريخ ولادته ، ولم نعثر على تأريخ وفاته الا عرضا (2) . وكل ما نعرف أنه عربى الاصل ، ينتمى الى حمير عن طريق أجداده بنى معقل . وكان هؤلاء قد استولوا على توات ، وتغلبوا فيها على الزناتيين . فدعى لذلك التواتى ، كما يبدو من نسبته الى فاس أنه ولد بهـــا .

لن يفتأ ابن الونان يفخر بنبل محتده هذا فيقـــول :

ســـل ابن خلدون علينـــا فانـــــا	**بيمـــن مـــآثـــــر لـــم تمحـــــق**
وســـل سليمان الكلاعى كــم لنا	**مـــن خبـــر بخيبـــــر وخنـــــدق**
ويـــوم بـــــدر وحنـــين وتبـــــو	**ك والسويـــق وبنـــى المصطلـــق**
بهـــم فخـــرت ثـــم زاد مفخـــرى	**بأدبـــى الفض وحســـن منطقـــى**

يتصل أجداد ابن الونان بقبائل مذحج عن طريق كهلان . وقد اثبت ابن خلدون اتصال مذحج بمعقل ، لذلك أحال الشاعر على **كتاب العبـــر** ، استدلالا على أرومته العربية الاصلية · وكان أبوه محمد شاعرا رقيقا

---

1) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 150 هامش 210 ، و ص.353 هامـــش 2 ، و ص 404 ، وذكر بعض مراجع ترجمته ، كما ترجم له م . الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 537 أ ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 316 و 2 : 170 ــ 182 ، أ. النميشـــى ، **تاريخ الشعـــر** ، ص. 82 ، السائح ، **المنتخبات** ، ص. 81 ــ 83 ، ع. ابن زيـــدان **انحاف** ، 3 : 344 ــ 347 ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 706 ، أ. الرجراجـــى ، **الشموس المنيرة** ، ص. 18 ــ 22 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 261 و 2 : 408 ، 431 .

2) انظر أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 83 ، ع . كنون ، **شرح الشمقمقية** ، ص 6 .

مقربا الى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، فدعاه لخفة روحه « أبـــا الشمقمق » ، وظل هذا اللقب عالقا به طول حياته . ثم ورثه عنه ابنه أحمد الذى استعمله فى قصيدته هـــذه .

ولما نظم ابن الونان **شمقمقيته** العصماء ، حاول دون جدوى الاتصال بالسلطان ، فترصد له ذات يوم لدى مرور الموكب ، وصعد فوق ربوة ، ونادى بأعلى صوتـــه :

يـــا سيـدى سبـط النبـــى أبـــو الشمقمـــق أبـــى

فتعرف عليه السلطان فى الحين ، وصحبه معه الى القصر .

واذا تركنا **الشمقمقية** جانبا ، فان لابن الونان ، ولا شك ، قصائـــد اخرى نظرا لمقدرته الفائقة فى ميدان قرض الشعر . غير أن معظم انتاجه قد ضاع ، ولم يبق منه الا نبذ يسيرة ، ومقتطعات مبعثرة هنا وهناك ، نذكـــر منهــــــا :

1 ــ **قطعـــة شعريـــة** فى مدح السلطان سيدى محمد بن عبد الله (3) .

2 ــ **رسالـــة مسجعـــة** بعث بها الى الشيخ المعطى بن الصالح الشرقى ، مختومـــة بأبيات شعرية فى مدح هذا الشيـــخ (4) .

3 ــ **أرجـــوزة** نظم فيها مسائل ابن خميس (5) .

---

3) انظر ع. كنون ، **شرح الشمقمقية** ، ص. 7. وذكر الجريرى فى **شرحه** أن ابن الونان نظـــم قصيدتين فى مدح السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، احداهما دالية طويلة من بحـــر البسيط ، هنأه فيها بانتصاره على البرتغاليين ، بعد أن طردهم من ثغر الجديدة ، والثانية حائية قصيرة من بحر الطويل ، تلد فيها قصيدة عوف بن محلم فى مدح عبد الله بن طاهر. انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 346 .

4) انظر ع. كنون ، **شرح الشمقمقية** ، ص. 8. وقد رفض فى أحد أبياتها قبول حظه مـــن الزكــــاة .

5) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة . وهذه الارجوزة أحسن شىء فى بابها ، حســـب رأى بعض النقاد ، وقد أدرجها ع. كنون فى **أراجيز البلاغة** .

اما البيتان اللذان اوردهما له النميشى — خطأ — فى **تاريخ الشعر** ، فقد نسبهما لغيره ، منذ قرون سابقة ، كل من الصفدى (ت 1362 م) ، والافرانى (ت 1740 م) .

غير أن شهرة ابن الونان التى « تجاوزت حدود المغرب ، حيث خصص له الأدب شيخو فى **المشرق** ترجمة موجزة ، وأورد له اربع مقتطفات من شعره » (6) ، انما ترجع الى قصيدته **الشمقمقية** الذائعة الصيت . وطالما تساءل الناس عن أسباب الشهرة لهذه القصيدة ، مع انها فى الواقع ليست سوى تقليد عادى للشعر الجاهلى ، لا تزيد على ذكر الاطلال والدمن ، وترديد العبارات الواردة فيها ، فكانت لذلك عديمة الذاتية والاصالة .

لكن **الشمقمقية** نظمت فى عصر كان الادب العربى فى المشرق ما يزال ضعيفا يتخبط فى عصور الانحطاط ، الامر الذى جعل لها شهرة واسعة . فمقطع (مـق مـق) المكرر يرن فيها بشكل غريب ، وكذلك سائر قوافى القصيدة . وتضاف الى هذه الغرابة الصوتية ، أساليب ادبية أخرى ، من توالى بعض المفردات المتناسقة النبرات ، الى استعمال كلمات غريبة مهجورة ، واستخدام الجناس . وهذه امثلة من ذلك :

1 — توالى مفردات فى وصف الارض ، بما تشتمل عليه من رياح وعواصف واشجار ونبات :

ليس بها غير السوافى والدوا	**صب الحراجيج وكل زحلق**
والمرخ والعفار والعضاة	**والبشام والاثل ونبت الخربق**
والرمث والخلة والسعدان	**والثغر وشرى وسنا وسمسق**
وعشر ونشم واسدل	**مع ثمام وبهار مونق (7)**

6) ليفى بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 210 هامش 1 .

7) انظر ع. كنون ، **شرح الشمقمقية** ، ص. 14 — 15 .

ثم يتتابع السرد على هذا النحو ، محتويا على أكثر العبارات شذوذا وغرابـــة ٠

ب ــ الجنـــــاس :

ا ــ بالقـــــــاف :

اعـــز مـــن بيض الانـــوق ومـــن العنقا ومن فحل عقوق أبلق (8)

ب ــ بالسين (يعاتب الشاعر حادى النوق على انه لا يحسن معاملتها) :

وكم بسوط البغـــى سقت سوقها سوق المعنـــف الذى لـــم يتـــق

ولابد هنا من ملاحظة ايجاز اللغة حيث تتطلب ترجمة هذا البيت الـــى اللغة الفرنسية مثلا نحو ثلاثة أسطر ، بالاضافة الى خفة وزن بحر الرجز الذى كثيرا ما لجأ اليه شعراء هذا العصر كوسيلة لسهولة الاستذكـــار والاستظهـــار ٠

والواقع أن الوزن الخفيف والرنة الرخيمة لهذا البحر الشعرى ممـــا يساعد الذاكرة ، ويخفف من هجنة أكثر العبارات حوشية وازعاجا للسمع ٠

وقد استخدم ابن الونان هذه الطريقة الاخيرة على نطاق واسع ، عند ذكره الامثال والحكم التى ملأ بها قصيدته ، وذلك ما اضفى عليها حلـــة خاصة ، لا سيما بالنسبة **للعمرية** (9) التى عارض بها احد شعراء الرباط **شمقمقيـــة** ابـــن الونان فيما بعـــد ٠

ونظرا للقضايا الاخلاقية التى تعالجها تلك الامثال والحكم ، تنافس النقاد فى شرح الشمقمقية (10) ، وعدها لذلك ك٠ بروكلمان من جملة الآثار

---

8) **المصدر السابق** ، ص 116

9) سنتحدث عن هذه القصيدة عندما نترجم لصاحبها ابن عمرو الرباطى .

10) شرح **الشمقمقية** عدد من الادباء فى طليعتهم : ا ــ أبو عبد الله الجريرى الســــلاوى (ت 1240 = 1824) ، ب ــ ابو حامد العربى بن على المشرفى (ت 1313 =

الفلسفية (11) . وقد يكون من العسير ان نعطى هنا نظرة شاملة عن هذا الجانب من **الشمقمقية** الذى تصدى لبحثه جهابذة العلوم . لذلك سنجتزىء بعض المقاطع منها على سبيل المثال :

ا — رفقا بها قد بلغ السيل الزبى
واتسع الخرق على المرتق

وهب لايديهن أيدا ولها
متنا متنا ما خلا من مصدق

ب — وعاشر الناس بخلق حسن
تحمد عليه زمن التفرق

ولا تصاحب من يرى لنفسه
فضلا بلا فضل وغير المتقى

ج — ولا تعد بوعد عرقوب أخا
وفه وفا سموءل بالابلق

شح بادرع امرىء القيس وقد
ترك نجله غسيل العلق

د — وفرس كداحس أو لاحق
يوم الرهان شأنه لم يلحق

تقدح نيران الحباحب حوا
فره عند حبب وطلق

= 1895) عام 1295 = 1877) ، ج — احمد بن خالد الناصرى السلاوى (ت. 1315 = 1897) عام 1314 = 1896 ، د — أبو بكر بن العربى بنانى (ت. 1330 = 1912)، هـ — المكى بن محمد البطاورى (ت. 1354 = 1936) عـام 1299 = 1881 ، و — عبد العزيز بن محمد السوسى (ت. 1336 = 1918) ، ز — عبد الله كنون عام 1354 = 1935 ، وهذا الشرح الاخير هو الوحيد الذى طبع ، وما بقى مخطوط . انظر ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 2 : رقم 1981 — 1987 .

(11) **الملحـق** ، 2 : 706 .

تدل هذه المقتطفات على مدى لباقـــة الشاعر فى اقتباس الامثال والحكم التى كان يستعملها عادة عرب الجاهلية والاسلام ، ونظمها فى رجز حسن الجرس تسهل قراءته واستذكاره . وهكذا كل القصيدة مليئة بالتشبيهات والاشارات المقتبسة من قصص القرآن الكريم ، ومن علوم البلاغة والنحو ، مما يتعلق بالحيوان والاشياء وحتى بعض فصول تاريخ المغرب . ولا يمكننا فى ختام هذا التحليل الوجيز الا ان نشير الى اهم اقسام القصيدة **الشمقمقية** لناخذ عنها فكـــرة عامـــة .

1 ــ وصف السفر والبعد عن الاحبـــة فى مجاهل الصحراء على جمـــال يسوقها حداة قساة (من البيت الاول الى البيت 44) .

2 ــ وصف الحبيبة وتولع الشاعر بها (من البيت 45 الى 70) .

3 ــ الفخر والحماسة ، حيث يفتخر الشاعر بأرومته وشاعريته (الابيات 71 ــ 106) .

4 ــ ذم الحسود والرقيب (الابيات 107 ــ 114) .

5 ــ الحكم والامثال والنصائح (الابيات 115 ــ 200) .

6 ــ مدح الشعر والتنويه بشاعرية أبى الشمقمق النموذجية (الابيات 201 ــ 229) .

7 ــ مدح السلطان سيدى محمد بن عبد الله (الابيات 230 ــ 257) .

8 ــ الاشادة بالقصيدة وتحدى الشعراء ان يأتوا بمثلها (الابيات 258 ــ 275) .

وبالجملة ، فان **الشمقمقية** اصيلة وفريدة من نوعها ، الا انها ليست مما يتعذر تقليده ومحاكاته ، وليست اسمى من سائر القصائد كما يزعم

صاحبها فى قولـــه :

مـــن كـــان يرجو من سواى مثلها   رجا من القربة رشح العرق (12)

محمد بن الطب القادرى (13)

(1124 — 1187 = 1712 — 1773)

ابو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام الحسنى القادرى ، مـــن اكبر مؤلفى كتب التراجم فى المغرب ، وصاحب **نشر المثانى** المشهور الـــذى يعتبر مصدرا اساسيا لما وصلنا عن اعلام القرنين الحادى عشر والثانـــى عشـــر = 17 و 18 . لذلك احتل مكانة بارزة فى كتاب **مؤرخى الشرفـــاء** لليفى بروفنسال ، الامر الذى يعفينا من الرجوع الى التفاصيل المذكورة هناك . غير اننا سنأتى ببعض العناصر المكملة لما ذكره بروفنسال مـــن مؤلفات المترجم ، وقد صنفها صنفين : مؤلفات تتعلق بالعلوم الاسلاميـــة (وعددها عشرة) ، واخرى تتعلق بالتراجم والتأريخ (وعددهـــا ستة) .

وفيما يتعلق **بنشر المثانى** اشرنا ، فى مناسبات متعددة سابقة ، الـــى انه وقع العثور على مخطوط لهذا الكتاب اوسع من المطبوع واوفى ، اقتنته اخيرا المكتبة العامة بالرباط . وفضلا عن ذلك ، ينبغى أن يضاف الى قائمة المؤلفات المذكورة فى كتاب بروفنسال ما يأتـــى :

---

12) زعم ابن الونان انه أشعر من جرير ، وجميل ، والاصمعى ، والفتح ابن خاقـــان ، والموصلى ، وابن بسام . انظر ع. كنون ، **شرح الشمقمقية** ، ص. 118 — 119

13) ترجم له ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 319 — 326 ، وذكر بعض مراجع ترجمته . وترجم له أيضا ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 293 و 2 : 274 — 275 ، ك. بروكلمان ، **ملحـــق،** 2 : 687 ، م الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 537 ب . سركيس ، **معجم المطبوعات** ، ص . 1479 ، ا . النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 82 ، م الزبادى ، **سلوك الطريـــق الوارية** ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، و 2 هنا وهناك .

1 ــ **فهـرســت** (14) .

2 ــ **كناشــة** علميـــة تحتوى على فوائد مختلفة (15) .

3 ــ **ارجــوزة** فى نحــو اربعمائة بيت عن الدولة السعدية (16) .

4 ــ **درة الطالب ، فى نسب بنى غالــب** ، وهو كتاب فى نسب الشرفـــاء الغالبيـــين بفـــاس (17) .

5 ــ ترجمة الولى الصالح سيدى احمد الشاوى بعنوان **الكوكب الضاوى، فى مناقب الشيخ أحمد الشاوى** (18) .

ونشير كذلك الى أن الارجوزة الواقعة فى 313 بيتا المتعلقة بالاسرة الفاسية بعنوان **فريدة الدر الصفى، فى وصف الجمال اليوسفى**، والتى ذكرها بروفنسال نقلا عن الكتانى (19) ، قد طبعت أخيرا عقب **عناية اولى المجد** للسلطـــان مولاى سليمـــان .

ويمتاز اسلوب ابن الطيب القادرى ، سواء فى النظم أو النثر ، بالوضوح والدقـــة ، كما تدل على ذلك الفقرة التاليـــة :

« اشهر الشرفاء فى هذه البلاد ، الذين تتضح اصولهم وضوح نـــور الشمس والقمر ، هم الصقليون الحسينيون ، من غصن الدوحة العلوية الشريفة . ولما كان ميدانهم الخاص هو التبحر فى العلوم ، فقد عرفوا بأنهم علماء وأوليـــاء لله تعالى ، فكانـــت لهم المنزلة العظيمة ، والدرجـــة الرفيعـــــة . . . » (19) .

كانت ولادة ابن الطيب القادرى بفاس فى سابع ربيع الاول من عـــام 1124 = 14 ابريل 1712 ، ووفاته بها يوم 25 شعبـــان عام 1187 = 11 نونبـــر 1773 .

---

14) انظر ع. ابن سودة ، **دليـــل** ، 2 : 320 رقم 1349 .

15) **المصـــدر السابـــق** ، ص. 465 ، رقم 2164 . ومخطوط عدد 1564 و 1574 ك .

16) **المصدر السابق** ، ص. 416 ، رقـــم 1906 .

17) **المصدر السابق** ، ص. 384 ، رقـــم 1686 .

18) **المصدر السابق** ، 1 : 217 ، رقـــم 851 ، وايضـا م. الكتانى ، **سلـــوة** ، 1 : 278 .

19) **عن لمحة البهجة العلية ، فى بعض النسبة الصقليـــة .**

أبو حفص عمر الفاسي (1)

(1774 – 1713 = 1188 – 1125)

أبو فحص عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي بن يوسف ابن محمد الفاسي ، من أكبر شيوخ الاسرة الفاسية اللامعة . ولد بفاس عام 1125 = 1713 ، وبها كانت وفاته عام 1188 = 1774 .

لم يكن أبو حفص الفاسي يحب أن يذكر تأريخ ولادته ، اقتداء بالامامين مالك والشافعي . وكان له شيوخ كثيرون ، منهم قريبه أبو عسرية محمد بن احمد بن يوسف (2) الذى لقنه العلوم الشرعية ، واحمد الوجارى ومحمد العراقى اللذان علماه اللغة . وقرأ علوم الجدل ، والاصلين ، والبلاغة ، والمنطق ، وتفسير القرآن الكريم على الشيخ أحمد ابن المبارك اللمطى ، والفقه ، وأحكام القضاء ، والحديث على الشيخين محمد بن عبد السلام بنانى، ومحمد بن قاسم جسوس . أما رواية الحديث ، فمعتمده فيها الشيخ على بن أحمد الحريشى (3) ، وكان اذاك طاعنا فى السن .

---

1) ترجم لـه :

ا – ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 16 147 مع هامش 1 ، 337 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

ب – مولاى سليمان ، **عناية** ، ص. 60 – 66 .

ج – ع. كنون ، **نبوغ** ، 1 : 278 ، 3 : 40 ، 166 – 170 .

د – م. الفاسى **الادب المغربى** ، ص. 537 ب .

هـ – م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى** ، ص. 467 – 468

و – م. الكانونى ، **آسفى** ، ص. 157 .

ز – م. الكانونى ، **جواهر الكمال** ، ص. 49 – 50 .

ح – أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 82 .

ط – م. الزبادى ، **سلوك الطريق الوارية** .

ى – **ديوانه** .

ك – م. داوود ، **مختصر تاريخ تطوان** ، ص. 290

ل – ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 390 .

2) انظر ترجمته عند مولاى سليمان ، **عناية** ، ص. 54 .

3) تقدمت تراجم جميع هؤلاء الشيوخ .

كان أبو حفص الفاسى عالما مشاركا ، فقيها مبرزا ، وأديبا ماهرا ، له ديوان كبير سندرس مقتطفات منه فيما بعد ، ومؤلفات عديدة فى العلوم الشرعية منهـا :

أ ـ شـــروح :

1 ـ شرح **قصيدة** ابن فرح الاشبيلى (4) فى مصطلح الحديث .

2 ـ شرح رجز ابن عاصم بعنوان **غاية الاحكام ، فى شرح تحفة الحكـــام** .

3 ـ شرح لامية الزقاق بعنوان **تحفة الحذاق ، بشرح لامية الزقاق** .

ب ـ حـــواش :

1 ـ حاشيـــة على **المغنـــى** لابن هشـــام .

2 ـ حاشية على شرح **العقيدة الكبرى** للامام السنوسى .

3 ـ حاشية على **مختصر السنوسى** فى المنطـــق .

ج ـ اجـزاء كثيـــرة :

1 ـ جزء فى حكم المـــد الطبيعى فى القراءات .

2 ـ **نهاية التحقيق ، فى مسألة تعليق التعليق** .

3 ـ **احراز الفضل ، بتحرير مسائل القول والفصل** .

4 ـ **منة الوهاب ، فى نصرة الشهاب** ، فى اليمين .

5 ـ **لواء النصر ، فى الرد على بعض أبناء العصر** ، يرد فيه على

---

4) انظر ترجمته فى دائرة المعارف الاسلامية ، 3 : 398 ب ـ 399 أ .

فتاوى بعض معاصريه الذين اجازوا بيع العقارات الحبسية .

لابى حفص الفاسى اشعار كثيرة فى موضوعات متنوعة ، غير أنها لم تجمع فى ديوان ، كما هو الشأن بالنسبة للشعراء المكثرين . ويقوم الآن عبد السلام ابن سودة بجمع هذه الاشعار وترتيبها فى ديوان (5) .

تاتى فى طليعة هذا الديوان قطعة نثرية تعبر عن افكار فلسفية بكيفية رائعة أصيلة ، مصوغة فى قالب تقليدى مسجع تتعلق بقضية الاتحاد الصوفى . فالمؤلف فى غمرة فنائه الروحى يحط من قيمة الانسان ليرفع من قدرة الله تعالى وعظمته . ويرى أن الضلال وحده هو الذي يبعد المخلوق من الخالق الذى يتجلى وجوده فى الطبيعة كل حين . ومن ثم يلتقى فيلسوفنا الفاسى بمعاصره الفرنسى جان جاك روسو (1712 — 1778) .

نظم ابو حفص الفاسى قصيدة رائعة على غرار **لامية العجم** ملأها اخلاقا وحكما ، وتقع فى ستين بيتا . يقول فيها عن احتمال نوائب الدهر ، والاستغناء بالله عن الناس :

لا تعتبن على دهر تساء به ... فما على الدهر من عتب ومن عذل
واستغن بالله لا يغنيك ما جمعت ... ايدى الانام ، وغير الله لا تسل
وكيف تسأل عبداً لا غناء له ... أم كيف تسأل ذا فقر وذا بخل ؟
ما اعتضت عن بذل ماء الوجه من عوض
يوما ولو نلت ما ترجوه من امل (7)

وينصح الشاعر بالمحافظة على العرض وعدم اضاعته لقاء الماء والشراء ، مبينا أن العز عز النفس ، والغنى غناها :

---

5) انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 390 ، رقم 1719 .
7) ع. كنون ، **نبوغ** ، 3 : 166 .

والمال يبذل فى الاعراض تالده فلا تنله بعرض فيه مبتذل
والماجد الفخم لا ينفك معتقلا رمح الاباية من سوء ومن خطل
يحمى الذمار ويصمى من يحاربه ويستقل فلا يلوى على رجل
وليس يلفى على الاثراء ذا بطر ولا من الفضل فى الافلاس ذا عطل
تأبى له الهمة الشماء محجمة عن موقف الذل أن يرعى مع الهمل
ويشمخر بأنف العز منقبضا عن رتبة نالها الاوغاد بالحيل (8)

واذا ما خلص الى القناعة تخيلها ملكا شامخا ، وظلا ظليلا :

ملك القناعة لا تنفك امرته فى ظل عز مديد غير منتقل
فنم به غير مزؤود ولا وجل ففى القناعة منجاه من الغيل

ونجد عند أبى حفص الفاسى ظاهرة التقليد والمعارضة للشعراء الاقدمين الجاهليين والاسلاميين ، المشارقة والاندلسيين . وفى هذه **اللامية** أخذ من الامام الشافعى فكرة بيته المشهور فى السفر وقال :

وان سئمت أو استوخمت منزلة معالج النفس بالترحال والنقل
فالسلسل العذب فى الانهار مطرد وراكد الماء لا يخلو من الدخل

كذلك نجد الشاعر فى **لاميته** يولى اهتماما خاصا للصداقة والصديق ويوصى به فى جميع الحالات ، ثم نراه يخصص فى الاخير أبياتا كثيرة لوصف الصديق الوفى ، منها :

وانما الخل من يوليك نائله دأبا وينجد عند الحادث الجلل
ويكتم السر أن أفشاه ذو سفه ويجبر الخلل المزموق بالخلل
ويحفظ الود فى سر وفى علن ويذكر العهد فى ضنك وفى غفل
ويصحب الصدق فى جد وفى هزل ولا يخالف بين القول والعمل

---

8) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

فمبـــرم العهد منه غير منفصـــم ومضمـــر الود فيه غيـــر منفصل
وآيـــة الصدق فى دعـــواه بينـــة من رام نقض عراها الدهر لم يصل

ويختم أبو حفص قصيدته بابتهالات مؤثرة تنم عن اتجاهه الصوفـــى والتجائـــه الى الله تعالى فى جميع الاحوال :

والجـــأ الى الله فى أمر تحاولـــه وابـــرأ الى الله من حول ومن حيل
وكل الى الله كل الامر واغن بـــه عمن سواه فان اللـــه خيـــر ولـــى

نلاحظ وجود اسم الجلالة (الله) فى جميع الاشطر ، لتلذذ الشاعر به كما هـــو الشأن عند العارفين .

طرق أبو حفص الفاسى جميع الموضوعات الشعرية ، الجدية والهزلية، غير أن المسحة الصوفية ، والدعوة الى التمسك بالكتاب والسنة ، تغلبان على شعره . وقد مدح السلطان سيدى محمد بن عبد الله بقصيدة فائية من بحر البسيط فى واحد وعشرين بيتا ، ومدح العلماء ، والصلحاء وكتب السيرة والتصوف ، ومدح حتى بعض الاعشاب ، كالشاى ، وكان حديث عهد بالمغرب ومما قاله فى مدح أهل آسفى :

للـــه در بنـــى آسفـــى نزيلكـــم يشفـــى مـــن الاسف
جـــان الرحيـــل بعيد مـــا ألفت نفسى بوصلكـــم فيـــا أسفـــى
أخلاقكـــم كالعطـــــر فى نفســـى ووجوهكم كالبـــدر فى شـــرف (9)

وتظهر خفة روح شاعرنا فى مداعبته لاصدقائه ومفاكهتهم . من ذلـــك ما كتب به لصاحب لـــه يستدعيـــه :

يـــا من يقرض بالقريض مسامعى يـــا مـــن يشنفهـــا بنظـــم بـــارع

---

9) م. الكانونى ، آسفـى ، ص. 157 .

وافى الاصيل يبيع من لذاته أصنافها فانهض اليه وسارع

وتتجلى افكار ابى حفص الفاسى الفلسفية واتجاهاته الصوفية فى القطعتين التاليتين :

أ —

قل لمن يعلو على النا س بآباء سراة :
ليس من شأنى فخار بعظام ناخرات
ما فخار المرء الا بعلوم زاخرات
وسجايا ومزايا وهبات وافرات
ونضال بنضال فى مجال الغمرات
وجفان كالجوابى وقدور راسيات (40)

ب —

طويت بنشر العلم ثوب شبيبتى وباللـه كان الطى فى ذاك والنشر
وقد كان نشر الكتب دابا يسرنى فهل ان تلك الاخرى يسرنى النشر ؟

كذلك كانت حياة هذا العالم الاديب ، موزعة بين نشر العلوم الدينية والبحث عن خير الانسانية . وقد منعته استقامته وورعه من أن يستغنى أو أن يتبوأ المناصب السامية التى هو بها جدير . بل دفعته شدة سلامة طويته الى أن يكشف عن سريرته ويعترف بخطاياه ، ضارعا الى خالقه تعالى ، متكشفا عن شخصية شاعر يطفح رقة وحساسية

---

(40) ع. كنوع ، نبوغ ، 3 : 40 .

أحمد الغزال (1)

(ت 1191 = 1777)

ابو العباس احمد بن المهدى الغزال الاندلسى المالقى ، أحد السفراء الذين كان يبعث بهم الملوك العلويون الى الخارج ، أمثال الوزير الغسانى متقدم الذكر ، وأبى القاسم بن أحمد الزيانى ، ومحمد بن عثمان المكناسى ، الذين سنتحدث عنهما فيما بعد .

ارسل الغزال الى اسبانيا ، فى نهاية عام 1179 = يونيه 1766 ، ليبحث مع الملك شارل الثالث قضية تبادل الاسرى بين البلدين . فكتب ، كزملائه السفراء رحلة قيمة سنتعرض لها فيما بعد . واذا كان تأريخ ولادة احمد الغزال مجهولا ، فاننا نعرف أنه نشأ بمكناس ، لان أباه المهدى كان احد كتاب مولاى اسماعيل ، وكان اديبا أريبا ، جرت بينه وبين مؤلف **الانيس** مساجلات شعرية كثيرة (2) .

لن نتعرض هنا الى مغامرات رحلة الغزال الى اسبانيا التى دامت أزيد من ثمانية أشهر ، ولا الى بنود الاتفاقية المبرمة مع ملك هذه البلاد ،

---

1) ترجم له :
أ — ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 327 — 332 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
ب — ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 712 .
ج — أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، ص. 82 .
د — ع. ابن ابراهيم ، 2 : **أعلام** ، 197 — 198 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
هـ — م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 537 ب .
و — م. الفاسى ، **الرحالة المغاربة** ، **دعوة الحق** ، عدد 4 ، يناير 1959 ، ص. 22 — 26 .
ز — م. الفاسى ، **الرحلة السفارية** ، **البينة** ، عدد 6 ، اكتوبر 1962 ، ص. 11 — 24 .
ح — هـ. بيريس ، **اسبانيا كما رآها الرحالة المسلمون** ، ص 23 .
ط — ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 124 — 167 ، 174 ، 234 ، 2 : 366 — 367.

2) انظر م. العلمى ، الانيس ، ص. 155 — 163 .

لان ذلك راجع الى التاريخ الخارج عن دائرة اختصاصنا ، وانما نشير الى أن الغزال كلف أيضا بمهمة فى الجزائر عام 1182 = 1768 ، قصد تبادل الاسرى بين الجزائر واسبانيا (3) . ولما أعفى من مهامه عام 1185 = 1771 ، اعتزل بفاس الى أن توفى بها عام 1191 = 1777 ، بعد أن فقد بصره . ودفن فى زاوية الشيخ عبد القادر الفاسى بحى القلقليين .

ان رحلة الغزال المعنونة **نتيجة الاجتهاد ، فى المهادنة والجهاد** ، ولو انها مستوحاة — جزئيا — من رحلة الوزير الغسانى ، قد أحرزت على نجاح باهر ، سواء داخل المغرب أو خارجه . ولا أدل على ذلك من وفرة عدد مخطوطاتها المحفوظة بمختلف مكتبات العالم ، كالمكتبة الوطنية بباريز ، وبريتش ميوزيوم بلندرة ، والمكتبة الوطنية بالجزائر ، والزيتونة بتونس ، وجامعة برلين ، والمكتبة الوطنية بمدريد ، واخيرا المكتبة العامة بالرباط (4) .

تعتبر رحلة الغزال من الناحية التأريخية « وثيقة فى غاية الاهمية عن العلاقات التى كانت متقلبة ، عدائية تارة وحبية أخرى ، مكونة اللحمة التقليدية للصلات بين المغرب واسبانيا منذ اخراج « الموريسكيين » (5) . أما من الناحية الادبية التى تهمنا هنا ، فان هذه الرحلة تتميز بالروعة والدقة فى تصوير الاحداث التى شاهدها المؤلف ، والمناظر التى تأملها ، والآثار الاسلامية التى زارها . وقد مر الغزال ، فى طريقه بعدد وافر من المدن والقرى ووقف على كثير من المساكن والمشاهد والقصور ، وسجل ، لشدة تطلعه ،

---

3) لم يذكر ذلك ل. برونسال ، ويجهل ان كانت هناك رحلة لانه لم تحفظ أية وثيقة تتعلق بهذا الموضوع .

4) فى هذه المكتبة الاخيرة وحدها خمس مخطوطات لهذه الرحلة مسجلة تحت أعداد : 961 ، 981 ، 129 ، 1316 و 1640 د ونشير الى أن هذا الكتاب طبع فى تطوان سنة 1941 ، بعناية الفريد البستانى ، لكن هذه الطبعة لم تلق النجاح المنتظر .

5) انظر هـ. بريس ، **اسبانيا كما رآها الرحالة المسلمون** ، ص. 23.

كل ما أثار اعجابه ، باحثا ليفهم ويعرف الاسباب . وسنستعرض من هذه الرحلة بعض المقاطع ذات الطابع الخاص :

أ ــ **الوصول الى الجزيرة الخضراء** « لمـــا رسينا بمرساها بـــرز لملاقاتنا خلق كثير ، وأطلقوا عدة من المدافع . وبعث حاكم البلاد فلائك مفروشة بالقماش ، وبالغوا فى البشاشة والاكرام . ونزلنا بدار هى مـــن خيار ديار المدينة ، وحاكمها شاهدنا من ميله للمسلمين وقاضيهم وأعيانهم ما لم يكن لغيره . ولم يزل القوم يترددون علينا الى الليل . فتهيأنا للنوم ، ظنا منا أنهم يؤخرون زيارتنا الى النهار ، فلم نشعروا (كذا) الا والقاضى وأعيان البلد قدموا علينا بالترحيب والسؤال عن الحال ، وهل استرحنا من الميد الذى ألم بنا من فراش البحر ، الى غير ذلك من السؤال الذى فيـــه ثقل على النفس فى الوقت . ولم نجد بدا من مباشرتهم مع ما نحن فيه مـــن التعـــــب . . . » .

ب ــ **وصف المدينة** « المدينة فسيحة الشوارع ، متسعة المسالك ، مرصفة الازقة . ديارها متقنة فى البنيان ، غير أنه غير شاهق . وسطوح الديار لم تكن منبسطة ، مسقفة جميعها بالقرمود ، ولم تكن بها دار شاهقة الا ديار الفرائلية والدور الحاملة للنواقيس . والمدينة لا سور لها . ومـــن ناحية غربها واد قريب منها جدا مضروب عليه مجاز متوسط، وبازائه أرحاء وأجنة وبحار ولا ماء بالمدينة الا الآبار ، وشرابهـــم من الوادى لقربـــــه وجودتـــــه . . . (6) » .

لقد وعى الغزال كل شىء جديد وحفظه بعناية « واهتم بالـــغ الاهتمام بتسجيل كل ما رأى وسمـــع » (7) .

---

6) مخطوط عدد 1316 د . ص. 20 و 22 .

7) ل. بروفنسال **شرفـاء** ص. 329 .

ان هذه الرحلة ، ولوأنها كسائر الرحلات كتبت بأسلوب مسجع ، فان قراءتها ممتعة دون أن تبلغ فى ذلك غاية الكمال . ولكى تتضح المقارنة اكثر بين رحلة الغزال ورحلة الوزير الغسانى ، التى قلدها المترجم فى بعض فصول كتابه ، نورد ما قاله كل منهما فى وصف الرقص الاسبانى .

جـ ـ يقول الغزال : « . . . ثم أشار القاضى الى ثلاث بنات مراهقات فى اجمل صورة أن ينشدن ، فاذا بأصواتهن أرق من الرباب ، ما سمعت مثلهن قط . وقام كل من بالمنزل من النسوة يرقص . وكيفية رقصهن : كل ذكر مع انثى دائران فى المحل ، والنسوة يدخلن بين الرجال ، ثم يرجعن فى مقابلة الرجال ، فيأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ، ثم يفترقان ، ويتأخر الرجل عن المرأة التهقرى ، ثم يقصدها أيضا حتى يجتمعا على الصفة . وهكذا يفعل كل ذكر مع الانثى المعينة للرقص معه . . . (8) » .

د ـ ويقول الوزير الغسانى : « . . . وهى (مدينة ليناريس) مدينة متوسطة ، اثرها اثر الحضارة ، واهلها أهل بشاشة . ومن بشاشتهم وعوائد كرمهم أن اجتمعوا كلهم نساء ورجالا ، واتوا بآلة الطرب . وعادتهم أن يرقص منهم رجل وامرأة . فحين يقوم الرجل يريد الرقص ، يتخير من النساء صغيرة أو كبيرة ، ويزيل لهاشمريره الذى على رأسه ويبايع لها ، فلا يمكنها التخلف أصلا . . . (9) » .

يهتم المؤلفان بالافعال التى تختلف كثيرا عما تعودا أن يرياه فى بلدهما ، من اختلاط الرجال بالنساء دون تمييز ، وبخاصة مراقصة الرجل لامرأة لا يعرفها ولا تعرفه . ويبدو أن الغزال أتى من التفاصيل بما لم يأت به سلفه .

---

8) المخطوط عدد 1316 د ص. 21 .
9) **رحلة الوزير** ، ص. 30 .

وفضلا عن هذه الرحلة ، التى هى الاثر الوحيد المعروف للمترجم ، الف الغزال ثلاث رسائل : فى الشطرنج ، ومدح السلطان سيدى محمد ابن عبد الله ، وترجمة الشيخ سيدى محمد ابن عيسى المكناسى شيخ الطريقة العيساوية بالمغرب . وهذه عناوينها مرتبة :

1 — **الاطروفة الهندسية ، والحكمة الشطرنجية الانسية** (10) .

2 — **نتيجة الفتح ، المستنبطة من سورة الفتح** (11) .

3 — **النور الشامل ، فى مناقب فحل الرجال الكامل** (12) .

وقد برهن الغزال ، فى الرسالتين الاوليين ، عن مهارة فائقة فى ميدان الادب ، وبدا فى الثالثة عارفا بالتراجم وناقدا بصيرا .

ابـن عـزوز المـراكشـى (13)

(ت 1204 = 1789)

أبو محمد عبد الله بن عزوز القرشى الشاذلى المراكشى ، المعروف بسيدي بلا ، طبيب وصوفى وفقيه شهير . كان الناس يعجبون من مهارته فى التنجيم وأسرار الحروف حتى عد من ائمة عصره . وسلك طريق القوم على يد أبى العباس احمد الحبيب اللمطى ، مريد عبد السلام بن الطيب

---

10) ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 124 .

11) **المصدر السابق** ، ص. 167 .

12) **نفس المصدر** ، ص. 234 — 235 . طبع هذا الكتاب فى القاهرة عام 1348 = 1929 . وللمؤلف اختصار له لم يطبع .

13) ترجم له م. ابن الموقت ، **السعادة** ، 1 : 92 — 96 ، ك. بروكلمان ، **الملحق** ، 2 : 704 و 713 ، ع. ابن ابراهيم ، **أعلام** ، 6 : 152 — 153 ، م. السوسى ، **سوس العالمة** ، ص. 193 ، ل. لوكليرك ، **جراحة أبو القاسس** ، 2 : 307 — 308 ، ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 446 — 449 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 304 — 305 و 310 .

القادرى . وقد تتلمذ هذا الاخير للشيخ العارف سيدى قاسم الخصاصى (14).

واذا كنا نجهل تأريخ ولادة ابن عزوز ، فاننا نعرف أنه مات عـــام 1204 = 1789 (15) ، ودفن على عادة الصالحين فى دار سكناه بباب ايلان بمراكش . وقبره حتى اليوم مزارة شهيرة . كان ابن عزوز صوفيا موهوبا ، يعيش متقشفا ، ولا يأكل الا من كسب كده فى اعمال الخرازة . وتنسب اليه خوارق فى ميدان الكيمياء والسحر ، منها انه رد اناء الى حالته الطبيعية ، بعد ان حوله كيميائى آخر الى ذهب ، واستطاع ان يخمد ثائرة السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، عندما اغضبه الشيخ التاؤدى ابن ســـودة برفضه توقيع حقوق الديوانة التى فرضها السلطان . على ان اعظم كرامة تنسب اليه هى قضاؤه بأن يكون قبره شفاء لمن يزوره من المرضى (16) .

الف ابن عزوز ، رغم دراسته المحدودة ، كتبا عجيبة تدل على شىء من الموهبة ، وتتعلق خاصة بالتصوف ، والطب ، والتنجيم ، وأسرار الحروف ، وهـــى :

أ ــ فـــى التصـــوف :

1 ــ **رسالة الصوفى للصوفى** (17) ، على غرار كتاب **الانسان الكامل** للامـــام عبد الكريم الجيلى (ت 831 = 1425) .

2 ــ **تنبيـــه التلميـــذ المحتـــاج** (18) .

---

14) تقدمت ترجمتـــه .

15) هذا التاريخ هو الصحيح ولا عبرة بما عند ابن الموقت (**السعادة** ، 1 96) من انـــه مات عام 1295 = 1878 . وقد تبعه فى هذا الخطا ع. كنون (**النبوغ** ، 1 : 303) ومما يؤكد ذلك تاريخ وفاة كل من معاصريه : الملك (ت. 1789) ، والشيخ التاودى (ت. 1795) .

16) انظر م. ابن الموقت ، **السعادة** ، 1 : 13 ــ 94 .

17) الاسم الكامل : **رسالة الصوفى للصوفى ، فى التعريف بالاسم الاعظم المفرد الجامع الكـــافـــى** ، يوجد ضمن مجموع عدد 478 ك. ص. 1 ــ 150

18) مخطوط عدد 2635 ك .

3 — **اثمـد البصائر ، فى معرفة حكمة المزاهر** (19) .

ب — **فـــى الطـــب :**

4 — **ذهاب الكسوف** (20) ، وهو اختصار لمجهول يحتوى على سبعين فصـــلا .

5 — **كشـف الرمـوز** (21) ، فى الاعشاب الطبية .

ج — **فـــى علـم أسـرار الحـروف :**

6 — **لباب الحكمة** (22) ، فى علم الحروف وعلم الاسماء الالهية .

7 — **بحـر الوقوف ، على سـر الحروف** (23) .

8 — **السـر الوافى ، والترتيب الكافـى** (24) .

9 — **حـل المعقـود وعقـد المحلـول** (25) .

د — **مختلفـــات :**

10 — **الاسئلة والاجوبة** فى الفقه ، والاصول ، والطب .

وقد ذكر مؤلف **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** (26) ان محمد بن احمـد الحضيكى (27) ألف كتابا فى الرد على المترجم ، دون أن يبين موضوع هذا الرد . وسنورد بعض المقاطع ذات الطابع الخاص من مؤلفات ابن عزوز ، محاولين تحليلها وبيان خصائصها عند الاقتضاء .

---

19) مخطوط عدد 1559 ك. فى 187 صفحة .
20) مخطوطان عدد 173 د و 1133 د . وقد تم تاليف هذا الكتاب فى 8 رمضان 1194 = 8 شتنبر 1780 . وعنوانه الكامل : **ذهاب الكسوف ونفى الظلمات فى علم الطب والطبائع والحكمـة** .
21) مخطوط عدد 1551 د .
22) مخطوط عدد 269 د. تم تاليف هذا الكتاب عام 1187 = 1764 .
23 — 24 — 25) ذكر هذه الكتب م. ابن الموقت ، **السعادة** ، 1 : 96 .
26) ع. ابن سودة **دليـل** 2. 446 رقم 2060
27) هو مؤلف كتاب **الطبقات** المشهور باسمه . انظر م . السوسى **سوس العالمة** ص 193

1 ــ **رسالة الصوفى الصوفى** . وهى ، كما يدل على ذلك اسمها ، « فى التعريف باسم الله الاعظم المفرد الجامع الكافى ، وفى التعريف بشرابه الصافى ، وميزانه الوافى ، وسره الخافى » تشتمل على ثلاثة مجالس : فى المجلس الاول ثلاثة أبواب ، وفى الثانى بابان ، وفى الثالث أربعة أبواب . وتنتهى بخاتمة . انه كتاب صوفى خالص يتميز باستعمال مصطلحات خاصة لا يفهمها عامة الناس الا انه غير أصيل .

2 ــ **تنبيـــه التلميذ المحتاج** . وهو تأليف « فى الجمع بين الشريعـــة والطريقة والحقيقة ، وفى الرد على من أحدث فيهما ما ليس منهما ، بايضاح البراهين واقامة الحجج » . ويتركب من سبعة فصـــول .

3 ــ **اثمـــد البصائـــر** . وهى رسالة محتوية على مقدمة وثلاثة كتب وفصول كثيرة ، ومختصة بعلم الحكمة الذى يقول المؤلف فى تعريفه :

أ ــ « أعظم العلوم مقاما ، واقدمها أصلا وفرعا ، واقواها حجـــة ودليلا ، وأجلاها سبيلا ، هو علم الحكمة الكافل بأسرار اللاهوت ، والكاشف لاستار الجبروت . ومنه مشاهدة الملك ومغيب الملكوت ، الكاشف عن أحوال السعداء والاشقياء ، فى دار الفناء ودار البقاء . . . أعلم أيها الناظر ، ارشدك الله ! ان الحكمة هى أصل المواهب ، وافضل المكاسب . اذ الحكمة علم الاسباب البعيدة التى بها وجود الموجودات ، وعلم الاسباب القريبة التـــى تبرز أفعال هذه الذوات . . . » (28)

يتعلق الامر هنا ، كما هو ظاهر ، بالعلم الالهى ، والاتحاد الصوفى . وليس هناك من سر بالنسبة لمن يعرفون الله تعالى . ثم يشرح المؤلف دور الحكمة ويبين خصائصهـــا بقـــولـــه :

---

28) مخطوط عدد 1559 د ، ص. 2 ــ 3 .

ب ــ « والحكمة خصائص : وذلك انها تنمو ولا تندثر ، وتنور لــب عارفها حتى يستبصر ، ولا يقبل على الجاهل ولا من هو عنها يدبر . والحكمة لها علوم وفنون . والحكيم هو الجامع لفنون الحكمة ، المطلع على اسرارها الالهية ، فينزل من الواحد الى ما لا نهاية له ، ويترقى مما لا نهاية له الــى الـــواحـــد . . . » (29) .

فالتدرج المجازى مذكور بوضوح ، اذ الحكيم بكل ما للكلمة من معنــى هو الذى يعرف الاسرار الالهية حق المعرفة ، ويصل الى الحضرة الربانية مترقيا من الوحدة الى ما لا نهايــة لــه .

ويختلط مفهوم الحكمة فى ذهن ابن عزوز بالعلم الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة ، لذلــك لا تختلف مقدمة الكتــاب السابق : ــ **تنبيــه التلميذ المحتاج** ــ عــن هاتين الفقرتين الا بتوسط هاتين العبارتين .

4 ــ **لبــــاب الحكمــة** . تتعلق هذه الرسالة ــ كما هو ظاهر فى اسمها ــ بعلم اسرار الحروف والاسماء الالهية ، وتحتوى على الفصول التاليـــة :

1 ــ فى كيفية اختراع الحروف وابداعهــا .

2 ــ فى علم الحروف واختراعهــا .

3 ــ فى أسرار الحروف وكيفية منافعها علــى المعــروف .

4 ــ فى علــم اسماء اللــه الحسنــى .

5 ــ فوائــد هــذه الاسمــــاء .

6 ــ الاسمــاء الحسنى التسعة والتسعــون .

---

29) **المصدر السابــق** ، ص 3.

ولنضرب صفحا عن الفصول الخمسة الاخيرة التى لا معرفة لنـــا باصطلاحاتها ، لناتى بطالعة الفصل الاول الذى هو اكثر عموما : « اعلم ، ايها الناظر ، أن الله تعالى خلق الحروف فى العالم اللوحى اشكالا مستديرة كهيئة الثمانية وعشرين حرفا . وجعل فى باطن استدارتها مشكلة على هيئة الحروف باللسان ، وأنزل بها كتابه ، وبعث بها رسوله الى كافة خلقه . وذلك السر خفى ، وهو أن العالم العلوى جمع محض ، والعالم السفلى تفرقة محض . فاذا كان الانسان فى عالم التفرقة ، برز له الشكل الحرفـى من باطن الدائرة فيرى العالم السفلى ، وان هو ارتقى الى حقيقة الجمـع شاهد الحروف مستديرة ، فيرى الباطن والظاهر . . . » (30) .

5 ــ **ذهـــاب الكســوف** كتاب ضخم فى الوصفات الطبية ، منتشر بالمغرب انتشارا كبيرا . ونظرا لتعلقه بالطب ، كان موضوع دراســة المختصين بهــذا الفــن (31) .

---

30) مخطوط عدد 269 د ، ص. 283 .
31) انظر ل. لكلرك ، **جراحة ابو القاسم** ، ص. 307 ــ 308 .

التاودي ابن سودة[1]

(ت 1209 = 1795)

ابو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن محمد بن على بن محمد بن على بن أبى القاسم بن محمد بن ابى القاسم ابن سودة المري الفاسى ؛ من اكبر العلماء الذين أنجبتهم مدينة فاس بل والمغرب عموما . استحق لقب شيخ الجماعة بورعه وتبحره فى العلوم ، ولقب ملحق الاحفاد بالاجداد ، بكثرة ما احتوت عليه فهرسته من الاعلام ، اذ فيها شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومن اشهرهم محمد بن أحمد ابن جلون (2) ، واحمد بن على الوجارى ، وعلى بن أحمد الشدادى ، واحمد ابن المبارك السجلماسى الذى كـان عمدته فى رواية الحديث ، ومحمد بن الحسين الكندوز (3) ، ويعيش بـن

---

1) ترجم لـه :
أ ـ ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 332 ـ 334 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
ب ـ ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 98 و 689 و 961 (29) .
ج ـ ع. كنون ، **النبوغ** 1 : 293 ـ 294 ، 2 : 258 ـ 259 .
د ـ ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 185 ـ 190 ، وذكر بعض مراجع ترجمته.
هـ ـ الشيخ الامير المصرى ، **فهرست** .
و ـ الحافظ الزبيدى ، **الفية السند** .
ز ـ س. الحوات ، **الروضة المقصودة** ، **ثمرة انسى** .
ح ـ ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 134 ـ 140 .
ط ـ ع. المشرفى **الحسام المشرفى** ، ص. 324 ـ 327 .
ى ـ ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 81 و 89 و 101 و 191 و 252 ، 2 : 296 و 321 و 465 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
ك ـ الطالب ابن الحاج ، **تاليف فى ترجمته** .
ل ـ م. الزبادى ، **سلوك الطريق الوارية** ، ورقة 126 .
م ـ الشيخ مخلوف ، **شجرة النـور الزكيـة** .
ن ـ أ. النميشـى ، **تاريخ الشعـر** ، ص : 84 .

2) عالم فاسى كان يعيش أوائل القرن 18 . انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 332 هامش 5 .

3) تقدمت تراجمهـم جميعـا .

الرغاى الشاوى الفاسى (5) ، ومحمد بن احمد التماق ، ومحمد بن قاسم جسوس (5) . وسلك التاودى ابن سودة طريق القوم على يد الشيخ الشهير احمد بن محمد الصقلى (6) .

وتخرج على يد الشيخ التاودى عدد عديد من الطلبة ، نذكر منهم ولده احمد (7) ، ومحمد بن الحسن الجنوبى (8) ، ومحمد بن على الورزازى (9) ، واحمد الملوى ، والطيب ابن كيران (10) ، وادريس العراقى (11) ، ويحيى الشفشاونى (12) ، ومحمد بن عمرو الزرويلى (13) وحمدون ابن الحاج (14) ، وسليمان الحوات (15) ، ومحمد الرحمونى (16) .

ولقى التاودى ابن سودة ، فى رحلته الى الحجاز عام 1191 = 1777 — 78 ، جماعة من الاولياء والصالحين والعلماء المشهورين ، امثال الشيخ السمان (17) ، والشيخ مرتضى الزبيدي (18)، والقى دروسا فى كل من المدينة المنورة والقاهرة .

---

4) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 333 هامش 3 ، وقد ذكر بعض مراجع ترجمته .
5) **تقدمت ترجمتها** .
6) تقدمت كذلك ترجمته .
ولابن سودة شيوخ آخرون مشهورون ، مثل محمد بن عبد السلام بناني ، وأحمد بن عبد الله الغربى الرباطى (انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 187) ، والمعطى ابن الصالح الشرقى .
7) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 201 رقم 5 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
8) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 135 — 140 ، م. داوود ، **تاريخ تطوان** ، 3 : 99 — 101 .
9) انظر م. داوود ، **مختصر تاريخ تطوان** ، ص. 297 .
10) ستاتى ترجمته .
11) تقدمت ترجمته .
12) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 147 هامش 4 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
13) **المصدر السابق** ، ص. 202 هامش 1 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .
14) ستاتى ترجمته .
15) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 336 — 340 ، وما ذكر من مراجع ترجمته .
16) ستاتى ترجمته .
17) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 187 — 190 .
18) تقدمت ترجمته .

ولابن سودة مؤلفات كثيرة يمكن تصنيفها كما يلى :

ا ـ فى التراجم والمناقب والانساب :

1 ـ **الفهرست** (19) .

2 ـ **ترجمة** الشيخ احمد بن محمد الصقلى الحسينى (20) .

3 ـ **نسب العراقيين الحسينيين القاطنين بفاس** (21) .

4 ـ **مناقب الصالحين** (22) .

ب ـ فى الحديث :

1 ـ **زاد المجد السارى ، فى مطالع البخارى** (23) .

2 ـ **شرح الاربعين النووية** (24) .

3 ـ **شرح مشارق الانوار للصغانى** (25) .

ج ـ فى الفقه :

1 ـ **طالع الامانى ، على شرح الزرقانى** (26) .

2 ـ **شرح تحفة ابن عاصم** (27) .

---

19) مخطوطات عدد 725 د و 952 د و 3251 ك .

20) انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 202 .

21) **المصدر السابق** ، 1 : 89 .

22) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص . 334 هامش 1 (8) ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 13 و 136 .

23) طبع على الحجر بفاس عام 1327 = 1909 . وتوجد منه مخطوطات عدد 561 ، 816 ، 817 د 1881 و 1949 ك .

24) انظر ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 294 .

25) مخطوط عدد 415 ك . والصغانى هو ابو الفضل حسن البغدادى (577 ـ 650 = 1181 ـ 1252) .

26) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 334 هامش 1 ، ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 135 .

27) طبعت مرارا . ومن مخطوطاتها : 576 و 872 و 881 د و 849 ك .

3 ـ **شرح لامية الزقاق** (28) .

4 ـ **شرح الجامع** لخليل ، بعنوان : **اتحاف الناظر والسامع ، بشرح مسائل الجامع** (29) .

5 ـ **تحفة الاخوان ، بفوات الثنيا بطول الزمان** (30) .

6 ـ **مناسك الحج** (31) .

7 ـ **نوازل** (32) .

8 ـ **ما تم وضعه ، فتم نفعه** (33) .

9 ـ **ما اشرف على التمام ، وما صد عنه عائق الحمام** (34) .

10 ـ **الحسام المسنون ، فى نصرة أهل السر المكنون** .

د ـ **متنوعات** : (35)

اشتهر الشيخ التاودى بورعه وزهده ، وتعظيمه البالغ للصالحين والاشراف ، وبخاصة المولى عبد السلام بن مشيش الذى زار قبره ، على ما يقال ، ستين مرة ، انشد فى آخرها ، وهو اذاك شيخ فان ، الابيات التالية :

اتيتكم شيخا وكهلا وناشئا ... وفى كلها أرجو نوالكم الجما
فها أنا قد خيمتها بفنائكم ... على وهن ، والضعف فى بدنى عما

---

(28) وضع على بن عبد السلام التسولى (ت. 1258 = 1852) حاشية على هذا الشرح ، مخطوط عدد 836 د . (انظر علوش والركراكى ، **فهرست المخطوطات** ، ص. 275 ، رقم 1438)

(29) مخطوطان 1643 د و 1170 ك .

(30) مخطوط عدد 1079 د .

(31) مخطوط عدد 2159 ك .

(32) مخطوط عدد 2259 ك .

(33) ورد ذكره عند ع. المشرفى فى **الحسام المشرفى** .

(34) **المصدر السابق** .

(35) من بينها كناشات علمية مختلفة . انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 465) .

فـــلا ترجعونـــى دون فيــض بحاركـــم
ولا تحرمونـــى من مواهبك العظمـــى (36)

لم يكن الشيخ التاودى فى الحقيقة شاعرا ، فلم يترك الا ابياتا متفرقة هنا وهناك قالها فى مناسبات مختلفة ، غير انها لا تخلو من اخلاص حـــق مؤثر ، وتكاد تتسم كلها بسمة التصوف . من ذلك قولـــه :

مضى عمرى والحين حان حقيقـــة وَمـــا زلت فى بحر الهوى اتقلـــب
فوا اسفى اذ ضاع عمرى سفاهـــة ومالى فى اوج السعادة مطلب (37)

تشتمل **فهرست** الشيخ التاودى على **كبرى** ذكر فيها شيوخه ومـــا نال منهم مـــن اجازات ، **وصغرى** حـــوت اسماء وتراجـــم من لقى مـــن الصـــالحـــــــين (38) .

ومما قالـــه فى **الفهرســـت الكبـــرى :**

« لما من الله على العبد بالرحلة لارض الحجاز ، وظفر بزيارة الحرمين، ونزل ارض مصر ، لقى من علمائها وفقهائها من يشار اليه بالنبل فى العصر فطفحت نفوس طائفة لها بالعلم اعتناء ، وفى الاخذ عن مشايخ الغرب رغباء ، ان اقرا لهم من كتب الحديث ما تيسر ، وان كنت فى الحقيقة على جناح سفر . فاجمع الامر على قراءة **المـــوطـــأ** بالجامع الازهر . ولما افتتحناه ، وجرى فى الدرس ذكر من اخذناه عنه او رويناه ، وقع ذلك من السامعين موقعا ، وكأنهم يقولون لا نجد له مسمعا ولا مرجعا . فطلبوا منى أن اقيد لهم سندى فى ذلك ، وان اصل حبلهم ورابطتهـــم من جهتى بالامام مالك ، مع سنـــد الصحيحين وذكر نبذة من مشايخى ممن شهد لى او اشتهر وعلم . . » (39) .

---

36) ع. ابن ابراهيم ، **اعـــلام** ، 5 : 136 .
37) ا. النميشى ، **تاريخ الشعـــر** ، ص. 84 .
38) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 188 .
39) ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 188 .

لهذا المقطع ، كما نرى ، أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العلوم الشرعية فى نهاية القرن الثانى عشر = 18 (وهو تأريخكتابة هذه الفهرست) ، اذ يبين مدى الاتقان الذى وصلت اليـه دراسة الحديث بالمغرب خاصـة ، وبشمال افريقيـا عامة ، بالنسبة للاقطار الاسلامية الاخرى بالمشرق (40) .

وكانت وفاة الشيخ التاودى بفاس يوم 29 ذى الحجة متم عـام 1209 = 1795 ، وقـد نيف على التسعـين ، حسـب شهادة تلميـذه سليمان الحوات (41) . وبذلك نفترض أن ولادته كانت عام 1117 = 1705 . ودفن بزاوية واقعة فى زقاق البغل أمام منزله . وقد تمتع هذا الشيـخ وأبناؤه وأحفاده بحظوة عظيمة لدى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، ثم لدى ولده وخلفه مولاي اليزيد . فكانا يعظمانهم ويوسعانهم عطـاء . ورغم ذلك ، كان الشيخ التاودى يظهر بسيطا صالحا ، مسارعا الى الخير رحيما ، وعطوفا حليما ، كما تدل على ذلك القصة التالية :

« فى أخريات أيام الشيخ التاودى ابن سودة ، وقد اشتدت نحافـة جسمه ، وظهرت عليه مخائل الموت ، انشد تلميذه سليمان الحوات فـى حقـه :

قولوا لشيخكـم ابن سودة انـه — قرب الرحيل فهل لـه مـن زاد
عاش القـرون وفـاز من أيامـه — بالمـال والاولاد والإحفـاد
حتـى اذا وفى الرياسـة حقهـا — أمسى الحمـام لديـه بالمرصـاد

فلما أتاه الحوات ، جعل الشيخ يمسح بيده على ظهره ويقول له :

---

40) انظر م. الفاضل ابن عاشور ، **الفقه بين المغرب وتونس** ، **مجلة المغرب** ، عدد 6 — 7 ص. 11 — 15 .

41) س. الحوات ، **ثمرة انسي** ، حسب نقل ع. ابن ابراهيم ، **اعـلام** ، 5 : 139 ، و ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 187 .

« جزاك الله عنا خيــرا ! ذكرتنا يـــا بن الرســـول » (42) .

احمد بـــن محمـــد الفاسى (43)

(1166 — 1213 = 1753 — 1799)

ابو العباس أحمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد القادر بن على ابن يوسف الفاسى ، أحد أعضاء الاسرة الفاسية الكبيرة التى انجبت العديد من العلماء المشهورين والادباء اللامعين . فهو ابن محمد الفاسى المتقدم ، والاخ الاكبر لعبد الواحد ، وابن اخى أبى مدين ، وحفيد الشيخين عبـــد القادر وابنه محمد ، وابن عم محمد المهدى ، وعمر ، ومحمد ابن عبـــد الســـلام ، ومحمد الطاهـــر (44) .

ولد أبو العباس بفاس عام 1166 = 1753 ، وحضر فى جامعـــــة القرويين المجالس العلمية لاهله ، كأبى حفص عمر ومحمد بن عبد السلام الفاسيين . وحج الى مكة المكرمة عام 1211 = 1796 ، مارا فى طريقـــه بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر . ثم رجع الى المغرب فى السنة التالية ، بعد أن زار الحرمين الشريفين وسائر الاماكن المقدسة . وادركته هو واخاه الوفاة بفاس بعد ذلك بسنة ، بسبب الوباء المنتشر آنذاك بالمغرب عـــام 1213 = 1799 .

---

42) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 187 .

43) ترجـــم لـــه :
أ ـــ السلطان مولاى سليمان ، **عناية** ، ص . 78 .
ب ـــ م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، ص. 538 .
ج ـــ م. الفاسى ، **الرحالة المغاربة** ، **مجلة دعوة الحق** ، السنة 2 عدد 4 ، يناير 1959 ، ص. 24 ـــ 25
د ـــ ع.الكتانى ، **فهرس الفهارس**، 2 : 112 . (أثناء ترجمة الصدفى) .
هـ ـــ ع. ابن ســـودة ، **دليـــل** ، 2 : 349 .

44) تقدمت تراجم أكثر هؤلاء العلماء الفاسيين ، وستأتى تراجم من لم يترجم منهم بعد .

وقد كتب أحمـــد الفاسى ، فى زيارته للمشرق ، **رحلـــة** لم تطبـــع بعد (45) ، تمتاز بوصف دقيق لجميع المراحل التى قطعها ، مع اشارات مهمة للعلماء والادباء فى مختلف البلاد التى زارها . وفى هذه المقتطفات التى اختـــرناها من **رحلة** أحمد الفاسى ، نراه بعد أن وصف عيد فيضـــان النيل بمصر ، حيث صادفه عند وصوله للقاهرة ، يذكر ولوع أهل المشرق بشرب القهوة وولوع أهل المغرب بشرب الشاى فيقول :

« بخلاف مغربنا فى هذا الاوان ، فانه عمت به البلوى أو كادت أن تعم بشرب اتاى ، وهو بأغلى ثمن فى الغالب . وقد جعل الناس كلهم يتكلفونه، ولا يخلو مجلس منه ، ولا اكرام ولا غير ذلك بدونه ، وفيه من السرف مـــا لا يخفـــــى » (46) .

وحضر يوما مجلسا علميا بالازهر ، فرأى طالبا أخذ (حق طباقو) للتنفيحة من أحد رفاقه ، وبعد أن شمه أفرغه فى كراسة ، ورد له الحـــق خاويا ، فتضاحك الطلبة بمحضر الشيخ ، وقال : « لا حول ولا قـــــوة الا باللـــــــــه ! » (47) .

ولما خرج الركب من القاهرة ، مرض رجل سوسى ، فأوصى بما له لاحد رفاقه ، وله ورثة بالمغرب . فلما توفى ، أخذ شيخ الركب المصرى المال الذى تركه ذلك الشخص ، فعلق على ذلك صاحب الرحلة بقوله : « فانظر ، أيها الاخ ، هذه القضية ، وهل مثل هذا بمغربنا ؟ فحاشـــا وكـــــلا ! » (48) .

---

45) يعتزم م. الفاسى طبع هذه الرحلة فى سلسلة الرحلات الحجازية التى يقوم بنشرهـــا . وتوجد منها ، علاوة على المخطوطات المحفوظة بمكتبات المغرب ، مخطوطات أخـــرى بالخارج ، كمكتبة أحمد تيمور باشا ، ومكتبة بلدية الاسكندرية (انظر م. الفاســـــى ، **دعوة الحـــق** ، السنة 2 ، عدد 4 ، ص. 24) .

46) **المصدر السابق** ، ص. 24 — 25 .

47) **نفس المصدر** ، ص. 25

48) **نفس المصدر ، فى نفس الصفحـــة** .

تحتوى رحلة أحمد الفاسى على وصف مفصل لاقطار الشرق الاوسط ومدنه فى بداية القرن الثالث عشر = 19 ، كمصر ، والحجاز ، وشمال افريقيا ، كطرابلس ، وتونس ، والجزائر . وقد أطلع المؤلف فى طرابلس على نسخة فريدة من **صحيح** البخارى بخط أبى الحسن على الصدفى (ت 508 = 1114) ، وقد اشتراها صاحبها من اسطمبول ، فقال عند ذلك علماؤها : « قد أخليت اسطمبول » .

ان وصف هذا المخطوط القيم ، والذى سبق أن قام به أيضا الرحالة محمد بن عبد السلام الناصرى (49) ، لجدير أن يذكر بعضه هنا ، نظرا لقيمة المخطوط من جهة ، وللتفاصيل الدقيقة التى لاحظها المؤلف وسجلها :

« وقفت بمحروسة طرابلس على نسخة من **البخارى** فى سفر واحد ، فى نحو من ستة عشر كراسة ، وفى كل ورقة خمسون سطرا من كل جهة ، وكلها مكتوبة بالسواد ، لا حمرة بها أصلا . وهى مبتدئة بما نصه : باسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا (محمد) نبيه ، كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند تمام كل حديث صورة اه . ولا نقط بها الا ما قل . وبآخرها عند التمام ما صورته : آخر **الجامع الصحيح** الذى صنفه أبو عبد الله البخارى رحمه الله . والحمد لله على ما من به ، واياه أسأل أن ينفع به . وكتبه حسين بن محمد الصدفى ، من نسخة بخط محمدبن على بن محمود ، مقروة على أبى ذر — رحمه الله ! — وعليها خطه . وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة 21 محرم عام ثمانية وخمسمائة . والحمد لله كثيرا ، كما هو أهله ، وصلواته على (محمد) نبيه ورسوله ، صلى الله عليه وسلم كثرا اثيرا . وعلى ظهرها : كتاب **الجامع الصحيح** من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه

---

49) ستأتى ترجمته .

وايامه ، تصنيف أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ، رضى الله عنه ، رواية أبى عبد الله محمد بن يوسف الفربرى عنه ، رحمه الله ، لحسين بن محمد الصدفى . . . وعليها اجازة الصدفى للقاضى عياض فى جملة الفقهاء بسماعهم له فى المسجد الجامع بمرسية . . . » (50) .
يضاف ، الى دقة وصف الاقطار والاشياء التى رآها الرحالة الفاسى ، بساطة الاسلوب ، ووضوح اللغة . وبذلك يكون المؤلف قد جعل من فن الرحلة ، الذى كان قد انحط منذ قرنين سابقين ، فنا حيا وشيقا ، قريبا جدا من المفهوم الحالى لادب القصة .

---

(50) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 112 — 13 .

عبد الواحد الفاسي [1]

(1799 — 59/1758 = 1213 — 1172)

أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري الفاسي ، أديب ومؤلف في التراجم . ولد بفاس عام 1172 (1758 — 59) ونشأ في رعاية والده ، وحفظ القرآن الكريم والكراريس . ثم أخذ عن ابن الحسن بناني المتقدم ، وعبد القادر ابن شقرون (2) ، وابن عبد السلام الفاسي (3) ، وزين الدين العراقي (4) ، وغيرهم من الشيوخ المذكورين في **فهرسته** .

صار عبد الواحد الفاسي أستاذا شهيرا ، وكان أول واعظ بجامع الرصيف الذي شيده المولى سليمان .

له قصائد عديدة ، وكتابان في التراجم ، هما :

1 — **ارتقاء الرتب العالية ، في ذكر الانساب الصقلية** (5) .

---

1) انظر ترجمته عند :
1 — ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 335 — 336 ، مع المراجع المذكورة هناك .
ب — ع. مولاي سليمان ، **عناية** ، ص. 68 — 69 .
ج — م. الفاسي ، **الادب المغربي** ، ص. 538 (أ) — 538 (ب)
د — ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 115 ، 2 : 377 و 425 .

2) يتعلق الامر بابن شقرون الفاسي المتوفى بفاس عام 1219 = 1804 . انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 335 هامش 5 . ولا ينبغي خلط هذا العالم بسميه المكناسي الذي تقدمت ترجمته .

3) ستاتي ترجمته بعد قريب .

4) انظر ترجمته عند م. الكتاني ، **سلوة** ، 3 : 114 .

5) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1283 ك . انظر عنوانه الكامل عند م. الكتاني ، **سلوة** ، 1 : 343 .

2 ـ اغاثة اللهفان ، وسلوة الاحزان ، للقادريين عظام الشان (6) .

اولهما دراسة وافية لانساب الشرفاء الصقليين ، والثانى فى انساب الشرفـــاء القادريـــــين .

توفى عبد الواحد الفاسى بالطاعون يوم ثانى ذى الحجة من عـــام ثلاثة عشر ومائتين والف = (7 ماي 1799) ، ودفن بزاوية جده الشيخ عبد القادر الفاسى بحى القلقليين بفـــاس .

6) أرجوزة فى نحو اربعمائة بيت فى ابناء الشيخ عبد القادر الجيلانى الشهير .
توجد نسخة منها عند الاسرة الفاسية ، وطبعت فى تونس . انظر ع. ابن سودة ، **دليـــل**، 2 : 377 .

محمد ابن عثمان المكناسي [1]

(ت 1213 = 1799)

نشرت جامعة محمد الخامس بالرباط اخيرا ، فى سلسلة الرحلات ، الجزء الاول المتعلق برحلة هذا الكاتب بعنوان : **الاكسير فى فكاك الاسير ،** حققه وعلق عليه محمد الفاسى . وليس لنا ما نزيده على ما فى تلك الدراسة المدققة المعمقة ، الا ان نحتذى حذو خطوطها الكبرى فى هذا العرض الوجيز .

لا يعرف بالضبط تأريخ ولادة أبى عبد الله محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان المكناسى ، وانما يفترض ، بحسب ظروف حياته ، أنه ولد بمدينة مكناس أواسط القرن الثانى عشر = 18 ، من أسرة علمية ، حيث كان ابوه خطيبا بأحد مساجد تلك المدينة ، وخلفه المترجم فى ذلك بعد موته وهو ما يزال فى مقتبل العمر ولما علم السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمقدرة ابن عثمان وكفايته ، قربه اليه ليكون من كتاب بلاطه . ولا نعلم عدد السنين التى قضاها فى هذا المنصب . ثم زادت ثقة السلطان به فسماه حاكما لمدينة تطوان ، ثم عينه وزيرا .

توفى ابن عثمان بمراكش عام ثلاثة عشر ومائتين وألف = 1799 (2) .

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 153 وهامش 1 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 301 — 305 و 318 — 330 ، 4 : 159 — 168 ، ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 142 — 143 ، رقم 484 ، كرابيردى هامسو ، **الوجيز فى الادب** ، ص. 36 ، **سبيكشيو جيو كرافيكو** ، ص. 179 و 234 ، م. الفاسى ، **المعلى والرقيب** ، باريز ، 1930 ، **الادب المغربى** ، ص. 538 (ب)، **الاكسير** ، هـ. بيريس ، **اسبانيا من خلال ما رآه الرحالةالمسلمون** ، ص. 17 — 29 .

اخذ في المغرب عن السلطان مولاى سليمان ، ولقى فى الشام سعد الدين الحنفى (3) ، ومحمد بن محمد الغزى الشافعى (4) ، واسماعيل الجراعى الحنبلى (5) ، وفى تونس العالم المغربى أحمد بن عبد الله بن محمد السوسى السكتانى (6) .

رحلات ابن عثمان الى الخارج

قام محمد ابن عثمان بأربع رحلات سفارية ، ثلاث منها أيام السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، والاخيرة على عهد مولاى اليزيد .

1 — كانت اولى رحلات ابن عثمان عام 1193 = 1779 الى اسبانيا ، لعقد اتفاق مع ملكها كارلوس الثالث بغية تحرير الاسرى الجزائريين المعتقلين لديه ، وتجديد علائق المودة القائمة بين العاهلين . وقد كتب ابن عثمان بهذه المناسبة رحلته بعنوان **الاكسير فى فكاك الاسير** ، وظلت تعتبر مفقودة الى أن اكتشفت منها أخيرا ثلاث نسخ دفعة واحدة (7) .

2 — وبعد ثلاث سنوات (1196 = 1782) ، بعث سيدى محمد ابن عبد الله بابن عثمان سفيرا الى مالطة ونابلى ، لافتداء الاسرى المسلمين هناك ايضا . فكتب رحلة ثانية بعنوان : **البدر السافر ، لهداية المسافر ، الى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر** (8) .

---

2) انظر تاريخ وفاته بالضبط عند م. الفاسى ، **الاكسير** ، المقدمة ، ص . ف — س .

3) هو حفيد الشيخ عبد الغنى النابلسى . انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 162 .

4) هو الشيخ كمال الدين محمد بن محمد الدمشقى . انظر خ. الزركلى ، **الاعلام** ، 5 : 298 (ا و ب)

5) هو مفتى الحنابلة فى عصره . انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 163 .

6) توفى بتونس عام 1177 = 1763 . انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 163 ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 145 — 146 .

7) انظر م. الفاسى ، **الاكسير** ، المقدمة ص. و — ى وقد لخص هذه الرحلة ع. ابن زيدان ، (**اتحاف** 3 : 119 — 320) . وتوجد مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط رقم 52 ح.

8) لخصها ايضا ابن زيدان (**اتحاف** ، 3 : 320 — 329) مع الاستشهاد ببعض الفقرات منها.

3 ــ وبعد ثلاث سنوات اخــرى (1200 = 1785) ، ارسلــه السلطان سفيرا الى تركيا ، للاتفاق مع الخليفة العثمانى عبد الحميد الثالث على انهاء قضية بعض القلاقل التى تسبب فيها جنود اتراك على الحدود الجزائرية ــ المغربية . وبعد انهاء المهمة الموكولة اليه ، قام بأداء فريضة الحج ، وقدم الى شرفاء الحرمين هدايا ثمينة من قبل مخدومه ملك المغرب وطالت غيبته فى هذه الرحلة الثالثة سنتين وعشرة أشهر ، كتب على اثرها رحلة بعنوان : **احراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام** (9) .

4 ــ ثم جاء دور السلطان المولى يزيد ، فأوفد ابن عثمان الى ملك اسبانيا الجديد ، وكان قد تسنم العرش منذ قليل . غير أن العلاقات بين الدولتين لم تلبث أن تدهورت (10) . وعزل ابن عثمان عن منصبه ، وعوض مرة اولى ، ثم اعيد الى عمله عام 1206 = 1791 ، واخيرا التحق ببلاده عند وفاة السلطان فى نفس السنــة .

ابــن عثمــان الشاعــر

ترك محمد ابن عثمان ، فضلا عن كتاباته النثرية فى الرحلات الثلاث التى سنذكر نماذج منها ومن رسائله الديوانية والاخوانية ، قطعا شعرية عديدة ادرج بعضها فى ثنايا رحلاته . وهى تدل على ما له من قدم راسخة فى مضمار الشعر ايضــا . ومن ذلك قولــه :

جاء من طال ما تشوقت النفــس   اليــه بشـــرى لــه وهنيــه

---

9) العنوان الكامل لهذه الرحلة هو : **احراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب** . وقد زار ابن عثمان ، خلال هذه الرحلة الثالثة ، القسطنطينية ، ودمشق ، والقدس ، والخليل ، بعد اداء شعائر الحج . ثـم توجه الى تونس والجزائر وتلمسان حيث لقى كبار علماء العصر . انظر ع. ابن زيــدان ، **اتحاف** ، 3 : 301 ــ 305 .

10) قتل الاسبانيون ، بصفة خاصة ، مدينة طنجة ، كما سبق .

انعش الروح ثم رياه لولا ذاك لم تبق فى الحياة بقيه
اذ تداعوا بالامس وسط نهار درة الملك قد أتتنا جليه
فتاخرت عن لقاه محققا فارتقاب الهلال يلفى عشيه
هكذا الشأن ما تقولون أنتم عن يقين قلتم وصدق ونيه
فاجابوا : اما ترى الشمس ولى نورها كاسفا راته البريه ؟
قلت فى الفقه : ان تبدى هلال فى نهار أعطوه حكما وليه (11)

تحتوى هذه الابيات التى قيلت فى مدح السلطان على صور حسنة فى عبارات شيقة . وانك لتعجب مما أبداه هذا الديبلوماسى من حذق ازاء مزاحمة رجال الحاشية الآخرين له فى ملاقاة العاهل . وان التأويلات التى تقدم بها لتبرير تأخره ، والتى تجعلنا نبتسم لانها غير مقبولة ، لهى فى الواقع مليئة دهاء واحتيالا ، شاهدة بما له من الهام بالعلوم الفقهية .

ب — وجاء فى قصيدة قالها ابن عثمان فى مداعبة بعض أصدقائه ، وقد أخلف وعد زيارته غير ما مرة :

جد بوصل ولو بطبق خيال اذ هوى النجم فى الدجى للغروب
وتدارك حشاشة القلب اذ كان لمثواكم من الموهوب
طمعى الآن فى الوصال قوى وشفيعى فى نيله المرغوب
بصدق الفجر بعدما يتجلى كاذبا فى الآفاق غير مفيب (12)

ج — ومن قصيدة قالها فى مدح الشيخ عبد الغنى النابلسى (13) دفين صالحية دمشق :

مناقبه الكثيرة لا تناهى فننشر حديثه فى كل حى

11) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 163 .
12) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 164 .
13) انظر ترجمته عند عبد الغنى ، **دائرة المعارف الاسلامية** 2 ، 1 : 62 (ا و ب)

دواوينه من الامداح ملئى لصحب أو ولي أو نبي
فلم يترك الى غير مقالا وآب الكل ذا حصر وعي
فصاحته من الرحمن فيض فما سحبان أو غيلان مي ؟ (14)

وبالجملة فان شعر ابن عثمان ، واغلبه هزل وملح ، ملىء حيوية ، حلو الانشاد .

ابن عثمان الناثر

غير أن ابن عثمان ، كسائر الادباء كتاب الرحلات ، كان قبل كل شىء ناثرا قديرا . تكون ملاحظاته حلقة في سلسلة ما اتى به سلفه : الوزير الغسانى وأحمد الغزال المتقدمان ، ومعاصره أبو القاسم الزيانى (15) ، ومن أتى بعده من الكتاب (16) . وقد رأينا ، فى ترجمة احمد الغزال ، أنه استمد بعض الشىء من رحلة الوزير الغسانى ، فمن الطبيعى أن يقلد ابن عثمان كلا منهما ، لان الرحلات الى أوربا ، بصفة خاصة ، حيث الاختلاف بين فى المظهر واللغة والدين والعادات ، تحير الالباب وتثير الخيال ، لاسيما وان نفس الموضوعات تقريبا استرعت انتباه الرحالين الثلاثة ، ويمكن أن نتبين ذلك من المقطع التالى :

أ — وصف مدريد :

« هذه المدينة كبيرة غاية فى الكبر وضخامة البناء . حاضرة الحواضر ببلاد اصبانية . وبنى على ربوة وببابها وادي مانسنارس زادها حسنا وبهاء ،

---

14) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 165 — 166 .

15) ستاتى ترجمته قريبا ص.

16) يمكن أن نذكر منهم مولاى العباس اخا السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ، وملك سالم وسيدى بريشة ، ومحمد بركاش الرباطى ، والكردودى . انظر هـ . بيريس ، **اسبانيا كما رآها الرحالة المسلمون** ، ص. 24 .

وبهجة وسناء . وقد غرسوا على جانب الوادى ، الذى من ناحية المدينة ، اشجارا كثيرة ، مثل النشم وما اشبهه ، فى غاية العلو بصفوف معتدلة يتفيئون ظلالها عشية وقت خروجهم ، يترددون على حاشية الوادى المذكور على اكداشهم . ومن لم يكن عنده كدش يخرج على رجليـــه .

« ولما دخلنا المدينة المذكورة ، وجدنا بها من الخلائق أضعاف من تلقانا بخارجها . فسرنا فى سكك متسعة ، وديار مرتفعة . فجل ديارها لها ست طبقات ، وخمس طبقات ، لكل دار سراجيب مفتحة للازقة ، مغلقة بالزاج ، عليها شبابيك الحديد . واسواقها عامرة ، مشحونة بأهل الحرف ، والصنائع، والتجارة ، والبضائع ، وجل باعتها النســـاء » (17) .

ملاحظات ابن عثمان هنا دقيقة ومثيرة ، معبر عنها بنثر مرســـل رائق . وذلك عكس ما نجده فى رحلته الحجازية ورسائله ، من نثر فنى مثقل بالسجع ، يجعل قراءته متعبة صعبة ، كما هو الشأن فى هذا المقطع .

ب ـ وصـــف القسطنطينيـــة :

« . . . ان قلت بلد ، اتكالا على ما لها من التخصيص فى القلب والخلد فقد أضعت حقها ، ويبقى الاحتمال فى أن يكون هناك من هو فوقها . وان قلت مدينة واقتصرت ، فلا منعت دخول غيرها ولا حضرت . وان قلـــت اقليم فقد يشتمل على عمران وخراب ، وبحران وسراب ، والحق اعلى ، وتأدية الحقوق من أخبارها اولى . وما رايت ما يؤدى وصفها ومعناها ، وما اشتمل عليه اقصاها وادناها . فهى محشر الامم ومحط الرحال ومجـــر

---

17) م. ابن عثمان ، **الاكسيـــر** ، ص. 83

العمران وغاية القصاد ، والمورد العذب للوراد ، لا يوقف فى وصفها على حـد ، ولا يتناها فى مآثرها ومحاسنها على عـد . فلها المساجد التى بهرت، وبالتدريس وطلاب العلم ازدهرت (. . .) الا أن بردها عاصف ، وقرهـا لا يصفه واصف ، لا يرده دثار ، ولا موقد نار ، فهى اناء للثلج المنصوب ، فتبنو عن المضاجع من قرها الجنوب » (18) .

---

18) ع. ابن زيدان ، اتحـاف ، 4 : 166 .

محمد بن عبد السلام الفاسى (1)

(1799 — 1718 = 1214 — 1130)

ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن العربى ابن يوسف الفاسى . علامة متمكن من النحو والفقه ، اشتهر على الخصوص بكتبه فى علوم القرآن . ولم يكن ، من ورعه ودقته ، يذكر تاريخ ولادته ، كما كان يفعل شيخه ابن عمه عمر بن عبد الله المتقدم ، اقتداء بالسلف الصالح . لذلك ، لا نعرف الا انه ولد بفاس ، ونشأ بها فى أحضان والده ، وتعلم فى صغره القرآن الكريم بالقراءات السبع على أحمد الهلالى المتقدم ، واخذ سائر العلوم على عدد من الشيوخ ، أمثال :

أ — عمر الفاسى ، وابن المبارك البكرى . قرأ عليهما علوم البلاغة، والمنطق ، والجدل .

ب — ابن عبد السلام بنانى ، ومحمد البكرى السرغينى ، ومحمد بن قاسم جسوس . قرأ عليهم الفقه ، والحديث ، والتفسير .

ج — عبد الهادى بن محمد العراقى ، ولم يأخذ عنه غير الفقه .

د — أحمد بن الغالب الشرايبى (2) ، قرأ عليه الحساب والفرائض .

وتتلمذ ابن عبد السلام الفاسى أيضا للكندوز ، والزبادي ، وعبد الرحمن بن ادريس المنجرة ، وعمر بن أحمد الجامعى ، والمجاصى المتقدمين،

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 147 وهامش 6 + ص . 335 — 337 ، والمراجع المذكورة هناك ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 223 — 225 ، ع. مولاى سليمان ، **عناية** ، ص. 70 — 77 ، ع. ابن ادريس المنجرة ، **فهرست** ، ع.ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 89 و 267 ، 2 : 425 .

2) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 51 .

ومحمد بن طاهر الهواري (3) .

انتقل ابن عبد السلام الفاسى الى سوس ، آملا أن يكتشف فيه من المعلومات ما يتمم به بحوثه ، فخاب ظنه ، ومع ذلك مكث هناك مدة يشتغل بتعليم القرآن الكريم وأحكام الاسلام ، وقواعد اللغة العربية والادب . ثم رجع الى مسقط رأسه بعد طول غياب ، فازدحم الناس على حلقات تدريسه ، وفيهم علية القوم . وكانت دروسه على أربعة مستويات :

أ — تلاوة القرآن وتجويده .

ب — الرواية .

ج — سائر العلوم غير تلاوة القرآن الكريم .

ويطول بنا القول لو اتينا على ذكر كل تلاميذ هذا العالم الكبير . ومن اشهرهم مؤلف **عناية أولى المجد** ، وابن شقرون الفاسى المتقدم ، ومحمد ابن مسعود الاندلسى ، وعبد الوهاب بن محمد الحلو ، ومحمد بن أحمد بنيس (4) ، وعلى بن أويس ، والطيب بن صالح الغمرى ، ومحمد بن عبد الوهاب أجانا ، ومحمد بن عبد السلام الشفشاونى ، ومحمد بن عبد الله ابن عزوز الاندلسى .

ورغم كون ابن عبد السلام فقد احدى عينيه فى آخر عمره ، وأثقلت كاهله السنون ، فانه بقى على سيرته فى التورع والتنسك ، الى ان ادركته الوفاة يوم ثانى عشر رجب من عام أربعة عشر ومائتين وألف = 10 ديمسبر 1799 ، عن سن تناهز الخامسة والثمانين (5) . وذلك ما يجعلنا نفترض

---

3) انظر ترجمته عند ل. بروقنسال ، **شرفاء** ، ص. 147 وهامش 5 .

4) انظر ترجمته فى **المصدر السابق** ص. 335 هامش 9 ، مع المراجع المذكورة هناك .

5) انظر ع. مولاى سليمان ، **عناية** ، ص. 77 .

انه ولد عام 1130 = 1718 (6) .

خلف ابن عبد السلام الفاسى مؤلفات كثيرة ، تكاد تكون كلها فى علم القراءات ، وهـــــى :

1 ـ **شرح لامية الافعال** لابن مالك فى مجلد ضخـــم .

2 ـ **فهرســـت** منظومة فى مائتى بيت من الرجـــز (7) .

3 ـ **شرح دالية ابن المبارك الوراق** ، فى وقف حمزة وهشام ، وفى الهمز .

4 ـ **حاشية على شرح الجعبرى** على **حرز الامانى** (8) .

5 ـ **حاشية على الجرابردى** على **شافية ابن الحاجب** فى قواعد اللغة .

6 ـ **المحاذى بما يفك أسر المعانى ، من فوائد النشر وكنز المعانى** ، وهو شرح لكتاب أبى القاسم الشاطبـــى (9) .

7 ـ **الوجيـــــز** (10) .

8 ـ **طبقـات المقرئيـــن** .

9 ـ **تقييـــد** فى التجويـــد .

10 ـ **تأليــف** فى مخارج الحـــروف .

11 ـ **جـــــواب** عـــن ســؤال يتعلـــق . . .

12 ـ **تقييـــــد** فـــى عائلتـــه (11) .

---

6) انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 147 هامش 6 .

7) انظر ع. مولاى سليمان ، **عنايـــة** ، ص. 72 ، ل. بروفنسال ، **شرفــاء** ، ص 335 ، هامش 6 . وقد الف ابن عبد السلام الفاسى أيضا فهرست نثرية يوجد معظمها فى مقدمة الكتاب الذى يحمل رقم 4 فى هذه اللائحة .

8) عنوان هذه الحاشية : **اتحاف الاخ الاود المتدانى ، بمحاذى حرز الامانى ، ووجه التهانى.** مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 312 ك . فى 412 صفحة . ويشتمل على 180 فصـــلا. انظر ل. بروفنسال ، **لائحة المخطوطات** ، ص. 8 ، رقـــم 15 .

9) انظر عنه ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب العربى** ، 1 : 407 و 409 ، ذيل ، 1 : 725 .

10) العنوان الكامل : **القول الوجيز ، فى قصع الزارى على جملة كتاب الله العزيز** . انظـــر علوش والرجراجى **فهرس المخطوطات** ، ا : 25 ، رقم 635 .

11) يوجد ضمن مجموع فى مكتبة الصقليين بفاس . انظر ع. ابن سودة ، **دليـــل** ، 1 : 89 ، رقـــم 283 .

زوجة المختار الكنتي [1]

(1810 — 1748 = 1224 — 1160)

لا يغفل أحد من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم هذه المرأة ، كلما سنحت لهم الفرصة للكلام على النساء العالمات بالمغرب (2) . غير أن المعلومات الوحيدة التي يقدمونها عنها ، ويتناقلها بعضهم عن الآخر ، تتلخص في كونها كانت زوجا للشيخ المختار بن أبي بكر الكنتي ، حافظة للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، تدرس **مختصر خليل** للنساء كما كان يدرسه زوجها للرجال .

ويبدو أن جميع الذين ترجموا لهذه المرأة ، لم يكونوا يعلمون بوجود كتاب ضخم وضعه في ترجمتها وترجمة زوجها ابنهما أبو عبد الله محمد بن المختار بن أبي بكر الكنتي بعنوان : **الطارفة والتالدة ، من كرامات الشيخين الوالد والوالدة** (3) .

ومن هذا الكتاب نعرف أن هذه السيدة ولدت آخر سنة 1160 = ديسمبر 1747 ، وهي السنة المعروفة بالبطحاء . واسمها عائشة بنت المختار ابن الامين الازرق ابن احمد بن محمد بن أحمد بن الحاج أبي بكر احمد البكاء . وكانت صالحة عالمة ، قرأت القرآن الكريم على أبي عبد الله محمد المكي الدكالي ، وتزوجت عام 1170 = 1757 وهي بنت عشر سنين ، وماتت يوم ثامن ذي الحجة الحرام عام أربعة وعشرين ومائتين وألف = 4 يناير 1810 .

---

1) انظر ترجمتها عند ابنها محمد المختار الكنتي ، **الطارفة والتالدة** ، م. القادري ، **النشر الكبير** ، 2 ورقة 139 ظ ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 281 — 282 .
2) وبخاصة م. القادري و ع. كنون .
3) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 2294 ك ، في 698 صفحة ، ولم يكمل .

محمد الطيب ابن كيران (1)

(1812 — 1758 = 1227 — 1172)

ابو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيران الفاسى . فقيه شهير متضلع فى أصول الفقه وفروعه ، عارف بالكليات والجزئيات . قال عنه أحد كتاب التراجم المعاصرين : « يزعمون أن الامام السيوطى هو آخر الحفاظ ، وأنا اقول بدورى ان آخر الحفاظ والبلاغيين هو الشيخ الطيب ابن كيران . وليس من رأى كمن سمع » (2) .

قرأ على أبى حفص الفاسى ، ومحمد بن الحسن بنانى ، ومحمد التاودى ابن سودة ، وابن شقرون الفاسى ، ومحمد بن الطاهر الهوارى ، وزين العابدين العراقى المتقدمين ، وعلى عبد الكريم اليازغى (3) ، وغير هؤلاء من فطاحل العلماء . وأجازه محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعى (4) .

وتخرج بابن كيران جمهور من أعيان الطلبة ، أمثال ابنه أبى بكر ، وحمدون ابن الحاج (5) ، وأبى عبد الله الزرويلى (6) ، وأبى عبد الله ابن

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 333 و هامش 10 ، والمراجع المذكورة هناك ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 278 و 294 ، ك. بروكلمان ، **ذيل** ، 2 : 875 ، ع. المشرفى ، **الحسام المشرفى** ، ص. 322 — 323 ، م. أبو راس المسكرى ، **فتح الله** ، ص. 75 — 84 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 374 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، ص . 128 ، رقم 805 .

2) م. أبو راس المعسكرى ، **فتح الله** ، ص. 75 .

3) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 337 و هامش 4 ، مع المراجع المذكورة هناك .

4) ستأتى ترجمته قريبا ص .

5) ستأتى ترجمته قريبا ص.

6) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 202 وهامش 1 ، مع المراجع المذكورة هناك .

منصور (7) ، وأحمد ابن عجيبة المتقدم ، وعبد القادر بن أحمد الكوهن . غير ان ابرز تلاميذه هو السلطان مولاى سليمان .

توفى الشيخ الطيب ابن كيران بفاس يوم رابع عشر ، أو سابع عشر ، محرم فاتح عام سبعة وعشرين ومائتين والف = 29 يناير ، او فاتح فبراير 1812 . ودفن بمطرح الاجلة خارج باب الفتوح . وكانت ولادته عام 1172 = 1758 .

خلف ابن كيران عددا وافر من التآليف يمكن ترتيبها كما يأتى :

أ – **تفسير القرآن الكريم** :

1 – من سورة النساء الى قسم من سورة غافق .

2 – سورة الفاتحة .

3 – جزء من سورة البقرة (8) .

ب – **شروح** :

1 – **حكم** ابن عطاء الله (9) .

2 – **الفية** العراقى (10)

3 – **توحيد الرسالة** ، لم يكمل .

4 – توحيد **المرشد المعين** (11) .

---

7) هناك ثلاثة أشخاص بهذا الاسم . والمقصود هنا بالتوالى منهم ، المترجم عند م. الكتانى، **سلوة** ، 2 : 343 .

8) أرقام السور المذكورة على التوالى هى : 4 ، 40 ، 1 ، 2 .

9) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 2534 ك.

10) مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم ، 1379 ك .

11) مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم ، 81 ك .

5 ـ **كتاب العلم** ، وهو أحد فصول **احياء** الامام الغزالى .

6 ـ العشر الاواخر من **الاربعين النووية** ، الفه بأمر من السلطان .

7 ـ **الصلاة المشيشية**

8 ـ **نصيحة** أبى العباس الهلالى .

9 ـ **رسالة** السلطان مولاى اسماعيل المتعلقة بالكسب (12) .

10 ـ **الخريدة** لحمدون ابن الحاج فى المنطق .

ج ـ **حواش :**

1 ـ على **المحاذى** لابن هشام ، وهو جيد لكنه للاسف لم يكمل .

2 ـ على حواشى شرح **ألفية** ابن مالك (13) .

د ـ **نحو :**

1 ـ **رسالة** فى (لو) الشرطية (14) .

2 ـ **رسالة** اخرى فى فعل (قال)المستعملة فى أسانيد المحدثين (15) .

هـ ـ **أرجوزة** عجيبة فى الاستعارة والمجاز (16) .

و ـ **كتيب** فى 36 صفحة بعنوان **عقد نفائس الآلى ، فى تحريك الهمم العوالى،** الفه فى نصح المؤمنين ، بأمر من السلطان (17) .

---

12) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، ضمن مجموع ، رقم 1373 ، ص. 8 ، وما بعدها .

13) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 1673 ك .

14) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 938 د .

15) مخطوطان فى المكتبة العامة بالرباط ، ضمن مجموعين ، رقم 1373 و 1072 ك . ص. 54 ـ 61 . ويتضمن المجموع الاخير أيضا دراسة عن الهمزة .

16) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، ضمن مجموع ، رقم 2232 ك . وقد شرح هذه الارجوزة محمد التهامى بن محمد البورى (ت. بفاس عام 1243 = 1827) . وتوجد نسخة من الشرح مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط ، رقم 921 د . انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 374 .

17) مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1072 ك . ، ضمن مجموع ، ص. 1 ـ 36 . ويحتوى هذا المجموع على عدد من الرسائل فى شكل أجوبة عن أسئلة فقهية وجهت الى ابن كيران من قبل السلطان مولاى سليمان أو غيره من علماء الاسلام .

محمد الرهوني [1]

(1815 — 1746 = 1230 — 1159)

من أكبر علماء المذهب المالكي بالمغرب . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يعقوب يوسف بن علي الحاج بريكشة الرهوني الوزاني . يرجع الفضل في شهرته الواسعة الى **حاشيته** القيمة على شرح الزرقاني (2) ومحمد بن الحسن بناني **لمختصر** خليل .

قرأ الرهوني على التاودي ابن سودة ، ومحمد بن الحسن الجنوي المتقدمين ، وأجازاه اجازة عامة . وأخذ الطريقة الوزانية على علي بن أحمد ابن الطيب الوزاني (3) . وتتلمذ للرهوني السلطان مولاي سليمان ، والشاعر ابن عمرو الرباطي (4) ، وقاضي مراكش الطيب بن ابراهيم بصير (5) .

اشتغل الرهوني أولا بالخطابة في مسقط رأسه ، ثم توجه الى مكناس وسكن مدة في مدرسة الخضارين . وتوفي يوم ثالث عشر ، أو عشري رمضان ، عام ثلاثين ومائتين وألف = 19 ، أو 26 غشت 1815 ، ودفن بضريح شيخه علي بن أحمد بن الطيب الوزاني . وكانت ولادته في شهر ذي القعدة عام 1159 = نوفمبر — دجنبر 1746 . وتكاد تكون مؤلفات الرهوني

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 199 هامش 1 ، ص. 333 وهامش 14 ، ص. 336 ، والمراجع المذكورة هناك ، ك. بروكلمان ، **ذيل** ، 2 : 98 و 874 ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 136 و 140 و 181 و 186 و 349 ، 2 : 84 و 191 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 278 و 293 — 296 ، 2 : 39 — 40 ، محمد الحجوي ، **الفكر السامي** ، 4 : 129 — 130 ، رقم 807 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 190 ، م. داوود ، **تاريخ تطوان** ، 3 : 85 و 86 و 99 و 100 و 171 .

2) انظر عنه ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، ص. 294 وهامش 2 ، وما ذكر من مراجع هناك .

3) انظر عنه ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 184 .

4) ستأتي ترجمته قريبا ص.

5) انظر عنه ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 3 : 83 — 89 .

كلها فى الفقه ، وهـــى :

1 ـ **اوضح المسالك وأهل المراقى ، الى سبك ابريز عبد الباقى** (6) .

2 ـ **حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين** ، لم تكمل (7) .

3 ـ **مجمـوعـة خطـب جمعـة** (8) .

4 ـ **التحصن والمنعة ، ممن اعتقد أن السنة بدعـة** (9) .

5 ـ **الرسالـة الوجيـزة المحـررة** (10) .

6 ـ **قصيـدة** فى مدح الشيخ التاودى ابـن سودة ، من ثلاثة وعشريـن بيتـا (11) .

7 ـ **مناقـب** الشيـخ أبى الحسن على بـن احمد بن الطيب الوزانـى (ت 1226 = 1811) . وعنه أخذ الطريقة الوزانية كما سبق (12) .

وهذا نموذج من نثر الشيخ الرهونى ، جاء فى استدعائه الاجازة من شيخه التاودى ابن سودة قولـه :

« . . . وبعد ، فليتفضل سيدنا وسندنا ، ووسيلتنا الى ربنا ، الحبر الهمام ، ذو الثبات والرسوخ ، شيخ الشيوخ الجهابذة الاعلام ، الـذى القت اليه العلوم كل زمام ، فالناس له تابعون وبه مؤتمون وهو الامام ، أبو عبد الله سيدى محمد التودى ابن سودة المرى ، لا زال الكريم بنفائس المعارف اليه يقرى ، بالاجازة لهذا العبد الضعيف ، الذى قطع عمره فى البطالة والتسويف ، محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهونى .

---

6) طبع على الحجر بفاس فى اربع مجلدات عام 1294 = 1877 ، ثم طبع ببولاق مصر عـام 1306 = 1887 فى سبة أسفار . انظر ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، 61 هامش 185 .

7 ـ 8 ـ 9) انظر ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 184 .

10) انظر ل. بروفنسـال ، **المخطوطات العربية** ، ص. 233 ، رقم 208 (11).

11) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 158 د .

12) انظر ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 190 .

وهو وان لم يكن لذلك أهلا ، فاقبلوه منا منكم وفضلا ، كى تهب عليــه نفحاتكم العظمى ، ويستوجب بذلك من الله مزيد الرحمى ، ويرتفع بالاسناد اليكم قدر هذا الخسيس ، وكيف لا وأنتم القوم لا يشقى بكـم الجليس . اجازكم الكريم بأنفس ما أجاز به وفده المقربين ، وأطال بكم النفع للخاصة والعامة من المسلمين ، بجاه سيد الاولين والآخرين . وأختم استدعائى هذا بمــا قال القائــل :

بقيــت بقاء الدهر يــا كهف أهله وهذا دعاء للبريــة شامل (13) .

انه مـن نماذج النثر المسجع الذى يطبع انحطاط هذا النوع ، اذ الكاتب الذى يفتقد افكارا أصيلة وخيالا خصبا ، كثيرا ما يلتجىء الى اطلاق الافكار على عواهنها ، والتستر وراء تجميل اللغة وتنميقها . وهكذا نجـد عند الرهونى فى البداية عدد الجمل المسجعة خمسا ، وتنتهى بثلاث بـل بجملتين مسجعتين فقط ، مما يدل على قصر النفس (14) . ومع ذلك ، فان مما يشفع لهذه الزخرفة فى الاسلوب دقة الالفاظ وخصب الصور .

أما عن المصنف الرئيسى للشيخ الرهونى ، والذى استحق به أن يعد من كبار فقهاء القرن الماضى أمثال بنانى وابن رحال المعدانى ، فهــو **حاشية على شرح مختصر** خليل لعبد الباقى بن يوسف الزرقانى . فقـد قال فيه أحد النقاد المحدثين : « وهى أهم كتبه ، دلت على فضله وتمكنه من علم الفقه أفضل تمكن . فلقد أجاد فيها كل الاجادة ، وأفاد أحسن الافادة ، وسلك فى التحقيق طريقا صريحا ، ومهيعا صحيحا . ينقل كلام المتقدمين الذى هو الاصل بلفظه ، مما دل على نشاطه فى الاطلاع وثقوب حفظه . وبسبب ذلك فضح أغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله فى الاختصار والتلخيص ، أفسدوا

---

13) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 185 .

14) فى خطب الجمعة للشيخ الرهونى كل الجمل مسجعة كأنها نظم . انظر ع. كنون ، **النبوغ**، 2 : 39 — 40

بهما كلام المتقدمين وغيروا الفقه عن مواضعه . فهى من أدخره للمتأخرين ، فكانت حجة على المتقدمين . . . » (15)

لذلك يكون الشيخ الرهونى قد حقق ثورة فى ميدان الفقه بالرجوع الى الاصول القديمة والاخذ ، علاوة على ذلك ، من الكتب الاصلية المتعلقـة بالمذهب المالكى ، والتى لم يستطع أحد من قبله الاخذ منها ، حسب قول الناقد المذكور (16) . وهو بذلك يعد من كبار الفقهاء وجهابذة المصلحين .

---

15) م . الحجوى ، **الفكر السامى** ، بتلخيص ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 295 — 296

16) من جملة الفقهاء الذين قصروا عن الاخذ من الكتب القديمة الاصيلة : الرماشى ، وبنانى، والتاودى ابن سودة . انظر ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 296

حمدون ابن الحاج[1]

(1174 — 1232 = 1760 — 61 — 1817)

كان هذا العالم احد الفقهاء المقربين الى السلطان مولاى سليمان ، كما اشرنا الى ذلك من قبل . ويكنى ابـا الفيض ، حمدون بن عبد الرحمن ابن حمدون بن عبد الرحمن السلمى المرداسى . ولد بفاس عام 1174 = 1760 — 61 ، ونشأ فيها ومات فى سابـع ربيع الثانى من عام اثنين وثلاثـين ومائتين والف = 24 فبراير 1817 .

وكان اديبا شاعرا متضلعا فى التفسير والفقه والتصوف . وقد قال فى حقه الشيخ الشهير أحمد التيجانى (2) فى رسالة بعث بها الى أحـد أصدقائه : « أنه — ابن الحاج — امير علماء وقته ، وارجو الله أن يكتبه فى قائمة الشعراء الذين مدحوه » . ويجعله محمد الطيب ابن كيران فى درجة الامام البوصيرى (3) فيما يتعلق بالمديـح النبوى ودرجة لسان الديـن ابن الخطيب فى الامداح السلطانية .

قرأ ابن الحاج على الشيخ الطيب ابن كيران ؛ ومحمد بن الحسـن بنانى ، والتاودى ابن سودة ، وعبد الكريم اليازغى ، وابن شقرون الفاسى ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر ، ومحمد مرتضى الحسينى (3) . وقد أجازه

---

1) انظر مراجع ترجمته عند ل . بروفنسـال ، **شرفاء** ، 342 ، هامش 5 مع المراجع المذكورة هناك ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، **538** ، **الرحالة المغاربة** ، **دعوة الحق** عدد 4 ، ص. 25 ، ع كنون ، **نبـوغ** ، 1 : 296 — 297 ، 2 : 257 — 282 — 287 ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، 86 ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 1 : 264 ، 518 ، 2 : 874 ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 215 ، 2 : 349 ، 390 ، 421 — 422 .

2) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، سلوة ، 1 : 180 ، **دائرة المعارف الاسلامية** ، 4 : 784ب 785 ب .

3) انظـر ترجمته عند م. الكتانـى ، **سلـوة** ، 2 : 269 .

هذان الاخيران .

قام ابن الحاج خير قيام بأعباء الحسبة فى فاس آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، ثم ولى منصب قائد فى ناحية الغرب فأحيى السنة واصول الشريعة ثم انقطع نهائيا عن المناصب الادارية ليشتغل بالتدريس ويقوم بأداء فريضة الحج . ولما رجع من المشرق سجل المعلومات التى حصل عليها فى هذا السفر واودعها رحلته الشهيرة (4) . والف غير ذلك كتبا متنوعة نذكر منهـــا :

1 ـ **حاشية على تفسيرى أبى السعـــود والبيضاوى** .

2 ـ **حاشية على مختصر سعد الدين التفتازانـــى** (5) .

3 ـ **تفسير بعض ســـور القرآن الكريـــم** (6) .

4 ـ **معارضة بردة البوصيرى** ، وهـــى قصيدة فى نحو أربعة آلاف بيت فـــى المديح النبـــوى .

5 ـ **شرح هذه القصيـــدة** ، فى خمسة اجـــزاء .

6 ـ **أرجـــوزة فى المنطـــق** (7) .

7 ـ **ارجـــوزة فى علـــم الكـــلام** .

8 ـ **مقصورة فى العروض والقوافـــى** (8) .

---

4) لم يذكر هذه الرحلة سوى مصدرين ، هما :
أ ـ ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 349 . نقلا عن :
ب ـ م. الفاسى الذى وقف على نسخة من رحلة ابن الحاج فى كناشة أحد تلاميذه ، وهو أبو محمد عبد القادر بن عبد الواحد الفاسى (المتوفى عام 1270 = 1859) .
انظر م. الفاسى ، **الرحالة المغاربة** ، **دعوة الحق** ، السنة 2 ، يناير 1959 ، عدد 4 ، ص. 25 .

5) عنوان هذه الحاشية : **الثمر المختصر ، من روض المختصـــر** . انظر ل. بروفنسال ، **المخطوطات العربية** ، 103 ، رقم 305 .

6) مخطوطا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 938 د و 1348 د (ضمن مجموعين) .

7) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 938 د (ضمن مجموع) ، وتقع هذه القصيدة فى أحد عشر ومائة بيت ، وقد شرحها محمد ابن كيران. انظر ل. بروفنسال ، **المخطوطـــات العربية** ، ص.164 ، رقم 434 .

8) جعل ل. بروفنسال (مقامة) بدل (مقصورة) ، **المخطوطات العربية** ، ص. 100 ، رقم

9 — **نظم حكـم ابن عطـاء اللـه** .

10 — **نظم مقدمة ابن حجر العسقلانى وشرحهـا** (9) .

11 — **ديـوان شعـر** خاص بأمداح السلطان مولاى سليمان (10) .

12 — **رسائل** تتعلق بمسائل دينيـة (11) .

لم يكن حمدون ابن الحاج فقيها وصوفيا فحسب ، وانما استطاع أن يظهر فى المناسبات شاعرا ممتازا ، يتناول مختلف الموضوعات الادبيـة بفكر ثاقب مبدع ، وعبارة سهلة رائقة . لذلك نجده ينظم بكيفية خاصة أبياتا موسيقية قصيرة من نوع الموشح ، تنسجم غالبا مع ترتيبات غريبة . وهذه نماذج منهـا :

البهـا فيـك انتهـى	**والـيـك الـمـنـتـهـى**
فيـك كـل مـا اشتهـى	**عـاشـق يـا عشقهـا**
ليـس مـن أولـى النهـى	**عـادل عنـك نهـى**
ردنـى مثـل السهـا	**طـرفـك الـذى سهـا**
يـا حبيبـا قـدرهـا	**بـعـيـون للـمـهـا**
مـا الـذهـا وهـا	**منـك يـا روض البهـا**
وجهـك البـاهـى الاغـر	**هـو شمـس أو قمـر**
خـدك روض الـزهـر	**فيـه روض أو زهـر (12)**

يمكن الاتيان بأمثلة أخرى دون خوف من ملل القارىء ، لكثرة مـا

---

292 (5) ، و ص. 213 ، رقم 497 (11) . وذلك لا يتفق مع نص القصيدة . على أن مكتبة القاهرة ستمتلك **مقامة حمدونية** مخطوطة ، رقم 3 : 373 .

9) عنوانـه **نفحة المسك الدارى ، لقارىء صحيح البخارى** .

10) طبع على الحجر بفاس دون تاريخ . انظر مجموعات المخطوطات ، ارقام 963 ك ص. 40 — 235 ، و 2707 ك .

11) ضمن مجموع مخطوط رقم 1072 ك ، ص. 62 — 66 و 144 — 164 .

12) مجموع مخطوط رقم 158 د ، ص. 50 .

تشتمل عليه من بساطة فى التفكير ، وتلوين فى الخيال ، وجمال فى التعبير .
ويذكر هذا النوع من الشعر بالشعر الحر الذي ظهر فى مطلع القرن العشرين .
ويذكر هذا النوع من الشعر القطعة التالية أكثر بالشعراء الرمزيين فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ويتعلق الامر بقصيدة من بحر البسيط نظمت فى ثمانية أعمدة ، اربعة فى الشطر الاول ، واربعة فى الثانى ، وكتبت بألوان مختلفة متعاقبة : الاحمر ، والاسود ، والازرق ، والاسود . واذا فصلت : امكن الحصول من اللون الازرق وحده على قصيدة من بحر المنسرح ، ومن اللونين الازرق والاحمر معا على قصيدة من بحر المديد المخبون :

مساعدى سيدى الفى ومستندى
خذ بيدى فى العلاج الآن خذ بيدى
اما رايت الهوى رقا تملكنى
بقهره واعتدى جهرا على جسدى
أما رأيت الهوى جورا على طفى
أما رأيت الهوى ظلما برى كبدى
أما رأيت الهوى عمدا اراق دمى
أما رأيت الهوى عنى نفى جلدى
اما رايت الهوى جادت عوارضه
فى عدد لا سام قط بالعدد
بين الورى كم أرى مضنى لفلظتى
معذبا لم أحل عن صبحة الكمد
وكم أرى اقطع الدجى به سهرا
مفكرا والنهار فى لقا نكد

ولـــم ازل   أرتجـــى   دهرى   وصال رشـــا
مـــن شأنه   بالوصال   الصب   لـــم يعـــد (13)

هكذا كان حمدون ابن الحاج كاتبا كبيرا ، وفقيها شهيرا ، وشاعرا مجيدا ، من ابرز الوجوه فى عصر المولى سليمان الذى نهضت فيه جميع انواع الكتابـــة بحيوية مفرطة ، سواء منها ما يتعلق بالامور الدينيـــة او الدنيـــــويـــــــة .

13) المجموع المخطوط بالمكتبة العامة بالرباط ، رقم 158 د ، ص. 79 .

الضعيف (1)

(1820 — 1752 = 1236 — 1165)

هو محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطى . اشتهر هـو وكتابه التأريخى باسم الضعيف هذا الكتاب الذى يتحدث عن الدولة العلوية منذ نشأتها الى منتصف عهد المولى سليمان . لذلك كان من جملة الشخصيات التى درسها ل. بروفنسال فى **مؤرخو الشرفا** (2) .

ولد بالرباط فى عام 1165 = 1752 ، ودرس فيها بجد ، وأخذ التأريخ عن أبى القاسم السجلماسى (3) ، ثم رحل فى طلب العلم يجوب آفاق المغرب . وهكذا نجده فى تطوان يأخذ عن عبد الرحمن الحايك (4) فى مدرسة وقاش ، ثم فى فاس بمدرسة الشراطين التابعة لجامعة القرويين يتتلمذ لعبد القادر ابن شقرون الفاسى ، ومحمد الطيب ابن كيران ، والحاج محمد بنيس ، وعلى بن اويس .

كان الضعيف يحب زيارة الصالحين المشهورين أمثال مولاى ادريس الازهر ، ومولاى عبد السلام ابن مشيش فى جبل العلم ، ومولاى أبى شعيب فى آزمور ، ومولاى أبى سلهام بين سوق أربعاء الغرب والعرائش . وكان دائب الحركة ، منتقلا الى مراكش أو شفشاون ، أو طنجة ، أو تطوان ،

---

1) انظر ترجمة الضعيف عند : ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 39 ، 213 — 215 والمراجع المذكورة هناك ، م. بوجندار ، **الاغتباط** ، 1 : 155 — 165 ؛ **تعطير البساط** ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 875 ؛ **تاريخه** هو ص. 144 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 137 — 138 .

2) ص. 213 — 215 .

3) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 213 ، هامش 4 .

4) انظر ترجمته عند م. داوود ، **تاريخ تطوان** ، 3 : 261 — 264 .

أو وزان ، أو مكناس ، أو غير ذلك من المـــدن .

وقد درس ل. بروفنسـال **كتاب الضعيف** دراسـة مفصلة ، لكنه لـم يتمكن من الوقوف الا على كراسـة منه تتعلق بملك مولاى اليزيد ، وقال : « من المؤسف ان تضيع هذه الكتب او ان تبقى على الاقل مفقودة لا يعثر عليها رغم شدة بحثنا عنها . وكان من الممكن ان تكون لقسم من تأريـــخ المغرب الحديث الراى المخالف لما سجل فى التواريخ الجدية الاخرى التى تعمدت الا تقول الحقيقة كاملة (5) . » لم يعد هذا الاسف ذا موضوع ، بعد أن وجدت فى المكتبة العامة بالرباط نسخة مخطوطة من هذا التأريخ الذى لا يشينه الا أنه مبتور (6) .

ومن ناحية أخرى ، فان هناك مرجعين هامين يتعلقان بالرباط وسلا لم يقف عليهما الناقد الكبير ، ويعطيان معلومات مفصلة عن حياة الضعيف وكتابـــه . عنوان أولهما **الاغتباط ، بتراجم أعلام بالرباط** ، والثانى **تعطير البساط ، بذكر تراجم قضاة الرباط** ، وكلاهما من تأليف محمد بوجندار (7) .

يستنتج من هذه المعلومات أن المترجم كان فى آن واحد مؤرخا وشاعرا فحلا نظم كثيرا من القصائد ، سواء باللسان العربى الفصيحا أو باللسان الملحون الدارج . ومن آثاره فى الشعر الفصيح الذى يعنينا هنا :

1 ـــ قصيدة فى مدح النبى عليه السلام بعنوان : **روضة العشاق** .

2 ـــ **قصيدة** أخرى فى مدح الولى الصالح مولاى بوشعيب .

3 ـــ **شـــرح** قصيدة صفى الدين الحلى فى البديـــــع (8) .

نذكر بعد هذا قطعة شعرية نظمها الضعيف بديهة فى سبعة أبيات ،

---

5) ل. بروفنسـال ، **شرفـــاء** ، **39** .
6) ل. بروفنسـال ، **شرفـــاء** ، 39 .
7) انظر البيبليوغرافيا فى الاخير لمزيد من التوسع .
8) م. بوجندار ، **الاغتبـــاط** ، 156 .

حين ضاعت منه نسخة **مختصـــر** خليل يوم ختم هذا الكتاب على شيخه ابـــن شقـــرون :

ضل عقلـــي حين ضلت نسختـــي ... في ازدحام يوم ختـــم المختصـــر

تحفـــة تسحـــــر مـــن أبصرهـــا ... حـــوت المتن وحفـــت بالطـــرر

ليتنى غمـــدا لهـــا اذ ضمهـــــا ... أو كسفـــر حارس تلـــك الصـــور

ثقـــلاد السيـــف كانـــت صحبتى ... ومعـــى ان كنت بـــدوا أو حضـــر

واعتقـــادى أننـــــى ألزمهـــــا ... مـــدة العمـــر فأنسانـــى القـــدر

مـــن يفارقـــه خليـــل ساعـــــة ... فهو ذو وجـــد ودمـــع وسهـــر

لا تســـل اذ جاء مـــن بشرنـــى ... أن شخصا حازها ممن حضر (9)

فهل يا ترى كان الامر مجرد خدعة من أصدقائه ، على شاكلـــة مـــا كان يقوم به أصدقاء فولتير ، ليدفعوا به الى ارتجال هذه الابيات الجذابة ؟ مهما يكن من أمر ، فان سرقة منشقة الاديب الفرنسي تذكر بغرابة بسرقة **مختصر** خليل . الامر الذي يؤكد مرة أخرى أن الشعر عالمي ، وأن الشعراء يلتقون في كثير من النواحي ، مهما اختلفت لغاتهم وعقائدهم .

مات الضعيف بالرباط في تأريخ غير محدد ، لكن بالتأكيد بعد عـــام 1236 = 1820 ، وهي السنة التي أنهى فيها كتابة **تأريخـــه** .

---

9) **المصـــدر السابـــق** ، ص. 164 .

السلطان مولاي سليمان [1]

(1822 — 1766 = 1238 — 1180)

أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسنى العلوى السجلماسى ، علامة قبل أن يكون ملكا . ولد بسجلماسة عام 1180 = 1766 ، ودرس فيها على أبيه العاهل الكبير سيدى محمد بن عبد الله . وظهرت نجابته فى وقت مبكر ، وادراكه لجميع المعارف المدروسة فى عصره ، ولاسيما علوم الفقه والحديث . وكان أبوه معتزا به لا يدع فرصة دون أن ينوه به على رؤوس الملا ، ويغدق عليه عطاياه الثمينة . لذلك بويع بالاجماع لما توفى أخوه اليزيد عام 1206 = 1792 ، كما سبقت الاشارة الى ذلك . وبعد أحداث وانقلابات عديدة ، توفى بمراكش يوم ثالث عشر ربيع الاول عام 1238 = 28 نوفمبر 1822 ، ودفن بها .

كان من بين شيوخ مولاى سليمان فى سجلماسة عبد القادر ابن شقرون الفاسى ، ومحمد بن طاهر الهوارى ، ومحمد الطرنباطى (2) ، وحمدون ابن الحاج . وفى فاس التاودى ابن سودة ، وابن شقرون المتقدم الذكر ، ومحمد الطيب ابن كيران ، وبخاصة محمد بن عبد السلام الفاسى .

كان هذا العاهل مثاليا فى العلم والتقوى والزهد والانقياد للحق ،

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 339 وهامش 3 ، مع المراجع المذكورة هناك، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، 538 — 539 ، ع. كنون ، **نبوغ** 2 : 40 — 44 ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 328 — 331 ، ك. بروكلمان ، ملحق ، 2 : 874 ، كتابه **عناية أولى المجد** ، ص. د. — ح ، أ. الناصرى ، **استقصا** ، 8 : 86 — 174 ، أ. الزيانى ، **البستان الظريف** ، م. أبو راس المعسكرى ، **فتح الاله** ، 75 — 84 ، م. الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4 : 130 — 131 ، رقم 811 ، ع. ابن سودة ، **دليل**، 1 : 95 ، 113 ، 141 — 142 ، 165 ، 210 ، 2 : 421 ، 430 ، 454 458 .

2) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 2 : 268 .

حتى قال فيه وزيره ومستشاره ابو القاسم الزيانى : « ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا من تغرب عن الاوطان وحمل عصا التسيار ، ورمت به فى الاقطار الاسفار ، وشاهد سيرة الملوك فى العباد ، وما عمت به البلوى فى سائر البلاد . ولا يتحقق أهل المغرب بعدله ، الا بعد مغيبه وفقده :

المرء ما دام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد (3)

ونظرا لما كان عليه من تشبث بمبادىء الدين وجبل عليه من تدقيق فى الامور ، فقد واجه كثيرا من المشاكل التى اعترضته طوال أيام ملكه بصبر وجلد ، متقيدا بالسنة فى كل شىء ، ومهاجما دون هوادة البدع التى أخذت تظهر آنذاك . فكان راس السلفية داعيا دون انقطاع الى الوحدة الدينية والرجوع الى أصول الاسلام ، مقاوما بعض التصرفات الوحشية التى تشوه حقيقة الايمان وتحط من قدره .

ومن عجيب سيرته أنه كان يلزم العمال رد ما يغتصبونه من الرعايا على وجه الظلم من غير اقامة بينة عليهم ، على ما جرى به عمل الفقهاء من قلب الحكم فى الدعوى على الظلمة وأهل الجور ، حسبما ذكره الونشريسى وغيره من علماء الاسلام .

الف مولاى سليمان عدة كتب فى الحديث والسنة ، لم يبق منها للاسف الا بعض الرسائل والكراريس ، اكبرها حجما **عناية أولى المجد ، لذكر الفاسى ابن الجد** (باختصار **عناية**) الذى ظل مفقودا زمنا طويلا ، ونسب لذلك الى سليمان الحوات ، مما حمل ل. بروفنسال على أن يقول :

---

3) أ. الزيانى ، **البستان الظريف** ، بواسطة م. السائح ، **المنتخبات** ، 87 — 88

« لكن مع فقدان كل نسخة من الكتاب ، يصعب أن نبدى رأيا فـى الموضوع يمكن ان يكون له نصيب من الصحة » (4) . لكن حظوظ الحقيقة متوفرة اليوم الى جانب الملك ، حيث عثر على الكتاب وطبع (5) . وقد الفه اعترافا بفضل شيخه محمد بن عبد السلام الفاسى مشتملا علـى الاقسام التاليـة :

1 — خطبـة الكتاب يسمى فيها المؤلف نفسه ويذكر تصميم الكتـاب (ص : 2 — 3) .

2 — مقدمة فى نسب الفاسيين العريق . (ص : 3 — 7) .

3 — الباب الاول فى ذكر جملة من الفاسيين بالاندلس ، (ص : 7 — 11).

4 — الباب الثانى فى انتقالهم مـن جزيرة الاندلس الى بر هـذه العدوة (ص : 11 — 13) .

5 — الباب الثالث فى ذكـر من كان فيهم بهـذه العدوة متصفا بالعلـم والعرفـان (ص : 13 — 80) .

6 — نظـرة عامة عن نسبهم (ص : 80 — 86) .

أما مؤلفات مولاى سليمان الاخرى فهـى :

1 — **حاشية على الموطا** . وحسبما جاء فى **الجمهرة** (6) ، يشتمل علـى شروح وتوضيحات فاتت اكابر العلماء (7) .

2 — **حاشية علـى الخرشى** فى جزءيـن (8) .

3 — **حاشيـة على الزرقانى** ، شارح **المواهب اللدنية** ، وهو أيضا عجيب بتحقيقاتـه ومعلوماته (9) .

---

4) ل. بروفنسـال ، **شرفـاء** ، 339 — 340 .
5) أنظر البيبليوغرافيا فى الاخيـر .
6) هو اسم الفهرس الذى الفه باسمه ابو القاسم الزيانى .
7 — 8 — 9) انظر مقدمة **عناية أولى المجد** ، ص. و، لمحمد العابد الفاسى .

4 ــ **رسالــة** فى تفسير الآية الكريمة : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحـــى اليــــه . . . » (10) .

يتحدث فيها عن مسألة الغرانيق بكثير من التفصيل والتدليل ، والرد علـــى المفسرين الذين يروون فى تفاسيرهم خرافات لا اساس لها من الصحة والواقـــع (11) .

5 ــ **خطبــة** ، تصدى فيها لقمع المبتدعة واظهار ما يأتونه من الشـــرك الخفى على ضروب والوان متعددة ، وسنسوق نموذجا منها بعد قليــــل (12) .

6 ــ **رسالــة** فى اباحـــة استعمال البخور فى نهار رمضان الم فيها بعدة احاديث ونصوص فقهيـــة (13) .

7 ــ **رسالــة** عن حال متفقـــــرة الوقـــت (14) .

8 ــ **وصيـــــــة** (15) .

9 ــ **فهـــرس** الفها باسمه ابو القاسم الزيانى بعنوان : **جمهرة التيجان ، وفهرست اللؤلؤ والياقوت والمرجـــان ، فى ذكر الملوك واشيـــاخ مـــولانـــا سليمــــان** (16) .

10 ــ عـــدة رسائل ومراسلات اخـــرى (17) .

---

10) السورة 21 ، الآيـــة 25 .
11) انظر مقدمة **عناية أولى المجد** . ص. و ، بقلم محمد العابد الفاسى .
12) انظر مقدمة **عناية أولى المجد** . ص. و ، بقلم محمد العابد الفاسى .
13 ــ 14 ــ 15) انظر م. السائح ، **المنتخبات** ، 89 ــ 93 .
16) اختصر هذا الفهرس ابن رحمون الفاسى ، أحد تلاميذ الزيانى .
انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 328 .
17) نذكر من بين هذه الرسائل :
أ ــ آلات الموسيقى (مجموع مخطوط رقم 963 ك . فى 32 صفحة)
ب ــ الحديث المتعلق بأهل الكتاب (مجموع مخطوط رقم 1075 ك ، ص. 66 ــ 77)
ج ــ تفسير آية من القرآن . (مجموع مخطوط رقم 1075 ك . ص . 78 ــ 94) =

ورغم ثقل الاعباء السياسية التى تحملها ، والمشاكل المختلفة التى واجهها ، فقد خصص هذا العاهل قسطا من وقته للدرس والتأليف . أما كتابة المراسلات الادارية ، فقد عهد بها الى كتاب مقتدرين ، أمثال الزيانى واكنسوس الذين كانا كاتبى المملكـــة .

ولكـــى نعطى فكرة عن آرائه واسلوبه ، نذكر مقتطفات من تآليفه المـــذكـــــــورة :

1 ــ **الخطبــة** التى تحمل رقم 5 فى القائمة ، تصدى فيها لقمـــع المبتدعة واظهار ما يأتونه من الشرك الخفى على ضروب والوان متعددة . وهى آية فى الابداع والصراحة فى القول . يحذر فيها من كل ما يخالف الشريعة ، ويأمر بالرجوع الى الاصول الاولى للاسلام . ويبدو المؤلف فى هذه الخطبة ، بصلابته ومنطقه ، أقرب الى عصرنا الحاضـــر :

« . . . واتركوا عنكم بدعة هذه المواسم التى أنتم بها متلبسون ، والضلالة التى يزينها أهل الاهواء ويلبسون . افترقوا أوزاعا ، وانتزعوا

= د ــ مشكلة طرحت على العلماء (مجموع مخطوط رقم 1075 ك ؛ ص. 100 ــ 103)
ونذكر من بين مراسلاتـــه :

أ ــ مراسلة موجهة الى العربى بن المعطى (مجموع مخطوط رقم 1264 ك. ص. 361 ــ 365)

ب ــ مراسلة الى على بن أحمد الوزانى (مجموع مخطوط رقـــم 1264 ك. ص. 365 ــ 366) .

ج ــ مراسلة موجهة الى أبناء احمد بن التاودى ابن سودة يعزيهم فى والدهم (مجمـــوع رقم ك. ص. 366 ــ 367) .

د ــ مراسلة بعث بها الى ولده ابراهيم (نفس المجموع ، ص. 369 ــ 370) .

هـ ــ مراسلة الى حمدون ابن الحاج لما عزله عن ولاية العرائش وأمره أن يتوجـــه لولاية وجدة (**عناية** ، ص. ز ــ ح من مقدمة العابد الفاسى) .

و ــ مراسلة موجهة لاهل فاس (م. السائح ، **المنتخبات** ، 94 ــ 95) وقد شرحهـــا محمد بن عبد الكريم البازغى . انظر م. المنونى ، **المصادر الدفينة** ، مجلـــــة **البحث العلمى** ، عدد 10 ، ص. 24 .

ز ــ مراسلة موجهة الى رئيس الفرق الاسلامية بالسودان الغربى (المصدر السابق ص. 23) .

ح ــ مراسلة الى الشيخ عثمان بن صالح الفلانى (نفس المصدر ، ص. 23)

ط ــ آخر ما كتبه هو اسناده ولاية العهد الى ابن عمه عبد الرحمن ، وقد حرره علـــى فـــراش الموت (أنظر م. السائح ، **المنتخبات** ، ص. 92 ــ 94) .

الاموال انتزاعا ، وانفقوها فيما هو حرام كتابا وسنة واجماعا ، وصاروا يترقبون للهوهم الساعات ، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات . وكل ذلك حرام ممنوع ، والانفاق فيه انفاق فى غير مشروع . فأنشدكم الله ، عباد الله ! هل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه سيد الشهداء موسما ؟ وهل فعل سيد هذه الامة أبو بكر لسيد الانبياء صلى الله عليه وسلم موسما ؟ وهل تصدى لذلك احد من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ؟

« ثم انشدكم الله ، هل زخرفت على عهد رسول الله المساجد ؟ أو زوقت أضرحة الصحابة والتابعين الاماجد ؟ كأنى بكم تقولون فى نحو هذه المواسم وزخرفة أضرحة الصالحين وغير ذلك من انواع الابتداع : حسبنا الاقتداء والاتباع (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) . وهذه المقالة قالها الجاحدون ، وقد رد الله مقالهم ، ووبخهم وما اقالهم . . . » (18) .

وبعد أن ذكر بأن النبى وأصحابه لم يأخذوا بهذه البدع المذمومة ، وأن عبادة الله فى الاسلام لا تكون بالغناء والشطح والتصفيق تخلص الى التهديد فقال :

« فكل من قلده الله أمر المسلمين — يعنى الملك ومساعديه — وجب عليه أن يمنع هذه الطوائف من الدخول الى المساجد وسائر الاماكن المقدسة ، ولا يجوز لاي مؤمن أن يخالطهم أن يساعدهم فى ضلالهم » فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . . . » (19) .

« فمن ذهب بعد لهذه المواسم ، أو أحدث بدعة فى شريعة أبى

---

18) **الخطبة** ، ص 4 — 5 .
19) حديث .

القاسم ، فقد سعى فى هلاك نفسه ، وجر الوبال عليه وعلى أبناء جنسه ، وتله الشيطان للجبين ، وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) » (20) .

2 ـ الرسالة التى تحمل رقم 6 فى القائمة تهاجم ايضا الطرقية ولا سيما ما يتعلق بسبعة رجال المراكشيين : (21)

« من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة (سبعة رجال) ، فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم ؟ » الى أن قال : « فعلينا أن نقتدى بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما آل اليه فى يغوث ويعوق ونسرا » (22) .

وينبغى هنا التنبيه على أن مولاى سليمان كان يهاجم فقط البدع التى ذمها الاسلام ، والطرق المبتدعة ، ولم ينسلخ عن الطرق والاوراد كما يظن الظانون . وبذلك يعتبر سلفيا مصلحا .

3 ـ المراسلة التى تحمل حرف أ فى القائمة المتعلقة بالرقم 10 ، تختص ببيان حقيقة الغناء والموسيقى ، حسبما جاء فى الشريعة والسنة الكريمة :

---

20) **المصدر السابق** ، 8 ـ 10

21) سبعة رجال هم : ابو العباس السبتى ، ومحمد بن سليمان الجزولى ، والسهيلى ، والغزوانى والتباع ، والقاضى عياض ، ويوسف بن على . وقد خصهم مؤلف **الاعلام** بكتاب سماه **اظهار الكمال فى تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال** . وقد طبع بعضه بفاس عام 1322 ـ 1904 فى جزءين . وهو شرح لقصيدة رائية لنفس المؤلف فى سبعة رجال بعنوان **نظم درر الجمال ، فى السبعة رجال** ، انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 1417 رقم 1910 و 1911 .

22) م. السائح ، **المنتخبات** ، 89 .

23) مخطوط رقم 963 ك، ص. 2 . وفى المخطوط رقم 2918 ك ذكر اسم الشيخ الرحمونى الذى يمكن أن يكون قد كتب هذه الرسالة بأمر من الملك .

« لما رايت الكثير من العوام ، بل الفقهاء الاعلام ، يحضرون مجالس الغناء بالعود والرباب والطر واشعار الخمر والنرد وغير ذلك . . . واذا سئلوا عنه قالوا هذا مختلف فيه اما جهلا وعمها ، واما لبسا للحق بالباطل حيلة وسفها ، اردت أن أؤلف تأليفا ابين فيه ما هو متفق على حرمته ومختلف فيه ، حتى يظهر الفرق بينهما لكل نبيه ، ولا يغتر بقول جاهل او متجاهل ، فى أمر دينه متساهل (23) . »

ويأتى بعد ذلك جملة من النصوص المتعلقة بالتعريف بالغناء وأنواعه ودرجاته فى الحلية والحرمة حسب الشريعة السمحة . وقد تفنن المؤلف فى بيان صحة بعض الآراء وبطلان اخرى ، مدعما بالحج ، دون ميل أو تحامل ، وبرهن عن حسن الادراك والتزام المنطق فى عبارات سهلة منمقة . وختم كلامه بتوصية العلماء ان يتحاشوا حضور مجالس الغناء حتى فى مناسبات الافراح ، وأن يمنعوا عامة الناس منها كذلك .

واذا كانت هذه الرسالة لم تأت بجديد من حيث الاحكام الفقهية ، لانها لا تزيد على التذكير بمواقف السلف الصالح تجاه الغناء ، فانها تقدم معلومات مهمة عن المجتمع المغربى فى بداية القرن التاسع عشر ، وتخبرنا بكيفية خاصة بدخول بعض التجارب الى هذا المجتمع وما أحدثه من ردود فعل حادة ، شأن كل جديد مستحدث ، وما نتج عن ذلك من زيادة عزلة البلاد وانكماشها على نفسها أكثر من ذى قبل .

محمد بن عبد السلام ابن ناصر [1]

(ت 1239 = 1824)

لم يرد اسم هذا المؤلف عند ك. بروكلمان فى **تأريخ الادب العربى** ، ولا عند ل. بروفنسال فى **مؤرخو الشرفا** ، مع انه من اكبر الفقهاء والادباء فى هذا العصـــر .

هو حفيد الشيخ محمد ابن ناصر المتقدم رئيس زاوية تمكروت . أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن محمـــد ابن ناصـــر الدرعى ، آخر كبار شيوخ هذه الزاوية والطريقة الشاذلية .

حضر فى فاس مجالس محمد بن قاسم جسوس ، ومحمد التاودى ابن سودة ، ومحمد بن الحسن بنانى ، وادريس بن محمد العراقى ، وأبى العباس الشرايبى الذين أجازوه اجازة عامة ، كما أجازه أيضا محمد بـــن أحمد الحضيكـــى السوسى ، وأحمد بن محمد الورزازى التطوانى ومحمد بن أبى القاسم السجلماسى الرباطى .

توجه الى الحج مرتين ، الاولى عام 1196 = 1781 ، والثانيـــة عام 1211 = 1796 ، كتب على اثرهما رحلتين مهمتين كبرى وصغرى .

---

1) أنظر ترجمته عند أ. الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 2 : 162 — 166 ، ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 189 — 213 مع المراجع التى ذكرها : **فهرس** الكوهن (أثناء ترجمـــة الطيب ابن كيران) ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 145 — 170 ، ع. الكتانـــى ، **فهرس الفهارس** ، 2 : 111 — 112 — 113 ، 219 — 223 والمرجع الذى ذكـــره : **اتحاف الحفيد ، بترجمة جده الصنديد** ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** 539 ؛ **الرحالـــة المغاربة**، 23 — 24 ، البحث العلمى ارقام 4 و 5 ، يناير — غشت 1965 ، مقـــال م. الفاسى ، ص. 72 ، ع. ابن سودة ، **دليـــل** ، 1 : 32 ، 57 : 2 : 323 ، 349 — 350 ، 465 .

نال ابن ناصر حظوة كبرى لدى السلطان مولاى سليمان الذى عهد اليه فى كلتا الحجتين مبالغ مالية طائلة يوزعها على العلماء والشرفاء بمصر والحرمين الشريفـــين .

واثناء مقامه الاول بالمشرق ، لقى جماعة من علماء تلك البلاد ، فأخذ عنهم واخذوا عنه . نذكر منهم الشيخ مرتضى الزبيدى ، واحمد بن محمد الدرديرى (2) ، ومحمد بن على الصبان (3) ، ومحمد بن محمد الامير (4) الذين أجازوه جميعـــا .

وكانت رحلته الثانية للمشرق مفيدة كذلك ، لا لكونه لقى أثناءهـــا اعيان العلماء فحسب ، ولكن لاقتنائه نفائس المخطوطات النادرة . وهكذا اشترى فى اسطنبول بأثمان باهظة كتاب **الكمـــال** فى جزءين وكتاب الحافظ **عبد الغنى المقدسى** (5) وغيرهما . اما نسخة **صحيح البخارى** ، فى جـــزء واحد ، بخط الحافظ ابى على الصدفى ، والتى بلغ ثمنها سبعين دينارا ، فان ابن ناصر لم يتمكن من اقتنائها لارتفاع ثمنها . وهى نسخة فريدة من نوعها حسب قول الراوى ، تحتوى على روايات غريبة فى الحديث لمحدثى القرون الماضية ، من عهد عياض (6) الى ابن حجر العسقلانى (7) . وتشتمل على اشارة بخط الامام السخاوى (8) على ما يظهر تؤكد انها الاصل

---

2) أنظر ترجمته عند ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 293 — 294 .

3) أنظر ترجمته عند ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 109 — 110 ، ك. بروكلمـــان ، **تاريخ الادب** ، 2 : 288 ، **ملحـــق** ، 2 : 399 .

4) أنظر ترجمته عند ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب** ، 2 : 485 ، **ملحق** 2 : 737 .

5) أنظر مادة « المقدسى » فى **د. م. ا.** 3 : 757 ((أ — ب)

6) أنظر ترجمته فى **د. م. أ.** ، 2 : 602 (ب) — 603 (ب) .

7) أنظر ترجمته فى المصدر السابق ، 1 : 236 — 250 ، 3 : 402 (ب) — 403 (ب)

8) شمس الدين السخاوى محدث شهير ، تلميذ ابن حجر العسقلانى ، ومؤلف **الضـــوء اللامع لابناء القرن التاسع** ، و **التبرك المسبوك** الذى هو ذيل **لسلوك المقريزى** . ولد فى عام 831 = 1427 ، وتوفى عام 902 = 1496 . أنظر ك. بروكلمـــان ، **تاريخ الادب** ، 2 : 34 ، **ملحق** ، 2 : 31 .

الذى يرجع اليه عند الاختلاف (9) .

وقد تعلق ابن ناصر كثيرا بهذه النسخة الثمينة ، فأخبر بها لما رجع من الحج المولى سليمان ، فبعث هذا العاهل العالم رسولا يحمل الــف مثقال (او ريال) لصاحب النسخة ، فقبل البائع ووعد الملك أن سيحمل اليه شخصيا الكتاب ، فمنعته الفتن القائمة بين أتراك تونس والجزائر من القيام بالرحلــة (10) .

اوردنا هذه الفقرة لنبين مدى الاهتمام الذى كان يوليه الرحالة المغاربة اثناء قيامهم بأداء فريضة الحج للدراسات الاسلامية واقتناء الكتب . وهذا ينبئ بتمكنهم فى الفرع من الدراسات خلال القرن الثانى عشر = الثامن عشر ، والذى سبق أن فصلنا القول فيه تفصيــلا .

وفضلا عن الرحلتين المذكورتين ، الف ابن ناصر الكتب التالية :

1 ــ **الرحــلة الكبــرى** (11) .

2 ــ **الرحلــة الصغــرى** .

3 ــ **المزايــا ، فيما حدث من البدع بأم الزوايــا** .

4 ــ **فهرس** يعرف باسم **كناشة ابن عبد السلام الناصرى** (12) .

5 ــ **شرح أربعين حديثا** لشيخه محمد بن احمد الجوهرى (13) .

---

9) اعتمد هذه النسخة ابن حجر فى شرحه **فتح البارى** حسب ما اورده مؤلف **فهرس الفهارس** (2 : 113) الذى كتب سنة 1927 ــ 1928 : « وقد آلت هذه النسخة اخيرا الى ملك الزاوية السنوسنية فى صحراء ليبيا » .

10) أ. الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 2 : 164 نقلا عن كتاب المزايا للمترجم .

11) مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 5658 بخط المؤلف .

12) مخطوط مبتور ، رقم 3289 ك ، يحتوى على 18 ورقة غير مرقمة .

13) مجموع مخطوط ، رقم 137 ق ، ص. 1 ــ 109 .

6 ـ اجوبـــة لنوازل مختلفـــــة (14) .

قبل أن نفحص بعض المقتطفات من هذه المؤلفات النثرية ، نود أن نورد مقتطفات شعرية من نظمه ، لان المترجم كما كان فقيها محترما ، كان أيضا شاعرا عند الاقتضاء . هـــذه الابيات الأحد عشر التى تتعلـــق بالمواعظ والحكم هى بطبيعة الحال ذات نفس صوفى :

للـــه فى الخلق ما اختارت مشيئتـــه ... مـــا الخير الا الذى يختاره اللـــه

اذا قضى الله فاستسلم لقدرتـــه ... ما لامرىء حيلة فيما قضـــى اللـــه

تجري الامور بأسباب لهـــا علـــل ... تجري الامور على مـــا قدر اللـــه

ان الامـــور اذا ضاقت لها فـــرج ... كم من أمور شداد فرج اللــــه

اذا ابتليت فثق بالله وارض بـــه ... ان الذى يكشف البلوى هو اللـــه

يـــا صاحب الهم ان الهـــم منفرج ... ابشر بخير فان الفاتـــح اللــــه

واليـــه مالك غير اللـــه من وزر ... ولا يصيبـــك الا ما قضى اللـــه

اليأس يقطـــع أحيانـــا بصاحبـــه ... لا تيأســـن فان الصانـــع اللـــه

اللـــه لـــى عـــدة فى كل نائبـــة ... اقول فى كل حال حسبى اللــــه

ثم الصلاة على المختار ما تليـــت ... فى محكـــم الذكر قدمـــا قل هو الله

والآل والصحب ما طالت حياتهـــم ... ثم استقاموا فقالوا ربنا الله (15)

هذه الابيات دعاء خالص ، يحتوى كل منها على ابتهال وينتهـــى باسم الجلالة . ونرى الشاعر ينسب كل شىء لله تعالى ، فعلينا اذن أن نقبل منه كل شىء . وليس هذا بخضوع سلبى تام ، جبرى بمعنى الكلمة ، لانه يبين فى الاخير أن نتائج اعمالنا ستكون طيبة ولا شك بقدرما نمتثل لاوامره تعالى التى هى دائما حسنـــة .

14) مجموع مخطوط ، رقم 1079 د .

15) أ. الناصرى ، **طلعـــة المشترى** ، 2 : 165 .

تحليـــل آثـــار النثريـــة :

1) الرحـلـــة الكبـــــرى :

اورد المؤلف فى شبه تمهيد اسباب رحلته (زيادة على اداء فريضة الحج بطبيعة الحـــال) وهى وصف ما يقطعه من المراحل ، والتعرف على الشيوخ الاجلاء ، والاجابة عن الاسئلة التى يلقيها الطلبة النبهاء .

أ ــ بعد ذلك تأتى المقدمة فى فضائل الحج وزيارة الحرمين الشريفين .

ب ــ وفى الاخيـــر خاتمـــة عن آداب السفـــر .

ويبدو ابن ناصر فى رحلته ملاحظا مدققا ، وناقدا خبيرا . فنجده ، بخلاف من تقدمه فى هذا المضمار ، يأتى بتعليقات شخصية ، وملاحظـــات جديرة بالاهتمام ، كما يتبين ذلك فى المقاطع التالية :

« 1 ــ **وصف عين ماضى** ، وبلدتهم هذه حصينة مبنية كلها بالحجارة، دارت بها الاجنة والحدائق ، وفتحوا لها الابواب من داخل البلد ومـــن خارجها ، وهى مشتملة على فواكه ، وما اكثر لديهم التفاح ! تسقـــى الاجنة كلها من عين واحدة خارجة من سفح جبل بقربهم ، عذبة باردة ، يزعمون انه يورث الشقوق فى الايدى والارجل فى زمن الشتاء . ثم قال : ونساء عين ماضى لا يغتسلن من جنابة ولا من حيض او نفاس ، يزعمن أن الاغتسال بمائهم يعقمهن فتركن ذلك لذلك . فقلت لمن حدثنى بذلك : ما هى الا عقوبة من الله لهن على ترك الواجبات . واما الحجاب فما راينا فى هذه البلاد مثلها فى تركه ، ترى الرجل وزوجته وابنته يسوقون الركـــب باديات مزينات مع ما وسمن به من الحسن البديع . ولايتولى البيع والشراء غالبا لديهم الا النســاء ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! وأعظم من ذلك اعتيادهم للطهارة الترابية من غير عذر حتى من وسم بالفقه منهم تراه يضرب الارض

عند كل صلاة ، اتكلوا فى ذلك على زعمهم أن ماءهم يضر بالبصر ، ولقد والله توضينا منه مرارا وما رأينا منه من ضرر . فان كان ذلك يحدث بكثرة الاستعمال أو فى فصل دون آخر ، وتحقق الضرر وتعذر الوضوء بغيره من مياه الآبار ، فلا شك ان ذلك يبيح الانتقال للتيمم » (16) .

« 2 — **نقد أبى سالم العياشى** . وقال ، بعد نقل قول العياشــى فى وصف بسكرة : « ما رايت شرقا وغربا أحسن منها وأحصن واجمــع لاسباب المعاش الــخ . . . » فيه نظر ظاهر ، ففى المغرب بل والمشرق ما هو احسن منها وأحصن واجمع لاسباب المعاش من أمهات المدن ، كمراكش ، وفاس ، ومكناسة الزيتون ، وغيرها من بعض الثغور ، كآسفى ورباط الفتح ، وآزمور . وأين أنت من نيل مصر وصعيدها ، وما بهــا من اضعاف البركات ، كما بدمشق الشام ، والعراق وغيرها ؟ فلا نرى ببسكرة من أسباب المعاش ما بها ، الا انها فضلت ما ذكر بأنواع ثمار النخيل الجيد ، ونخيل مصر ومراكش على الضد من ذلك . فلو قال ما رأيت بافريقية أحسن الــخ . . . لكان قريبا على ما فيه . وأين أنت مــن قسطنطينة ، وتونس ، وطرابلس ، وما بها من اسباب المعاش والحسن ؟ ولكن حبك الشىء يعمى ويصم . والعذر له أن بسكرة أول ما يلقاه فى سفره للحرمين الشريفين على بعض ما وصــف ، فقال فيها ذلك والخطــب سهــــــل (17) . »

2 — **نقــد العبــدرى** (18) . ثم قال ، بعد أن ذكر ذم العبدرى لمصر واهلها ، ما نصه : « جريا على عادته ، عفا الله عنه فى ذم البــلاد

---

16) ع. ابن ابراهيم ، **اعــلام** ، 5 : 199 **حيث لخص هذه الرحلة** .

17) **المصدر السابق** ، ص. 200 .

18) انظر ترجمته عند ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب** ، 1 : 482 ، **د. م.** 1 2 ، 1 : 98 (ب) — 99 (أ) . أنظر أيضا شارل بيلا : **اللغة والادب** ، 183 .

واهلها ، وما كان ينظر الا بعين السخط اليها ، فليته مدح من يستحـق المدح ، وذم من يستحق الذم ، أو يتغافل عنه الا بقصد البيان ! ومـا رايناه مدح بلدة ولا ساكنها الا مدينة تونس ، ولو أمكنه ان يقول فى الحرمين هجوا لقال . وما ذاك الا أن الرجل بربرى من سكان الجبال ، لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب اليهم ، وانما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة أو بفندق من جملة الغرباء ، ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة ، حتى اذا صدر عن البلد قال فيه ما شاء (19) . »

تظهر هذه الفقرات الثلاث اكبر ميزة ابن ناصر الذى لم يكتف بنقل ما قيل من خطا وصواب وتكراره ، على عادة أكثر من تقدمه من المؤلفين . وانما يعرض الوقائع وينتقدها بكيفية موضوعية ومنطقية ، باحثا دائمـا عن العثور على أسباب حدوثها ، ولا يقع فى الافراط والمبالغة ، فتكتسى **رحلته** من جوانب متعددة طابع **الرحلـة** التقليدية لكبار الرحالة ، أمثـال ابن جبير وابن بطوطة ، فى أسلوب سهل واضح منمق ، دون اهتمـام بالمحسنات والجمل المسجعة .

ان ملاحظات ابن ناصر فيما يتعلق بالكتب التى أطلع عليها والشيوخ الذين لقيهم جديرة بالاهتمام أيضا ، فلا يفوته أن يشير الى اختلاف تلقين العلوم الاسلامية بين المغاربة والمشارقة ، ويبين أسباب ذلك :

4 — « عادة المشارقة اليوم فى النوازل الفقهية ، مالكية وغيرهم ، انهم يعتمدون تقريرات وظواهر ، ولا يعتنون بمطالعة كتب الاحكام الفقهية **كالمعيـــــار** » (20) .

---

19) ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 209 . أنظر فى هذا المقام الملاحظات الدقيقة لمحمـد الفاسـى ، **رحلـة العبـدرى** ، م. د.

20) ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 206 . ويتعلق الامر **بمعيار الونشريسى** أبى العباس أحمد أنظر ج. بيرك ، **نوازل المزارعة** ، ص. 151 و 156 مع المراجع المذكورة هناك

وهذا يؤكد مرة أخرى تفوق المغاربة على المشارقة فى هذا الفرع من الدراسة لذلك العهد .

2 ـ الرحلة الصغرى :

يذكر ابن الناصر فى رحلته الثانية أنه زار فى الجزائر قبور الائمة : ابى زيد الثعالبى (21) ، والخروبى شارح **الصلاة المشيشية** ، والجزائرى (22) ناظم **التوحيد** .

3 ـ كتاب المزايا :

اتينا فيما سبق (ص : 306) بفقرة من هذا الكتاب تحدث فيها المؤلف عن النسخة الخطية العجيبة **لصحيح البخارى** . وهذا الكتاب ، كما يدل عليه اسمه ، الف لمقاومة البدع التى احدثت بزاوية تمكروت ، وعددها ستون . ويشتمل فى نفس الوقت على انتقاد مر الى ابن عم المؤلف معاصره ابى الحسن على بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر (23) الذى كان آنذاك على رأس الزاوية الناصرية . ويرى مؤلف **طلعة المشترى** انه كتاب مفيد جدا ، لكنه للاسف مفرط فى التحيز (24) .

4 — يقول فى أول شرحه للاربعين حديثا :

« لما قفلت من الحرمين الشريفين سنة 1197 ، وكان من جملة من لقيته وأخذت عنه العلم بمحروسة مصر الامام النبيل ، العالم العلامة الجليل ، سيدنا أبو عبد الله محمد بن محمد الجوهرى الخالدى الشافعى ...

---

(21) أبو زيد عبد الرحمن الثعالبى (788 — 874 = 1386 — 1468) مفسر شهير فى الجزائر ، ولد ومات بهذه المدينة ، ودرس فى بجاية وتونس والقاهرة ، وألف **الجواهر الحسان ، فى تفسير القرآن** . انظر د. م. ا ، 4 : 770 (ب)

(22) انظر ترجمة هذا العالم الذى توفى عام 898 = 1497 عند الزركلى ، الاعلام ، 1 : 153 (ب) .

(23) انظر ترجمته عند أ. الناصرى ، **طلعة المشترى** ، 2 : 130 — 133 ، 142 — 146 .

(24) ص. 165 . وهذا يؤكد أن ابن ناصر كان قاسيا فى أحكامه .

« ندبنى الى شرح اربعين حديثا له فى الحث على ترك الظلم بعد ان قام وقعد فى اكرامنا ، وهش وبش لملاقاتنا ، ووهب لنا منها نسخة وكتب بخطه على ظهرها : أجزتكم بها وارجو ان تشرحوها اذا وصلتم ، مع ذكر سندها وبيان رتبتها ، والاقتصار على بيان المعانى مع الاختصار ما امكن . فقلت له مشافهة : انى لست من خيل ذلك الميدان ، ولا ممن يليق به أن يتجاسر على الاحاديث النبوية فيحط فيها ببنان (25) . »

لا نجد فى هذه الفقرة جملة مسجعة الا الاخيرة ، وقد قيلت مشافهة . وهى دون شك مخصصة ومستعملة فى شكل قالب معتاد .

ان الذى يميز قبل كل شيء محمد بن عبد السلام ابن ناصر لهى الطريقة الحادة ، بل والعنيفة التى ينتقد بها بعض زملائه ، ويقوم ضد الاغتصابات والتعسفات فى عصره ، فينتصب هكذا مراقبا عنيفا للاخلاق والعادات . وقد رأيناه كيف ينتقد العياشى ويسخر من العبدرى . وفى المقطع التالى الذى نأخذه من اجوبته النوازلية ، نراه يصب نقمته بصراحة على احد معاصريه المفتين الذى اخطأ فيما أفتى به . وقد اجاب هذا المفتى ، حين التى عليه السؤال بجواز بيع الآباء ابناءهم لسد حاجيات معاشهم فى المسغبة التى حلت سنة 1208 = 1793 :

« 5 — ان هذه الفتوى خرج بها صاحبها على المذهب ، فذهب بها كل مذهب ، بل خرق بها اجماع الامة المحمدية ، ومرق بها مروق السهم من الرمية . وجميع ما استدل به لا حجة فيه وليس ظاهرا فيما رام قط عن أن يكون نصا . وما حمله الا الغرض والتشهى واقشعرار البلاد من العلم وذهاب اهله ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! هذا الزمان الذى كنا نحاذره فى قول كعب وفى قول ابن مسعود . ولقد صحت الآثار عنه ، صلى

(25) مخطوط رقم 137 ق ، ص 1

الله عليه وسلم ، أنه قال : بينما الناس فى آخر الزمان يصبحون فيذهبون الى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قردة وخنازير . قال علماؤنا : يقع هذا فى قرب قيام الساعة عند قبض العلم بقبض العلماء . على أنك ان امعنت النظر غلب على ظنك ارتداد هذا الرجل بهذه الفتوى ، واستمراره على هذه الدعوى ، اذ هو منكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومحدث فى الملة المحمدية ما ليس فيها . . .

« فيجب علينا معشر المسلمين انكار هذا المنكر الفاضح العظيم الفواحش ، بصواعق محرقة من آية قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأقاويل ارباب المسائل الفقهية الاجتماعية . . . » (26) .

انه قرار اتهام حقيقى ، تطول جمله وتقصر دون سجع ، بحسب الافكار والبراهين على شاكلة الاسلوب الخطابى .

يعتبر محمد بن عبد السلام ابن ناصر من أحسن أدباء المغرب فى القرن التاسع عشر ، عالم كبير ، ورحالة لا يبالى بالتعب ، عرف كيف يستفيد من معلوماته وحبه للاطلاع . تشتمل رحلاته ومؤلفاته النثرية الاخرى على اشارات مهمة ومفيدة حول العلم والعلماء فى عصره وحتى فى العصور السالفة ، وعلى ملاحظات مناسبة تتعلق بالبلاد التى زارها ومن فيها من السكان . ان صراحته ولو أنها قاسية بعض الشىء لكنها صادقة ، تجعل منه رجل أخلاق مستنير ومربيا صالحا . وان كتبه التى حررت بعبارة سهلة واضحة لشيقة عند من يقرؤها ، الامر الذى يدل على أصالتها وقربها من عصرنا .

مات ابن ناصر يوم 12 صفر 1239 = 18 أكتوبر 1823 .

---

26) **قطع المتين ، من المارق فى الدين** ، مخطوط رقم 1079 د ، ورقة 108 (و) .

العربي المساري [1]

(توفـى نحـو 1240 = 1824)

أصله من قبيلة مسارة (أو مستـارة) فى الناحية الشرقية لمدينة وزان . وهو أبو حامد العربى بن عبد الله بن أبى يحيى ، فقيه كبير وشاعر قدير ، من الآخذين عن الشيخ الشهير التاودى ابن سودة . تولى منصب القضاء ، وتبادل مع الشيخ محمد الرهونى ، الذى توجد قبيلته أيضـا فى نفس الناحية ، رسائل ذات رقائق ودقائق . وقد اثبتها الرهونى فى حواشيه وتبـادل المساري رسائـل أدبية مهمـة أخرى مع عبـد القادر ابـن شقـرون الفاسـى .

اشتهر المسارى بالارجوزة المعنونـة **بسراج طلاب العلوم فى آداب طلب العلم والتعلم والتعليـم** (2) ، وهى شبه دليل للطالب . مدح فيها العلم وبين الطريقة التى ينبغى اتباعها ، والوسائل التى لا غنى عنها للنجاح فى هذا الشأن . نظمها فى أسلوب منطلق منمق ، وضمنها كثيرا من الامثال والحكم المقتبسة من الاحاديث النبوية . فاشبهت بذلك **الشمقمقيـة** لابـن الونـان . وهذا هو القسم المتعلق بالنصائح من الارجوزة :

ان كنـت صـاح طالبـا للعلـم   **فاصبر كمـا صبر أولـو العـزم**

فاصبر على الجوع وحـر البـرد   **فى وقتـه ان لـم تكن ذا بـرد**

ولتطلب العلـم ولـو بالصـين   **بذا اتـى الحديث عـن يقيـن**

وخيره مـا كان فى حـال الصغـر   **فهـو كمـا قيـل كنقش فى الحجر**

واعـن بحفـظ الامهـات جملـة   **ولتهجـر المنـام واصـرم حبلـه**

---

1) انظر ترجمته عند م. السائح **المنتخبات** ، 77 — 81 ، أ. البلغيتى ، **الابتهاج** ، 3 ، الشيخ مخلوف ، **شجـرة النـور** ، 438 .

2) م. السائح ، **المنتخبات** ، 78 . وهذه الارجوزة مؤرخة فى 27 جمادى الثانيـة 1185 = 5 أكتوبر 1771 . وقد شرحها أحمد بن المأمون البلغيتى بعنوان **الابتهاج بنور السراج**

لا تجعل التسويــف يومــا مسكنك   وانتهــز الفرص مهمــا امكنـــك
والعزلة الزمهــا وكســر الجموع   تحز من العلم الاصول والفروع (3)

وتنتهى سلسلة النصائح بأكبر نصيحة وافيدهــا :

والجــا الى اللــه بكــل مقصــد   تجــد نوالــه بكــل مرصــد (4)

والرسائل المتبادلة مع الاصدقاء والاصحاب محررة بطبيعة الحال بأسلوب العصر ، أى بنثر مسجع مزخرف . وقد جاء فى احدى هذه الرسائل التى وجهها الى صديقــه عبد الواحد الفاسى قولــه :

« الى الهمام الذى ألقت اليه المعالى زمامها ، وصيرته الفصحاء امامها وأمامها ، الذى أحيا رسم الادب بعد اندثاره ، ونظم عقد جواهره بعد انتثاره ، البحر الزاخر ، الذي أرانا سبق الاواخر ، الجامع بين جزالة المبنى ، ورشاقة الالفاظ والمعنى ، حتى حير العقول ببديع سحره ، واعجز الفحول بباهر نظمه ونثره ، ونزه الالباب فى الالفاظ المهذبة ، والمعانــى الدقيقة المستعذبة ، الذى ببدائع وشى طرازه تتزخرف المحافل ، وبمديحه فى الآفاق سارت الرفاق والقوافل ، الذى جر ذيول النسيان ، على كــل ذى فصاحة وبيان ، فلو شافه ابن مقله (5) ، لغرقت منه بالدمع المقلة ، أو عاصر ابن بسام (6) ، لما فرح ثغره بابتسام ، أو لو هبت نسمات فكره على ابن الخطيب (7) ، لاستحقر دونها نفــح كل طيب ، أو لو جــاور جريرا (8) والفرزدق (9) ، لقالا انه لارق وأحذق :

رقــت شمائله وراقت واغتــدت   فى اللطف الطف من نسيم فى سحــر

---

3) م. السائح ، **المنتخبات** ، 80 — 81 .
4) **المصدر السابق** ، 81 .
5) أنظر ترجمته فى د. م. ا ، 3 : 430 (أ و ب)
6) أنظر ترجمته فيما سبق ، ص. 183 ، وهامش 68 .
7) أنظر ترجمته فيما سبق ص. 35 ، وهامش 88 .
8) أنظر ترجمته فى د. م. ا . 2 ، 2 : 492 (أ و ب)
9) **المصدر السابق** ، 2 : 807 (ا) — 808 (ب)

كل له أضحى مقرا مذعنا
فالسبق فى الغايات فهم كمن سحر » (10)

يؤكد هذا المقطع بوضوح تأثير ابن الونان ، ليس فحسب من حيث طريقة التفكير وشكل الاسلوب وايقاعه ، ولكن أيضا من حيث تراكم الالفاظ واستعمال الجناس ، وبخاصة التشبيه بنفس الشخصيات أمثال الفرزدق وجرير وابن بسام (11) .

وقد نظم المسارى ، علاوة على الارجوزة التعليمية السابقة ، مقطعات عديدة خليقة بشاعر مجيد . ويزيد من فضله أنه عاش دائما فى البادية كما عاش من قبل العياشى واليوسى ، وتحمل باستمرار اعباء القضاء .

وهكذا يقول فى أحد أصدقائه :

« لولا اشتغالى بالقضا وصروفه	**ما كان لى عن باب فضله من مفر**
لا تعجبوا منى ومن نسيانه	**ولتعذرونى فالقضا يعمى البصر»(12)**

وهذه مقتطفات من شعره :

ا ــ مدح الشاى :

لله تاى حسن نافع	**يجتلب الانس وينفى الترح**
أريجه يحكى نسيما سرى	**من روض زهر طيره قد مرح**
شربته مع فتية كلهم	**نالوا العلا ارثا ونالوا المدح**
لا ينزل الهم بساحتهم	**قد رجموه بشهاب الملح**
وكأسهم تحسبه من هوى	**جمع فيه حار من قد مرح**
جماله وشكله باهر	**فمن رآه الحزن عنه انتزح**

---

10) م. السائح ، **المنتخبات** ، 79 .
11) أنظر ما سبق ، 240 وهامش 129 .
12) م. السائح ، **المنتخبات** ، 79 ــ 80 .

وكـل طرف شـام تزويقـــه دار بـــه بحـــر الهوى وافتضـــح

وتـــاى فيـــه ذهـــب ذائـــب ينشـــى ســـرورا لمريـــد الفـــرح

ولـــم يذق منـــه ولو شـــربـــة عن الملاهى فى الصبـــا قد جنـــح

يـــا رب وارزق من أتـــانـــا بـــه مـــا يتمنى يا جزيل المنـــح (13)

تذكر هذه القصيدة والتى تليهـــا بقصيدة أدراق فى مدح النعناع .

ب ـ مـــدح البـــن :

الا فاسقنـــى من قهـــوة كسروية بكأس تريـنـــا آية الصبح والدجـــا

معتقـــة هـــام الفؤاد بشربهـــا ولا تلتفت لمـــن لشربهـــا قد هجا

لها منـــن تصفو على الشرب تسعة وواحدة تكفى لمن كان ذا حجـــا

سرور الى قلب وعطـــر الى انـــف وتهزم جيش النوم ان كان قد فجـــا

وفيهـــا دواء للدماغ مـــن الاذى وتنشيط أعضاء اذا الليل قد سجـــا

كذاك أبـــو أيـــوب لا تتركنـــه ببطن وزد عليـــه بنت أبـــى رجا

على أن جسم المرء يزداد قـــوة لدى شربهـــا بالطبخ فانهم ومزجـــا

فيـــا حابس الكاسات سرح ثقافها وغـــدر ومكن للأحبـــة مدرجـــا

ومنى على الساقى ومن بجهاتـــه سلام عطير نقله أحرف الهجا (14)

يشير الشاعر فى البيت قبل الاخير الى بعض المحافظين من رجال الدين الذين كانوا يمنعون شرب القهوة ويعدونها من الشراب الحرام .

ج ـ قصيدة **نزهة الجلاس ، فى زهر دوح روضة الجناس** ، على غرار

---

13) مجموع مخطوط رقم 158 د. وعدد أبيات هذه القصيدة اثنان وأربعون بيتا .

14) **نفس المجموع السابق** ، ص. 35 .

سراج الطــلاب المشار اليها من قبــل :

وبعــد فالقصــد بهــذا الوضــع	كم للجناس عندهم من نوع . . .
لانــه عــين خلاصــة البديــــع	تلهو به النفوس عن كل بديع . . .
وهــا أنــا رمت اتخــاذ حزرها	منزهــا عين النهــى فى طرزهــا
ممثــلا لكـــل نــوع نذكــــره	والعــون مــن الاهنــا نستمطره
فى رجـــز مهـــذب الالفـــاظ	يسهــل حفظــه علــى الحفــاظ
سميتــه بنزهــة الجـــلاس	فى زهر دوح وروضة الجناس . . .
التــام من جناسنــا مــا اتفقــا	ركناه فى الوضــع اتفاقــا مطلقــا
وكبثينــــة لهـــــا ذوائـــــب	من حزهــا قلوبنــا ذوائب . . .
ثـــم الملفــق الــذى تركبـــا	ركنــــاه مــن كلمتــين اكتتبـــا
مثالــه الملفــق مـــا تصــدى	الــى سلوك فمات صــــدا (15)

لم يأت الناظم فى هذه القصيدة التعليمية بجديد ، لكن له الفضل فــى تبسيط القواعد وسبكها فى قالب رائع يسهل استذكاره . ولم ينس هو نفسه استعمـــال الطرق التى يعلمها ، كما يتجلى ذلك فى القصيدة التالية التــى رثى به شيخــه التاودى ابــن ســــودة :

دهينــا بــرزء لا يقاومــه صبــر	وعم البرايــا قلب حزن به جمــر
وأظلمــت الدنيــا وزال بهاؤهــا	وزلزلت الاجبــال واستعظم الامــر
ومزقــت الاكبــاد حزنــا ووحشة	وعطلت الاسواق واستحكم الذعــر
وأصبــح وجه الارض أغبر كاسفا	فليس لعين لم ترق دمعهــا عــذر
بكتــه العذارى فى الخدور وأعولت	جهارا وكانت من شمائلها الستــر
وكيف وقــد مات ابن سودة بعدما	أمنا به من كل ما يحدث الدهر ؟

15) **المصدر السابق** ، ص. 72 — 73 . وعدد ابيات هذه القصيدة أربعة وستون بيتا .

بني سودة صبرا على ما أصابكـــم فانالزرايا السود يزكو بهاالاجر(16)

تعطينا المقطعات السابقة فكرة عن القيمة الشعرية للمساري : فالصور عنده ذات الوان ، والتشبيهات موفقة فى اسلوب مطرد ولغة أنيقة ، الامر الذى يدل على تمكن شاعرنا من تسخير قلمه فى ميدان البلاغة كيف يشاء . ولم يسخر هذا القلم لاحكام القضاء فحسب ، وانما سخره ايضا للتعليــم وهو الحريص على افادة اقرانه وان يجعل فى متناولهم بكيفية موجزة سهلة اشق الموضوعات فى اللغة العربية . وقد اكتسب ود الجميع بلطافته ودقته وايثـــاره .

لا يعرف بالضبط تأريخ ولادة المسارى ولا وفاته ، ولكن من المؤكد انه عاصر السلطان مولاى سليمـــان . وقد علمنا أخيرا أنه مات عـــام 1240 = 1824 (17) .

16) **نفس المصدر** ، ص. 34 — 35 . ابيات هذه القصيدة تسعة وثلاثون بيتا .

17) وذلك اعتمادا على التواريخ المأخوذة من مراسلاته بكيفية خاصة . انظر ا. البلغيتى ، **الابتهاج** ، 78 . وهكذا نعرف أنه كان حيا بين عام 1206 وعام 1238 = 1792 — 1823. وقد حدد لنا تأريخ وفاته شفويا ع. ابن سودة مؤلف **الدليـــل** .

ابن عمرو الرباطي [1]

(المتوفـى عـام : 1243 = 1827)

يقترن اسم ابن عمرو باسم ابن الونان ، لان المترجم عرف بمعارضة قصيـدة **الشمقمقيـة** .

أبو عبد الله محمد بن محمد التهامي بن محمد ابن عمرو بن قاسم الانصاري كان أوسيـا ــ كابن الونـان ــ بنسب أبيه ، حسنيا بنسب أمه ، أندلسي الاصل . ولد في الرباط ودرس على نخبة علماء العدوتين وغيرهم من شيوخ المدن المغربية الاخرى . نذكر منهم أبا العباس الحكمي (2) ، وعبد الواحد الفاسي ، والغربي الرباطي ، وعبد السلام حركات ، ومحمد الرهوني ، وعبد القادر ابن شقرون الفاسي ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر ، والجنوي ومحمد الورزازي .

كان ابن عمرو متضلعا في الفقه وبخاصة في النوازل ، تضلعه فـي اللغة والعروض ، ممتازا في القصائد الخاصة بمدح الرسول ، كما كان جذاب المنظر ، عطوفا على الفقراء واليتامى والأرامل . وقد أحب ملازمة الأسفار للخارج ووجد فيها سلوى لما أصابه من نوائب الدهـر .

خلف شيخه الحكمي في منصب القضاء مدة وأصدر أحكاما سديدة ، ثم خوطب بالولاية فرفض . ونالت خطب الجمعة التي كان يلقيها في المساجد

---

1) أنظر ترجمته عند م. السائح ، **المنتخبات** ، 95 ــ 100 ، **سوق المهر** ، ع. ابن ابراهيم، **اعلام** ، 215 ــ 223 ، رقم 509 ، ع. الكتاني ، **فهرس الفهـارس** ، 1 : 202 ــ 205 ، ع. كنون ، **شرح الشمقمقية** ، 10 ، ع. ابن سودة ، 3 : 323 ، 350 ، 391 ، 465 ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 86 ، 184 ، 310 ، 383 ، 385 ، 386 .

2) أنظر ترجمته عند م. داوود ، **تاريخ تطوان** ، 3 : 92 ، 153 ، 163 الخ .

حظوة كبرى لدى الجمهور لفصاحتها ، كما كان نثره كله فصيحا بليغا . وهو الذى انشأ بيعة السلطان مولاى عبد الرحمـــن .

ذهب عام 1224 = 1809 الى مراكش حيث اسند اليه كرسـي التدريس ، وما لبث أن أدرك شهرة لعمق معلوماته وبعد نظره فى المسائل العويصة (3) ، ولما رجع الى الرباط ، عزم على اداء فريضة الحج . ولما حل بتونس ، تابع دروس ابى اسحاق الرياحى (4) ، ومحمد المحجوب (5)، ومحمد بيرم (6) ، ومحمد ابن الخوجة (7) . وقد أجازه هؤلاء الشيوخ جميعهم وبخاصة فيما يتعلق **برحلة** ابى سالم العياشى .

ولما اطلع على الحواشى التى قيدها شيخه محمد الرهونى علـى هذه **الرحلة** قرظها وابدى اعجابه بها فى قصيدة من سبعة وثلاثين بيتا ، منهـــــا :

امســت حواشيــه الفريدة تحفة	**تنبيــك عنه بين آســاد الشرى**
تزهـــو بفضفــاض الذيــول تجره	**ويحــق للحسنـــاء ان تتبختـــرا**
ولهـــا اريج عاطر يجلى الاســــى	**عـــن كـــل مفؤود براه مـــا بـــرا**
تدعـــو من الاكفـــاء قرما ماجـــدا	**هذا جمالى قد بدا فليمهـــرا (8)**

وفضلا عما لابن عمرو من مقطعات نثرية وشعرية مثلما سبق ، له كذلك **كناشـــة** ، **وديوان** ، **ورحلة حجازية** ، **وفهرس** ، **وقافية** شهيـــرة

---

3) نذكر على سبيل المثال أنه فصل فى مسألة بالرباط ، فاعترض على حكمه أحد علماء فـاس، لكن علماء مراكش أيدوا وجهة نظر ابن عمرو بعد تدخل السلطان مولاى سليمان نفسه .
ولم يكن هذا العالم الفاسى غير التاودى ابن سودة .
انظر ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 216 .

4) انظر ترجمته عند محمد النفير ، **عنوان الاريب** ، 2 : 90 — 97

5) **المصدر السابق** ، 2 : 67 ، اثناء ترجمة عمـر المحجوب .

6) **المصدر السابق** ، 2 : 78 — 83 .

7) **نفس المصدر** ، 2 : 176 — 178 .
ع. ابن ابراهيم ، ا' **اعلام** ، 5 : 218 — 220 .

بالعمريـــة عارض بها **شمقمقيـــة** ابن الونان ، كما اشرنا الى ذلك مـــن قبـــــــل .

انه من الغريب أن نجد ابن عمـــرو كسلفه ابن الونان من أصـــل يمنـــى باعتبار جدودهما من الاوس ، بل ومن بيت ملك فيه . وقد راينـــا ابن الونان يفتخر بأصله . ومن زهو ابن عمرو أن يجارى الذى قال عن قصيدته الطنانـــة :

من كان يرجـــو من سواى مثلهـــا رجا من القربة رشح العرق (9)

لم يكن لكلا الشاعرين من هدف فى نظم قصيدتيهما الرائعتين غيـــر نشر ما لهما من المعارف اللغوية . ومع ذلك فان الشمقمقية تحتوى على افكار فلسفية ، وأمثال تتعلق بعادات العرب واعرافها ، بينما لا نجد فـــى **العمرية** غير المفردات الغريبة والصعبة . لذلك حظيت الاولى بشروح عدة ، بينما لم تشرح الثانية الا مرة واحدة . أن الموضوعات التى تطرقت لهـــا كلتـــا القصيدتين متماثلة ، كوصف الفلـــوات الموحشة والاينق الرواحل ، والتغزل بالنساء ، وامتداح الخيلاء والشجاعة . وتمتاز **العمريـــة** ايضـــا بمدح الرسول عليه السلام (10) .

وهذا مطلع قافية ابن عمرو التى قلنا انها تتميز باستعمال المفردات الغريبـــــــة :

تسحب فى الادلاج كـــل خيفـــق يراء سبسـب يبـاب سملـــق

---

9) انظر ما سبق ، ص. 240 .

10) ذكرو أن سبب نظم ابن عمرو هذه القصيدة ان امراة عادته وهو طريح الفراش من مرض النقرس ، فأخبرته أنها رات فى المنام رجلا يقول لها : ارشدى فلانا لمدح السلطان ، وهو يومئذ سيدى محمد بن عبد الله . ولما استشار بعض اصحابه اشار عليه بمدح الرسول عليه السلام سيد الخلق جميعا ، ففعل وشفى من مرضه .
انظر ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 221 — 222 .

وجبـت كل طلسـم سمهـــدر | متن دمـوس واسع المختـــرق
يفتـال غيلان الفلا مـن سنـد | شناظــــه مستمسـك بالافـــق
وسقت كــل عيطموس عيهـــل | عيرانــة قــوداء ذات شمـــق
لهفــة حرف وكــوف شـــودح | عكفــاء عندل لكــاك ديفــق (11)

وتختص الابيات الاحد والعشرون الاخيرة من هذه القصيدة بمدح النبى ، فتتبتدىء بالدعاء وتنتهى بالتضرع والابتهال :

يــا أكرم الخلق على اللــه ويــا | شمس الضحى فى مغرب ومشرق
يا خاتم الرسل وسيــد الــورى | يا بهجــة الكـون ونور الحـدق
ويـــا زعيمــا بالشفاعـــة اذا | نبذهــا كــل رســول مشفـــق
يــا ساقيــا أمتــه مــن حوضه | فليس يظمــأ فتــى منهــا سقى
يــا وزر المذعور يــا بحــر العطا | يــا نصــرة الملتهب المختنـــق
ويــا عظيــم الجاه عنــد ربــــه | يــا رحمة الله انبــرت فى طلــق
يــا معدن الفضل ويــا كنز الغنى | ويــا مفكـك اســار المــوثــق
ويــا مــلاذ المنضوى يــا سندى | يــا وزرى مــن عــدو مبـــرق
يــا مطمح النظر يا نــور الدجــى | ويــا خلاص كل جــان مرهق . . .
هــذا عبيــدك العقــوق مشفيــا | علــى شفــا مصفــدا للعنـــق
قد شــدد الخطب خناقــه فمــا | بــه حــراك وأيضــا بموبـــق
يصــرخ زاهدا ببابــك فــــلا | يخشى ، وحاشاك انتهار الفيتــق
فى هصــب من نصــب ووصــب | وشصــب ولصــب وعــوق (12)

تتراكم الالفاظ والعبارات فى القصيدة كلها وتطرد كالشلال . ويمتاز

---

(11) م. السائح ، المنتخبات ، 98 .
(12) المصدر السابق ، 99 — 100 .

البيت الاخير بمجانسة الصاد فى خمس كلمات متتالية .

توفى ابن عمرو بالحجاز فى عاشر ربيع الاول عام 1243 (13) = 1 اكتوبر 1827 ، ودفن فى مكان يقع بين قبر الرسول وخديجة أم المومنين ، كما تنبىء بذلك ثلاثة أبيات قيلت فى رثائه (14) .

---

13) ذكر مؤلف **فهرس الفهارس** ، خطأ ، ان وفاة ابن عمرو كانت عام 1244 = 1828 .

14) ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 223 . وصاحب هذه الابيات هو ابو عبد الله محمد بن على بن احمد الدكالى السلــوى .

العصر الثالث

(1894 — 1824 = 1311 — 1239)

١ ـ الحيـــاة السيـــاسيـــة :

كان على الملوك الثلاثة الذين تعاقبوا على العرش فى هذه الحقبة ان يجابهوا تقريبا نفس المشاكل التى جابهها سلفهم من قبل ، اعنى قمع الثورات ، واعادة تنظيم الجيش ، ومحاربة الاحتلال الاجنبى ، وبذل الجهود للرفع من المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بالبلاد .

وبذلك يمكن القول بأن المغرب على العموم لم يطرا عليه اى تغيير يستحق الذكر ، سواء فى بنيته الجغرافية او السياسية ، اللهم الا ما كان من حدثين متميزين عما سبق ، ازدياد التدخلات الاوربية وضغطها اكثر فأكثر ، وانفتاح المغرب للتجارة الخارجية اكثر كذلك .

ويلاحظ بعض الفتور فى الناحية الثقافية ، رغم المجهودات التى بذلها الملوك فى هذا الشأن ، وبخاصة اعظمهم مولاى الحسن الذى سعى الى ادخال العلوم ووسائل التقدم مباشرة من اوربا او عن طريق الشرق الاوسط .

بقى المغرب فى هذا العصر منطويا على نفسه اكثر من اى وقت مضى ، وظل ذلك « المغرب القديم » المنعزل ، لكنه مغرب يعيش فى انتظار حدث جديد ، ان صح هذا التعبير ، يفتح له آفاقا اخرى . وقد بدا هذا الحدث فعلا بارتقاء مولاى عبد العزيز العرش ومبايعته سنة 1894 ، وهو ما يزال ابن اربع سنين فقط ، وانتهى باقامة الحماية الفرنسية عام 1912 . وذلك ما يبين مغزى اختيارنا عام 1311 = 1894 كحد تنتهى اليه هذه الدراسة .

1 — مولاى عبد الرحمن

(1238 — 1276 = 1823 — 1859)

أ — ملكه :

عين السلطان مولاى سليمان ابن اخيه خليفته بالصويرة مولاى عبد الرحمن بن هشام وليا للعهد . وبعد وفاة مولاى سليمان ، بويع مولاى عبد الرحمن فى فاس بالاجماع ، فاهتم قبل كل شىء بتسوية المشاكل الداخلية ، وقضى على ثوار الشراردة والودايا ، وابراهيم يسمور اليزدكي فى تفيلالت ، غير أن أهم حركة قام بها هو احتلال تلمسان ، على اثر نزول الفرنسيين بالجزائر عام 1830 ، وتلا ذلك معركة ايسلى المشؤومة .

ب — أعماله :

غرس المساحة الشاسعة فى أكدال مراكش بالاشجار المثمرة ، ووقع معاهدة تجارة مع انجلترا ، ومعاهدة صلح مع فرنسا .

ج — منجزاته الثقافية :

يعد مولاى عبد الرحمن ثانى مصلح للتعليم بجامعة القرويين بعد جده سيدى محمد بن عبد الله . فقد أصدر ظهيرا يمتاز بالفعلية والحالية ، ويدل على ادراك عميق سليم ، وحكم رائع . جاء فى هذا الظهير الموجه لقاضى فاس :

« . . . بلغنا توافر طلبة العلم على العادة ، وجدهم فى الطلب ، غير أنه قل التحصيل والافادة ، وذلك لمخالفة الفقهاء فى اقرائهم الشيوخ واعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوخ . فان الفقيه يبقى فى سلكة سيدى خليل نحو العشر سنين ، وفى الالفية العامين والثلاثة ، لكثرة ما يجلب من الاقوال الشاذة ، والمعانى الغريبة الفاذة ، وكثرة التشعيب بالاعتراضات

وردها ، ومناقشة الالفاظ وعدها ، ويخلط على المتعلم ، حتى لا يدرى الصحيح من السقيم ، ولا المنتج من العقيم . وفى ذلك تضييع الاعمار التى هى انفس المتاجر بلا فائدة ، وتعمير الاوقات التى يرتجى نفعها بلا عائدة (. . .) وما هكذا يفعل أهل الافادة والتحرير ، الذين يحرصون على نفع طلبة العلم رغبة فيما عند الله من الاجر الكبير . فقد كانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته ، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته ، اذ المقصود هو حصول الفهم والافادة ، والمناقشة فى الالفاظ انما هو لغو وزيادة وليست لاهل التحرير بعادة . وما تقدم قراءة النحو والبيان والمعقول ، الا لتحصيل الملكة التى يتوصل بها الى فهم المنقول . فلا ينبغى فى الفقه مناقشة الالفاظ ، ولا نقل كل ما سوده الحفاظ (. . .) فلا يجاوز الفقيه فى سلكة **خليل** العام ، وان طال ففى عامين ، ولا يجاوز فى **الالفية** الشهر والشهرين ، كما كان يفعل جهابذة العلم من نقاده ، بل كانوا يسردون **خليلا** فى أربعين يوما **والالفية** فى أقل من ذلك ، ويحصل الطلبة فى ذلك على علوم جمة ، ومسائل مهمة ، لا يحصلونها فى هذا التماطل والتطويل ، وعمارة الاوقات بما ليس عليه تعويل

« ففى الحديث : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا . . . حرر فى ثانى عشر محرم الحرام فاتح واحد وستين ومائتين والف » (1) .

2 ــ سيدى محمد بن عبد الرحمن

(1873 — 1859 = 1290 — 1276)

أ ــ ملكه :

خلف اباه فى الملك دون عناء ، غير انه كان عليه أن يواجه الاسبانيين الذين تمكنوا من احتلال تطوان بعد معركة حامية . وقد انسحب

1: ع. ابن زيدان ، **احياء العلوم ، مجلة المغرب** ، السنة الخامسة ، نونبر ــ دجنبر 1936 ص. 10 — 11 .

العدو فى النهاية من هذه المدينة بمقتضى معاهدة وقعها الطرفان ، كما كان عليه ان يعمل بحزم ضد الثائر الخطير الجيلالى الزرهونى المعروف بالروكى بوحمارة ، فأصبحت البلاد عند وفاته عام 1873 تعيش فى طمأنينة ورخاء .

ب ــ أعمـــالـــــه :

عقد معاهدات تجارية عديدة ، وجعل من طنجة دار مقام للسفراء الاوربيـــــــين .

ج ــ منجــزاتـــه الثقــافيـــة :

يرجع الفضل الى هذا الملك فى ادخال اول مطبعة الى المغرب ، وطبع الكتب الاولى بها ، مثل **شرح الازهرى على الآجرومية ، و الشرح الصغير للخرشـــى** على **مختصر خليـــل ، وشـــرح التاودى ابن ســـودة علـــى العاصمية** (2) ، **والشرح الصغير** لميارة على **المرشد المعين** لابن عاشر . وقد حبست هذه الكتب كلها على مكتبة القرويين بفاس . وشجع سيدى محمد بن عبد الرحمن الكتاب والعلماء ماديا ومعنويا ، وخصص لهم مرتبات ومكافآت لما يؤلفونه او ينسخونه من كتب ، وبعث الى مصر ، ايـــام محمد سعيد باشا (3) ، بعثة طلابية للتخصص فى الرياضيات ، من بين افرادها عبد السلام العلمى (4) ، الذى امتاز فى هذا الفن ، والف فيه كتبا عديدة ، وصنع بيده آلة شمسية ، ومحمد بن الطيب ابن كيران (5) ، مخترع ثمن الدائرة (بدلا من الربع) ، غير ان هذا الاثر القيم لم يطبع ، فضياع بموت صاحبـــــه .

---

2) **العاصمية** : ارجوزة فى 1698 بيتا فى الفقه المالكى ، ومؤلفها محمد بن عاصم الاندلسى ، قاضى قضاة غرناطة (760 ــ 830 = 1359 ــ 1426) .

3) خديوى مصر (1854 ــ 1863) . وهو الذى حفر قنال السويس بواسطة فيرديـنـــان دولـيـسبـــــس .

4) ستـأتـى ترجمتـه قريبـا .

5) انظر ترجمته عند ع. ابن زيدان ، **الدرر الفاخــرة** ، ص. 96 .

3 ــ مولاى الحسن

(1894 — 1873 = 1311 — 1290)

ا ــ ملكه :

يعتبر مولاى الحسن من أعظم ملوك المغرب وأجلهم قدرا . بويع باجماع الامة ، فتابع عملية التهدئة واقرار الامن التى سار عليها أسلافه من قبل ، وضم الى جانبه كبار قواد الجنوب .

لم يقع لمولاى الحسن اى حادث مع فرنسا ، لكن الدول الاوربية الاخرى ازدادت مطامعها فى المغرب ، فجاءت معاهدة مدريد سنة 1880 تسوى المسائل المتعلقة بالتجارة والحماية « وقررت اتفاقيات دولية أخرى ما يتعلق بالمسائل العملية الخاصة بطنجة » (6) .

ب ــ أعماله :

لمولاى الحسن خدمات وانجازات عديدة ، وبخاصة اقامة (المكينة) بفاس سنة 1885 ، بمساعدة ضباط ايطاليين (7) .

ج ــ منجزاته الثقافية :

تابع مولاى الحسن عمل والده فى ميدان العلم والرقى ، فأرسل بعثات طلابية الى مصر ومختلف دول أوربا ، لتحصيل كل العلوم ، بما فى ذلك الرياضيات والفنون الحربية وتوجه عبد السلام العلمى المتقدم الذكر فى بعثة الى مصر للتخصص فى الطب .

وفى ميدان الطباعة ، تم بفاس ، عام 1304 = 1886 ، طبع شرح

---

6) هـ. طيراس ، **تاريخ المغرب** ، 2 : 152 .

7) أنظر ر. لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، ص. 98 .

الشيخ مرتضى الزبيدى (8) على **احياء العلــوم** للامام الغزالى ، وكتب الخوجة الطوسى (9) الخاصة بمبادىء هندسة اقليــدس .

وكلف مولاى الحسن شيخه أبا العباس أحمد ابن الحاج (10) بكتابة تأريخ مفصل للدولة العلوية ، فألف **الدر المنتخب** فى خمسة عشر مجلدا ، وقطعه الموت عن اكماله ، كما أمر كاتبه أبا العباس أحمد بن عبد الواحد ابن المواز (11) بتأليف كتاب فى شرعية علم الكيمياء ، واخيرا أمر بقراءة حزب **مختصر خليل** بعد صلاة العصر من كل يوم ، ليختم مرة فى الشهر ، وما تزال عادة قراءة حزب **المختصــر** جارية حتى الآن فى بعض مــــدن المغـــــرب .

ب ـ الحيـــــاة الفكـريــــة :

اشرنا فى الفصل السابق الى الجهود التى بذلها الملوك الثلاثة للرفع من المستوى الثقافى فى البلاد ، بعد أن أخذت تظهر بوادر الانحطاط . ومن بين الوسائل التى لجؤوا اليها لتحقيق الانبعاث : اصلاح التعليم ، وتشجيع الكتاب ماديا ومعنويا ، وطبع الكتب ، وارسال البعثات الطلابية الــى الخــــارج .

وبالاتصال المتزايد مع مظاهر التقدم والحضارة ، وجد هاجس يوحى بأن هناك شيئا جديدا سيحدث ويعمل على تأجيل موعده بكل الوسائل .

---

8) من علماء اللغة المشهورين بالتاليف له **شرح القاموس** المسمى **بتاريخ العروس** ، وغيره (1145 — 1205 = 1732 — 1791) . أنظر ما سبق ص. 59 هامش 70 .

9) نصير الدين محمد (598 — 672 = 1201 — 1274) . ولد فى طوس ومات ببغداد . منجــم معاصر لهولاكو ، ومؤلف عدد من الكتب فى الفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، والفلـــــك .

10) أنظر ترجمته عند ل. بروفنســال ، **مؤرخو الشرفاء** ، ص. 368 — 371 ، والمراجــع المذكورة هنـــاك .

11) من علماء فاس المتوفى بها عام 1341 = 1923 ، ومؤلف كتب كثيرة . أنظر ع. ابــن سودة ، **دليــل** ، 1 : 152 و 158 ، 2 : 394 .

فاحتلال الجزائر (1830) ، وموقعة ايسلى (1844) بادرتان سيكـــون لهما اثر عميق على سلوك المغرب فى جميع الميادين .

ففى الميدان الادبى ، سيعلق على الحادثين ويستغلهما كل مـــن الصوفية والشعراء (12) . ويرون فيهما علامة للغضب الالهى لانتهاك حرمات الدين والاخذ بالعادات الذميمة . وبذلك كانت كتاباتهم طافحـــة بانتقاد اخلاق المجتمع ، والحض على التشبث بالمبادىء الاساسية فى الاسلام والجهاد فى سبيل الله ضد الكفار المعتدين .

تظهر هذه الانتقادات ، من وجهة النظر الدينية ، فى شكل محاربة شديدة الصرامة للبدع المخالفة للدين ، المناقضة لتعاليم الاسلام . ولـــم تحارب الخطايا الكبائر وحدها ، كشرب الخمر والتهتك والفجور ، وانما شملت المحاربة ايضا عادات اخرى غير مضـــرة ، كاستعمال الشاى والقهوة والتبغ . وقامت حملة موازية ضد الدجالين من المتصوفة المغامرين ، باعتبارهم المسؤولين الرئيسيين عن انحلال الاخلاق . والواقع أن رؤساء الطرق كانوا حتى ذلك الوقت موضع ثقة ، وتعاليمهم الصوفية مثالية . ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ، أصبح الصوفية موضع شك وحذر من طرف اكثر العلماء الذين اخذوا يتطلبون ضمانات اكثر فى رواية هذا التعليم .

وخير مثال لذلك : الشيخ سيدى احمد التيجانى (13) الذى اثارت شخصيته مجادلة حادة بين اكنسوس من المريدين التيجانيين المتحمسين ، والمشرفى من خصوم التيجانية الالداء (14) .

---

12) انظر فى هذا الموضوع القصائد التى نظمها الوزير محمد بن ادريس العمـــراوى فى موضوعى احتلال الجزائر ووقعة ايسلى فى **البحث العلمى** ، السنة الاولى ، رقم 1 ، يناير — يبرايـــر 1964 ، ص. 165 — 169 و 173 — 177 ، وعند ع. كـــنون ، **احاديث** ، ص. 25 — 28 .

13) توفى عام 1815 بفاس . وقد سبقت ترجمته .

14) ستأتى نماذج لهذا الخصام الادبى — الدينى فى ترجمة اكنسوس والمشرفى .

ان اكبر من يمثل هذه الحركة ، هو العالم الشهير الفقيه كنـــون الذى اثار حفيظة السلطان بمطاعنه القاسية ، وذهب الى السجن مدة . وانتقل دور الرقباء فى الواقع الى الكتاب الادباء ، فأخذوا يحررون باسم ملوكهم مناشير يبعثون بها الى الولاة والقضاة ، بل وحتى الى سكان تلك المدينة او ذلك الاقليم ، يذكرونهم بواجباتهم ، ويقدمون اليهم نصائح وتوصيات ، بعد ان يعنفوهم بشـــدة . وكثيرا ما كانت الظروف هى التى تملى تلـــك المكاتيب ، فتأتى على اثر صدور حكم جائر ، او تجاوز حد السلطة ، او وقوع ثورة ، او حادثة فى الحدود . ومن اشهر الكتاب آنذاك اكنسوس ، ومحمد بن ادريس العمراوى ، وابنه ادريس . وهذه الرسائل المحـــررة بأسلوب مسجع مثقل بأنواع المحسنات ، تكون نموذجا للترسل فى هذا العصر (15) ، وتوضح فى نفس الوقت انحطاط الادب ، لانه ، متى افتقد الخلـــق والاصالة ، اتجهت العناية الى تأنيـــق الشكل على حســـاب المعنـــــــى (16) .

تنطبق نفس الملاحظة على الشعر ، حيث ان الاتجاهين ــ الدينى والدنيوى ــ محددان بوضوح . فالاول موضوعه بالطبع القصائد المولدية فى مدح الرسول الكريم ، وأولى الامر من آله الاشراف ، ويتضمن التعبير عن الرغبة الملحة فى أداء فريضة الحج ، ووصف البقاع المقدسة ، مع ذكر الحكم والامثال ، ويتمثل غرضه الظاهر فى الوعظ ، وحث الناس على الاخلاص فى الاعمال ، والتخلص من الاوزار ، وقهر العدو الكافر الذى يزداد تضييقه على التراب الوطنى اكثر فأكثـــر .

أما الاتجاه الثانى فى الشعر ، فيقدم قطعا واقعية ومعبرة تماما ،

---

15) أنظر م. غريط ، **فواصل الجمان** ، وكذلك **المجموعات الجدية للرسائل الشريفة** .

16) هناك أنواع أخرى من النثر ، أنظرها عند ع. كنون ، **أحاديث** ، ص. 20 — 24

تؤكد ظاهرة الاختلاف بينه وبين الاتجاه الاول . واذا كان الشعر الفصيح يظهر قاصرا عن التعبير عن بعض العواطف العميقة ، فان ذلك ميسور في الشعر الملحون الذي كان يعنى به حتى الملوك انفسهم ، مثل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن . فبلغ هذا النوع أوج ازدهاره في الدور الاخير الذي ندرسه (17) .

كثرت قصائد الملحون المتنوعة ، وادرك بعض ناظميها شهرة واسعة تجاوزت حدود المغرب . فالى جانب سيدي قدور العلمي ، أشهرهم على الاطلاق ، نذكر منهم : التهامي المدغري (ت 1273 = 1856) وعلال الكحيلي ، والهبطي ، والمكي بجيوات ، وادريس الحنش ، ومريفق ، والقريشي (18) .

الرحلة ، التي لم تعد قاصرة على الحج الى مكة المكرمة منذ العصر السابق ، امتدت في هذا العصر الى اقطار اخرى نائية او غير معروفة كثيرا ، مثل انجلترا وتركيا . وهذه الحالة ناتجة عن الوضعية الجديدة للمغرب في نطاق الديبلوماسية العالمية . تحتوي الرحلات على معلومات دقيقة ومفيدة عن البلاد المزورة ، وتنعكس شخصية المؤلف على ما يدون من ملاحظات وما يقتطف من انطباعات . ولاهتمام كاتب الرحلة باخبار قرائه باكثر ما يمكن من الاسهاب ، يستعمل نثرا مبسطا ولو انه أحيانا مسجع أو قريب من اللغة العامية ، ولا يتردد غالبا في نقل الكلمات التقنية الاجنبية بشكلها الاصلي . ومن ابرز هذه الرحلات رحلتا الزياني ومحمد بن الطاهر الفاسي .

ونشير في الاخير الى انه ، لاول مرة في تأريخ الادب المغربي ، ترجمت كتب برمتها من اللغات الاوربية ، ككتب عبد السلام العلمي في الطب ، والفت اخرى بتصميم حديث ، كتاريخ المغرب الاقصى لاحمد بن خالد الناصري .

---

17) انظر م. الفاسي ، **الادب الشعبي** ، في مجلة **البحث العلمي** ، السنة الاولى ، العدد 1 ، يناير — يبراير 1964 ص. 62 — 63 .

18) **المصدر السابق** في نفس الصفحات .

ج ـ الرجـــال وآثـارهـــم :

أبو القاسم الزياني[1]

(1147 — 1249 / 34 — 1735 — 1833)

يعتبر الزيانى من اكبر المؤرخين للدولة العلوية مع الافرانى واكنسوس من جهة ، والناصري من جهة اخرى ، بل هو اكبر مؤرخ مغربى اذا اعتبرنا قيمة مؤلفاته ، والدراسات العديدة التى خصصت له ، والمكانة العظيمة التى أولاه اياها ل. بروفنسـال فى **مؤرخو الشرفـاء** (2) .

وليس لدينا من هذه الناحية ما نزيد على ما قيل ، اللهم الا ما كان من بعض الاشارات التكميلية المتعلقة بحياته وبعض مؤلفاته ، وبطبيعة الحال ما يتناول خصائصه الادبية كشاعر وناثـر .

نسجل بادىء ذى بدء أن نسبة الزيانى الى القبيلة البربرية الكبرى زيان المستقرة فى وسط المغرب بناحية مدينة خنيفرة . وهى تكتب وينطق بها بياء مخففة بعكس ما اصطلح عليه لحد الآن من تشديد ياء زيان (3) .

ولد ابو القاسم بفاس عام 1147 = 3 يونيه 1734 — 23 مـاى

---

1) انظر ترجمته عند :
ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 142 — 199 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ع. كنون ، **نبوغ**، 1 : 297 ، **ذكريات** عدد 2 ، ع. الكتانى ، **فهرس الفهـارس** ، 1 : 230 — 231 ، والمراجع المذكورة هناك ، ش. بيـلا ، **اللغة العربية وآدابهـا** ، 180 — 183 . م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، 539 أ ، **الرحالة المغاربة** ، 23 ك. بروكلمان ، **ملحق** 874 . 878 . 880 م غريط ، **فواصل الجمان** ، 45 ، ع ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 85 وفى أماكن متفرقة أخـرى .

2) ستون صفحة ، من 142 الى 190 .

3) اخذت هذه المعلومات فى عين المكان . فالبربرى هناك يقول انه أزايى ، والجمع ايزيان .

1735 ، ويكتب هو اسمه بلقاسم بن احمد بن على بن ابراهيم الزيانى ، ودرس فى المدينة الادريسية على ابيه وعلى كبار العلماء ، امثال احمد بن طاهر الشرجى ، ومحمد بن الطيب القادرى ، وعبد الله بوخريص ، وعمر الفاسى ، ومحمد ابن ابراهيم ، والتاودى ابن سودة ، ومحمد بن الحسن بنانى الذين سنتحدث عنهم فيما بعـــد .

ومن الاسباب التى جعلت الزيانى يسقط من أعين شيوخه ورفاقه فى الطلب ، فضلا عما ذكره ليفى بروفنسال (4) ، أنه كان يتهم بالاشتغال بالسحر والتنجيم ، ولا سيما علمى الخط والجدول ، حتى اضطر الـــى الانقطاع عن دروس شيخه أبى حفص الفاسى ، كما يحدثنا بذلك الزيانى نفسه قـــائــــلا :

« كنا فى نزهة فقال لى الفقيه : يـــا فلان ، أرنا شيئا مما تعلمه ولا نعلمه نحن ، وصمم على فى ذلك ، فخجلت منه وقلت : لم يتهيأ لـــى عمل الآن . فقال : ولو ما خف . فقلت لم يحضرنى شىء الآن . فكـــان ذلك سبب انقطاعى عنـــه (5) . »

وفى العدد الثانى من سلسلـــة **ذكريات مشاهيـــر رجال المغرب** (6) المتعلق بالزيانى ، لم يعجب عبد الله كنون من اشتغال المترجم بعلوم السحر التى أخذها من كناش جده على بن ابراهيم . وكان هذا بدوره فقيها نسابة عشريا اخباريا ، لم يكن فى وقته من يلحقه فى النسب . ولكن ، اذا كان عادة اهل هذه العلوم اخفاءها وعدم البوح بها الا لخاصة الخاصة من أحبابهم ، والمترجم نفسه تنصل منها وتبرأ لما خاطبه شيخه أبو حفص الفاسى ، فان

---

4) **شرفاء** ، 143 .
5) ع. كنون ، **ذكريات** ، 2 : 8 — 9 .
6) **المصدر السابق** ، ص. 10 .

هذا لا يمنع من ان يكون الزيانى عارفا بها ، وقد اعترف بذلك ضمنيا عندما تحدث عنها بقـولـــه :

« اعرف الرجل يلقى من يده السبحة فتسعى اليه بعد الاستدعاء ، ولا يرتكب هذا التدليس والافتراء ، ويتكلم على المصباح الموقود فيطفى ، ويضع الحاجة (الشىء) امام القوم فتخفى ، ويتكلم على المصباح الذى انطفا فيشتعل ، وعلى النائم فينفعل ، ويصب الماء فى الاناء فيجمد ، ويقرأ على النار فتخمد ، ويكتب المكاتب لمن بالمشرق ويلقيها من خلفه ، ثـم يفتحها فتوجد أجوبتها كل على وفقه ، ويستخرج اسم الرجل المجهول واسم ابيه وامه ، وقبيلته وفضيلته وقومه ، ويلقى على النحاس المذاب غبارا ، فيصير نضارا ، وهو زاهد فى ذلك (يعنى دعوة المشيخة) ، ورع فى حيز الاهمال ، ولا يلتفت لمنصب ولا جاه ولا مال ، مقبل فى بيته على تسويد الاوراق ، بما شاهده فى الجولان بالآفاق » (7) .

وعقب عبد الله كنون على ذلك بقوله : « فمن يكون هذا الرجـل غير ابى القاسم ؟ ولا يقال انه انما تعلم هذه العلوم بمصر . . . لان وقوفه على كناش جده كان قبل ذهابه لمصر . نعم ، فى مصر زاد فيها براعة واتساعا ، وتفننا واطلاعا . واذا فيكون تخرجه من مدرستين : مدرسـة القرويين ، وقد قرأ فيها علوم الدين واللغة ، ومدرسة العائلة ، وقـد قرأ فيها التأريخ والنسب وسائر العلوم الخفية » (8) .

ومما يدل أيضا على ان الزيانى كان يدرس هذه العلوم السحرية اعجابه بأحد السحرة فى مصر الذى قال فيـــه :

« وفى اقامتنا بمصر كنت اجالس بالبيت ابن ذلك الصاحب ، واشاهد

---

7) نفس المصدر ، ص. 11 .
8) المصدر السابق ص. 11 .

منه عجائب . كان له يد فى علم الرمل وعلم السيميا ، ومن راى تصوراته يحسب انه من الاوليا ، فشغفت بفنه واتخذته شيخا ، ولازمته حتى ملكت لبه بالسخا ، فجاد هو ايضا بما عنده فى الجريب ، وافادنى فى امد قريب ، واوقفنى على ما فى علمه من خواص المعادن وما ينشأ عنها من الاسرار والعجائب ، التى يبلغ المرء بها أعلى المراتب ، واطلعنى على ما يلحق بها من الحيل التى يستعملها المشعوذون ، ومن بحرها يستمدون فعدت بذلك مسرورا ، وقلت حجا مبرورا » (9) .

وقد الححنا على هذا الجانب من حياة الزيانى ، لانه يكشف عن الشخصية العجيبة لهذا الرجل ذى الاحوال الغريبة ، الذى طالت حياته قرنا كاملا واكتنفها العديد من الاسرار . وقد ضربنا صفحا عن قصة رحلاته التى عانى اثناءها « النكبات السبع » ، حسبما رواه هو نفسه بطريقة مثيرة ، لنستعرض مؤلفاته ، محاولين كالعادة ان نبين خصائصها من الوجهة الادبية .

وباستثناء الكتابين اللذين الفهما الزيانى فى السيميا والسحر ، وظلا مفقودين حتى الآن للاسباب التى سبقت الاشارة اليها ، فان سائر كتبه تختص بالتأريخ والجغرافيا ، وتبلغ خمسة عشر مؤلفا (10) .

1 — **الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب** . وهو تأريخ عام يبتدىء من بدء الخليقة الى القرن الثالث عشر = التاسع عشر (11) .

2 — **البستان الظريف ، فى دولة أولاد مولاى على الشريف** ، (أو

9) **نفس المصدر** ص 14 .

10) نتبع نفس الترتيب الذى ذكره المؤلف نفسه ونقله ل. بروفنسال ، شرفاء ، 167 .

11) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 658 د و 223 ك .

الروضة السليمانية ، فى ملوك الدولة الاسماعيلية ، ومن تقدمها مـــن الدول الاسلامية) ، وهو تأريخ للدولة العلويـــة (12) .

3 ـــ **أرجـــوزة** فى البدع المستحدثة فى الاسلام بعنوان : **الدرة السنيـــة الفائقة ، فى كشف مذاهب أهل البدع مـــن الروافض والخوارج والمعتزلـــة والزنادقـــة** .

4 ـــ **أرجوزة فى وفيات ملوك المسلمين** ، يبلغ عدد أبياتها الفا ، **وشرحها** بعنوان : **الفية السلوك ، فى وفيات الملوك** (13) .

5 ـــ **رسالة** فى نسب شرفاء المغرب عنوانها : **تحفة الحادى المطرب ، فى رفع نسب شرفاء المغرب** (14) .

6 ـــ **رسالة السلوك ، فيما يجب على الملوك** ، تحدث فيها عن سياسة الملـــــــــــــوك .

7 ـــ **رحلة الحذاق ، فى مشاهدة البلدان والآفاق** ، وهو مختصر فـــى الجغـــرافيـــــــا .

8 ـــ **فهرس** بعنوان **جوهـــرة التيجان ، وفهرســـــت الياقوت واللؤلـــؤ والمرجان ، فى ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولاى سليمان (15)** .

9 ـــ **كشف الاسرار ، فى الرد على أهل البدع الاشرار** ، وهى رسالـــة فى الرد على المبتدعـــة .

---

12) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، أرقام 257 ك . 1275 د . 1577 ، ومخطوط المكتبة الملكية رقم 242 .

13) مخطوط ناقص بالمكتبة العامة بالرباط ، رقم 224 ك .

14) مخطوط عثر عليه فى المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 2471 . انظر مجلة **البحث العلمى** ، عدد 4 ـــ 5 يناير ـــ غشت 1965 ص. 73) .

15) جاءت كلمة (جوهرة) محرفة الى (جمفرة) عند ل. بروفنسال ، **شرفـــــاء** ، 168 . مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 112 ك .

10 ــ 11 ــ مؤلفـــان فى العلـــوم الخفيـــة .

أ ــ **تحفة الاخوان والاولياء ، فى ثبوت صنعة السيميـــاء** .

ب ــ **نصيحة المفتريـــن فى بطلان التدبيـــر** . . .

12 ــ **الرحلـــة** التى سجل فيها اخبار اسفاره الثلاثـــة خارج المغرب ، وهى **الترجمانة الكبرى** ، التـــى جمعت اخبار مـــدن العالم بـــرا وبحـــــــرا (16) .

13 ــ **حلية الادباء والكتاب ، فى مـــدح هذا الكتاب** ، وهـــو ، حســـب ل. بروفنســـال ، مجموع اورد فيه الزيانى التقاريظ التى كتبـــت حول **الترجمان** والحقه بآخر هذا الكتاب (17) .

ويبقى فى الخمسة عشر كتابا المشار اليها اعلاه مؤلفان لم يذكرهما ل . بروفنصال ، وهما :

14 ــ **رحلته الثالثة** بعنوان **اباحة الادباء والنحاة ، للجمـــع بين الاخوات الثـــــلاث** (18) .

15 ــ **ديوان** جمـــع فيه اشعـــاره المختلفـــة (19) .

يضاف الى ذلك خمس مخطوطات وقع اكتشافها اخيرا ، ولم يذكرها لا بروكلمان ولا ل. بروفنســـال ، وهـــى :

16 ــ **تحفـــة النبهاء ، فى التفرقة بين الفقهـــاء** (20) .

17 ــ **التاج والاكليل ، فى مآثر السلطان والجليل ، سليمان بن محمد بـــن**

---

16) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، رقم 3252 ك .
17) ل. بروفنســـال ، **شرفاء** ، 168 .
18) ع.كنون ، **ذكريات** ، 2 : 32 .
19) **المصدر السابق** فى نفس الصفحـــة .
20) انظر مجلة **البحث العلمى** ، عدد 10 ، ص. 18 ، مقال م. المنونى ، ع. ابـــن تسودة ،

عبد الله بن اسماعيل (21) ، وهو تأريخ لملك السلطان المولى سليمان .

18 — **تكميل الترجمان ، فى خلافة مولانا عبد الرحمان** (22)

19 — **مقامة فى ذم الرجال** . . . (23)

20 — **شرح الحال ، والشكوى للكبير المتعال** (24)

وهذا الاخير يوجد مكتوبا بخط المؤلف نفسه ، ولا يدع مجالا للشك فى صحته .

ويمكن الاعتقاد بأن الزيانى الف هذه الكتب الثلاثة بعد ان وضع قائمة مؤلفاته ، ولم يكن يعتقد انه يعيش بعد ذلك ويكتب ، نظرا لتقدم سنه وكثرة تقلبات الحياة .

ان المقتطفات السابقة تعطينا فكرة عن أسلوب الزيانى ، فهو يستعمل السجع حتى فى حكاية أتفه الاحداث المتعلقة بحياته ، وبذلك لا يكون هذا السجع دائما حسنا . نراه مثلا يطابق بين « شيخا » و « السخا » . يضاف الى هذا أن الجمل عنده تقصر أحيانا ، وتطرد اطراد الشلالات ، وتطول أخرى طولا مفرطا لتذكرنا بأسلوب الكاتب الفرنسى رابلى الذى

---

21) مخطوطا المكتبة العامة بالرباط ، رقم 241 ك ، والمكتبة الملكية ، رقم 616 . **دليل** ، 1 : 141 — 142 .

22) مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 2751 .

23) فى هذه المقامة قدح للمتامرين الذين خلعوا السلطان مولاى سليمان حوالى سنة 1236/1821 . وتتحدث عن نفس الموضوع الذى تتحدث عنه **تفحة النبهاء** (رقم 16) بشىء من الاختلاف .
أنظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 165 ، رقم 615 وتختم هذه المقامة بقصيدة **ترجمانة الملوك** فى نحو مائة بيت . أنظر المصدر السابق ، ص.165 ، رقم 616 .

24) قصيدة على روى القاف من بحر الرجز ، وتبلغ أبياتها نحو مائة وخمسين بيتا ، يرثى فيها الشاعر لحال الاضطرابات التى عرفتها فاس ، ويقدم نصائح للسلطان مولاى سليمان وقد شرحها مجهول بعنوان : **نفحة الارج ، ومقدمة الفرج ، فى شرح الحال ، والشكوى للكبير المتعال** . انظر ع. ابن سودة ، دليل ، 2 : 430 — 431 ، رقم 1978 و 1979. ويبدو أن الشارح هو محمد بن ادريس العمراوى (انظر ما سيأتى ص. 330 هامش 66)

يمكن أن يشبـــه بـــه .

ان الانطباع العام الذى يتركه لنا الزيانى هو شخصيته القوية ، وطبعه المستقل . فهو ، بذكائه العجيب وفكره الثاقب ، ينحدر من أسرة جبلية خشنة من الاطلس المتوسط ، وتجده متحررا قليلا فى كتابته . ان مؤلفاته ، التى لم تتح له الفرصة لتنقيحها وتهذيب أسلوبها ، تبدو وكأنها تعليق أخذت على عجل وكتبت بايجاز . أما أفكاره ، وهى فى الجملة صائبة وواقعية ، فانها جدية احيانا ، هزلية مليئة بالعبث أحيانا أخرى ، تذكرنا بالجاحظ أو بفولطير . وهكذا يزعم أن الكسكس كان قد هيأه طبيب الجن لسيدنا سليمان عليه السلام (25) ، ويصف سكان مملكة عجيبة بقوله : « وهذه المملكة ليس فى الممالك كلها أحسن من رجالهم ولا نسائهم ، ولا اكمل محاسن منهم فى المعمور كله ، ولا أجمل اوصافا ولا اطيب خلوة ومضاجعة منهم . ولنسائها من الحسن واليه ، والظرف ، واللذة الزائدة الوصف ، التى لم توجد فى نساء الدنيا . ويبلغ الرجل منهم سن المائة ، وقوته فى نفسه ومجامعته باقية . واذا جامع الرجل امرأته ، فانه ينسى الدنيا وما عليها . واذا بلغت المرأة منهم خمسين أو ستين أو سبعين (الزيادة بالعشرات فقط) ، فـــلا تتغير محاسنها ، وتبقى على ما كانت عليه وهى ابنة العشرين » وبعد ذلك يدعو الله قائلا : « يـــا فتاح ، يـــا رزاق ، هب لنا من هذا » (26) .

فى هذه الحال نجد النثر بسيطا ، واللغة قريبة من العامية . ويسلك المؤلف طريقة أخرى ، عندما يريد أن يظهر بمظهر التكلف والتصنع ، مثلما نجده فى خطابه للكمال الغزى الدمشقى : « أحيى طلعـــة ذلك الهلال ، المرقوب بسلامة من النقص بعد الكمال ، الذى هو للدنيا جمال ، وللديـــن

---

25) ع. كنون ، **ذكريـــات** ، 2 : 34 .

26) **نفس المصدر** ، فى نفس الصفحـــة .

كمال ، وللمستمعين فال ، وللمعترين آمال . تحية صب معتكف على حبكم لا يبرح ، وذى وجد بمحاسنكم لا يتكيف لعدم انتهائه ولا يشرح ، ويستنجز منكم ما وعدتم به من ترجمة الشيخ أرسلان ، فقد كان فى ذلك عليكـــــم الاعتماد والتكلان . والله يتولى هداكم ، ويفسح فى بقاء مدتكم ومداكم . ولا تبخلوا عنا برؤيتك ، وانفسنـــا تفديك ، ولا تجعلنها بيضة الديـــك ، والســـــــلام » (27) .

هكذا تتكرر بعض الكلمات فى السجع بنفس الشكل والمعنى ، وهو خلاف المتعارف عند البلغاء فى النثر المسجع . وهذا مقتطف من رسالـــة اخرى بعث بها الزيانى الى الشيخ الكبير حمدون ابن الحاج الذى يعتبر من بين خصومه ، ولم يسلم من تهجماته وسبابه المقذع :

« شيخ اهل الادب ، ونخبة أشراف العرب ، سيف الفقهاء ، ولسان الخطباء ، العالم المحقق ، المشارك المدقق ، الورع الزاهد ، المتخلق بأخلاق الافاضل الاماجد ، الذى بمضاء عزمه علماء الوقت يقتدون ، وبآرائــــــه السديدة يهتدون ، محبنا الاجل السيد حمدون ، لا زالت سيوف أقلامك قاطعة لحجج الملبسين ، وسهام فقـــرك راشقة لاهل البدع المبسلـــين ، وسلام عليك والرحمة والبركة ، حالتى السكون والحركة . . . » (28)

لا يسعنا الا أن نتساءل ، بعدما عرفناه من الكاتب ، اذا كـــان مجدا فى قوله ، أم هازلا يسخر من خصمه اللدود . والذى يجعلنا نرجـــح الاحتمال الاخير بالرغم عنا هى الجملة الاخيرة التى يطابق فيها الكاتب بين كلمتى البركة والحركة .

ويعكس شعر الزيانى هذه الفكرة أيضا ، تارة هازلا وتارة جادا ،

---

27) **المصدر السابق** ، ص. 36 .

28) **نفس المصدر** ، ص. 37

وبصراحة تبلغ حد الجسارة أحيانا كثيرة . وقد قال في سفر البحر ، وهو يومئذ محفوف بالاخطار والاهوال :

« لو كل من ركب البحر اغتنى ونجا — لم يبق في البر للانسان من سفـــر
أو كــل راكبـــه أصابـــه غـــرق — فلا ترى عنه طوال الدهر من خبر
خاطر بنفسك فـــي العلا لتدركـــه — وسل من الله حسن الظن في القدر
لولا مخاطرة النفوس ما ظفـــرت — بنيلما تبتغي فيالدهر من وطر»(29)

وبديهي أن هذه الابيات تقلد القصيدة الشهيرة للامام الشافعي فـــي مدح السفـــر . نلاحـــظ كيف عرض الشاعر في البيتين الاولين النتائـــــج المتضاربة للسفر في البحر ، وتخلص الى استنتاج ضرورة اقتحام أخطـــار الحياة متى اراد الانسان أن يدرك المجد والعـــلا . لان الكسل يقود حتما الى الخمول والضعـــــة .

وقبل وفاة الزياني بسنة واحدة ، اي خلال عام 1248 = 1832 ، وعمره آنذاك قد جاوز المائة بسنة ، كان ما يزال قادرا على ان يتوجه الى السلطان ، وهو يومئذ المولى عبد الرحمان ، ويلومه في شجاعة نادرة على عزله والي مدينة فاس قائـــلا :

« يا مالكا لا يرى عزل الولاة ولو — جاروا ولا يقبـــل الشكوى بواليـــه
فليس هـــذا بقانون الملـــوك ولا — وقع في غربنا ولا في شرقيـــــه
اخفض جناحـــك للشكاة والقهـــم — واسمــــع كلامهم واعمل بما فيـــه
لا تعتمد في مظالـــم على حاجـــب — ولا وزير فوالي الجور يرشيـــــه
قد جاء في الذكر لمن الظالمين غـــدا — وفي الحديـــث الذي تتلو وترويـــه
وأنت وليت هذا العبـــد مفترســـا — سبع سنين وكل الناس تشكيـــه

---

29) المصدر نفسه ، في نفس الصفحة .

وبعد أن عدد مظالم الوالى ومظاهر استهتاره ، ختم قائلا :

« فما تقول وما عذرك يـا ملكـا	**مـع الاله الذى ولاك تكفيـه**
فانظر لنفسك أو دعهـا على غرر	**فالموت يأتى على كـل ويفنيـه**
والله ما قلت ذا بغضا ولا فنـدا	**الا نصيحتكـم للـه فاقصيـه**
ان لم ترد عزله فاللـه يهلكـه	**عما قريب ورب البيت يحميـه**
اذ ليس لى ناقة فى ذا ولا جمـل	**فسل تجد صدق ما قلت لكم فيه»(30)**

هذا الكلام لا يستطيع غير الزيانى أن يواجه به السلطان ، وهو كلام يهتز صراحة ويفيض نقمة وثورة ، لا سيما وقد قيل دفعة واحدة ، بلغـة سهلة جدا تحسبها نثرا مسجعا ، ومفهومة حتى لكأنها باللسان الدارج (31) .

هكذا كان هذا الرجل العظيم . ومات بفاس فى رابع رجب عام 1249 = 17 نونبر 1833 ، ودفن فى الزاوية الناصرية بحى السياج (32) .

30) ع. كنون ، **ذكريات** ، 2 : 38 — 39 .

31) لقد استعمل الشاعر بالفعل (شرقيه) مكان شرقه و (ألتهم) بدل تلقهم و (يرشيه) بدل يرشوه و (تشكيه) مكان تشكوه و (فاقصيه) محل فاقصه ..

32) « فى وسط فاس البالى بين حومة العيون وسويقة بنصالى ، على مقربة من قصر المجلس البلدى ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 165 ، هامش 5 .

محمد بن ادريس العمراوي [1]

(1847 — 1794 = 1264 — 1209)

هو الوزير الشهير للسلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام الذى ولـــى الملك من عام 1238 الى عام 1276 = 1822 — 1859 .

ابو عبد الله محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس (ثلاث مرات) (2) بن الحاج محمد الآزموري العمراوى الفاسى ، من أكبر رجال الادب . ولد بفاس فى تأريخ يظن انه عام 1209 = 1794 (3) ، من أب كان يعلم القرآن للصبيان فى الكتاب .

وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، واخذ عن كبار علمـــاء عصـــره ، أمثال حمدون ابن الحاج الادب والعروض ، والحاتمى العلوم الشرعية ، عين المترجم ، على حداثة سنه ، كاتبا للديبلوماسى المؤرخ أبى القاسم الزيانى ، فأفاده عمله هذا كثيرا من معلومات رئيسه التأريخية .

وفى سنة 1229 = 1814 ، وعمره اذاك عشرون سنة ، تعـــرف

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسـال ، **شرفاء** ، 184 و هامش 1 ، 203 ، 210 ، 404 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 189 — 239 ، ع. ابـــن ابراهيم ، **الاعـــلام** ، 5 : 263 — 292 ، رقم 516 ، **اظهار الكمال** ، 288 — 289 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 316 — 317 ، 2 : 223 — 229 ، 3 : 42 — 44 ، 86 — 89 ، 136 — 137 ، 291 — 293 ، **ذكريات** ، العـــدد الثالث ، م. الفاســـى ، **الادب المغربى** ، 539 (ب) ، م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 40 — 60 ، م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى** ، 321 ، 362 — 366 ، 480 ، م. الكانونى ، **آسفى** ، 159 ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، **88** ، م. الكتانى **سلوة** ، 2 : 362 — 363 ، أ. الناصرى ، **استقصا** ، 9 : 4 ، 14 — 15 ، وما بعدها ، العربى المشرفـــى ، **الحسام الشرفى** ، 253 — 260 ، ناصر الفاسى ، **محمد ابن ادريس** ، فى **البحث العلمى** 1 : 157 — 180 ، أ. الزيانى ، **البستان** ، ع. الفاسى ، **السلطان الصغير** ، فى **رسالة المغرب** ، أرقام 47 — 49 ، السنة التاسعة ، ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 391 .

2) عن تمجيد جد الاسرة محمد بن ادريس الثانى ، انظر ع. ابن ابراهيم ، **اعلام** ، 5 : 263

3) انظر **البحث العلمـــى** ، ص. 159 .

على محمد أكنسوس ، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد ، فتمكنت عرى المحبة بين الشابين ، وظهر اثر ذلك جليا فى آثارهما الشعرية .

وفى اثناء حفلة أقامها السلطان مولاى سليمان بفاس ، القى العمراوى قصيدة أجيز عنها بمائة مثقال (4) ، بينما لم ينل الشعراء الآخرون سوى خمسين مثقالا . واخذ التصوف عن مولاى عمرو (5) الذى كان يلقبه بالسلطان الصغير ، وعن سيدى قدور العلمى .

وبعد اجتياز مراحل عديدة ، سمى العمراوى كاتبا لمولاى عبد الرحمن الذى كان يومئذ خليفة لعمه مولاى سليمان بفاس . وبعد موت هذا الاخير سنة 1238 = 1822 ، صار العمراوى وزيرا للسلطان الجديد ، وبقى فى هذا المنصب الى سنة 1247 = 1832 . وبعد أن دبرت قبائل الاوداية مكيدة ضده ، عزل من منصبه وانتزعت أملاكه والقى به فى السجن . لكن ، لم تمض أربع سنوات حتى رد اليه اعتباره ورجع الى منصبه حيث لعب دورا مهما فى الحياة السياسية ، وبخاصة عند احتلال الجزائر ومعركة ايسلى . فقد تتبع هذه الاحداث عن قرب واهمته كثيرا ، تارة يبعث برسائل الى ولاة الاقاليم والى الامير عبد القادر نفسه ، وتارة ينظم قصائد مؤثرة لحض الناس على الجهاد (6) . ولما لم تجد جهوده شيئا ، ولم تحدث نداءاته صدى فى النفوس ، خدمت همته . ولم يعمر طويلا بعد هزيمة ايسلى التى وقعت سنة

---

4) المثقال أو الدينار الذى كان وزنه الاصلى 4 كرام 729 ذهبا ، لم يكن يزن على عهد السعديين سوى 3 كرام 549 ، و 3 كرام فقط فى القرن 18 . ومنذ سنة 1760 استبدل بالمثقال الفضى ، لكنه لم يلبث أن ضعفت قيمته . أنظر ر. لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، 283 وهامش 5 .

5) مولاى عمرو العمراوى (ت . 1230 = 1815) . أنظر كتاب **اللؤلؤ المكنون** ، لمحمد التشفيني .

6) انظر فى هذا الموضوع :
أ — قصيدته المتعلقة باحتلال الجزائر ، وتبلغ أبياتها 110 (**البحث العلمى** ص. 165 — 169) .
ب — المراسلة الطويلة التى بعث بها الى الامير عبد القادر على اثر معاهدة تافنا (**نفس المصدر** ، ص. 173 — 176) .
ج — القصيدة المثيرة التى وجهها الى المغاربة (**نفس المصدر** ، ص. 177)

1844 ، ومات يوم رابع محرم من عام 1264 = 12 ديسمبر 1847 علـــى اثر مرض قصيـــــر .

ان الكتابات التى تركها محمد بن ادريس كانت الاحداث قد أملتهـا عليه ، فالنثر مختص بالمراسلات الادارية والسياسية ، والشعر بالمناجاة الروحية . ويتخلص من هذا وذاك حساسية تكاد تكون مرضية ، واخلاص لا يدع مجالا للشك . ان شغله الشاغل ، كما يقول هو نفسه ، هو خدمـة الصالح العـام للامـة :

« واللــه لولا سبعــة أرجو بهـا	**نيـل المفاز ورحمـة الرحمـان**
مـا قمت فى بـاب الخلافة آمـرا	**أو ناهيا فـى خدمـة السلطـان**
ابـلاغ حاجات وغـوث مؤمـــل	**ودفـاع مكـروه وبـذل أمـــان**
وعـلاء اسـلام وبـث نصيحـة	**واعانة الاخوان والاخدان » (7)**

وسنبحث أولا فى نثر ابن ادريس قبل أن نتخلص الى شعره .

هذا النثر فى الغالب مسجع لانه كان يستعمل فى المراسلات الرسمية وفى الموضوعات المتكلفة كالمقامات . ويعود النثر بسيطا منطلقا فى المراسلات الخاصة ، كما يدل على ذلك المقطع التالى من رسالة موجهة الى القائـد ادريس بن حمان الجرارى الذى كان فى نفس الوقت واليـا على وجدة وخالا للسلطـان :

« وقد أكرم سيدنا كل واحد بما يناسبه من الكسوة ، وصنع لهم فى كل بلد دخلوه مهرجانا ، وأدخلهم سيدنا لوسط داره ، وجميع جناته ، وأماكن المملكة التى لا يدخلها الا الخاصة . غايته أنهم نالوا من العناية فوق الظن ، ووقفنا معهم فوق ما تحب . وفيهم الكفاية ، ولم يبق الا ما عندك فكـن

7) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 228 .

عند الظن بـــك ، فان سيدنا نصره الله جرب غيرك وطرحه ، وهذا معيار نسأل الله أن يكون معيار التبر الخالص . وما وعدك به سيدنا سيرد عليــك حين تستقر بالبلد ، ويحسن تصرفك على عين الحاضر والبادى . وفى وصية سيدنا فى كتابه الشريف مقنع ، وعلى المحبة والسلام » (8) .

فالكاتب يصف استقبال السلطان بطريقة بسيطة وافية بالغرض ، مهتما بملاحظة وذكر جميع التفصيلات دون اهتمام بتحسين الاسلوب . ونجد الامر بخلاف ذلك عندما يتوجه بالخطاب باسم السلطان مثلا الى الامير محمــد ليطلعه على الحملة التأديبية الموجهة للايقاع بقبيلة زمور :

« كنا أردنا الابقاء على قبيلة زمور رحمة واشفاقا ، وحملهم علـــى الاستقامة بالارهاف من الشدة فى بعض الامور هداية وارفاقا ، فلم يـــرد الله بهم خيرا لفساد نيتهم ، وخبث طويتهم ، واتكالهم على حولهم وقوتهم . فما رأوا منا لينا وسدادا ، الا ازدادوا شدة وفسادا ، ولا أظهرنا لهم عظة وارشادا ، الا أظهروا تطاولا وعنادا ، وما أخرنا المحلة المنصورة عـــن الركوب اليهـــم ابقـــاء والفا ، الا ظنوا ذلك عجزا وضعفا . قـــد طمس الاعجاب منهم بصرا وسمعا ، ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعـــا » (9) .

تزداد لهجة الرسالة هكذا قسوة وتهديدا ، وتأخذ « دائرة الكلام » سرعة ممتدة مع جمل ثنائية السجع أو ثلاثيته ، متوازنة بعبارات متوازية أو متماثلـــة . ومع ذلك فان قراءة هذا النثر سهل بل ممتـــع .

وتزداد الصنعة الانشائية فى **المقامة** الشهيرة التى يرويها الفتـــح بن سلامة عن نصر بن كرامة ، والتى يتعلق المقطع التالى منها بوصف فيضان

---

8) ع. كنون ، **ذكريات** ، العدد الثالث ، ص. 17

9) م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 58 .

وادى العبيـــــد (10) .

« فلما خيمنا بشاطىء وادى العبيد ، قابلنا بوجه الجبـــار العنيد ، وابدى من مده آية الاعجاز ، وقال بلسان حاله : لا مجاز لا مجاز ، واستعان من ثلج الجبال بالمذاب ، فأرانا بحرا طامى العباب :

نهــر يريك السهم سرعة جريــه والبحر عمقــا والشفير سعيــرا
فليسلــم النفس المريــد عبــوره ان لــم يكن لطــف الاله ظهيــرا

فأحجم عن عبوره القوم ، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعوم، وبات النـــاس فى الآراء يترددون ، ولقصص الناجين والغرقى يعــددون ، وقصارى أمنية كل واحد عبور ذلك الصراط ، والانتظام فى سلك الناجين والانخراط ، حتى أنشد بعضهم واستحسن ، وتمنى ما تمنى الحسن (11) :

ألا ليت شعرى هــل أبيتن ليلــة بسهب الثمنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبـــى وهل أتركن دايا وأدواءها ورا ؟»(12)

يزدان هذا الوصف بصور منتقاة ، ويكتسب حيوية بتجسيد النهــر فى حال الفيضان وكأنه يعارض مرور الجماعة ويقف فى وجههم بعداء .

وفضلا عن هذه **المقامة** والمراسلات العديدة الاخوانية والرسمية التى تشتمل عليها كتابات ابن ادريس ، نجده قد شرح **أرجوزة** (13) للزيانى . غير أن آثاره الشعرية اهم من ذلك كله . فقصائده العديدة التى جمعهــا من بعد ابنه أبو العلاء ادريس فى **ديوان** (14) ، تتطرق الى موضوعــــات

---

10) أحد الروافد المهمة فى الضفة اليسرى لنهر أم الربيع ، وينبع من الاطلس الكبير .
11) يعنى الحسن اليوسى المتقدم الذكر .
12) ع .كنون ، **النبــوغ** ، 2 : 227 .
13) عنوان هذا الشرح : **نفحة الارج ، ومقدمة الفرج ، فى شرح الحال ، والشكوى للكبير المتعال** . انظر **البحث العلمى** ، العدد 10 ، ص. 18 ، مقال م المنونى .
14) مخطوط رقم 845 ج فى جزءين ، ومخطوط رقم 436 ك فى 115 صفحة .

متنوعة ، واكثرها فى مدح النبى الكريم ، ومدح السلطانين اللذين عاصرهما : مولاى سليمان ، ومولاى عبد الرحمن ، وتمجيد الاولياء الصالحين (15) . فمن هذه الناحية كان ابن ادريس شاعر بلاط ومناسبات ، يعرف عند الاقتضاء كيف يجعل من نفسه ذا حساسية رقيقة ويشرك الآخرين فى عواطفه . وتدل اقتباساته من الشعر المشرقى والاندلسى على تبحر فى هذا الفن ، حسبما نلمسه فى المقتطفات التالية :

1) نظم فى الفخر والحماسة ، فى جملة ما نظم فيها ، قصيدة من ثلاثة عشر بيتا تذكر من حيث وزنها وقافيتها **ببردة** الامام البوصيرى ، مطلعها :

« شعبى وشعب الغوانى غير ملتئم — ووصلهن أرى ضربا من الحلم

كم لى أسائل عن سلمى وجارتها — وعن رسوم عفت وأينق رسم

وكم أكفكف دمعا فى مرابعها — ضلا وأسأل عونا واكف الديم » (16)

2) ونظم فى الغزل والنسيب قصائد كثيرة ، هذه مطالع اشهرها :

---

15) أشهر هذه القصائد :

أ — مدح السلطان مولاى سليمان بقصيدة رائية من بحر البسيط ، فى ثلاثة وعشرين بيتا . وهى من أولى منظوماته اذ لم يكن سنه آنذاك يجاوز العشرين .

ب — رثاء مولاى سليمان ، نونية من بحر الكامل ، فى سبعة وسبعين بيتا .

ج — مولديتان .

د — أربع قصائد فى مدح مولاى عبد الرحمن .

هـ — قصيدة فى مدح الامير محمد بن عبد الرحمن .

و — قصائد فى مدح الصالحين .

أ — ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 205 — 206 ،

ب — م. السائح ، **المنتخبات** ، 105 — 108 ،

ج — ع. ابن زيدان **اتحاف** ، 4 : 194 — 196 و 205 .

د — **نفس المصدر السابق** ، ص. 196 — 198 ، 202 — 203 ، 216 — 219 ، ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 5 : 279 .

هـ — ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 4 : 209 — 211 .

و — ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 5 : 280 — 281 ، 285 ، 287 ، 289 .

16) ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 42 — 43 .

أ —

« سحرتك بالطرف الكحيل الساحر وبحسـن قد كالقضيب الزاهـر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب كـدجنة فاعجب لحسن باهر
وبنقطة مسكية فى وجنة وردية ذات الاريج العاطر
وبريقها المعسول الا أنه يشفى الحشا من كل داء ضائر
ريق أعز على من نيل المنى وألذ من رشف الرحيق لخاطرى »(17)

ب —

« ألا خبروا ذات الخلاخل والقرط بأنى ملك للجمال بلا شرط
لقد أودعت قلبى وحقك لوعة غداة غذت بين الوشاحين والمرط
تميس كخوط البان غازله الصبا وتسفر عن بدر وتفتر عن سمط
رمتنى بسهم الغنج عن قوس حاجب فأصمت فؤاد المستهام ولم تخط » (18)

وقال فى سرب نساء جميلات من زمور ، يوم دخل السلطان رسميا الى هذه البلاد :

ج —

« أظباء زمور سلبتم مهجتى بقنا القدود وصارم اللحظات
وهتكتم بالقهر حصن تنسكى بجيوش حسن خريدة ومهاة
شنت علينا بالنواظر غارة فأخذتم الالباب فى الثارات » (19)

يبدو ابن ادريس فى المقطعات الاربع التى سقناها شاعرا فحلا ، سواء عندما يفتخر أو يشكو من ألم الهوى . فهو تارة عظيم جليل ، وأخرى رقيق

---

17) المصدر السابق ، ص. 86 .
18) نفس المصدر ، ص. 88 .
19) المصدر السابق ، ص. 88 — 89 .

لطيف . ويذكر بحلاوة شعره ورقته شاعر الاندلس الملقب بمليح الاندلس : احمد ابن عبد ربه (20) .

وفعلا ، قال ابن ادريس موجها الخطاب الى حبيبته :

« يا كوكبا بسما الجمال شريقا — قد صرت للبدر التمام شقيقا

نسرين وجنتك البهية ما له — أرني اليه فيستحيل عقيقا ؟

وزديق تغرك ما له أبغى به — نقع الاوام فيستحيل حريقا ؟

يا من حوى رقى برقة حسنه — نفسى فداؤك كن على رفيقا !» (21)

وقد سبقه ابن عبد ربه بقوله :

« يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا — ورشا بتقطيع القلوب خليقا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله — درا يعود من الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه — ألفيت شخصك فى سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة — ما بال قلبك لا يكون رقيقا ؟ » (22)

3) وصف الطبيعة :

ابدع شاعرنا فى هذا الغرض لدقة ملاحظته ، وابداع صوره ، وحسن تشبيهاته .

ا — اوحت اليه عقود العنب بالابيات التالية :

«عرائس الروض تزهو فى عرائسها — لها خدور لصون الحسن والحسب

قد ربيت فى مهاد لا يحركه — الا النسيم اذا يهفو على كثب

وأرضعتها ثدى السحب درتها — فى كل حين ولم تبرز من الحجب»(23)

---

20) أنظر ترجمته فى د. م. 1 ، 2 : 375 (ب) — 376 (أ)

21) م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 53 .

22) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

23) ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 136 — 137 . وتذكر هذه الابيات بأبيات ابن شقرون المكناسى السابقة .

ب) ويذكره نهر سبو أيام الانس التي قضاها على ضفافه فينشد :

« ألا حي عني جسر سبو وما حوله من مكان بهيج
فلله من منظر معجب ونهر أنيق ومغنى فريج
تذكرت أيام أنسي به فصار لساني بذاك لهيج » (24)

ج) اما الربيع ، فانه ملك الفصول :

« ملك الفصول له التقدم بينها من رام شأو سناه منها عزه
فخر الزمان بصيفه وخريفه وشتائه يوم الفخار فبزه
متصرف في الارض عند وروده فأشب نرجسه وشيب لوزه
تتنفس الجنات فيه أما ترى أرجا سيري أحيا الفؤاد وهزه؟» (25)

تذكر هذه المقطعة بقصيدة صفي الدين الحلي (26) في الربيع التي مطلعها :

ورد الربيع فمرحبا بوروده وبنور بهجته ونور وروده

والتي يقول :

فصل اذا افتخر الزمان فانه انسان مقلته وبيت قصيده

وما دمنا في ميدان الاقتباس والذكرى ، نستعرض مقطعين لابن ادريس (27) استوحاهما من قصيدتين شهيرتين ، الاولى للزمخشري (28)،

---

24) م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 51 .
25) انظر ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 136 .
26) أنظر ترجمته عند ك. بروكلمان ، **تاريخ الادب** 2 : 159 ، **ملحق** ، 2 : 199 ، د. م. 1 ، 3 : 327 (ب)
27) أ . الهاشمي ، **جواهر الادب** ، 507 .
28) أنظر ترجمته في د. م. 1 ، 4 : 273 (ب) — 275 (ب)

والثانية للمعتمد بن عبــاد (29) :

ا ــ يقول الزمخشرى فى انتقاد الغيبة والجهالـــة :

تعجبت من هذا الزمان وأهلــــه فما أحــد من ألسن الناس يسلم
وأخرنى دهــرى وقدم معشــــرا علــى أنهــم لا يعلمــون وأعلــم
ومذ أفلح الجهــال أيقنت أننــــى أنا الميم والايام أفلح أعلم (30)

ويأخذ ذلك ابن ادريس فيقول فى نفس الموضوع :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبــة وغــى اذا ما ميز الناس عاقــل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهــــم الى نحو ما عاب الخليقــة مائل ...
ومــا الناس الا جاحد ومعانـــــد وذو حسد قد بان منه التحامـــــل
فلا تتركن حظا لخيفــة قائـــــل فان الذى تخشى وتحذر قائل (31)

ب ــ يقول المعتمد بن عباد مشتكيا من قيود الحديد التى ثقف بها :

قيــدى ألــم تعلمــى مسلمـــا أبيــــت أن تشفــق أو ترحمــا
يبصرنــى فيــك أبــو هاشــــم فينثنــى القلب وقد هشمــا (32)

ونجد مثل ذلك عند شاعرنا ابن ادريس ، وهو يتشفع أثناء اعتقاله :

ألا يــا سيــد الشفعــاء غوثــا لعــان قد أضر بــه الحديــــد
وآلمه الثقــاف وعظــم حــــزن يخر لبعضه البطل الشديــد (33)

---

29) ترجمته فى **المصدر السابق** ، 3 : 832 (ب) ــ 834 (ا) .
30) ع. كنون ، **ذكريات** : 3 : 32 .
31) **المصدر السابق** ، 3 : 28 و 31
32) ابن خلكان ، **وفيات** ، 4 : 127 .
33) ع. ابن زيدان ، **اتحـاف** ، 4 : 221 .

ويقول مرة أخرى ، مستعطفا الاسرة المالكة :

الا عطفة يا آل بيت محمد	**على ضائع فى السجن من غير فائدة**
اضر به ثقل الحديد وبرده	**وهذى الليالى بالبرودة شاهده**
يحاكى الذى الموصول معنى وصورة	**هبوا صلة بالفضل منكم وعائده (34)**

يتبين من هذه النماذج القليلة التى سقناها أن ابن ادريس اقتبس ولم يسرق عرف كيف يستوحى فكرة أو صورة ولونا فى قالب خاص ، فيطورها عند الاقتضاء ويحسنها ، فبرهن بذلك على أنه شاعر حق لا مجرد مقلد .

4) نظم ابن ادريس ، كسائر كبار الشعراء ، قصائد عبر فيها عن ندمه على المعاصى التى ارتكبها أيام شبابه وطيشه ، طالبا العفو من الله تعالى . وتستحق بعض هذه القصائد الذكر ، مثل التى يقول فيها :

« مضى فى المناهى والملاهى شبابى	**كأنى لم أومن بيوم حساب**
ولم أدخر زادا ليوم مقامتى	**ولم أتخذ عقبى وحسن مآب**
أنافس مثلى فى البطالة والهوى	**وأعرض عن تقوى ونيل مثاب**
وأسريت فى ليل الجهالة خابطا	**به خبط عشوا فى هوى وسراب**
أأنعم عيشا فى الورى بعدما بدا	**بياض مشيبى فى سواد شباب ؟» (35)**

لم تمنع هذه التأملات الجدية العميقة شاعرنا من نظم قصائد هزلية داعب بها بعض معاصريه (36) .

وبالجملة ، فان ابن ادريس شاعر كبير ، وناثر قدير ، امتاز بأناقة

---

34) **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

35) **نفس المصدر** ، 4 : 201 .

36) المصدر السابق ، 4 : 199 — 200 .

التعبير ، ودقة التصوير ، ومتانة اللغة · نثره تارة مرسل وتارة مسجوع ، الا انه دائما سهل بين ، وكذلك شعره ، فانه كثيرا ما ينظمه فى بحور مطربة جدابة ، امثال البسيط ، والمديد ، والكامل ، والوافر .

ولقد أصاب أستــاذه الزيانى حين قال انه بعد حمدون ابن الحــاج وسليمان الحوات ، فان اكبر كتاب مولاى عبد الرحمن ثلاثة : ابن ادريس ، ومحمد اليازغى (37) ، وأكنســوس .

---

(37) انظر ترجمته عند ل. برفنسال ، **شرفا** ، 339 ، هامش 1 ، مع المراجع المذكورة هناك.

عبد القادر المدعو قدور العلمي [1]

(1850 – 1741 = 1266 – 1154)

عبد القادر بن محمد بن احمد بن أبى القاسم الادريسى العلمى الحمدانى ، شاعر الملحون الشهير المشهور بسيدى قدور العلمى الطالبى العبد السلامى .

نشأ فى مكناس بين أسرة متزمتة ، معرضا عن ملذات الحياة الدنيا ، محبا لزيارة قبور الصالحين ومخالطا للرجال الناسكين . اخذ عن الحاج المختار البقالى (2) ، وعلى بن عبد الرحمن المدعو الجمل (3) ، وبدر الدين (؟) ومولاى الطيب الوزانى (4) ، ومحمد بن أحمد الصقلى (5) ، وغيرهم من اعلام ذلك العصر .

واخذ عنه فى جملة الآخذين السلطان مولاى عبد الرحمن ، ومحمد بن عبد الحفيظ الدباغ (6) ، والامام محمد صالح الرضوى (7) ، والعربى بن السائح الشرقى (8) ، ومحمد غريط (9) .

---

1) انظر ترجمته عند ع. ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 5 : 336 – 352 ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 3 : 327 – 329 ، ع. المشرفى : **الحسام المشرفى** ، 288 – 290 ، ل. بروفنسال ، **الاغنية المسماة سيدى العلوى** ، مجلة **الوثائق البربرية** ، سنة 1919 – 1920 ، 4 : 67 – 75 ، م. الفاسى ، **الادب الشعبى المغربى** ، مجلة **تطوان** ، سنة 1964 ، 28/6 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 191 ، 206 ، 2 : 402 ، م. ت بيرى ، **سيدى قدور العلمى . هيسبريس** ، سنة 1938 ، 1 : 85 – 90 .

2) انظر ترجمته عند ع.ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 5 : 339 ، 341 ، 343 .

3) أنظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** 1 : 358 .

4) أنظر ترجمته عند ل. بروفنسال **شرفا** ، 326 .

5) انظر ترجمته عند م. الكتانى ، **سلوة** ، 3 : 348 .

6) أنظر ترجمته عند ع. ابن زيدان ، **الاتحاف** ، 5 : 341 .

7) ترجمته فى **المصدر السابق** فى نفس الصفحة .

8) **نفس المصدر** ، 5 : 342 . وقد استقر هذا الصالح برباط الفتح .

9) انظر ترجمته عند ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 278 .

لسيدى عبد القادر العلمى كرامات عديدة ، اعظمها انه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك نظم قصائد بلغة فصيحة حديثة واخرى ملحونة أثارت دقتها وفصاحتها اعجاب الجميع . وقد اعتقد الناس مدة أن معظم منظومات سيدى قدور العلمى ضاعت أو أحرقت برغبة منه ، لكنها لحسن الحظ ما تزال محفوظة سالمة .

وقبل أن يموت شاعرنا بأربع سنوات ، وكانت وفاته فى 25 رمضان 1266 = 4 غشت 1850 ، اعتراه جذب وترك صلاة الجمعة فى جامع الزيتونة الذى اعتاد أن يؤدى فيه تلك الفريضة ويوزع على الاطفال الخبز والتمر . وطالت حياته مائة واثنتى عشرة سنة بالتقويم الهجرى ، اى مائة وتسع سنوات بالتقويم الجريجوريانى ، وذلك ما يجعلنا نفترض أن ولادته كانت عام 1154 = 1741 .

ان الازجال (10) أو القصائد المنظومة بلغة شبه دارجة التى نظمها سيدى قدور العلمى تتناول تقديس الله تعالى وتمجيد الرسول عليه السلام ، وامتداح الصالحين وكبار رجال الاسلام . وما الخمر والجمال والغرام التى يتغنى بها سوى استعارات ورموز على نحو ما يوجد عند الصوفية امثال ابن الفارض (11) وابن العربى (12) .

من ذلك قوله :

أ — فى مدح ادريس الاول :

« **بوجودك يا سراج محفل أهل اليقين**

سعد الغرب بعد كان فى برج نحيس

10) من أشهر عناوين هذه الازجال : **الطائفية ، التوسل ،، حجوبة ، الدار ، دامى شراده، ذابل الاعيان ، المحبوب ، المزيان ، الفرج ، الشاكى** . أنظر م. الفاسى ، **المصدر السابق** ، ص. 28 .

11) انظر ترجمته فى **د. م. ا** ، 2 : 383 (ب) — 384 (ب)

12) ترجمته فى **المصدر السابق** ، فى نفس المكان .

انتصــرت ملــة النبــى وتشهــر الديـــــن

والحق استقام منهجو بعــد التنكيس » (13)

ب ــ فــى مــدح الرســول الكريــم :

« خلــق آدم فيــك ولســان اسماعيــــل

وبهــا يوســف عطــاك ومحبــة دانيــال

وزهــد عيســى الصابــر وخلــة الخليــل

وشجاعــة نوح هــا بهــا لــك ذو الجلال

وشــدة موسى الكليــم ورضى اسرافيــل

وفصاحــة لــوط وصرت داود فالتمثــال

وطاعــة يونس وعصمــة ايــوب الفضيــل

وعلم شيت وزهــد يوشــع على الكمــال

وعلــوم السابقين والآتــى مــا زال » (14)

ج ــ فــى وصــف الخمــــر :

«كبالصهبا الخارقا   فى كيسان بنادقــا   مــن زاج بــلاد العــراق

تظهر خمــر بارقا   فالاوانى شارقــا   كلون سحيقالرهاق » (15)

د ــ فــى وصــف الخــــال :

« الخال غــلام   عساس فروض منعما   فيمــين حربه الــى أومــا

كينـــــــوا درغـــــــام   مــن حــاده يتــرك رميـــم

صنع العــلام   نقط فى روض منعما   حكمت ربى رافع السمــا

---

13) ع. كنون ، النبوغ ، 3 : 329 .

14) ع. ابن زيدان ، الاتحــاف ، 5 : 344 .

15) نفس المصــدر ، 5 : 343 .

مـــا نزلـــت بقـــلام كـــون الله الدايـــم القديـــم
وجعـــاب روام وكوابس للطعن رايما فمكاتـــب كفـــار ظالـــم
مـــا تقبـــل تـــدمـــام مولـــوع بالقتـــل والهجيـــم
و ا لجيد ر ا م قدام جليب وهايمـــا على العف والطيب قـــادم
شـــــرادت الاوهـــــام مـــا تقرا لآمان ما تقيم » (16)

يبرهن العلمى فى هذه المقطعات على دقة فى الملاحظة عند الوصف ، وعلى تعمق فى السيرة النبوية ، والافكار معبر عنها بلغة بسيطة ، والصور جيدة · لكن سيدى قدور يتفوق بصفة خاصة فى الملحون الذى نظم فيـــه قصيدته المشهورة المتحدثة عن رجال مكناس والتى تستحق الشرح والتحليل. لقد اضطرته الحاجة الى أن يبيع داره التى ورثها عن ابيه وكانت كل ما يملك . . ندم على ذلك وانشد هذه القصيدة التى تتردد فيها هذه اللازمة :

« آش مـــن عـــار عليكـــم آرجال مكنـــاس
مشات دارى فى حماكم يـــا هل الكرايم »

وقد ردت اليه داره التى اتخذ منها زاوية يعبد الله فيها هو ومريدوه الى أن توفى ودفن فيها على عادة الصالحين .

وهذه أبيات من تلـــك القصيـــدة :

« يـــاســـر فالناس من بغى لـــى ذا الجليـــا
وفـــرح قلـــب على محانـــى وكـــدارى

ويـــاســـر فالنـــاس من عطف قلب ليـــا
وشفـــق مـــن حالتـــى وبكـــاه اغيـــارى

---

16) نفس المصدر ، 5 : 342 .

ويـا سـر فالنـاس من ضحك وطنز فيـا
يـوم فراقـى مـع أحبابـى ووكـارى

ويـا سـر فالنـاس من فتـا الرى عليـا
وزيـن لـى فلخـروج مـن عتبـة دارى

ومشيـت فليلتى من الساعة كارى » (17)

وضع هذا الشعر ليغنى بطبيعة الحال ، لذلك فان مجرد قرائته أو ترجمته لا يؤدى كل جماله . وان بعض مقاطع هذه القصيدة لبالغة التأثير ، مثلما نجده فى هذا المقطع الذى يعبر فيه الشاعر عن ألمه بكيفية حزينة تثير العطف والشفقـة :

أواه ! أواه ! ويـن أولاف العشـران
ويـن صحابـى ويـن همـا صدقـانـى

لا واحـد منهـم يـوم الحـز بـان
غيـر تـدرق علـى بلعـانـى

مـا عرفونـى مـا تفكـرونـى بحسـان
كينـى جيـت للمدينـة برانـى

شى منهـم مـا تـلا يلاغينـى بلسـان
وشى منهـم كـل سـاعـة يلقانـى

ويفاقدنـى لخسيس عنوة فمكانـى » (18)

لكن تصفو السماء بعد اكفرارها كما يقال ، ويسترجع شاعرنا داره

---

17) **المصدر السابق** ، ص 346 .
18) **نفس المصدر** ، ص 348 .

فيستبشر ويندفع قلبه شاكرا رحمة العلى القديـــر :

« القضـــا صرفت أحكـــام وصرت لابـــاس

احمدت ربـــى وشكرت سابغ النعايـــم ..

واللـــه مـــا ضرنـــى ولا عـــذب قلبـــى

غيـــر شفايت الحباب اللى ظنيت صحاب

أمـــــا أنـــا فـــين مشيـــت لـــى ربـــى

فى كـــل مكـــان صرخـــت لـــى تصـــــاب

بـــــدل رب الكريـــــم بالـــراح تعبـــــى

مـــن دار تكلو فاللـــه عمر ما يخاف » (19)

كذلكم كان سيدى قدور العلمى الذى عمر أكثر من قرن قضاه فـــى العبادة والصوم والمناجاة الروحية ، ومع أميته وعفته كانت له كرامات جعلته فى صفوف كبار الاولياء بالمغرب بل بشمال افريقيا . ويستحق ، نظرا لشاعريته باللسان الفصيح الحديث والدارج ، أن تخصص له ترجمـــة حـــافلـــــــة .

---

19) **المصـــدر السابق** ، ص. 349 .

محمد الطاهر الفاسى[1]

(1868 — 1830 = 1285 — 1246)

أبو عبد الله محمد الطاهر بن عبد الرحمن الفاسى ، يعتبر مع أسلافه المذكورين من قبل أحد أعلام هذه الاسرة الفاسية وآخرهم ظهورا . ولا نتوفر على معلومات تتعلق بحياته غير تلك التى أوردها محمد الفاسى فى **الادب المغربى** ، وعبد السلام ابن سودة فى **الدليل** .

وهذا موجز ما ورد فى ترجمته فى المصدر الاول :

محمد طاهر (كذا) الفاسى ابن عبد الرحمن ولد بفاس عام 1246 = 1830 ، وتابع دراسته فى القرويين . لكنه ، كمعظم طلبة القرن الماضى ، ترك الدراسات الاسلامية والتدريس ليعمل مع المخزن ، فسمى كاتبا بالقصر عام 1276 = 1860 ، واشترك كعضو فى سفارة الى لندرة بعث بها السلطان سيدى محمد (1276 — 90 = 1859 — 73) .

ولما رجع الى المغرب كتب رحلة عن سفره الى أوربا (رحلة لم تطبع أملك منها نسخة مخطوطة اعتزم نشرها) (2) لا تخلو من فائدة .

محمد طاهر الفاسى من اول المغاربة الذين سجلوا انطباعاتهم تجاه الاتصال بالحضارة الاوربية التى لم تكن للمغاربة عنها أية فكرة . وصف كل المهرجانات التى رأى فى عبارة بسيطة للغاية . وأكثر صفحاتها حيوية

---

1) أنظر ترجمته عند م. الفاسى . **الادب المغربى** ، 539 (ب)و 540 (أ) ، ع. ابن سودة **دليل** ، 2 : 315 ، رقم 1520 .

2) قد طبع هذا المخطوط أخيرا حسبما سمعنا .

تلك التى تصف استقبال اعضاء السفارة فى بلاط الملكة فكتوريـــا .

« وظـــل فى وظيفـــه ككاتب الـــى أن توفى بفاس عـــام 1285 = 1868 » (3) .

مقتطف من رحلة محمـــد الطاهر الفاســـى :

1 ــ وصـــــف لنـــــدرة :

« وهذه المدينة من المدائن العظام ، ما رايت اعظم منها ولا أحظى ، حتى تكرر على اسماعنا ان طولها ستة ايام ، وعرضها كذلك . وبها سلطانة الجنس النجليزى . وغالب بنائها بالحجر المنحوت ، ويبطنون الحيطان من داخل بالخشب ، ويجعلون عليه كاغيدا مموها ، ويفرشون الارض ببسط وزرابى جيدة . وكان نزولنا لمحل يسمى عندهم بالبسطة ، ويسمى ايضـــا بالهوطيل ، وهو محل معد لنزول الباشدورات والاكابر ، فى أرضه بسط من بابه الى منتهاه ، وهو مشتمل على صالات متعددة ، وبوسطه براح متسع ، وفيه من انواع الفرش والحرير والثريات واوانى الذهب والفضة وغير ذلك ما لا يحصى كثرة . وبمجرد نزولنا اتى الوكيل بكروصات ثلاث من قبـــل الملكة ، وقال : ان هذه معدة لركوبكم كما أمرتنى بذلك الملكة ، والديار بهذه المدينة كلها متشابهة الا ما قل ، وتتميز بالاعداد على أبوابها ، ووسط هذه المدينة كله بساتين وحدائق وغير ذلك . وفى وسط هذه البساتين من انواع النوار ما لا يوصف ، على ترتيب غرسه ومباشرة امره ، وفى وسطها أيضا كراسى عديدة معدة للجلوس عليها بقصد النزهة والفرجة . وعادتهم انهم لا يحمون البساتين بالحيطان ، وانما يحدقونها بقصب من حديد واقف ، وبرأسه شىء شبيه بالحربـــة . ولاهل هذا البلد خيول عجيبة مؤدبة ، ومن

---

3) م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، 539 (ب) 540 (أ) .

ادبها لا تصهل عند الاجتماع ولا تمهمه مع انها فارهة ، وعلى الركض شارهة » (4) .

وكما هو الشأن فى معظم الرحلات من هذا النوع ، فان الطرف والنوادر تلاحظ وتنقل بدقة . فالمؤلف يعبر بصراحة عن دهشته ازاء الاشياء التى لم يتعود رؤيتها ، كأسلوب البناء والتأثيث ، وتنظيم الحدائق العمومية فى قلب البلد وطريقة تسويرها الخ . . .

لكن هذه الرحلة تمتاز عن الرحلات الاخرى ببساطة لغتها التى تقترب احيانا من اللهجة الدارجة ، وباستعمال مفردات اجنبية منقولة الى العربية . وتوجد نفس هذه الملاحظات فى الفقرة التالية :

ب — استقبال رجال السفارة المغربية من قبل الملكة فكتوريا :

« وفى غده جاء فى الوقت المذكور واخبرنا بأن الملكة استدعتنا لملاقاتها فى هذا اليوم ، فعين وقت الملاقاة فى الساعة الثالثة ، فكان الامر كذلك .

فذهبنا لملاقاتها فتلقتنا بدارها بعد أن مررنا بمشاورات على اشكال وقباب عديدة ، وبهن قوائم تعجبت من صفائهن وحسنهن ، وجلهن من المرمر على انواع ، فمنه ما هو ابيض ، ومنه ما هو اسود وهكذا ، والمرمر اعلا درجة من الرخام . وفى هذا المحل ثريات مذهبة عديدة . فلما دخلنا لمحل الملكة كانت جالسة على كرسى ، وحين راتنا قامت للقائنا بعد أن نزلت من كرسيها ، وسلمنا عليها وسلمت علينا ضاحكة ، وكل ذلك ايماء بحضرة قائد مشورها ووزرائها وزوجها وكبير العسكر ، ويسمى عندهم صارى عسكر ، وميزان البحر وبنتيها . ولها سمت حسن وخلق مستحسن ، واظهرت لنا المحبة والسرور ببركة مولانا المنصور ، وجعلت تسألنا عن

---

4) **رحلة** ، ص. 10 — 11 .

احوال سيدنا المؤيد حفظه الله تعالى ، ثم سألتنا عن أحوالنا ، وهل حصل لنا ميد فى البحر وهكـذا . ثم قالت انى فرحت بقدومكم ، وعلمت محبـة سلطانكم ــ نصره الله ــ حين وجهكم الينا ، ونحن نجيبها بما يناسب ، فمكناها من كتاب مولانا أمير المؤمنين ، ادام الله له النصر والتمكين ، فقبضته بملاطفة وأدب ، وجعلته بين يديها تعظيما له ، واجلالا لجنابه العلى ، ومقامه السنى . وبمثال فـرح الملكة فرحت بنا الدولـة ، لان الرعية على قلـب راعيها . وأما دارها فهى من العجائب مشينا فى مشاورات متسعة مفرشة بالزرابى ، وكل ما تذهب شيئا الا وترى تماثيل على أشكال ، سود وبيض ، وفيها قباب عظام ، كل واحدة مفرشة بلون من الديباج ، فالاولى مثلا مفرشة كلها بلون أخضر ، والثانية ازرق ، والثالثة أحمر ، وهكذا كل واحدة معدة لما يناسب من الحوادث ، وفيهن سوارى واحجار رفيعة كالمرمر المنحوت ، وهناك سوارى من الآبنوس . وهذه القباب مطلة على بستان لها عجيب ، فيها حيوانات كالدجاج الهندى ، وبلارج على انواع ، والنسر ، والطاوس وغير ذلك . وفيه نهر بازائه قبة فيها مراكب للفرجة ، ثم انفصلنا عنها الى محل نزولنـا » (5) .

---

5) رحلـة ، 11 ــ 13 .

محمد أكنسوس [1]

(1877 — 97/1796 = 1294 — 1211)

ابو عبد الله محمد بن أحمد اكنسوس (أو الكنسوس او الكنسوسى) مؤرخ كبير وأديب ممتاز . خصص له ل. بروفنسال فى كتابه **مؤرخو الشرفا** صفحات عديدة ، ونبه منذ البداية على « انه من بين مواطنيه اقل تقديرا كمؤرخ منه كشاعر مفلق وأديب رقيق : فهو ، كما يعبر عنه مترجموه ، اديب الغرب والسوس ، تاركين هكذا تأريخه الى الاخير » (2) .

ولد فى قبيلة ادا وكنسوس فى سوس عام 1211 = 97/1796 ، وبها نشأ الى ان بلغ الثامنة عشرة من عمره ، فتوجه الى فاس لاتمام دراسته وتحسينها . أخذ عن اكبر أساتذه ذلك العصر ، وبخاصة عن محمد بن عامر التادلى (3) ، وحمدون بن الحاج . أخذ عن الاول اللغة والبلاغة والتأريخ ، وعن الثانى الشعر والادب . وفى أثناء ذلك تعرف على الوزير محمد بن ادريس ، كما أشرنا الى ذلك من قبل فى ترجمة هذا الاخير .

لم يلبث اكنسوس ان نبغ فيما كان يدرسه ، واقبل ، فضلا عن ذلك ، على دراسة علوم السحر والتنجيم والتصوف ، فزاد تقديره وتعظيمه من

---

1) انظر ترجمته عند ل . بروفنسال ، **شرفاء** ، 200 — 213 ، مع المراجع المذكورة هناك ؛ ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 317 ، 2 : 313 — 316 ، 3 : 237 — 240 ، **ذكريات** العدد الرابع ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، 450 (أ) ، أ. النميشى ، **تاريخ الشعر** ، 36 ، ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 884 ، م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 7 — 40 ، ع. الرندى ، **الكتابة والكتاب** ، 25 ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 38 ، 145 ، 165 ، 205 ، 207 ، 260 ، 2 : 379 ، 391 ، 427 ، 454 ، 472 .

2) ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 200 .

3) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 201 وهامش 2 ، مع المراجع المذكورة هناك.

قبل الشعب حتى بعد ان فقد منصبه الوزارى . فقد شغل على عهد السلطان مولاي سليمان علـــى التوالى منصبى الكاتـــب والوزير . لكنـــه نكـــب لما بويع للسلطان الجديد مولاى عبد الرحمن (1238 = 1823) ، والقى به فى السجن بسبب الدسائس التى حاكها خصومه ضده . وبعد ان اطلق سراحه استقر بمراكش ولم يغادرها قط ، حيث عاش عيشة زهد وتقشف طوال عهد مولاى عبد الرحمن وولده سيدى محمد ، وحتى اوائل ملك مولاى الحسن . وبعد أن فقد بصره فى أواخر حياته ، ادركته المنية يوم التاسع والعشرين من المحرم ، عام 1294 = 14 فبراير 1877 ، ودفن من الغد خارج باب الرب (4) قريبا من ضريح الامام ابى القاسم السهيلى (5) .

وقد درس ل. بروفنسال بما يكفى الجانب التأريخى من حياة المترجم اكنسوس ، فلا حاجة الى أن نعود اليه ، وانما سننظر اليه من الوجهة الادبية ، مبتدئين بنثره .

ورغم كون نثر اكنسوس مسجوعا بحسب اتجاه ذلك العصر ، فانه يمتاز بتركيب قوى وواضح جدا ، وبثروة لغوية نادرة ، وأمثال ، واستطراد أبيات من أشهر القصائد الشعرية . وذلك ما اهل المترجم لينخرط فى سلك الكتاب ثم الوزراء وهو فى ريعان الشباب .

الف اكنسوس ، زيادة على كتابه التأريخى المشهور **الجيش العرمرم** الذى يمتاز اسلوبه بكل الخصائص المذكورة ، كتبا ورسائل عديدة ذات صبغة صوفية (6) سنورد نماذج منهـــا :

---

4) أحد أبواب مدينة مراكش فى الجنوب الشرقى منها قريبا من باب أكناو .

5) أحد سبعة رجال . انظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 204 وهامش ، 3 ، مع المراجع المذكورة هنـــــــاك .

6) يمكن أن ترتب تآليف اكنسوس كما يلى :
أ — فى التاريخ : **الجيش العرمرم الخماسى ، فى دولة أولاد مولانا على السجلماسى** .
طبع على الحجر بفاس عام 1336 = 1918 ، فى جزءين ، مخطوط رقم 43 د و 339 د
ب — فى التراجم : **حسام الانتصار ، فى وزارة بنى عشرين الانصار** . =

ا ــ تبتدىء **المقامة** هكـــذا :

« حدثنا بشر بن فرج ، عن نسيم بن أرج ، قال : كنت يوم اظلنــي الشباب بظلاله الوارفة ، وأتحفنى مطارفه ، واقطعنى من اللهو فنونه ، وكسانى من الغرارة نظرة موضونة ، أوان ركوبى فى السرور اكتادا ، واتخاذى منادمة البدور عتادا ، اذ لا يصبح عنان همتى الا فى يد الافراح ، ولا يطوى رائد مقلتى الا شجاع خد أو راح ، ولا اقرع باب الفرج ، الا انفرج ، ولا احاول الهوى ، الا تركت وصيده رهوا ، أيام اهب الصبــا غاق شرتى ، ووشى بزخرفه صاق غرتى ، لا اقرع فى غير المسرات الا انتاشنى ، واستيقظ الناس من سكر المعرات حاشانى . . . اغدو واروح فى سرب من أصحابى ، العامرين أندية التصابى . . . ما منهم الا من كرمت جرثومته ، وزاحمت النعايم أرومته ، ومن سقاه الادب صفو زلاله حتــى ارتوى ، واستمى الى عرش البلاغة واستوى . . . » (7)

هذا المطلع الانيق المنمق ينبئنا بأن المؤلف كان ما يزال حدثا عندمــا كتب هذه **المقامة** ، وان الاهتمام باضفاء الصبغة الادبية المحضة عليهــا دفع به الى أن يخترع شخصيات وهمية تتطابق اسماؤها وتتناسق مثــل بشر بن فرج ، ونسيم بن أرج .

وعلى غرار **المقامات** التقليدية ، تحتوى هذه على أبيات تتصل قليلا

= **خمائل الورد والنسرين ، فى بيت أبناء عشرين** ، خصصهما معا للوزير أبى عبــد الله محمد الطيب بن اليمنى بوعشرين الانصارى المتوفى عام 1286 = 1869 ، ولابيه المتوفى عام 1241 = 1825 . أنظر ع. ابن سودة ، **دليــل** ، 1 : 205 و 207 .

ج ــ **شرح قصيدة الزيانى** . أنظر **المصدر السابق** ، 2 : 247 ــ 248 .

د ــ **فى التصوف : الجواب المسكت (أو الحلل الزنجوفورية)** ، فى الرد على رسالــة البكــاى .

هـ ــ **فى الادب : مقامة وديوان ورسائل** .

و ــ **فى الفقه : رسالة** فى موضوع الاغتســال بحمة مولاى يعقوب (مخطوط رقم 1071 د).

7) المخطوط رقم 1270 د ، الورقة 1 (ظ) .

أو كثيرا بالموضوع الذى يتعلق بغموض بعلم البيان . ويوجد فيها ايضا حوار بين عدد من الاصحاب بلغوا جميعا ذروة الادب وتباروا فى الحدق والمعرفة ، واقترحوا بالمناوبة موضوعات للمناقشة تزداد صعوبتها وتنمو . والوقت المختار لهذه المباريات هو السحر على العموم :

« فلما ناهزت روحها التراقى ، وقال الساقى : قد آن افتراقى ، وقبلت نواسم السحر ، مباسم الزهر ، وقام الندا الى جبين الصباح فنضحه ، وازال الظلام داءه عن منكبه وفضحه . . . قام بعض الندامى ، فقال : الم ترعكم نسمة الخزامى ؟ » (8) .

ويتلو ذلك وصف غنى لهذا النبات العطرى . ويقترح صاحب آخر أن يصفوا طلوع الشمس ويتغنوا بروعة المشهد الذى يبدو للناظرين (9) . ثم يأتى دور وصف النهر الذى يتبختر على ضفافه أناس سعداء لا يعرفهم الهـم ولا يعرفونه ، وليس هو غير نهر سبو القريب من فاس . ينشد كل واحد من هؤلاء الشعراء بيتا فى نفس البحر والقافية ، ويتفنن فى الاشادة بجمال النهر وابداء تفوقه على الانهر الاخرى ، كالنيل والفرات (10)

ثم يأتى دور الشخص السابع الذى ظل صامتا حتى ذلك الوقت ، مكتفيا بالتأوه من حين لآخر ، فيأخذ الكلام وينطق بالخاتمة التاليـة :

« اليك عنى فقد شغل الفؤاد بسواك ، وما له ناقة ولا جمل فى هواك ، ولكنى هائم بغزال غزل ، هو منى بمعزل ، فوجمالك العالى ، وما لك من المعالى ، انه لابهج منك زينا ، وأدعج عينا ، وأرق أوصافا ، ان أردت انصافا ، وأرشق قدا ، واشرق خـدا . . . »

---

8) **المصدر السابق** ، الورقة 2 (و) .

9) **نفـس المصـدر** ، الورقة 3 (و) .

10) **نفس المصدر** ، الورقة 5 (و) .

فبينما هو بيننا قائم كالخطيب ، يميل منه القضب بالفنن الرطيب ، اذ سمعنا صوتا حنينا ضرب على آذان القوم ، وأدخل أجفانهم الى كهف النوم ، وسقاهم كؤوب الراح ، وأخذ القلوب . وأخر الساقى على ذقنه ، وأخرج الرياح من محتقنه ، وجرعه ما صار به لغير جماله من المؤمنين . فلما أفاق قال : سبحانك ! تبت اليك وانا أول المؤمنين ، وأنشد :

هـذا الـذى نغمـت اذنـى محـاسنـه
قـد جـاء فى صوتـه يـريـد أوتـارا
واللـه لـو بلغـت للموصلـى نغـم
من بعض ما عنده ما جس أو تارا . . .» (11)

تتسم هذه الخاتمة بطبيعة الحال بسمة صوفية ، اذ الكاتب يحـاول أن يظهر غرور الحياة الدنيا التى جمالها الى زوال ، والا شىء حقيقى غير الله تعالـى . ولنتذكر بهذه المناسبة أن أكنسوس كان من المريديـن المتشبثين بالطريقة التجانية . ولما كانت هذه الطريقة حديثة بالنسبة للطرق الاخرى ، فقد وقع انتقاد الشيخ التجانى والتشكيك فى تعاليمه وأوراده . وتصـدى أكنسوس للرد على هـؤلاء الخصوم ، وفى مقدمتهم العربـى المشرفى (12) وأحمد البكاى ، وجرت بينهم مجادلات عنيفة تحولت الى فضيحة حقيقية ، لكنها مكنت من كشف القناع عن بعض المظاهر المفيدة للحركـة الصوفيـة بالمغـرب .

الف المشرفى فى هذا الموضوع كتابا ضخما سماه : **الحسام المشرفى فى الرد على أكنسوس المراكشى** (13) نقص فيه كثيرا من قيمة المترجم وسفه

---

11) **المصدر السابق** ، ورقة 6 (و) — (ظ)
12) أنظر ترجمته عند ع. ابن سودة ، **دليـل** ، 1 : 121 ، رقـم 431 .
13) مخطوط رقم 2276 ك. وهذا عنوانه الكامل : **الحسام المشرفى ، فى قطع لسان الساب الجعفرى ، الناطق بخرافات الجعسوس ، سىء الظن الكنسوس .**
مـلاحظـــات : =

آراءه ، فلنأخذ الترجمة الاولى من التراجم السبع التى يحتوى عليها هذا الكتاب والتى تبتدىء هكـذا :

(الترجمة الاولى فى الفقيه السوسى ، المدعو بالكنسوسى ، نزيـل حمراء مراكش التى معناها بلغة المصامدة (امش مسرعا) لانها كانت مفازتها تأوى اليها اللصوص ، فنقول : ان الفقيه الكنسوسى ممن صدره قلمـه للكتابة ، فآل الامر الى أن رقع عيبه وعتابه ، ووشى به رايات تخفق على راسه بالفضيحة ، وتشير لمساوئه وشنائعه القبيحة ، نشر من سريرته من طواه الزمان الماضى ، وامشاه لعدول الحفظ فحكم به القاضى . ومـا رأينا من خطب بين العشيرة ، وقرر ما انطوت عليه السريرة ، وقال : عباد الله جنيت على نفسى بلسانى ، وأنا مريد للشيخ التجانى ، كم تظنون انى كالقرنى أويس ، فاذا أنا أشأم من طويس . ولا شؤم أعلم من الكلام فى السادات الابرار ، الصالحين الناسكين الاخيـار » (14) .

بماذا يتهم اكنسوس ؟ بأشياء كثيرة ان نحن صدقنا خصومه . اولا انه وقع فى أخطاء تاريخية فى كتابه **الجيش** (15) . وثانيا انه هاجم بعض الزوايا الشهيرة وهتك حرمتها ، مثل زاوية ابى الجعد ، وتقول فى رؤسـاء بعض الطرق التى لا يجادل فيها أحد ، كالشيخ عبد القادر الجيلانى (16) ومولاى العربى الدرقاوى (17) ، وفى بعض أشراف المملكة وعلمائها (18) .

أ — فيما يتعلق بالجمفرى نشير الى ان أكنسوس يلحق نسبه بجعفر بن أبى طالـب ويزيد أحمد تسكيرج فى ترجمته صفتى القرشى الهاشمى . أنظر ل. بروفنسال ، **شرفاء** 201 ، ع. كنون ، **ذكريات** 4 : 73 .

ب — وقع خطآن عند ل. بروفنسال فى عنوان الكتاب لدى نقل عبارتى بخرافات ، وسىء الظـن .

14) المخطوط رقم 2276 ك. ص. 8 .

15) نبه عليها ل. بروفنسال فى كتابه **شرفاء** ، 211

16) أنظر ترجمته فيما تسبق ،

17) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفاء** ، 342 وهامش 1 .

18) من بين هؤلاء العلماء : عبد الهادى السجلماسى ، وعبد الواحد ابن سودة ، ومحمد الصفار ، ومحمد غريط ، والفقيه ابن ادريس . أنظر المخطوط 2276 ك . ص. 8

اما احمد البكاى ، فان نقطة الخلاف بينه وبين أكنسوس تحوم أساسا حول الشيخ التجانى نفسه ، فينفى عنه البكاى انتسابه للطريقة الصوفية كما يتبين فى المقطع التالـى :

« وقد انعقد اجماع أهل الوقت المعاصرين للشيخ التجانى أنه ليس من اهل التربية ، بل صرح الشيخ سيدى احمد البكاى الكنتى انه لا شيخ له فى كتابه **بغية الالف ، فى الرد على من تلف** ، ودعا تلميذه الكنسوسى فى آخر رسالته على وجه النصيحة الى العلاقات ببعض المريدين له عسى ان يأخذ بيده ، فلم يجبه . . . »

« ولم أسمع للتجانى نفسه طريقة ، بل له ورد . . . وأما الطريق التى يذكر التجانيون فى التجانى فليست بطريق ، انما ذكرا وتواجدا ورقصا ولعبا وهجرانا لاولياء الله . . . وانت ممن يربأ بنفسه وزمانه ونظن بمثله أن يضله كلام ليس له امام . فان كنت تحرص على ورده او يعجبك ورده ، فدم على ورده ان شئت بعد أن تعرضه ، ولابد من عرضه على شيخ ماهر . . . والتجانى ليس من أهل التربية وان كان من أهل الصلاح ، فانتساب من ينتسب اليه اما جهل فى نفس المنتسب ، واما خديعة لغيره كأنه على شىء وليس على شىء » (19) .

وبالجملة فان البكاى يعترف بأن التجانى ليس بدجال وأنه رجل صالح ، لكنه لا يتوفر على ما يؤهله ليكون على راس طريقة صوفية ، فيكون من الخطأ اذن ان ينخرط الانسان فى طريقته او ان يقوم بأعمال مخالفة للدين .

وقد رد عليه أكنسوس **برسالة** نثرية تقع فى عشرين صفحة ، وتنتهى

---

19) المخطوط السابق ، 60 — 61 . والرسالة مؤرخة فى 1271 = 1854 .

بقصيدة من ستة وعشرين بيتا ، هذا مطلعها :

أسيدنا البكاى يــا من اذا بــدا   محياه حيتنــا البشاشة والبشــر
خلفتهــم فى المكرمات وفــى العلا   وشيدتما شادوا وثد بك الازر (20)

وقد اجابه البكاى بقصيدة فى نفس البحر والروى تقع فى اثنين وتسعين بيتــا ، منهــــا :

فأسأل ربــى أن يعينك بالنهـــى   عليه يواليهــا الهدى منه والصبر
وقر بــك الله القريب لحضـــرة   نفوس الورى فيها وقلتلها قهر (21)

نرى أن العبارات معتدلة من هذا الجانب وذاك ، بل حبية . وبعكس عبارات المشرقى الذى يستعمل حججا موجهة الى المشاعر ومليئة بالسباب والسخرية ، يكتفى البكاى بتقديم نصائح لاكنسوس ، محاولا أن يبرهــن له على انه ليس على الصراط الســـوى :

« ولا يوحشنك منى أنى انتقص التجانى ، فانى لم انقصه اذ قلت انه من أهل الصلاح ، وما كذبت فى أنه ليس من أهل التربية ، فمن ادعى انه من أهل التربية فليخبرنى وليصح لى دعواه » (22) .

بل ويذهب البكاى الى أن يترك له حرية الاختيار فيقول :

« فان كنت تحرص على ورده أو يعجبك ورده فــدم على ورده ان شئت ، بعد أن تعرضه ، ولابد من عرضه ، على شيخ ماهر ولى يأذن لك فيه أو يقيك عنه أو يبين لك فيه على علمه . . . » (23)

هذا الجدال الكتابى يبين لنا الى أى حد لم يكن من السهل الانتصاب

---

20) **المصدر السابق** ص. 63.
21) **نفس المصدر** ، ص. 67 .
22) مخطوط رقــم 2276 ، ص. 61 .
23) **نفس المصــدر** ، ص. 60 .

الى المشيخة واتباع طريقة صوفية ، لاسيما بعد ظهور الاتجاهات الكثيرة فى شمالى افريقيا . وكـــان على من يرغب فى ذلك أن يخضـــع لاختيارات وامتحانات صعبـــــة .

وقد ضمن اكنسوس أجوبته كتابيـــن :

أ ــ **الحلل الزنجفورية ، فى أجوبة الاسئلة الطيفورية** (24) .

ب ــ **الـــرد على رسالـــة البكـــاى** .

وتتمثل الآثار النثرية الاخرى لاكنسوس فى الرسائل التى كتبها الـــى أصدقائه وبخاصة الوزير المختار وأولاده ، وتعرف **بالرسائل الادبية** وتتحدث عن موضوعات مختلفة . تأتى أحيانا فى شكل أجوبة عن بعض الاسئلة ، وتدل على سعة فى المعرفة وقدرة فائقة فى النقد ، كما تشهد بذلك أحكامه التالية حول كتاب فى المعادن حديث الظهـــور :

(وقد تصفحت الكتاب المذكور من أوله لآخره ، فلا شك أنه مـــن الذخائر والنفائس الملوكية ، التى ينبغى أن لا تخلو منها الخزائن السلطانية ، التى تعدها عظماء السلاطين ، لاسيما العلماء منهم والاساطين ، لانها لابد أن يوجد فيها ما ينتفع به فى الجملة ، ولكن كنت أظن أنه قد بين فيه مــــا يتوقف عليه الامر من بيان كيفية استخلاص المعادن من مقارها ، والذى لابد منه فى ذلك من الآلات والعقاقير والتناكير التى تسيل القاسى منها ، ومـــا يخرج متعاصيا عن السبك والذوبان ، فانها كثيرا ما تخرج كذلك فيظن أنها مجرد تراب ، فيزهد فيها كما ذكر ذلك من جرب ، مع أنها انما تحتاج الى تنكار أو عقار مخصوص ، فتجيب الى ما يراد منها من الانسباك والانتفاع بها

---

24) لا توجد منه أية نسخة فى المغرب ، وانما ذكره م. غريط فى **فواصل الجمان** ، ص. 13 ك. بروكلمان ، **ملحق** ، 2 : 1884 حيث أخبر بوجود نسخة منه فى مكتبة الزيتونة بتونس ، 3 : 124 . يذكر المصدر الاول الطيفورية (من الطيفور المعروف) ، والثانـــــى : الضيفوريـــــــة .

فى الاعمال الضروريات على السبيل الاسهل دون مشقة كثيرة ، ولا كبير عمل » (25) .

ان هذه الفقرة التى تهم قبل كل شىء علماء طبقات الارض تعطينا فكرة عن المدى الذى بلغته العلوم فى ذلك العصر ، وتنبئنا ايضا بثقافة اكنسوس وطريقة نقده للكتاب معتمدا على المنطق ، وجاعلا نفسه فى مستوى الجمهور عديم التجربة .

لذلك يطالب بالتطبيق الذي بدونه لا يكون العلم شيئا يذكر ، مستشهدا بطريقة الفيلسوف الشهير ابن رشد :

« واما العلم المجرد عن العمل فانه لا يفيد قلامة ظفر ، كما قال الامام ابن رشد رحمه الله :

العلم فى الراس وفى العينين لكن تبقى صنعة اليدين » (26)

وبما ان الامر يتعلق بدراسة علمية ، فان النثر المستعمل بسيط لا يلتزم فيه السجع ، بل تارة وتارة مثل **سلاطين واساطين** .

ونلاقى نفس الطريقة فى بعض الرسائل التى كتبها اكنسوس باسم السلطان مولاى سليمان ، كما يتجلى ذلك فى القطعة التالية التى ينبىء فيها العاهل خاله عيادا بسوء الحالة فى المملكة :

« اننا لو لم يوفقنا الله للخروج مسرعا ، واظهرنا الله للقبائل اظهار رحمة وهناء ، لله الحمد ! لفسدت كل قبيلة على عاملها حتى لا ينفعها أحد ، ولا يصلنا لمكناسة لو دام ذلك الهرج ، اذ العامل الغاش المنافق شهوته الخوض ويعتذر بالفساد . واما المحب الناصح فلم تكن له قدرة على

---

25) ع. كنون ، **ذكريات** ، 4 : 18 .

26) **نفس المصدر** ، ص. 19 .

الوصول الينا كما نريد ، ومن أتى بجميل مرعوبا لا ينفع . وعليه ، فــلا يغتر الانسان بهذه السكينة التى من الله بها ، مع المدارات وجريان العامة على خاطرها ، فليغتنم الانسان غفلة العامة ويبرم أمره ، ويجعل لها فــى غفلتها انشوطة وسلسلة فى عنقها لا يمكنها معها الجموح . . . » (27)

وتتصل الملاحظات التالية بكيفية حكم الجمهور واكتساب ثقته ، وتفادى الفوضى والاضطراب . ويذكر الكاتب مولاى اسماعيل كنموذج للملك الحازم النشيـــــط .

اكنســوس الشــاعـــر

مهما كان اكنسوس مؤرخا أو فقيها أو متصوفا فهو قبل كل شىء اديب شاعر ، حتى لقب ، كما راينا ذلك من قبل ، بأديب الغرب وسوس . وبهذه الصفة تجاوزت شهرته حدود المغرب ، لان الاب شيخو خصص له ترجمة قصيرة فى **الآداب العربية** (ص : 21) ، واورد مقطعات من شعره .

يكاد شعر اكنسوس أن يكون كله فى المدح والتهنئة والوصف ، الامر الذى يجعل منه شعر مناسبات . لكن الموضوعات التــى تطرق اليها تتعلق بالخصوص بمدح الجناب النبوى وذكر الاماكن المقدسة ، والاشادة بالطريقة التجانية . وكثيرا ما كانت هذه القصائد تنشد بمناسبة المولد النبوى ، منها :

1) قصيدة موجهة الى السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام .

أ ــ رغبة ملحة فى التوجه الى الديار المقدسة (خمسة عشر بيتا هذا مطلعهــــــا :

« عهــدى بكــم جيــرة البطحــاء موصول

يــا ناسى العهد ان العهــد مســؤول

---

27) م. غريط ، **فواصــل الجمــان** ، 8 .

أشيم برقا سرى من نحو ربعكم

وفضل ذيلى بوبل الدمع مبلول » (28)

ب — تمجيد الشهر المعظم ربيع الاول (سبعة أبيات منها :)

(شهر تشرف بالاسلام حق له بين المواسم تعظيم وتبجيل

شهر تعاظم مجدا أن يماثله عيد ولا زمن بالفضل مشمول» (29)

ج — مدح الرسول الكريم (واحد وعشرون بيتا تليها ، منها :)

« فى ليلة المولد الاسمى وسدرته

يا أمة سعدت بالمصطفى قولوا

قولوا وتيهوا على الاكوان وافتخروا

فقولكم لمكان الصدق مقبول » (30)

د — مدح السلطان (اثنان وعشرون بيتا آخر القصيدة) (31).

فى هذه القصيدة الاولى يبرهن الشاعر عن الهام تام وحذق كبير فى استعمال التخلص من مقصد الى آخر .

2) القصيدة التالية نظمها اكنسوس عام 1265 = 1849 ، باسم السلطان مولاى عبد الرحمن ايضا ، واصحبها ولدى السلطان مولاى سليمان ومولاى الرشيد عند توجههما الى الحج . والقصيدة لا جديد فيها من حيث الموضوعات المطروقة فيها ، الا أن الشاعر يتوجه فيها الى النبى عليه السلام ، معتذرا عن تخلف السلطان عن زيارته :

---

28) ع. كنون **ذكريات** ، 4 : 21 — 23 .
29) **المصدر السابق** ، 23 — 24 .
30) **نفس المصدر** ، 24 — 27 .
31) **نفس المصدر** ، 27 — 30 .

« اليك رسول الله من أرض مغرب
عن المذنب الجاني أتيتك شاكيا
عن ابن هشام الاسير لنفسه
وأهوائه يبغي لديك التفاديا
عن إبن هشام الذى قد تقاعدت
به عنك أشغال أصارته عانيا
عن ابن هشام الذى ليس يرتجى
سواك فحقق فيك ما كان راجيا » (32)

3) هذه القصيدة الثالثة (33) هى أطولها جميعا ، نظمها عام 1279 = 1862 ، وبعث بها الى السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن بمناسبة عيد المولد ، وهى تشبه الى حد كبير القصيدة السابقة .

ان القصائد من هذا النوع تتسم كلها بسمة التصوف ، نظرا لكونها نظمت بمناسبة موسم الحج أو غير ذلك من الاعياد الدينية . ومع ذلك فان تفوق أكنسوس فى الموضوعات الأخرى لا يقل عما رأينا ، كما هو الشأن فى القصيدة التى يصف فيها بستان الوزير محمد بن أدريس :

« ألمم بمغنى اليمن من ذى المجلس وأدر بساحته نجوم الاكؤس
وأسعد فان الدهر أسعد أهله وأحلهم فيه حلول المعرس
واشرب هنىء البال فى جنباته يغنيك عن جيرون أهل المقدس
واصرف عن الزهراء ذكرك ساليا
وعن الخورنق والرسوم الدرس » (34)

32) نفس المصدر ، 36 — 37 .
33) نفس المصدر ، 41 — 53 .
34) م. السائح ، المنتخبات ، 109 . ويختص آخر هذه القصيدة بمدح الوزير محمد بن ادريس
أنظر الاب شيخو ، الاداب العربية ، 21 .

كان من الممكن أن تنسب هذه الابيات الى البحترى أو ابن خفاجة للدقة فى ملاحظة الطبيعة وحسن وصفها . فالتشبيهات جميلة ، والقافية السينية تحدث جرسا موسيقيا لطيفا مع « الاكوس » و « المعرس » و « المقدس » و « الدرس » الخ . . .

ونختم هذا العرض بأبيات من قصيدة مدح بها أكنسوس السلطان مولاى عبد الرحمن عندما فتح زاوية الشرادى : (35)

« عصفت عليهم بالبأس تزجى — كتائب كالسحاب اذا تلوح

فألقيت الجران على ذراهم — بجيش كلهم بطل مشيح

فجاء العفو منك وهم ثلاث — أسير أو كسير أو ذبيح

وقد قسمت بلادهم بعدل — ودورهم كما قسم الوطيح » (36)

هذه الابيات أيضا مرنة ذات صور بديعة ، تمتزج فيها الملاحظة والعواطف امتزاجا متناسقا .

يمكن اذن أن نقول فى النهاية ان أكنسوس أديب كبير ، جدير بالشهرة التى أدركها حتى بالمشرق . يسحر بأسلوبه القوى المزخرف مؤرخا وفقيها وصوفيا ، هذا الاسلوب الذى مكنه من أن يكون كاتبا ووزيرا للسلطان الاديب مولاى سليمان .

---

35) كان انتصار السلطان مولاى عبد الرحمن على زاوية الشرادى عام 1243 = 1827 (أنظر أ. الناصرى ، **استقصا** ، 9 : 17 — 24) . وقد وهم الاب شيخو فظن أن الامر يتعلق بالسلطان مولاى الحسن (**الاداب العربية** ، 21) . وأصل الخطأ أن رئيس الثوار المهدى بن محمد الشرادى مات عام 1293 = 1876 ، وقد ذكر ذلك قبل قصيدة أكنسوس ولما كان ذلك فى عهد مولاى الحسن ، ظن أن القصيدة قيلت فى مدح هذا السلطان .

36) م. السائح ، **المنتخبات** ، 110 ، أ. الناصرى ، **استقصا** ، 9 : 21 — 23 . وتتكون القصيدة من ستة وأربعين بيتا .

ادريس بن محمد العمراوي [1]

(ت عام 1296 = 1878)

كان كأبيه المذكور من قبل وزيرا اديبا ، لكنه بخلاف أبيه أدى فريضة الحج فلقب بالحاج ، وأرسله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فى مهمة الى كل من فرنسا واسبانيـــا .

وقد وافق وصوله الى باريز سنة 1276 = 1859 مرض عـــم الامبراطور نابليون الثالث وموته . فكتب عن هذه السفارة رحلة بعنوان : **تحفة الملك العزيز ، بمملكة باريز** (2) ، سجل فيها بتفصيل دقيق كل مـــا شاهده من الامور المفيدة والغريبة ، سواء ما يتعلق بالمناظر أو العادات أو التنظيمات السياسية والاجتماعية لتلك البـــلاد .

وبالمقابل لا نملك رحلة تصف سفره الى اسبانيا .

كان لادريس العمراوي خط جميل ، فكتب نسخا من **صحيح البخاري** وغيره وباعها ، فأمكنه بذلك ان يحصل على المال وان يكتسب معلومات جديدة ، لا سيما فى الادب .

ولما مات أبوه دفع ، حسبما جرت به العادة ، ألف ريال ليكـــون كاتبا لمولاي عبد الرحمن . وفى عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن ، صار

---

1) انظر ترجمته عند م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 142 — 162 ، م. الفاسى ، **الادب المغربى** 540 (أ) ، ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 2 : 32 — 41 ، 143 ، 145 ، 175 ، 178 ، 179 ، 181 ، 189 ، 194 ، م. بوجندار ، **الاغتباط** ، 2 : 38 — 41 ، ع. ابن سودة **دليـــل** ، 2 : 336 ، 391 .

2) طبعت فى فاس بمطبعة اليمنى ، حسبما ذكره م. الفاسى ، **الادب المغربى** ، 540 (أ) . وذكر ع. ابن سودة (**دليل** ، 2 : 336 ، رقم 1446) انها طبعت فى فاس عام 1327 = 1909 فى عهد السلطان مولاى عبد الحفيظ .

ادريس وزيرا للشؤون الخارجية ، ثم فقد شيئا فشيئا ما كان له من نفوذ حتى غدا كاتبا على عهد مولاي الحسن ، واصابه مرض جسمي وعقلي، فمات بالطاعون في مدينة الرباط يوم سابع عشر جمادى الثانية ، عام 1296 = 5 يونيه 1879 . ودفن في ضريح سيدي فاتح (3) .

تتكون الآثار الادبية التى خلفها ادريس العمراوي من مكتوبات نثرية . واخرى شعرية ، مجموعة في ديوان .

من آثاره النثرية **الرحلة** ورسائل عديدة اخوانية ورسمية كتبت حسب مقتضيات الظروف .

قبل ان يقدم الديبلوماسى المغربى الرسالة الملكية التى كان يحملها الى الامبراطور خاطبه بقوله :

« بعد أن نهدي أيها السلطان العظيم لمقامكم الرفيع التحية التى تناسب حضرة عظماء الملوك ، نعلم جنابكم المعظم أن سيدنا ولى نعمتنا سلطان المغرب — أيده الله وأعزه ! — وجهنى اليكم سفيرا لنسلم عليكم في اسمه الشريف ، ونجدد العهد بدولتكم الفخيمة ، ونهنيكم بلسانه العزيز على ما منحكم الله من السلامة ، ويسر لكم من الجلوس على كرسى ملك أسلافكم العظام ، وجمع كلمة الجنس وزوال ما فيها ، ونبين لكم ما عنده من السرور — نصره الله ! — بذلك ، على عادة الملوك المتحابين لا سيما مثل سلطنتكم التى لاسلاف سيدنا معها المحبة القديمة ، والمواصلة الاكيدة ، ونقرر لكم ما عنده — اعزه الله ! — من المحبة التى ورثها عن أسلافه ، والحرص على المحافظة على العهود والمواثيق التى تدوم بها وتتصل وتزيد المواصلة . وهذا كتابه العزيز نتشرف بمناولته لمقامكم

---

3) انظر . م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 143 ، ع. ابن زيدان ، **إتحاف** ، 2 : 41

متضمن لما ذكرناه . ونحن نرجو من الله أن تكون سفارتنا هذه ووصولنا اليكم زائدا فى عقد المحبة وتوثيقها وتعلية بنائها ؛ وأن لا تزال فـــى المستقبل تتجـــدد وتنمو وتعظم حتى يكثـــر نفعها ويعم خيرها علـــى الرعيتيـــــن . . . » (4) .

ان نثر هذه الفقرة ، التى يفترض ان تكون مرتجلة ، بسيط واضح ، تدل على سهولة التعبير ، ولطافة الاسلوب عند الوزير السفير .

وتظهر هذه المحاسن حتى فى المراسلات الرسمية ، مثل الرسالة الملكية التالية الموجهة الى قضاة مراكش :

« بلغنا من أخبار متعاضدة ، وطرق عن التحامل متباعدة ، أن خطتى القضاء والافتاء صارت ملعبة ومتجرا ، لا يعرف أصحابها فيها سآمة ولا ضجرا ، وأن الرشى فيها تقبض سرا وعلانية ، والاحكام تصدر بنية وبلا نية .. قد عدل فيها عن منهج العدل ، من غير اكتراث بتأنيب ولا عذل . والحقوق نزلت بمعرض الضياع ، والمراتب المعظمة بهذه البقاع كسراب بقاع . وأن بعض القضاة حمله ما حمله الى التطاول للدعاوي البعيدة منه ، واستجلاب القضايا المصروفة عنه ، وتوجيه أعوانه للاتيان بالخصماء من البلاد التى قضاتها لهم الاستقلال ، ولم يصده عن الترامى لذلك ما لا يستقل به من الاثقال . . . حتى ظهرت على القضاة أمارات الغنى والرفاهية ، ودهتهم من الميل للزخارف كل داهية ، وتبختروا فى الحلل والنمارق ، وذهلوا عن الاثر المأثور : من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق . . . » (5) تلك صورة ، ولا شك ، لقضاة مراكش على عهد السلطان مولاي الحسن . وان لهجة هذه الرسالة ، التى كتبت بأسلوب مسجوع ، لتشتد اكثـــر

---

4) ع. ابن زيدان ، **اتحـاف** ، 2 : 33 — 34 .
5) م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 159 — 160 .

فاكثر الى ان تنتهى بالحكم القاسى للاثر المأثور القاضى بفقر القضاة .

واذا كان ادريس العمراوي ناثرا بارعا ، فانه كان قبل كل شيء شاعرا مفلقا ، ان لم يكن من اكبر الشعراء الذين انجبهم المغرب ، كما تشهد بذلك آثاره فى **الديوان** (6) الهام . فقد عالج فيه جميع الموضوعات وكل الانواع الشعرية . ولما كان سوق النماذج من ذلك يطول ولا يتسع له المقام ، فسنكتفى بالمقتطعات التالية التى نراها اكثر تمثيلا لخصائصه الشعرية .

أ — من أشهر موشحاته المتعلقة بالديار المقدسة ومدح الرسول الكريم موشح يقول فى مطلعه :

« يا حاديا يقطع السباسب	**ينشد طبعا من النسيب**
استدم السير فى الفياهب	**لا تخش من حادث مهيب**
سق المطايا تلق المزايا	**واطو فيافى العباد طى**
حتى ترى النوق كالحنايا	**وارم بها نحو أرض طى**
نعم وحاذر وقع المنايا	**ان جزت حول الحمى بحى » (7)**

ويتخلص الى المديح النبوي فيقول :

« وان رأيت المقام الاسعد	**حزت الرضى من منى وسول**
مقام خير الوري محمد	**المصطفى الهاشمى الرسول**
من بمزايا العلا تفرد	**وغيره ما له وصول » (8)**

وتتوالى ابيات الموشح معددة فضائل الرسول عليه السلام ، ونوح

---

6) لم يدخل هذا الديوان بعد الى المكتبة العامة . اما ديوان والده محمد بن ادريس فتوجد منه نسختان ، رقم 845 ج و 436 ك .

7) م غريط ، **فواصل الجمان** ، 149 .

8) **نفس المصدر** ، ص. 150 .

الشاعر واعترافه بذنوبه ، وتنتهى بمدح السلطان مولاي الحسن :

ب ــ وله تخميس طويل فى المديح النبوي يبتديء هكذا :

« غوث الوري اذا دهى معضل   خير الانام المصطفى المفضل

فالفضل منه وبه موصل   ما أرسل الرحمان أو يرسل

من رحمة تصعد أو تنزل

فانظم رجاك فى حلى سلكه   واركب بحار الجود فى فلكه

فكل فضل صار فى ملكه   فى ملكوت الله أو ملكه

من كل ما يختص أو يشمل » (9)

رغم ما فى هذه المقطعة من تكلف قليل فانها ناطقة بالاخلاص ، فقد عرف الشاعر كيف أن يلبس بمهارة شمائل النبى ، وهى معنوية ، صورا حسية كالمحسنات وغيرها .

يستخرج من المقطعات السابقة نفس صوفى ظاهر ، فقد حاول الشاعر أن يعبر عن شدة ولعه وشغفه بالديار المقدسة ، وبالله تعالى وبرسوله الكريم ، فكاد أن يبلغ درجة « الفناء » ، ونزع الى أن يمتزج بلغته هو امتزاجا .

ج ــ يظهر هذا التأثير الصوفى أيضا فى ذكر الموت ، فيقول فى تأبين الوزير أبى عمران موسى بن احمد : (10) .

« أين البرامكة الكرام وأين من   سادوا وجادوا بالمبرة واليد ؟

أين ابن يحيى جعفر وأبوه والـ   فضل بن سهل وابن طاهر من هدي ؟

أين الوزير ابن الخطيب وابن زمـ   ـرك بعد وابن العميد المتحدي ؟

---

9) **نفس المصدر** ، ص. 157 .

10) انظر ترجمته عند ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 2 : 23 ، 123 ، وفى اماكن متفرقة .

أين ابن مقلة وابن ماهان الفتـى — والفتح والمنصور ممدود اليـد ؟
أين الاوائل والاواخـر كلهـم ؟ — أفناهـم الجـد المحتـم لا الـدد
سـاروا كراما ثم نتبع نهجهـم — تالله مـا أحد بها بمخلـد » (11)

تذكر هذه المقطعة بقصيدة أبى البقاء الرندي (12) التى يبكى فيها سقوط الاندلس ويتساءل عن مصير الاجداد العرب الشجعان .

وقد برع العمراوي ايضا فى الغزل ، كما يشهد بذلك المقطعـان التاليـان :

« رأيـت غـزالا بباب أسيـر — يصيـد القلـوب بلحـظ كسيـر
رمانـى بسهـم مـن أجفانـه — فغـادر قلبـى لديـه أسيـر
فيا أيهـا الركـب قولـوا لـه — اذا ضاع قلبى بماذا أسير ؟ » (13)

يلاحظ فى هذه الابيات غنى القافية من جهة ، واستعمال كلمـة (اسيـر) نفسها من جهة أخرى مع اختلاف المعنى ، فى آخر الشطر الاول من البيت الاول ، وفى آخر البيت الثانى ،فكان الشاعر ، بلجوئه الى هذه الطريقة ، بحث عمدا ليحبس هذه الابيات الثلاثة فى ملزمة ليعبر احسـن تعبير عن الفكرة المستوعبة فى الحب الذى أسر قلبه .

وتتسع مهارة الشاعر أكثر فى هذه القصيدة التى يستعمل فيهـا الجنـاس :

« يـا راحة القلـب مـا لـى — عـن حسـن وجهـك راحـه
وكيـف أبغـى سلـوا — وأنـت للقلـب راحـه ؟
تخـذت وجهـك روضـى — و ر و ح قلبـى وراحـه
بالهجـر كلمـت قلبـى — داوي بـوصـل جراحـه
وطـال بالصبـر سجنـى — فلتطلقـين سراحـه
فالبعـد عنـك عـذاب — والقـرب منـك اراحـه » (14)

والذي يزيد هذه الابيات خفة انها نظمت فى بحـر المجتـث .

---

11) م. غريط ، **فواصل الجمان** ، 155 .
12) أنظر ترجمتـه عند ك. بروكلمان ، **الادب العربى** ، 1 : 860 .
13) ع. ابن زيدان ، **اتحاف** ، 2 : 35 .
14) **نفس المصدر** ، فى نفس الصفحة .

محمد كنون [1]

(ت عام 1302 = 1885)

شيخ الجماعة بفاس ، ابو عبد الله الحاج محمد بن الحاج المدني ابن علي بن عبد الله كنون (2) . ولد ونشأ بهذه المدينة ، وقرأ على امام ضريح المولى ادريس الوليد العراقي (3) ، ومحمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي (4) ، وأحمد بن محمد المرنسي (5) ، وعبد السلام بو غالب (6) ، وبدر الدين الحمومي (7) ، وغيرهم من علماء ذلك العصر .

وقد اجمع مترجموه على انه المجدد الحقيقي للعلوم الشرعية بالمغرب ، وكان ذا سيرة مثالية ، يراقب الاخلاق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كما كان يحارب البدع بدون هوادة ، ولا يداري في انتقاده المر حتى الامراء والعمال الذين كانوا يحضرون مجالسه العلمية . ونتج عن هذا الموقف المتطرف أن اعتقل وسجن ، لكنه لم يلبث أن أطلق سراحه بتدخل من الطلبة .

---

1) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفا** ، 373 — 374 ، مع المراجع المذكورة هناك ، ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 297 — 299 ، ع. الكتاني ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 375 — 376 ، مع المراجع المذكورة هناك ، م. الحجوي ، **الفكر السامي** ، 4 : 136 — 137، رقم 829 ، أ. الناصري ، **استقصا** ، 9 : 178 ، م. المختار السوسي ، **المعسول** ، 1 : 218 — 220 م ، المشرفي ، **الدر المكنون ، في التعريف بالشيخ كنون** ، ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 94 و 208 .

2) اسم بربري يعني القمر ، أطلق على بني مستارة من قبائل جبالة . انظر ع. كنون ، **النبوغ** ، 1 : 297 — 298 .

3) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفا** ، 341 ، مع المراجع المذكورة هناك .

4) انظر ترجمته عند م. الكتاني ، **سلوة** ، 2 : 206 .

5) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **شرفا** ، 373 وهامش 5 ، مع المراجع المذكورة هناك .

6) ترجمته في **المصدر السابق** ، 343 وهامش 7 ، مع المراجع المذكورة هناك .

7) ترجمته في **نفس المصدر** ، 373 وهامش 7 ، مع بعض المراجع .

كان لهذا الفقيه نفور طبعي من بعض اشكال التصوف ، كما يتجلى ذلك في تأنيبه تلميذه سيدي احمد بن الخياط (8) ، ومجادلته للشيخ الصوفي الشهير الحاج علي الدرقاوي (9) .

لم يكن كنون يقبل حالة الوسخ والاهمال عند الفقراء المتصوفة ، ولا الزي المزري الذي يلبسونه .

والف عدة كتب في الفقه والتصوف ، نذكر منها :

ا ــ حواشي :

1 ــ على **الموطأ** بعنوان **التعليق الفاتك ، من موطأ مالك** (10) .

2 ــ على **مختصر** الرازي (فخر الدين) في السيرة النبوية .

3 ــ على **الفرائض** لبنيس .

4 ــ على التاودي ابن سودة على **جامع** خليل (لم يكمل) .

5 ــ على **شرح صغرى السنوسي** (لم يكمل ايضا) .

6 ــ ورقات تكمل ما اغفله ابن زاكور في **حاشيته** على **صحيح البخاري** .

ب ــ كتب فقهية :

1 ــ **اختصار حاشية الرهوني** على الزرقاني وبناني .

2 ــ **الدرر المستنيرة** في حديث « لا عدوى ولا طيرة » (11) .

3 ــ **في مسألة النشوز** (12) .

---

8) أنظر ترجمته عند ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 142 .

9) أنظر ترجمته عند م. المختار السوسي ، **المعسول** ، 1 : 184 و 387 ، وعن المجادلة ص. 218 — 220 .

10) اصلحنا في العنوان كلمة (الفاتح) واستبدلناها (بالفاتك) لتجانس (مالك) .

11) مخطوط رقم 640 د ، (ورقة 46 (و) — 93 (ظ) ورقم 3250 ك .

12) مخطوط رقم 640 د ، (ورقة 95 (و) — 111 (و) .

4 ــ **فى الفتــوى وما يتعلــق بهـــا** .

5 ــ **النوازل** ، جمعها اخوه بعنوان : **وضوح الدليــل** .

ج ــ **كتـــب فى التصـــوف** :

1 ــ شرح قسم من **همزيــة** البوصيــري .

2 ــ **الزجر والاقماع ، فى تحريم آلات اللهو والسماع** .

3 ــ **التسلية والسلوان ، لمن ابتلى بالاذاية والبهتان** .

4 ــ **نصيحة ذوى الهمم الاكياس ، فيما يتعلق بخلطة الناس** .

5 ــ **نصيحة النزير العريان ، فى التحذير من مخالطة أهل النميمة والبهتــــان** .

6 ــ **نزهة الالباب فى الذكر النافع بالاجماع** (لم يكمــل) .

7 ــ **فى المحبــة** (لــم يكمــل أيضــا) .

8 ــ **فى التحذير من الاقامة بأرض العـــدو** .

9 ــ **فى التحذير من اهانة العلماء** الــخ (13) .

د ــ **فــى الانســـاب** :

الدرر المكنونة ، فى النسبة الشريفة المصونة (14) .

هـ ــ **فهرس** فى نحو عشرين صفحة يذكر فيها شيوخه وسندهم المتصل بالامام البخاري فى الحديث ، وبمالك فى الفقه ، وبسيبويه فـــى النحـــو (15) .

والكتاب الذي يحمل رقم 4 فى لائحة كتب التصوف يستحق أن نقف

---

13) انظر أ. الفضيلى ، **الدرر البهية** ، 2 : 370 .

14) أنظر روايات أخرى مغايرة تتعلق باسم هذا الكتاب عند ع. ابن سودة ، **دليل** ، 1 : 94. وقد طبع هذا الكتاب على الحجر بفاس عام 1306 = 1888 . مخطـــوط رقم 935 ك و 3250 ك .

15) انظر ع. الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 375 .

عنده قليلا لنتعرف عليه ، فهو ، كما يدل عليه اسمه ، متصل بالحكمة والافكار الفلسفية ، بل هو كتاب أدبى مصطبغ بصبغة صوفية .

يعطى المؤلف ، فى شبه مقدمة ، الاسباب التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب المتعلق بخلطة الناس ، ويذكر بعد ذلك القاعدة الشعائرية المتصلة برد فعل الناس على العمل السيىء والممثل لها فى البيت الاول من **رائية الشريسى** التى شرحها أبو مدين الفاسى ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .

وتأتى ، بعد ذلك ، التعريفات المختلفة للمحبة ، والاخلاص ، والشجاعة ، ثم تعداد خصال الانسان وعيوبه ، والكل مع الاستشهادات المقتبسة سواء من كلام الشعراء والمفكرين أو كبار الائمة . ومن بين الذين ذكرهم مشارقة ومغاربة ، يمثل هؤلاء الآخرين اليوسى ، وعمر الفاسى ، وابن زكري ، دون أن نعد من هم أقل منهم شهرة .

وفى ختام هذه الترجمة القصيرة نورد قصة اظهر فيها المترجم قريحته ، وانكشف فيها ، كمعظم الفقهاء الذين هم على شاكلته ، شاعرا مجيدا . فبعد أن أساء الوزير استقباله ، ولعله كان الوزير الجامعى آنذاك ، عندما جاء لمقابلة السلطان مولاي الحسن ، كتب يحكى ما جرى له :

« وقع لى فى ثالث عيد الاضحى 1297 انى اتيت سيدنا المنصور بالله تعالى لزيارته وتهنئته . فأشار لى الوزير بالجلوس فى محل حتى يؤذن لى بالدخول ، فجلست فيه ، واذا هو موضع جلوس مبغض للعلم واهله ، ولا علم لى به (16) .

« فلما أقبل ورآنى به ، جعل يتردد ويضطرب ويتحرك ، كأنه وجد

---

16) مخطوط رقم 963 ك ، ص 33

به عدوا محقورا لعلى أتزحزح له ، فلم أفعل . فلما رأى ذلك ، جاس على ولم يسلم ، فضلا من أن يكلم ، وذلك كله استخفاف بمن جئت اليه ، وبمن أشار على بالجلوس هناك ، وللعلم الذي انتسب اليه كأبى ، بدليل أنه لو وجد جاهلا مثله ، ولو عدوا غير محقور محله لاستحيا منه ورحب به وسلم وكلم . والاستخفاف بالعلم بمجرده كفر .

« فأخذت بعض الحاضرين الغيرة على جانب الله تعالى ، وجانب رسوله ، وجانب سيدنا الواجب احترامه ، فأنشأ مخاطبا :

لا تكترث يا أيها العلم الذي ... صان العلوم سجية وتعلما
ما جئت الا اللتهاني فاغتنم ... أجر الزيارة حيثما يتكرما
واذا جفاك بمجلس قال فليس ... بضائر ما بان منك تهجما
فاكظم فأنت اذا صبرت دريت ما ... الصبر عندك بالسعادة عمما (17)

« فأجبته بما أجراه الله على لساني ، وليس من ديدني :

لا تعجبوا من ألأم اللئام ... يبخل بالموضع والسلام
ثم يزيد بالاذى والحرم ... والاستخفاف وانتهاك الحرم
ما ذاك الا من نفاق قلبه ... وبغضه للدين ثم أهله » (18) .

ان الاختلاف جلى بين القطعتين الشعريتين ، تتفوق الاولى في الافكار والتعبير والوزن ، بينما يقصر نفس الثانية كما لو كانت قد اختنقت بغضب الشاعر .

والواقع أن محمد كنون لم يكن شاعرا — وقد اعترف هو بذلك — لكنه كان قادرا على أن يرتجل مائة بيت دفعة واحدة عند الاقتضاء ، كما هو الشأن في القصة السابقة . وهذا يؤكد مرة أخرى أن الفقيه الحق هو بالضرورة أديب .

مات كنون بفاس يوم فاتح ذي الحجة من عام 1302 = 11 شتنبر 1885 ، وعمره ثلاث وستون سنة ، وبذلك يمكن القول بأن ولادته كانت عام 1239 = 1823 .

---

17) **المصدر السابق** ، ص 34 — 35 .
18) **نفس المصدر** ، ص 35 — 39 .

عبد السلام العلمى [1]

(نحو 1250 — 1313 = 1834 — 1895)

آخر كبار الاطباء والفلكيين فى العصر الحديث ، عبد السلام بن محمد بن أحمد الحسنى العلمى الفاسى ، ولد بفاس حوالى عام 1250 = 1834 ، ومات بها عام 1313 = 1895 .

كان هذا العالم متمكنا فى الفلك والطب والرياضيات .

أ — ألف فى الفلك الكتب التاليـة :

أ — آلة شمسية اهداها للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ، وهى تحمل عنوانين : **جعبة العالم ، واسطوانة العالم** (2) .

ب — آلة شمسية أخرى بعنوان : **ربع الشعاع والظل** .

ج — كيفية استعمال الآلة السابقة بعنوان : **ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل** . صور فيه المؤلف تلك الآلة وذكر تأريخ اختراعها ، وهى سنة 1283 = 1866 . وقد طبعت هذه الرسالة بالشرق حين كان العلمى يتابع دراسته هنـاك .

د — **دستور أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت** (3) . يذكر المؤلف فى

---

1) انظر ترجمته عنده هو فى كتاب **ضياء النبراس** ، هنا وهناك ، م. الكانونى ، **تاريخ الطب العربى** ، 98 — 99 د. هـ. ب ج رونو ، (**صحة أبى القاسم) المزعومة** ، 6 ، ابن عبد الله ، **الطب والاطباء** ، 86 — 89 ، م. المنونى ، **مظاهر يقظة المغرب الحديث** ، مجلة **تطوان** ، 1961 ص. 50 — 55 ، م. ابن تاويت و م. عفيفى ، **الادب المغربى** ، 314

2) ذكرت هذه الالة فى راس قائمة مؤلفاته **أبـدع اليواقيت** (9) من اللائحة أعلاه .

3) انظر م. المنونى ، **تطوان** ، عدد 6 ، 1961 ، ص. 51 . وهذا الكتاب مخطوط تحت رقم 980 ك. ويملك صاحب المقال نسخة ناقصة منه تحتوى على ثمانية عشر فصلا فقط ، أى 64 صفحة . وهناك نسخة أخرى أتم من هذه فى ملك محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرزاق، مؤقت مدينة مراكش .

هذا الكتاب العلوم الحديثة السبعة عشر التالية ، نقلا عن ترجمات متعـــــددة :

1) الحســـــاب .
2) فى النسبة العشارية اللوغريتميـــة .
3) فى النسبـــة الستينيـــة .
4) نبـــذة من فـــن الترجمـــة .
5) مقدمات من فـــن الجبر بالاصطلاح الغربـــى .
6) فـــى الهنـــدســــــة .
7) المســـــاحــــــة .
8) علم المرآة وانعكاس الاشعة المعروف الآن بعلم الضوء .
9) علـــم الطبيعـــــة .
10) علم الهيئـــــة .
11) علم التنجيـــم .
12) علـــم الجغرافيــــا .
13) علـــم تسطيـــح الكـــرة .
14) فـــن الـــرســــــم .
15) فى جســـاب التواريـــخ .
16) علـــم التعـــديـــــل .
17) علـــم الميقـــــات .

هـ ــ **حاشية على الرسالة الفتحية ، فى الاعمال الجيبية** ، للماردينى (4) .

و ــ **أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت** ، وهـــى شرح للوزانـــى ، كتب عام 1285 = 1868 . وطبع بفاس عام 1326 = 1908 .

---

4) ذكرت ترجمته فى أبدع اليواقيت (المذكورة بعد) .

درس العلمى هذا العلم اعتمادا على المصادر القديمة ، أعنـــى العربية ، لكن مع الاعتماد أيضا على الابحاث الحديثة المترجمة عـــن اللغات الاوربية . وأخذ عنه ذلك طالبان أدركا شهرة فيما بعد ، هما محمد ابن على بن عمـــر الاغزاوى ، ومحمد بن أبى بكر الجامعى .

وفى سنة 1291 = 1874 ، أي بعد سنة من تولى مولاي الحسن الملك ، نجد العلمـــى فى القاهـــرة يدرس الطب فى كلية قصـــر العينى . أخذ هناك عن ثمانية عشر استاذا من بين المتخصصين فى الجراحة، والامراض الباطنة ، والتشريح الهيكلى والعضلى والمفصلى ، وعلـــم الكيمياء الطبية ، وعلم الاقرباذين ، والرمد ، وامراض الجلد ، والداء الزهري ، والعلوم الطبيعية ، وامراض النساء والاطفـــال .

ب — ولما رجع العلمى الى المغرب سنة 1297 = 1880 ، الف فى هذا العلم الكتـــب التاليـــة :

أ) **ضياء النبراس ، فى حل مفردات الانطاكى بلغـــة أهل فاس** (5) ، شرح فيه ما فى **تذكرة** الانطاكى (6) من الرموز بما شاع من أسمائها بمدينـــة فـــــــاس .

وذيله بخاتمة شرح فيها أسماء الادويـــة التى ذكرها صاحب **كنـــوز الصحـــة** ، حيث كان بعضها من الادوية الجديدة ، وبعضها بأسمـــــاء كيمـــاويـــة وافرنجيـــــة .

ب) **البدر المنير ، فى علاج البواسيـــر** (7) .

ج) **مفتاح التشريح** ، وهى قصيدة من ثمانية وسبعين بيتا من بحر الرجز

---

5) أتم كتابته عام 1302 = 1884 ، وطبع أولا فى فاس عام 1318 = 1900 ، ومرة ثانية دون تأريخ . انظر م. المنونى ، **مظاهر يقظة المغرب الحديث** ، مجلة **تطوان** ، 1961 ، العدد 6 ، ص. 54 .

6) انظر ترجمته فى **د. م. ا.** ، 1 : 531 (ب) — 532 (أ)

7) طبع على هامش الكتاب السابق ، وقد أتم كتابته عام 1297 = 1879 . انظر **المصـــدر السابـــق** ، ص. 54 .

مخصصة للجراحة .

د) **الاسرار المحكمة ، فى حل رموز الكتب المترجمة** ، لم يكمل . وهذا الكتاب يشرح المصطلحات التقنية والكتب المترجمة الى العربية حديثا .

هـ) **التبصرة ، فى سهولة الانتفاع بمجربات التذكرة** (8) . رتب المؤلف فيها الامراض المذكورة فى **تذكرة** الانطاكى حسب نوعها لا حسب الحروف الهجائية ، لتسهيل عملية البحث .

ج — والف العلمى فى الرياضيات شرحا على **رسالة** الوزانى التى نذكر منها هذين البيتين المتعلقين بحساب أيام الاسبوع لمعرفة يوم دخول السنة الهجرية :

« سطح بقال ماضى عشق واقسم بكى وكسرا فاق نصفا تمم

والدال زد واطرح بزاي وابتدى بسبعة أو دونها من أحد

وهذا ما كتبه العلمى فى شرح هذين البيتين :

« يعنى أنك اذا أردت بأي يوم يدخل راس العالم العربى الذي هو المحرم من أيام الجمعة ، فأنت تسطح اي تضرب الماضى من تأريخ الهجرة بعدد (عشق) اي بعدد 1170 ، وذلك من اعتبار غير العام المطلوب ، فى (قال) اي فى 131 ، وتقسم خارج الضرب على (كى) اي 30 ، وان‌بقيت بعد القسمة بقية أكثر من خمسة عشر ، وهى نصف المقسوم عليه ، فتممها اي اجبرها بواحد وزده على خارج القسمة ، ثم زد على المجتمع اربعة وهى المرموز لها بالدال ، واطرح المجتمع بزاي بسبعة حتى يبقى مثلها أو دونها ، وعد به من يوم الاحد ، فحيث انتهى العدد على يوم ، فهو أول العام المطلوب . **مسألة** : اذا اردنا مدخل عام

---

8) نفس المصدر السابق ، ص. 54 .

1284 ، فلم نعتبر العام المطلوب وطرحنا (عشق) من 1283 ، فيكــون الباقى 113 ضربناه فى 131 ، فكان الخارج 14803 ، قسمناه على 30 فكان الخارج 493 وبقى 13 ، وهى اقل من النصف فألغيت ، ثم زدنا على خارج القسمة أربعة ، وطرحنا المجتمع بسبعة فكان الباقى سبعة ، بدأنا بها من يوم الاحد ، فانتهى العدد على يوم السبت ، فعلمنا أن به يدخل أول المحرم فاتح 1284 ، والله أعلم » (9) .

وشرح العلمى ، بعد ذلك هذه العمليات المتعلقة بعدد أيام السنة الهجرية والشهور القمرية ، ونحن لا نسايره فى هذه العمليات التى ترجع الى الرياضيات والفلك الخارجة عن نطاق اختصاصنا . وانما أردنا بذكر المقطع السابق أن نقدم فقط فكرة عن المعرفة التى حصل عليها المغاربة فى هذين العلمين أواخر القرن التاســع عشــر ، والطريقة التى يشرحون بهــا ويفســـــرون .

هكذا كان العلمى ، مؤلفا وشارحا فى نفس الوقت ، نموذجا حيــا للعالم المغربى (بأحدث معنى هذه الكلمة) ، وشارك مشاركة واسعة فى تطوير المغرب فى الميدان العلمى ، وبذلك استحق أن تخصص له ترجمة وافيـــــة .

---

9) مجموع مخطوط رقــم 980 ك ، ص. 4 .

خاتمة

الآن ، وقد وصلنا الى نهاية رحلتنا عبر قرنين ونصف من تأريخ الادب المغربى سنلقى نظرة خلفية على اللوحة التى حاولنا أن نرسمها رسما تمهيديا ، ساعين فى أن نأخذ منها الخلاصة اللازمة .

أول ما نشير اليه هو زوال الاسطورة التى طالما رجحت وزعمت أن ليس هنالك أدب مغربى قبل مطلع القرن العشرين . ان الاستشهادات العديدة التى سبق أن أوردناها ، والمتعلقة بجميع الموضوعات ومختلف الانواع ، تعبر أحسن تعبير عن هذا الموضوع . انه لمن الصعب عدم قبول مقطعات تتعلق بوصف الطبيعة أو مناجاة النفس كأثر أدبى ، سواء كانت نثرية أم شعرية ، باللسان العربى الفصيح أو الدارج . وقد توفق عدد كثير من المؤلفين ، كما رأينا ، الى التعبير عن عواطفهم واشراكنا معهم فى الاحساس بها ، كل بحسب طريقته وذوقه .

حقيقة أن الادب الدنيوي تخلف قليلا أو كثيرا ، عبر القرون ، بالنسبة للادب الدينى الذي يبدو تأثيره كلما اشتد ضغط العدو على الشواطىء مهددا وحدة التراب الوطنى . وفضلا عن ذلك ، فان الآثار التى صبغتها الاساسية أدبية كانت مبعدة فى الغالب ، بل لدرجة اعتبارها مفقودة لا أمل فى العثور عليها (1) ، ومع ذلك ، فانه ، منذ اثنتى عشرة سنة ، اكتشف عدد وافر من المخطوطات وركزت فى الرباط ، الامر الذى أفسح كثيرا

1) وذلك حالّ مؤلفات الزرويلى مثلا . انظر ما سبق فى ترجمته .

مجال البحث وانبأ بمستقبل زاهر فى هذا المضمار .

وثانى النقط المشار اليها أن معنى (الادب) نفسه لم يعد مقيدا بذلك التحديد الذي أريد اعطاؤه له حتى الآن ، والذي حمل العلماء المستعربين ، نظرا لافتقاد الادب الخالص ، على ان يعكفوا على دراسة بعض المواد ، كاللهجات العامية ، وعلم الاثريات ، والفلكلور ، والتراجم ، والتأريخ ، والفقـــه .

غير أن المفهوم الجديث يتجه الى ادماج كـل هذه المواد فـى الحياة الادبية للبلاد ، لانه لابد لمن يريد معرفة ادب امة من أن يعرف اللغة والتأريخ الانسانى والسياسى ، والعادات والتقاليد ، وبالجملة كل المظاهر التى تضفى عليه طابعـا خاصـا .

ففيما يتعلق بالادب المغربى يمكننا اذن أن نؤكد أنه موجود . وقـد شعر بها طائفة من حذاق النقاد ، مغاربة واوربيين ، منذ نحو ربع قـرن ، وكتبوا فى هذا الموضوع دراسات مثالية ، وذلك ما شجعنا على القيـام بهذه المحاولة التى يكتسى دورها صعوبة فائقة ، كصعوبة ادعاء أن محاولتنا هذه تحمل شيئا من التحقيق أو الزيادة على تلك الدراسات .

وهذا يعنى ان الشخصيات التى استعرضناها واوردنا مقتطفات مـن نفثات اقلامها ، معظمها من الفقهاء المبرزين ، لكنهم جميعا ، مع ذلك ، مشاركون فى الادب قليلا أو كثيرا . فليس هناك حتى من بين الفلكيين والاطباء من لا يكتب قطعا ادبية ويقرض الشعر ، داخل ميدان اختصاصه أو خارجه لقد كانت الثقافة الادبية دائما مشروطة بالثقافة الدينية ، لدرجة انه ، لكى تكتسب حق الوجود فى نظر النقاد ، كان لابد من البرهنة على معلومـات كافية فى الثقافة الدينية . وبالعكس من ذلك ، فان العلوم التى تشتمل عليها الثقافة الادبية ، لم تكن سوى وسيلة لفهم كلام الله وسنة رسوله فهما

سليما ومدققا . لذلك كان على كل كاتب ان يبرهن عن مقدرته فى الكلام والفقه قبل كل مادة اخـــــرى .

ان العصر الذي اخترناه اطارا لموضوعنا هو اكثر العصور تنوعا واصالة فى الانتاج الادبـــى . فعلى عهد المرابطين والموحدين تأثـــر الادب المغربى بأدب المشرق والاندلس ، وبدأ يأخذ طابعه الوطنى مع المرينيين ، واستتم ذلك مع السعديين بفضل المدرسة الدلائية . وانطلاقا من اليوسى الذي يعتبر حلقة الوصل بين دولتى السعديين والعلويين ، سيكتسب عدد من الادباء شهرة تتجاوز حدود المغـــرب وبغض النظر عن عبد القادر الفاسى المعروف بتيمته الدينية ، فسيذكر فى اقطار اخرى امثال العياشى والزيانى واكنسوس برحلتهم او تأريخهم او شعرهم .

ان الحاجة من التخلص من التأثير المشرقى والاندلسى لا يوازيهـــا احيانا الا العرقلة القائمة بسبب لغة التعبير : العربية الفصحى . لكن ، لما نجح الاستعمال التدريجى للغة العامية فى التغلب على هذه العرقلة ، اصبحنا نشاهد تفتح نوع من الشعر اكثر حيوية وثراء ، وهو الملحـــون الذي يعكس الصورة الصادقة للشخصية المغربية ، والذي بقى حتـــى الآن منبوذا فى زوايا النسيان لاسباب مختلفة . وقد توجهت اليه عناية بعض النقاد المحدثين بالدراسة والاحياء . وفى اليوم الذي تنشر فيه آلاف القصائد التى ما تزال مجهولة وتشرح ، سيكون الادب المغربى قد خطا خطوة واسعة فـــى تأريخـــــه .

وفى انتظار ذلك ، يمكن ان نتساءل عن المصير الذي قد يكون لهـــذا الادب بعيد سنة 1894 ، وهى السنة التى تركناه فيها ، والتى تمثل نهاية (المغرب القديـــم) .

من الجائز ان نفترض ان اي تغيير يستحق الذكر لم يقع حتى بعـــد

مرور سنوات عديدة على اقامة الحماية الفرنسية ، لكون الشعب المغربى كان حذرا بطبيعة الحال تجاه المشاركة الغربية التى لم يفتأ يحاربها طوال عـــدة قـــرون .

وفى الوقت الذي بدأت بلاد الشرق الاوسط تنهض ، منذ منتصـف القرن التاسع عشر ، كان المغرب يعيش فى عزلة تامة ، ولم يلتفت نحـو الشرق وأوربا معـا الا بعد مرور ثلاثة أرباع قرن . وعند ذلك فقط ، اخذت تبرز ثقافة جديدة وتتسع أكثر مع استعمال الطرق الحديثة المنطقية التى تنبىء بمستقبل يبشر بالخير العميم ، كما لاحظ ذلك أحد النقـاد اللامعين حين كتب سنـة 1947 :

« ان ازهار الادباء والشعراء والفقهاء والعلماء والصحفيين الذي يعطى اليوم صورة مماثلة تماما لصورة العصور المزدهرة للقيروان ، وتونس وبجاية ، وتلمسان ، وفاس ، خلال العصور السالفة ، هل سينجـب كتابا كبارا من أمثال ابن خلدون وابن رشيـق ؟ وهل سنرى مغاربـة يحتلون أماكن مشرفة فى التأريخ العام للادب العربى ؟ وهل سيستمر بريق النهضة الادبية الحالية مدة أطول مما كان عليه فى عاصمة بنى عبـد الـواد وبجاية بنى حمـاد ؟ الله يعلم ذلك والمستقبل كشـاف ، لكن المغرب يقدم منذ الآن مقدمات حسنة » (3) .

3) ش. بنشنب ، **الادب المعاصر ، فى الاسلام والغرب ، كنانيش الجنوب ، 1947** ، ص. **257** .

لائحة المقالات والكتب التي رجعنا اليها

(لا تعتبر (أل) فى أول الاسمـــاء)

ابـــن ابراهيـــم المراكشى ع.

1 ــ **الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام** ، فاس المطبعة الجديدة ، الطبعة الاولى فى 5 اجزاء : 1355 = 1936 ، 416 صفحة . 1355 = 1936 ، 399 صفحة . 1355 = 1936 ، 423 صفحة . 1357 = 1938 ، 408 صفحة . 1358 = 1939 ، 406 صفحة . اختصاره : **اعـــلام** .

ابـــن ابـــى زرع :

الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريـــخ مدينة فاس . المطبعة الوطنية ، الرباط ، 1355 = 1936 ، الجزء الاول فى 185 صفحة + 7 ، والثانى فى 200 صفحة . اختصـــاره **قـــرطـــــاس** .

ابـــن بســـــــام :

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، الجزء الاول ، 1358 = 1939 فى 416 صفحة ، والجزء الثانـــى ، 1361 = 1942 ، فى 471 صفحة ، والثالث ، 1363 = 1945 فى 237 صفحة .

ابـــن تاويـــت م :

محاضرات فى تاريخ التشريـــع الاسلامى ، تطوان ، مطبعـــة دار الكريماديس ، 1961 ، فى 126 صفحة + 3 .

ابـــن تاويـــــت م. :

وعفيفى م. ، **الادب المغربى** ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ماي 1960 فى 602 صفحة .

ابـــن الحـــاج ط. :

أ ــ **الانساب** ، ذكره ع . الكتانى فى **فهرس الفهارس** .
ب ــ **تأليف فى ترجمة التاودي ابن سودة** ، ذكره ع. ابن سودة ، **دليــل** ، 1 : 191 ، رقم 736 .

ابـــن خلـــدون ع. :

مقدمـــة ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانـــى ، 1961 ، فى 1295 صفحـــــــة .

ابـــن زيـــــدان ع. :

أ ــ **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، الرباط 1356 = 1937 فى 253 صفحـــة .

ب ــ **احياء العلوم وازدهارها فى عصر الدولة العلوية مجلة المغرب**، السنـــــة 5 ، 1355 = 1936 ، ص : 6 ــ 11 و 17 .
اختصـــاره : **احياء العلــوم** .

ج ــ **اتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس** ، الرباط ، المطبعة الوطنية ، 5 أجزاء ، 1347 = 1929 ، 470 صفحة + 52 . 1349 = 1930 ، 549 صفحة + 53 . 1349 = 1931 ، 600 صفحة + 56 . 1350 = 1932 ، 523 صفحة + 57 . 1352 = 1933 ، 563 صفحة + 52 .
اختصاره : **اتحاف** .

د ــ **العز والصولة فى معالم نظم الدولة** ، المطبعة الملكية بالرباط 1381 = 1961 .

هـ ــ **المنزع اللطيف فى التلميح بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** .

مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 595 ج فى 508 صفحة ، الفصل 4 ، ص : 17 — 18 .

ابـــن منصـــور ع . :

محمد بن الطيب العلمى ، فى سلسلة **البدائع** معجم مدرسى للادباء المغاربة ومنتخبات من آثارهم . الجزء الاول ، مطبعة الثقافة ، سلا ، 1357 = 1938 فى 56 صفحة .

ابـــن الموقـــت المراكشـــى م . :

السعادة الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، طبـــع على الحجر بفاس فى جزءين ، 1336 = 1910 . الجزء الاول فى 159 صفحة + 4 ، والثانى فى 215 صفحة + 7 . اختصاره : **السعـــادة الابـــديـــة** .

ابـــن ناصـــر م . :

الدرر المرصعة بأخبار اعيان درعة ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 265 ك فى 506 صفحـــة .

ابـــن الصلاح الشهرزورى :

علوم الحديث ذكره كولدزيير ، 1 : 231 — 232 وهامش 5 .

ابـــن عاشـــور م. ف :

الفقـــه بين المغرب وتونس ، فى مجلة **المغرب** ، العدد 6 و 7 ، ص : 11 (1) 15 (1) . اختصاره : **المغـــرب** .

ابـــن عبـــد اللـــه ع. :

ا — **الفكر الصوفى والانتحالية بالمغرب** ، فى مجلة **البينـــة** ، العدد 4 ، 1382 = 1962 ، ص : 39 — 52 . العدد 6 ، ص : 58 — 64 .

ب ــ **الحركة الفكرية فى العصور الاخيرة** ، فى مجلة **التعاون الوطنى** ، العدد 12 ، ديسمبر 1962 ، السنة الاولى ، ص : 38 ــ 39 اختصاره **الحركة الفكريــــة** .

ج ــ **المرآة المراكشيــة فى الحقــل الفكري** ، فى **صحيفة معهــد الدراسات الاسلامية فى مدريد** ، المجلد 5 ، العدد 1 و 2 ، 1378 = 1958 . اختصاره : **المرآة المراكشية** .

د ــ **الطب والاطباء بالمغرب** ، الرباط ، المطبعة الاقتصاديــة ، 1380 = 1960 ، فى 109 صفحــة + 2 . اختصاره **الطــب والاطبــــــاء** .

ابــن عجيبــة ا. :

أزهار البستان فى طبقات الاعيان ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقــم 286 ك ، فى 222 صفحة . اختصاره : **طبقــات** .

ابــن قتيبـــة :

أ ــ **أدب الكاتب** (مقدمـــة) .

ب ــ **كتاب الشعر والشعراء** (مقدمـــة) .

ج ــ **عيــون الاخبــار** (مقدمـــة) .

ابــن ســـودة ع . :

دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1960 الجزء الاول فى 288 صفحة ، والثانى ، 1965 ، فى 632 صفحة . اختصـــاره : **دليــل** .

ابــن يحيـــى م. :

جلاء القلب القاسى بمآثر سيدي المهدي الفاسى ، مخطوط خـــاص

بمكتبة م. العابـد الفاسـي .

ابـو رأس المعسكـرى م. :

فتح الاله ومنته فى التحدث بفضل الرب ونعمته ، مخطوطا الم. ع. بالرباط رقم 2263 ك 367 صفحة ، ورقم 2332 ك ، دون ترقيم ، اختصـاره : **فتـح الالــه** .

ابـو المحاسـن :

ابو على اليوسى ، فى **المغرب الجديد** ، العدد 4 ، السنة 1 ، 1935 ص : 17 — 25 . العدد 5 ، ص : 24 — 35 . العدد 7 ، ص : 17 — 25 .

أكنسـوس م. :

الجيش العرمرم الخماسى فى دولة أولاد مولانا على السلجماسى . طبع على الحجر بفاس عام 1336 = 1918 فى جزءين ، الاول فى 232 صفحة ، والثانى فى 190 صفحة .

اختصـاره : **الـجـيـش** .

الاميـر (الشيـخ) :

فهـرس ، ذكره ع. الكتانى فى **فهرس الفهارس** ، 1 : 185 — 190

الافـرانـي م. :

أ — **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** . نشر وترجمة فى جزءين ، باريز ، 1888 — 1889 فى 315 صفحة و 560 صفحة . اختصاره : **نـزهـة** .

ب — **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** . طبعت علىالحجر بفاس ، ربما سنة 1309 = 1891 فى 229 صفحة

اختصاره : **صفــوة** .

الاسحاقــــــى ع. :

رحلــة ، مخطوط القرويين ، رقــم 383 .

بــــاصــــــى ر. :

أبحاث بيبليوغرافية فى مصادر سلوة الانفاس ، فى مجموع نصوص نشرت على شرف المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين ، الجزائر : 1905 ، ص . 1 — 47 . اختصاره : **أبحاث بيبليوغرافية** .

بـــروكلمـــان ك. :

ا — **تاريـــخ الادب العربى** ، ويمر وبرلـــين ، 1898 — 1902 ، جزآن . الطبعة الجديدة فى ليدن ، بريل ، الجـــزء الاول ، 1943 فى 676 صفحة ، الثانى ، 1949 فى 686 صفحـــة . اختصـــاره : **الادب العربـــى** .

ب — **ملحــق** ، ليدن بريل ، الجزء الاول ، 1937 فى 973 صفحة ، والثانى ، 1938 فى 1045 صفحة ، والثالث ، 1942 فـــى 1326 صفحـــــة .

بـــروفنســـال ل. :

ا — **الاغنية المسماة قصيدة سيدي العلوي** ، فى الوثائق البربرية ، الجزء الرابع ، 1919 — 1920 ، ص : 67 — 75 .

ب — **الخدمات الاخيرة فى التاريخ الادبـــى المغربى ، هسبريس** ، الشهور الثلاثة الرابعة ، 1922 ، ص : 441 — 443 . اختصـــاره : **الخدمـــات الاخيـــرة** .

ج — **محاولـــة وضع فهـــرس** (انظر بنشنـــب م.) .

د — **مؤرخو الشرفا** ، محاولة فى الادب التاريخى والتراجم بالمغرب

من القرن 16 الى القرن العشرين باريز ، أ. لروز ، 1922 ، فى 470 صفحــة . اختصــاره : **شــرفــا** .

هـ ــ **سبع وثلاثون رسالة رسمية موحدية** ، مجموعة نصوص عربية لمعهد الدروس العليا المغربية ، رقــم 10 ، 1941 فى 274 صفحة . اختصاره : **رسائــل مؤحديــة** .

و ــ **الادب والاركيلوجية العربية المغربية** فى **جريدة معهد الدروس العليــا** المغربية ، العدد الاول ، 1920 ، ص : 164 ــ 174 . اختصاره : **الادب والاركيولوجيــا** .

ز ــ **المخطوطات العربية بالرباط . الخزانة العامة للحمايــــة الفرنسية بالمغرب** ، باريز ، 1921 ، اختصاره **المخطوطات العربية** .

ح ــ **الحياة الفكرية بالمغرب ، فى د. م. ا.** ، مادة **المغرب** ، 3 : 374 ــ 375 . وقد أعيد نشره فى **التعرف على المغرب** الرباط، 1932 ، ص. 128 ــ 133 . اختصاره : **الحياة الفكرية** .

بــلاشيــر ر. :

مقتطفات من أهم الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى ، نصوص مختارة ومشروحة من قبل ر . بلاشيــر و هـ . درمان ، **الدراسات العربية والاسلامية** ، باريز ، 1957 ، الطبعة السابعة ، ص. 371 ــ 379 . واختصاره : **أهــم الجغرافيين**

البلغيتــــى أ. :

الابتهاج بنور السراج ، مطبعة م. افندى مصطفى ، القاهرة، 1319 1901 ، الجزء الاول ، فى 293 صفحة ، والثانى فى 231 صفحة .

بنــانــى أ . :

تحليــة الآذان والمسامع ، ذكره ع. ابن سودة ، دليل ، 1 : 84 .

بنـــانـــى م. :

فهرس ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقـــم 922 ك ، ص. 1 — 28 (ناقص) .

بنشـــنـــب م. :

دراسة الشخصيات المذكورة فى اجازة الشيخ عبد القادر الفاسى . مقتطف من الجزء الرابع من أعمال المؤتمر الدولى السادس عشر للمستشرقين ، باريز ، 1907 فى 394 صفحة اختصاره : **اجازة** .

بنشنب م. و ل بروفنسال :

محاولة وضع فهرس مرتب ترتيبا زمنيا للمطبوعات الفاسيـــة ، فى المجلة الافريقية ، الاشهر الثلاثة الاولى ، 1921 ، ص. 158 — 173 . والثالثة والرابعة 1921 ، ص. 275 — 290 . الاشهـــر الثلاثة الاولى ، 1922 ، ص. 171 — 185 . والثانية ، 1922 ، ص 333 — 347 فى فصلة خاصة ، الجزائر ، 1922 ، 62 ص .

بنشنـــب س.

الادب العربى المعاصر فى شمال افريقيا فى الاسلام والغـــرب ، كنانيش الجنوب ، 1947 ، ص. 248 — 257 ، اختصاره : **الادب المعاصـــر** .

البشـــير م. :

اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة ، مطبعة العـــروة الوثقى ، القاهرة ، 1325 = 8 / 1907 ، فى جزءين . اختصـــاره **يواقيت**

بـــوجنـــدار م. :

كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط ، مخطوط م. ع. بالرباط رقـــم

1287 د ، الجزء الاول فى 255 صفحة + 5 ، والثانى فى 249 صفحة + 10 . اختصاره : **الاغتبـــاط** .

بيـــــــرك ج —

أ — **الادب المغربى والشرق فى القرن السابع عشر** فى مجلـــــة **أربيكا** ، 2، شتنبر 1955 ، الجزء 3 ، ص. 295 — 312 .

ب — **نوازل المزارعة فى معيار الونشريسى** ، دراسة وترجمـــة نشر فيليكس موتشو ، الرباط ، 1940 ، 166 صفحة .

ج — **اليوسى . مشاكل الثقافة المغربية فى القرن السابع عشـــر** سلسلة عالم ما وراء البحار الماضى والحاضر ، السلسلـــة الاولى ، دراسات . السفر الثانى ، 1958 ، 144 صفحة .

اختصاره : **اليوسى**

بيـــرى م. ط :

سيدي قدور العلمى ، مناقب ، **هسبريس** ، 1938 ، الشهور الثلاثة الاولى، ص. 85 — 90 .

بيـــريـــس هـ. :

أ — **اسبانيا من خلال مشاهدة الرحالة المسلمين** من 1610 الى 1930 ، منشورات كلية الآداب بالجزائر ، الجزء السادس، باريس ، 1937 ، فى 198 صفحة .

ب — **الشعر فى فاس على عهد المرابطين والموحدين ، هسبريس** الجزء ، 18 ، الشهور الثلاثة الاولى ، 1934 ، 1 : 9 — 40 .

اختصاره : **الشعر فى فـــاس** .

بيـــــــل أ. :

فهرس كتب خزانة جامع القرويين بفاس ، فاس ، 1918 .

بيـــــلاش :

أ ــ العياشى ، فى **د. م. أ.** 2 : 1 : 818 (أ) ــ (ب) · لايد ، بريل ،

ب ــ **اللغة العربية والادب** ، باريز ، 1952 ، فى 223 صفحة ·
اختصاره : **اللغة والادب**

ج ــ الادب العربى (أنظر نالينو) ·

التـــــازى ع. :

نزهة الاخيار المرضيين فى مناقب العلماء الدلائيين ، مخطوط ، م. ع. بالربـــاط ·

الجبــرتـــى ع.

عجائب الآثـــار فى التراجم والاخبار ، **بولاق** ، 1277 = 1860 ·

الجرارى السوسى (ى) :

فهرس ، ذكرها ع. ابن ابراهيم فى **الاعلام** ، 2 : 187 ــ 189 ·

كربيــرك دوهنصـــو (ج) :

موجز الادب فى المغرب الاقصى ، ليون ، 1820 ، فى 37 صفحة.
اختصاره : **موجز الادب المغربى**

كــرول أ وكولان ج. :

تاريخ الدولة العلوية بالمغرب ، 30 ، 1 باريز ، 1925 · 2 ، 1927· 3 ، 1934 ·

كرول أ. وهامى أ. :

تاريخ الدولة العلوية بالمغرب ، فى مجلة **الوثائق المغربيــة** 30 ، باريز ، 1923 ·

الجزنائـــى ع :

كتاب **زهرة الآس فى بناء مدينة فاس** · النص العربى (86 صفحة)

والترجمة (196 صفحة) تعليق أ. بيل ، الجزائــــر ، 1923 ، اختصاره : **زهرة الآس** .

كنــــون ع.

أ ــ **أحاديث عن أدب المغرب الحديث** ، القاهرة ، 1964 ، في 212 صفحة 2 .

ب ــ **ذكريات مشاهير رجال المغرب** ، العدد 2 في 39 صفحـــــة ، والثالث في 43 صفحة ، والرابع في 54 صفحة ، والرابع عشر في 29 صفحة . تطوان ــ بيروت ، اختصاره : **ذكريات**

ج ــ **النبوغ المغربي في الادب العربي** ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1961 ، 3 أجزاء ، 338 صفحة + 2، 319 + 1 ، 341 . الطبعة الاولى ، تطوان ، 1357 = 1938 في جزءين .

د ــ **قافية ابن عمرو الرباطي في دعوة الحق** .

هـ ــ **قصة الادب في المغرب** في **مجلة المجمع العلمي العربـــي** ، الجزء 38 ، 1 : 30 ــ 35 ، وفي مجلة **البينـــة** ، العدد 6 ، 1382 = 1962 ، ص. 40 ــ 44

و ــ **رسائل سعدية** ، معهد مولاى الحسن ، تطـــــوان ، دار الطباعة المغربية ، 1954 في 264 صفحة + 6 .

ز ــ **شرح الشمقمقية** ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، 1354 = 1935 في 121 صفحة + 4 . اختصاره : **شـــرح**

كــولــد زيـــر أ. :

دراسات حول الحديث في الاسلام ، في **التعرف على الاسلام** ، الجزء 7 باريز ، 1952 في 355 صفحة .

الحاج صـــدوق م. :

نوع الرحلة ، فى **جريدة الدراسات العربية** ، العدد 40 ، نونبر — دجنبر 1948 ، ص. 195 — 206

حاجــى خليفـــــة :

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، الجزء الاول فى اصطمبول 1360 = 1941 فى 940 صفحة + 48 ، والجزء الثانى فــى اصطمبول ، 1362 = 1942 فى 2026 صفحة .

الحبيـــــب م.

فهرس ، فى مجموع مخطوط فى م. ع بالرباط ، رقم 855 ك

حجــى م. :

الزاوية الدلائية ودورها الدينى والعلمى والسياسى ، الربـــاط ، المطبعة الوطنية ، 1384 = 1964 فى 300 صفحة . اختصارها : **الزاوية الدلائيــة** .

الحجــوى م. :

أ — **الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى** ، الرباط ، 1340 = 22 — 1921 . مطبعة البلدية ، فاس ، 1345 = 1926 / 27 . الجزء الاول فى 165 صفحة ، والثانى فى 245 صفحة ، والثالث فى 170 صفحة ، والرابع فى 369 صفحة + 50 . اختصاره **الفكـــر السامى** .

ب — **تطور أسلوب الانشاء فى المغرب الاقصى** فى مجلة **المغرب** ، ملحق العدد 9 ، 1352 = 1933 ، ص. 1 — 27 . اختصاره **تطور أسلوب الانشـــاء** .

الحلبـــى ع. :

السيرة الحلبية ، القاهرة ، 1349 = 1930 ، الجزء الاول فى 587 صفحة ، والثانى فى 499 صفحـــة .

الحضيكـــى م.

مناقب أو طبقات علماء سوس ، المطبعة العربية بالدار البيضاء ، فى جزءين ، 1357 = 1938 فى 742 صفحة .

الحـــوات س. :

ا ــ **البدور الضاوية فى التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 1454 د فى 728 صفحة ، ورقم 261 د ورقم 294 ك . اختصاره : **البدور الضاوية** .

ب ــ **الروضة المقصودة** ، ذكرها ع. الكتانى فى **فهرس الفهارس**، 1 : 185 ــ 190 .

جـ ــ **ثمــرة انســى** ، ذكره ع. ابن سودة ، **دليــل** ، 2 : 296 .

دائرة المعارف الاسلاميـــة :

أربعة أجزاء + ملحق ، لايد ــ باريز ، 1913 ــ 1942 .

الطبعة الجديدة الجزء الاول ، لايد ــ ابريل 1960 ، باريـــز ، ميزونوف .. الجزء الثانى ، لايد . بريل 1965 ، بازير ، ميزونوف ولا روز . اختصاره **د. م. ا.** ، **و د م ا 2**

داود م. :

ا ــ **مختصر تاريخ تطوان** ، المطبعة المهدية ، تطوان ، 1375 = 1955 فى 357 صفحة . اختصاره : **مختصر تطوان** .

ب ــ تاريخ تطوان ، الجزء الاول ، تطوان ، 1379 = 1959 ، **فى** 170 ص ، والثانى ، تطـــوان ، 1379 = 1959 ، فى 313

صفحة 5 . والثالث ، تطوان ، 1379 = 1959 فى 512 صفحة . السفر الثالث ، تطوان معهد مولاي المهدي ، المطبعة المهدية فى 426 صفحة + 57 .

الدمناتي ع. :

فهرس فى مجموع مخطوط فى م. ع. بالرباط ، رقم 1254 ك .

دوزى ر. :

ذيل المعاجم العربية ، لايد — باريز ، الطبعة الثانية ، 1927 فى جزئين فى 864 صفحة و 865 صفحة . اختصاره : **ذيل** .

دوسنيفال ب. :

اسطورة اليهودي ابن مشعل وحفلة سلطان الطلبة بفاس ، **هسبريس** ، الجزء الخامس ، 1925 ، الشهور الثلاثة الثانية ، ص. 137 — 218 .

الرجراجي أ.

كتاب الشموس المنيرة فى أخبار مدينة الصويرة ، الرباط ، المطبعة الوطنية ، 1354 = 1935 فى 93 صفحة أ — ك . اختصاره : **الشموس المنيرة** .

الرندى الاندلسي ع. :

الكتابة والكتاب مسامرة علمية ادبية تاريخية . فاس ، 1342 = 1924 فى 8 صفحات . اختصاره : **الكتابة والكتاب** .

رونو الدكتور (هـ. ب. ح.) :

أ — **الطب والاطباء المغاربة فى عصر مولاي اسماعيل** ، فى **نشرة معهد الدراسات الشرقية** ، الجزء 3 ، 1937 ، ص.

89 – 109 . اختصاره : **الطب والاطباء** .

ب – **قواعد الصحة المزعومة لابى القاسم وأصلها الحقيقى** ،
لسبون ، 1941 فى 9 صفحات .

ج – **من المقتنيات الحديثة فى تاريخ الطب العربى بالمغرب** ،
القيت بالمؤتمر الخامس الدولى لتاريخ الطب ، جنيف ، 1925
ص. 119 – 121 .

الزبادى م. :

سلوك الطريق الوارية فى التلميذ والشيخ والمريد والزاوية ،
ميكروفيلم م. ع. بالرباط ، رقم 190 فى 169 صفحة . اختصاره :
سلوك الطريق الوارية .

الزبيدى م. :

الفية السند ، ذكرها ع. الكتانى فى **فهرس الفهارس** ، 1 : 185 –
190 .

الزركلى خ. :

الاعلام ، معجم تراجم . فى عشرة اجزاء دون تاريخ ولا مكان
الطبع . اختصاره : **الاعلام**

الزرويلى ع. :

سنا المهتدي الى مفاخر الوزير اليحمدي ، ميكرو فيلم م. ع.
بالرباط ، رقم 791 . اختصاره : **سنا المهتدى** .

الطبرى (الشيخ) :

قصيدة فى مدح خناثة بنت بكار .

طيراس هـ. :

ا – **تاريخ المغرب من أصوله الى اقامة الحماية الفرنسية** ،

الدار البيضاء 1952 ، فى 239 صفحة .

كازيميرسكى :

1 ــ **معجم عربى فرنسى** ، باريز ، ميزونوف ، 1860 ، الجزء الاول فى 1392 صفحة والثانى فى 1638 صفحة . اختصاره : **معجم** .

الكتانى ا :

خطبة السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي ، المطبعة الجديدة بفاس ، ، فى 10 صفحات . اختصاره : **خطبة** .

الكتانى م. :

سلوة الانفاس ومحاضرة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، طبع على الحجر بفاس 1316 = 1898 فى 3 اجزاء . 376 ص. + 18 ، 369 صفحة + 12 . اختصاره : **سلوة** .

الكتانى ع :

فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات فاس ، المطبعة الجديدة ، الجزء الاول ، 1346 = 1927 ، 437 صفحة ، والثانى ، 1347 = 1928 ، 486 صفحة . اختصاره : **فهرس الفهارس** .

الكنتى م. :

الطريفة والتالدة من كرامات الشيخين الوالد والوالدة ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 2294 ك . فى 698 صفحة .

الكعاك ع. :

محاضرات فى مراكز الثقافة بالمغرب من القرن السادس عشر الى

القرن التاسع عشر ، المطبعة الكمالية القاهرة ، 1958 في 134 صفحة . اختصاره **مـراكـز** .

كسيكلـونـا :

بعض الاساطير المتعلقة بمولاي عبد السلام بن مشيش ، الوثائق المغربية ، 1905 ، الجزء 3 ، رقـم 1 ، ص 119 — 134
اختصاره : **بعض الاساطير** .

كـولان ج.

ا — **الادب العربى الدارج** في **التعرف على المغرب** ، مدرسة الكتاب بالرباط ، 1932 ا ص. 146 — 149 ، اختصاره : **الادب العربى الدارج** .

ب — **المقصد حياة صلحاء الريف لعبد الحق البادسـى** ، في **الوثائق المغربية** ، الجزء السادس والعشرون ، باريـز ، 1926 ، في 254 صفحة . اختصاره : **المقصد** .

ج — **اللهجة الدارجة** ، في **التعرف على المغرب** ، الرباط ، مدرسة الكتاب ، 1932 ، ص. 135 — 149 .

لـوبينيـاك ف. :

فصل الشفعة من العمل الفاسى ، **هسبيرس** ، الجزء 26 ، 1939 الشهور الثلاثة الثالثة ص . 193 — 239 .

لـوطـورنـو ر. :

فـاس قبـل الحماية ، دراسة اقتصادية واجتماعية لمدينة مـن الغرب الاسلامى . الدار البيضاء ، 1949 . في 668 صفحـة + رسوم . اختصاره : **فاس قبل الحمايـة** .

لـــوكليرك ل. :

جراحة أبي القاسم ، باريز ، 1861 ، الجزء الثانى ، ص. 307 — 308 .

مخلـــوف (الشيـــخ) :

شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، المطبعـــة السلفيـــــة ، القاهرة ، 1349 = 1930 / 31 . الجزء الاول فى 314 صفحة .

المنجـــــرة ا. :

فهـــرس ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقـــم 1838 د ، ص. 1 — 39

المنجـــــرة ع. :

فهرس ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 2244 ك فى 22 صفحة .

المنـــونـــى م. :

ا — **مكتبة الزاوية الحمزاوية** فى مجلة **تطوان** ، العدد 8 ، 1963 ، ص. 97 — 177 .

ب — **المصادر الدفينة فى تاريخ المغرب** ، **البحث العلمـــــى** ، العدد 10 ، السنة 4 ، الرباط ، يناير — فبرايـــر 1967 ، ص. 9 — 29 .

ج — **مظاهر يقظة المغرب الحديث** ، مجلة **تطوان** ، العدد 6 ، 1961 ، ص. 50 — 55 .

د — **العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين** ، معهد مولاي الحسن بتطوان ، 1950 ، المطبعة المهديــــــة ، فى 331 صفحة . اختصاره : **العلوم والآداب والفنون** .

هـ — **ركب الحاج المغربى** ، تطوان، 1953، معهد مولاي الحسن فى 103 صفحـــة .

معلــوف ل. :

المنجــد فى اللغــة والادب والعلوم . الطبعة الجديدة ، بيروت ، 1960 فى 976 صفحة + 588 + 3 . اختصاره : **المنجــد** .

المقــرى أ.

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب . بولاق ، 1279 = 1862 فى 4 أجزاء ، 890 صفحة اختصـــاره : **نفـــح الطيــب** .

المشرفـــى م. ع. :

أ ــ **الدر المكنون فى التعريف بالشيخ كنون** . طبع ثلثه فقط على الحجر بفاس ، فى 32 صفحة .

ب ــ **الحسام المشرفى فى الرد على الكنســوس المراكشـــى** . مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 2276 ك . فى 267 صفحـــة . اختصاره : **الحسام المشرفى** .

ميشـــو بوليــر :

أ ــ الطرق الصوفية بالمغرب . فى **الوثائق المغربية** ، الجز 27 ، ص. 1 ــ 86 .

ب ــ **نشر المثانى** لمحمد القادرى فى **الوثائق المغربية** ، الجزء 21 1913 والجزء 24 ، 1917 .

مييـــج ح. ل. :

المغرب وأوربا (1830 ــ 1894) ، باريـــز ، 1961 فى 234 صفحـــة .

مييـــــوط ل. :

مجموع فتاوى شريفة ، جريدة معهد الدروس العليا المغربيـــة ،

1952 ، باريز ، فى 418 صفحـــة .

نالينــو ك. أ. :

الادب العربى من أصوله الى عصر الامويين ، ترجمة فرنسيـــــة من قبل شن. بيلا ، 1950 ، **اسلام الامس واليوم** ، 6 ، فى 270 صفحة . اختصاره : **الادب العربــى** .

الناصــــرى أ. :

أ ــ **كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى** ، الطبعة الثانية الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1956 فى 9 أجزاء اختصاره : استقصـــا .

ب ــ **طلعة المشتري فى النسب الجعفري** ، فـــاس ، 1309 فى جزءين . 331 صفحة + 5 و 208 صفحـــة .

الناصـــرى م. :

الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 265 ك ، فى 506 صفحة . اختصاره : **الدرر المرصعة** .

النميشـــى أ. :

تاريخ الشعر والشعراء بفاس ، فاس مطبعة أندري ، 1343 = 1924 فى 97 صفحة . اختصاره : **تاريخ الشعر**

النيفـــر م. :

عنوان الاريب عما نشأ بالملكة التونسية من عالم أريب ، الطبعـــة الاولى ، المطبعة التونسية ، 1351 = 1932 ، الجزء الثانـــى فى 191 صفحة .

العبـــدونـــى م. :

يتيمة العقود الوسطى فى مناقب أبى عبد الله سيدى محمد المعطى

مخطوط الم. ع. بالرباط ، رقم 305 ك ، 466 صفحة (ناقص) .
اختصاره : **يتيمة العقود الوسطى** .

علـــوش أ. س. والرجراجى ع :

فهرس المخطوطات العربية بالرباط ، طبـــع فى جزءيـــن ، الاول بباريز عام 1954 فى 473 صفحة ، والثانى بالرباط عام 1958 فى 455 صفحة اختصاره : **فهرس المخطوطات** .

العلمـــى م. :

الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفـــه من أدبـــاء المغرب : طبع على الحجر بفاس عام 1305 = 1887 ، 360 صفحة ، وعام 1315 = 1897 . اختصاره : **أنيـــس**

العلمـــى ع. :

ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة أهل فاس . طبع على الحجر بفاس سنة 1318 = 1900 ، 126 صفحة .

العميرى (أبو القاســـم) :

فهرس ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 1631 ك فى 213 صفحة .

عفيفـــى م. :

الاديب محمد بن الطيب العلمى ، فى مجلة **التربية الوطنية** ، السنة 4 ، أفريل ــ ماي 1963 ، عدد 2 و 3 ، ص. 30 ــ 34 .

العياشـــى أ. :

رحلـــة طبعـــت على الحجر بفاس عام 1316 = 1898 فى جزءين، الاول فى 456 صفحة + 9 ، والثانى فى 422 صفحة + 18 .

العيــاشــى م. :

النور (أو الثغر أو الزهر) الباسم فى جملة من كلام أبى سالــم مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 304 ك ، 411 صفحة . اختصاره : **الثغر الباسم**

العيــاشــى ع :

الأحياء والانتعاش فى تراجم سادات زاوية آيت عياش ، ميكرو فيلم م. ع. بالرباط ، رقم 1433 د ، 206 صفحة ، اختصاره : **الاحيا**.

غــريــط م :

فواصل الجمان فى أنباء وزراء وكتاب الزمان ، فاس ، المطبعـــة الجديدة ، الطبعة الأولى 1347 = 1921 فى 312 صفحـــة . اختصاره : **فواصل الجمان**

الفــاســى (ط. ب. م.) :

فهــرس ، ذكرها ع. ابن سودة ، **دليــل** ، 2 : 425 .

الفــاســى (م.) :

لا يتسع المقام لذكر جميع ما كتبه محمد الفاسى فى موضوعنـــا ، ونقتصر على ذكر الاهـــم :

أ ــ **دواء المــوت** فى مجلة **البينـــة** ، العدد العاشر ، 1963 ، ص. 11 ــ 21 .

ب ــ **الدراسة بالقرويين أيام الوطاسيين** ، فى **رسالة المغرب** ، العدد 11 ، 5 غشت 1943 ، أرقام 41 ــ 43 . اختصارها : **الدراسة بالقرويـــين** .

ج ــ **الخزانة السلطانية وبعض نفائسها** فى **البحث العلمـــى** ، العدد 4 ــ 5 ، يناير ــ غشـــت 1965 ، ص. 18 ــ 33 ،

67 — 77 . اختصارها : **الخزانة السلطانية** .

د — **مدخل الى دراسة الأدب الشعبى المغربى** فى مجلة **الفكــر** للعالم الاسلامى ، الرباط ، العدد 1 ، نونبر 1962 ، ص. 61 — 70 ، رقم 5 ، مارس 1963 ، ص. 42 — 54 . اختصاره **الفكـــر** .

هـ — **الاكسير فى فكاك الأسير** ، نشره المركز الجامعى للبحــث العلمــى بالرباط ، 1965 ، 249 صفحة + 2 .

و — **الكاتب الوزير محمد بن عثمان المكناسى** فى مجلة **تطوان** ، 1960 ، العدد 5 ، ص. 7 — 31 ، اختصاره : **الكاتــب الوزير** .

ز — **لائحة تامة بمؤلفات المشارك المغربى الكبير عبد الرحمــن الفاسى** ، فى مجلة **هيسبريس** ، الجزء التاسع والعشرون ، 1942 ، ص. 65 — 81 ، اختصاره : **لائحة تامــة** .

ح — **الادب المغربى ، المغرب** ، دائرة المعارف الاستعماريــــة والبحرية باريـــز 1948 ، ص. 524 — 542 (أ و ب) اختصاره : **الأدب المغربى**

ط — **نشأة الدولة العلويــة** ، فى مجلة **البينة** ، العدد 2 ، الرباط ، يونيه 1962 ، ص. 51 — 67 .

ي — **الرحالة المغاربة وآثارهم** ، فى مجلة **دعوة الحق** ، العدد 4 السنة 8 ، يناير 1959 ، ص. 22 — 25 .

ك — **الرحلة السفارية المغربية** ، فى مجلة **البينــة** ، العــدد 6 ، أكتوبر 1962 ، ص. 11 — 24 .

ل — **رحلة العبــدرى** ، جامعة محمد الخامس ، الربــاط ، وزارة الثقافة والتعليم الاصلى ، 1968 ، فى 352 صفحة + 42

م — **الشاعر الشعبي الجيلالي متيرد** ، في مجلة **الفكر** ، العدد 5 ، مارس 1963 ، ص. 42 — 54 .

الفاسـى (م. ب.) :

قبلية بني زروال نشر مركز البحث العلمى التابع لكليــة الآداب بالرباط ، 1962 في 131 صفحــة .

الفاسـى (م. ب. أ.) :

المورد الهنى بأخبار الامام المولى عبد السلام الشريـف القادرى الحسنى . مخطوط م. ع بالرباط رقم 1234 ك . ص . 227 — 275 ، اختصاره : **المورد الهنــى** . او **المورد** .

الفاسـى (م. ب. ع.) :

أ — **المنح البادية في الأسانيد العالية** ، مخطوط م. ع. بالربــاط رقــم 1249 ك .

ب — **تحفــة الوارد والصادر** ، طبع على الحجر بفاس عـــام 1315 = 98 / 1897 في 192 صفحــة .

الفاسـى (ن) :

محمد بن ادريس في مجلة **البحث العلمي** ، السنة الأولى ، العدد 1، يناير — فبراير 1964 ، ص. 157 — 180 .

الفــاسـى ع. :

أ — **العمل الفاسى** ، مخطوطات م. ع. بالرباط ، رقم 522 مكرر د ، في 20 ورقة ، ورقم 1388 د ، ص. 337 — 360 الخ .

ب — **ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب** مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 27 — 522 د ورقم 326 ك. .

386 صفحة . اختصاره : **ابتهـاج .**

ج ــ **الأقنوم فى مبادىء العلوم** . مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 15 ك فى 733 صفحة ، رقم 21 د الجزء الاول فى 170 ورقـة ، والثانى فى 125 ورقة . اختصاره : **الأقنـوم**

الفـاسـى ع. :

السلطان الصغير ، مجلة رسالة المغرب ، رقم 47 ــ 49 ، السنة التاسعـة .

الفاسـى عبد الواحد :

غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلمية فى ذكر الأنساب الصقلية ذات الانوار البهية السنية . مخطـوط م. ع . بالرباط ، رقـم 97 ج ، ص. 1 ــ 58 .

الفضيلـى ا :

الدرر البهية والجواهر النبوية فى الفروع الحسنية والحسينيـة جزآن فى سفر واحد طبع على الحجر بفاس عام 1314 = 1896 ، الاول فى 288 صفحة ، والثانى فى 400 صفحة + 7 . اختصاره : **درر**

فهـد ط :

الكهانة عند العـرب ، لايـد ، 1966 .

فـور (ب) ومندن ل. :

تاريخ الشعر الفرنسى من سنة 1830 ، باريـز ، 1926 فى 392 صفحـة .

فـومـى ا. :

تاريخ الدولة العلوية بالمغرب فى مجلة **الوثائق المغربية** ، الجزآن

9 و 10 ، باريز 1906 — 1907 .

الفيروزبـــادى م :

القاموس المحيط ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، دون تاريخ الجزء الاول فى 395 صفحة ، والثانى فى 400 صفحة ، والثالث فى 404 صفحة ، والرابع فى 420 صفحة . اختصاره : **القاموس** .

القــادرى م :

ا — **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيـــان المائة الثانية والحادية عشر** مخطوط م. ع. بالرباط ، رقـــم 676 د ، اختصاره : **التقــاط**

ب — **النشر الكبير** ، مخطوط م. ع. بالرباط ، رقم 2253 ك . فى جزءين ، 150 ورقة و 153 ورقة .

ج — **نشر المثانى لأهل القرن الحادي عشر والثانـــى** ، فاس ، 1310 = 1892 فى جزءين .

د — **فريدة الدر الصفى فى وصف الجمال اليوسفى** ، مطبوعة مع **عناية أولى المجــد** ، المطبعة الجديدة بفاس ، 1347 = 1928 ، ص. 87 — 104 . اختصاره : **فريدة الدر الصفى** .

السائــح م. :

ا — **المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية** ، الربـــاط ، المطبعة الرسمية ، 1920 ، فى 237 صفحة . اختصـــاره : **المنتخبات**

ب — **سوق المهر الى قافية ابن عمرو** ، الرباط ، المطبعــــــة الاقتصادية ، 1357 = 1938 ، فى 99 صفحة .

السالمى أ. :

المولديات فى مملكة غرناطة والمغرب من القرن 8 الى 17 .
هسبريس ، وطبعت فى فصلة مستقلة ، 1956 ، باريز ، لاروز ،
ص. 336 — 435 . اختصارها : **مولديات**

سركيس ج. أ. :

معجم المطبوعات ، القاهرة ، 1346 — 1349 = 1928 —
1930 فى جزءين .

سليمان العلوى :

عناية أولى المجد بذكر آل الفاسى بن الجد ، المطبعة الجديدة
بفاس ، 1347 = 1928 ، فى 108 صفحة . اختصاره : **عناية**.

السوسى م. :

أ — **خلال حزولة** فى اربعة اجزاء . المطبعة المهدية ، تطوان ،
بدون تاريخ .
ب — **المعسول** ، الجزء الاول ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ،
1370 = 1960 . فى 408 صفحة .
ج — **سوس العالمة** ، مطبعة فضالة ، المحمدية، 1380 = 1960
فى 251 صفحة .

الشنقيطى أ. :

الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، المطبعة
الجمالية ، 1329 = 1911 فى 542 صفحة .

شيخو (الاب) —

الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، مقتطف من **المشرق** ،
جزء 1 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1910 فى 204 صفحة + 4 ،

اختصاره : **الآداب العربيـــة** .

الهاشمـــى ا :

جواهر الادب فى أدبيات وانشاء لغة العرب ، القاهرة ، 1338 = 1920 ، الطبعة 12 مطبعة السعادة ، فى 767 صفحة . اختصاره : **جواهر الادب** .

الهاشمـــى الفيلالـــى :

السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، فى مجلة **رسالـــة المغرب** ، السنة 1 ، العـــدد 7 ، 1943 ، ص : 5 — 10 ، اختصـــاره : السلطـــان سيـــدي م. ب. ع.

الهـــلالـــى ا. :

الجواهر الافقية ، ذكرها ع. ابن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 187 — 189 .

هـــــوداس ا. :

المغرب من سنة 1631 الى 1812 ، مقتطف من كتاب بعنوان : **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب** لابى القاسم بن احمـــد الزيانـــى ، باريـــز ، 1886 ، نشر وترجمـــة .

الـــوراكلـــى ح. :

زهر الاكم فى الامثال والحكم ، فى مجلة **دعوة الحق** ، عدد 3 ، ديسمبر 1963 ، ص : 34 — 38 .

الوزير الغسانـــى ا. :

ا — **العرف السحرى فى بعض فضائل ابن زكرى** ، ذكره ع. ابن

سودة ، **دليـــل** ، 1 : 189 .

ب ــ **تآليف فى ترجمة عبد السلام القادري** ذكـــره م. القادري ، **النشــــر الكبيــــر** ، ورقـــة 232 ظ ــ 234 ظ .

الـــولالـــى أ. :

مباحث الانوار فى أخبار بعض الاخيار ، ذكره ع ابن ابراهيم فـــى **الاعـــلام** ، 4 : 316 . اختصـــاره : **مباحث الانوار** .

فهرس الخطأ والصواب

ص	س	الخطـأ	الصـواب
17	17	للنثـر	للنشـر
19	28	113	114
36	7	حبننذ	حينئـذ
36	19	ستبـة	سبتـة
40	10	حنـى	حتـى
47	14	وملوك اليمن ... (20)	وملوك اليمن .. (20) »
48	7	الكتـاب	الكاتـب
51	2	المزونـى	المـزوزى
51	13	الناظرين	للحاضريـن
51	13	الفيـان	العيـان
57	3	المتقـى	المنتقـى
58	20	مناحس	مناحيـس
59	1	يتلخـص	يتخلـص
60	20	لا تخـون	لا تحـن
60	23	حزيـن	الحزيـن
63	21	اللنصـر	النصـر
64	3	قريـك	قربـك
79	16	الاطنوغرغرافية	الاطنوغرافيـة
79	23	فيما ياتـى	فيما ياتـى ص. 172
79	24	فيما ياتى	فيما ياتى ص . 246
79	25	فيما ياتـى	فيما ياتى ص . 368
80	27	ص . 122 — 125	ص. 156 — 160
80	28	ص . 124 — 125	ص .158 — 160
81	22	فيماياتـى	فيما ياتى ص .258
81	25	فيما ياتـى	فيما ياتى ص . 207
81	26	فيما ياتـى	فيما ياتى ص . 239
82	22	فيما ياتـى	فيما يأتى ص · 220
83	21	فيما ياتـى	فيما ياتى ص . 196

ص	س	الخطــا	الصـــواب
83	27	121 — 120	153 — 152
87	25	فيما ياتـــى	فيما ياتى ص . 288
89	2	مصريهم	مضربهــــم
95	11	بــــدا	بــــدا
100	6	العراقيـــة	العرقيـــة
107	14	واللشيـــخ	والشيـــخ
111	10	للقروينـــى	للقزوينـــى
111	14	واكتسب	واكتسبت
111	24	1686/85	86/1685
113	7	الا تخلـــو	لا تخلـــو
113	7	بالطرق	بالطـــرف
113	9	علاوة كل	علاوة على كل
113	14	النتـــر	النشـــر
117	12	المشرعيـــة	الشرعيـــة
120	9	المشوؤة	المشنوءة
120	12	مستثـــل	مستثقـــل
137	22	ص .79 ، هامش 115	لاشـــىء
147	22	السنجيطـــى	الشنجيطـــى
168	7	ستشرون	يستنشرون
170	1	كل واحـــد	كل واحـــدة
178	28	النقـــاط	التقـــاط
203	6	وخرائيـــها	وخرائبهـــا
207	11	1728 — 27	28 — 1727
208	10	العمـــرى	العميـــرى
208	28	108	208
213	15	الامانـــة	الامامـــة
228	13	والفتـــا	والفتـــاء
228	18	بعـــده	بعـــد
230	8	1721 — 20	21 — 1720
236	9	بقصـــد	بقصـــــد
263	10	اعبـــرت	أعربـــت
271	15	دارسيـــا	دراسيـــا
276	16	أمام	امـــام
276	23	346 — 345	347 — 345

ص	س	الخطـأ	الصـواب
277	20	304 — 297	304 — 298
283	7	المـدة	المـد
294	7	التبـر	البـر
294	11	بـدأ	بـدا
294	18	بـدأ	بـدا
302	7	متنـا	متينـا
308	20	والشـراء	والثـراء
309	9	منجـاه	منجـاة
309	13	معالـج	فعالـج
310	16	جـان	حـان
310	17	نفسـى	نفـس
311	9	بنضـال	بنصـال
312	10	مهجولا	مجهـولا
330	21	كثـرا	كثيـرا
345	23	قريبـا ص .	قريبا ص . 368
345	24	قريبا ص .	قريبا ص . 352
346	7	عـددا وافـر	عددا وافـرا
354	14	قـدرهـا	قد زهـا
355	2	العشريـن	العشرين فى الادب الفرنسى
355	3	ويذكر هذا النوع من النثر	وتذكـر
365	19	أن يساعدهم	أو يساعدهم
367	9	بالحج	بالحجـج
372	1	تحليـل آثـار	تحليـل آثـاره
376	21	باللة	باللـه
377	18	مستنيـر	مستنيرا
379	23	ص . 183 ، وهامش 68	لا شىء
379	24	ص . 35 ، وهامش 88	لا شىء
380	2	فهـم	فهـو
380	23	ص . 240 ، وهامش 129	لا شىء
381	13	فانهم	فافهم
382	11	الملفـق	الفـؤاد
386	19	ص . 240	ص . 304
387	4	لهفـة	لهقـة
387	17	وايضـا	رابضـا

ص	س	الخطـأ	الصواب
392	19	فضيــاع	فضــاع
394	19	ص . 59 ، هامش 70	لاشــيء
400	9	ونضيلتــه	وفصيلتــه
401	20	السبتان	البستــان
403	10	فى الخمسة	من الخمسة
403	18	والجليــل	الجليــل
404	19	للمتامريــن	للمتآمريــن
404	28	ص· 33 هامش 66	ص . 413 ، هامش 13
407	4	طوال الدهــر	طول الدهــر
410	18	خدمت همته	خمدت همته
414	21	الصالحــين	الصالحين انظر على التوالى :
416	17	فى عرائسها	فى عرائشها
419	2	فائــدة	فائـــده
420	3	جدابــة	جذابــة
427	20	2 ، 315	2 ، 351
430	7	مشاورات	مشاوات
433	22	الزنجوفورية	الزنجفوريــة
435	3	القلــوب	القلوب وراح .
448	17	الـوري	الــورى
449	20	المتجـدى	المحتدى
451	6	المــرنسى	المرنيسى
471	5	مؤحديــة	موحديــة

الفهرس

المميزات العامة للادب المغربى

العصر الاول

العصـر الثانـى

العصـــر الثالـــث

مطبعة النجاح الجديدة
الـــدار البيضـاء

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الثمن 40،00 درهما